

# تفسيرالقرآن الكريم

الجزء الخامس عشرمن القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته





# ١ - بين يدى السورة

#### (أ) وحدة الرسالات:

سررة الإسراء في جملتها تدور حول الرسول والرسالة فتبدأ بالحديث عن الإسراء بدايته ونهايته . وغايته، وهذا هو العنوان الذي تندرج تحته موضوعات السورة وكلها موضوعات لها أوجه مناسبة بالرسول محمد ﷺ .

فقد تحدثت عن بنى إسرائيل بمناسبة الحديث عن الإسراء إلى ببت المقدس ، وكان اليهود بعيرون النبى بأنه لم يذهب إلى بيت المقدس مع أن الرسل السابقين قد ذهبت إليه وولدت حوله وهبط عليهم الرحى في معيده، ويعيرونه بأنه ليس من سلسلة الأنبياء ، فقد اهتمى الله إبراهيم بأن جعله أبا للأنبياء والمرسلين وجعل الرسالة كلها في عقبه بيد أن جميع المرسلين كانوا من نسل ولده إسحاق ، ثم يعقوب الملقب بإسرائيل وقد أنجب يعقوب اثنى عشر سيطا لقبوا بالأسباط (١٥ ، وكان من نسلهم جميع أنبياء بنى إسرائيل .

أما الذبى محمد ﷺ فكان وحده من نسل إسماعيل بن إبراهيم ، وقد جعل الله الإسراء إلى بيت المقدس؛ ليكون بمثابة (تدشين) لنبوته ثم جعله يصلى إماما بالأنبياء ؛ ليكون هذا اعترافا بأنه أهل للرسالة ، وتشير بعض الآبات في القرآن إلى هذا المعنى "٠.

وصلاة النبى بالأنبياء تشير إلى وحدة الرسالات والنبوات وأنها جميعا من عند الله وأن الأنبياء والمرسلين أرسلوا من أجل هداية الناس ودعوتهم إلى التوحيد وإرشادهم إلى الفضائل وتحذيرهم من الرذائل، فالغاية من الرسالة واحدة والهدف واحد وإن لفتلفت الوسائل باختلاف الشعوب وطبائعها، فمن الأنبياء من حارب رذائل معينة انتشرت بين قومه كتطفيف الكيل الذي جاء به شعيب ، والمثلية الجنسية التى حاربها لوط ، ولكن الأنبياء في الأساس العام دعاة إلى توحيد الله وهداة إلى الفضائل ومكارم الأخلاق، ولذلك تلتقى الديانات على فكرة التوحيد وحسن السلوك ، وفي سورة الأعراف نجد آيات متلاحقة تتحدث عن رسالة كل نبى وتشفايه جميعها في أنها تبدأ أولا بالدعوة إلى توحيد الله . قال تعالى: لَقَدْ أَرْسُلُنَا لُوحًا إلى لَوْمِه قَالُ يَالْوَم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا كُمُ مِنْ إلى غَيْرةً ... (الأعراف : ٥٠) .

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ... (الأعراف: ٦٥) .

وَإِلَىٰ لَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُلُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ... (الأعراف: ٧٧) .

فالرسالات متحدة في الأساس العام وهو التوحيد.

ومتخصصة فى الفروع التى تعالجها والمشاكل التى تقدم حلولها ويعبارة أخرى : الغاية واحدة والوسيلة مختلفة .

وقد ذكر السيد رشيد رضا في تفسير المنار<sup>®</sup>: أن تعدد الرسل يشبه دولة أو جمهورية لها رئيس يحكمها بقانون عام ، وللرئيس نواب عنه يحكمون المحافظات ، فكل محافظ يتفق مع الآخر في الأساس العام للحكم ويختلف عنه باختلاف طبيعة الأقاليم فلمحافظة السويس أو البحر الأحمر أو الوادئ الجديد مثلا تشريعات خاصة بها ، ولكنها تلتقي مع بقية المحافظات في احترام الأساس العام للحكم وتنفيذ دستور الدولة وطاعة رئيسها .

وكذلك الرسل ، الإله الذي أرسلهم إله واحد لا شريك له والدعوة التى أرسلوا بها دعوة واحدة فى روحها وهدفها ، ولكن الوسيلة لتهذيب السلوك تختلف من نبى لآهر ومن شعب لآهر .

ونجد نصوص القرآن والسنة تؤكد هذا المعنى وتؤيده . هالقرآن يقول : إِنَّا أَوْحَيَّنَا إِلَيْكَ كُمَا أَوْحَيَّنَا إِلَى تُوح رَ آلشِيْنَ مِنْ يَعْفِرهِ ...

ولذلك نجد العسلم يؤمن بالرسالات كلها وبالرسل والكتب الصحيحة التى أذالها الله: قُولُواْ عَامَنَا بِاللّهِ وَمَا أَلِولَ إِلْهَا وَمَا أَلَولَ إِلَيْ إِيرُاهِيمَ وَإِسْمَعُولَ وَإِسْحَسْنَ وَمَا أُولِيَ مُوسَىٰ وَعِلْسَىٰ وَمَا أُولِيَ ٱلشَّيُونَ مِن رَبِّهِمْ لاَ لَفُرْقَ يَيْنَ أَحَوِ مُنْهُمْ وَلَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . (البعرة: ١٣٠).

وفى المسحيحين(" يقول النهى ﷺ : « إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يقولون لو رضعت هذه اللبنة فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الرسل » .

ويروى البخارى: أن النبي ﷺ قال : « الأنبياء أخوات لعلات (١٠ أمهاتهم شتى ودينهم واحد »(١٠).

وأبناء العلات هم أيناء الضرائر يكون أبوهم رجلا واحدا وأمهاتهم متعددات ، فكذلك الرسُ ربهم الذي أرسلهم إله واحد ورسالاتهم متعددة بتعدد بلادهم .

وقريب من ذلك قوله ﷺ: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».

وفى هذه الوحدة رد على اليهود الذين ادعوا أنهم شعب الله المختار وأن الرسالة لا تكون إلا فيهم وأنهم أبناء الله وأن من عداهم لا يصنح أن يكون رسولا . فاش هو الذي خلق الخلق وهو يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، والرسالة مَنَة إلهية يعطيها الله من يشاء من عباده.

بل إن الرسل أنفسهم فضل الله بعضهم على بعض فجعل منهم أولى العزم ، الذين تحملوا البلاء أكثر من غيرهم .

قال تعالى : بَلْكُ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض . (البقرة: ٣٥٣).

وِقال سبحانه : فَآصْبِرْ كُمَا صَبَرَ أُولُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ . (الأحقاف: ٣٥) .

وأولو العزم من الرسل خمسة هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد.

وسموا بأولى العزم لتحملهم من البلاء والجهاد والكفاح أكثر مما تحمله سواهم، ومن قواعد الإيمان أن تؤمن بالله ربا وخالفا ، وأن تؤمن بأن الله أرسل رسلا لهداية الناس : رُسُلاً مُبَسَّرِينَ وَمُسْلِرِينَ قِلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً يَعَدَ الرَّسُل (النساء: 130) .

وهؤلاء الرسل كثرة كثيرة في تاريخ البشرية الطويل، وهم علامات مضينة وشارات ترشد البشرية، ولا يعلم عددهم إلا الله، قال تعالى: وَلَقَدُ أَرْسُلُنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَنْ لَمَ نَقْصُصْ عَلَيْكَ .. (غاند، ٧٤).

وقد ورد نكر كثير من الرسل فى القرآن الكريم ، قال تحالى : وَيَلْكُ خُوثِنَّنَا عَائِيَاهُمَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قُوْمِهِمْ نَرْفَعُ فَرَجَاتِ مِّن لِشَاءُ إِنَّ رَبِّكَ حَكِيمَ عَلِيمَ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيُقْقُوبَ كُثُّ هُدَيْنَا وَلُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرُلِيْهِ دَاوُدُ وَسُلِيْنَانَ وَأَلُوسُهُ فَوَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْوِي ٱلْمُحْسِينَ • وَزَكْرِيّا وَيَحْقى وَهِسَى وَإِلْهَاسَ كُلُّ شَنْ الصَّالِجِينَ • وَالشَمَاعِلُ وَالْمُسْمَةَ وَلُوطًا وَكُلاً فَطَلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ . (الانداء: ٨عـ٨٥).

# (ب) بین موسی ومحمد :

كان موسى رسول بنى إسرائيل وصاحب التوراة والألواح وصاحب الشريعة التى أرسل على أساسها عيسى ، فلم يأت عيسى بشرع جديد ، بل كان فى دعوته تابعا لتماليم التوراة وغاية فكرته أن صاح صبحات متتابعة يدعوهم فيها إلى صدق الإيمان والإخلاص ويبعدهم عن حب المادة ويسعر بهم إلى الروانية الخالصة.

ولذلك يقول عيسى: ما جئت لأنقض الناموس بل لأجدده ، وقال القرآن على لسان الجن : إِنَّا سَمِعْنَا كِتُلِّا أُتَوِلَ مِنْ تَعْدِمُوسَىٰ . (الأحقاد. ٣٠). وفي البخاري يقول ورقة بن نوفل للنبي: هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى الله.

هموسى صاحب دين ينتظم القرانين المدنية والشرائع الدينية ، أما عيسى فجاء بفكرة إصلاحية روحية فقط. وقد عادت الكنيسة في الغرب إلى هذه الحدود الدينية وحدها . أما شريعة اليهود فهى شريعة متكاملة ولا ينافسها إلا الإسلام لأنه هو الدين الوحيد الذي يناظر اليهودية في اشتماله على منهج ونظام مدنى وديني . وقد استقبل الأنبياء والمرسلون رسول الله ليلة الإسراء ورحبوا به وقال له كل نبى : مرحبا بالأخ المسالح والخبي الصالح وهذا دليل على أن الأنبياء والمرسلين إخرة في المهمة التي كلفوا بها والدعوة التي وقفوا حياتهم من أجلها .

استقبل النهى فى السماء الأولى آدم ، وفى الثانية يحيى وعيسى ، وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة إيراهيم ، وقد بكى موسى عند وداخ الدين ، وفى السادسة موسى ، وفى السابعة إيراهيم ، وقد بكى موسى عند وداخ النبى له ، فسأله الذبى: ما يبكيك يا موسى؟ قال : أيكى لأن غلاماً بعث من بعدى سيدهل من أمته الجنة أكثر مما يدهل من أمتى . وهو بكاء الفيطة لا بكاء الحسد ، ولحل موسى قد تذكر أنه طلب رؤية الله فلم يجب . إلى ذلك قال تحالى : وَوَاعَلْنَا مُوسَى لَلْإِينَ لِللَّهُ وَأَنْمَتْنَاهَا بِعَثْمِ لَمُ عَلَّم بِعَثَاثَ رَبِّه أَزْبَهِنَ لِللَّهُ وَاللَّم عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ وَاللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَاللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ

ثم إن موسى رأى النبى في ليلة الإسراء ، يرُهذ ليلا ويركب البراق وجبريا في الركاب ويصلى إماما بالأنبياء ويصعد في السماوات العلا ويرى من فضل الله ما يرى وتحوطه عناية الله وفضل الله ويرى الجنة ونعيمها ويرى الملأ الأعلى يخصونه بالسلام والتحية . وتلك كلها خصائص اختص الله بها محمدا عليه السلام .

وحين فرض الله على الذي خمسين صلاة ، فقال الهبوط ، فمر بعوسى في السماء السادسة ، فقال 
له: ماذا أعطاك ريك؟ ، قال : خمسين صلاة ، فقال له موسى : لرجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، فإن أمتك 
لا تطيق ذلك ، وإني جاهدت بني إسرائيل قبلك . وعاد النبي إلى ربه ، فسأله التخفيف ، فحط عنه عشر 
صلوات ، فلما رجع إلى موسى ، قال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، وتكررت توصية موسى للنبي 
مزارا حتى أصبحت خمس صلوات ، ثم قال الله له : يا محمد ، هي خمس في العمل ، وخمسون في الثواب، 
والحسنة بعشر أمثالها ، لايبدل القول لدى ، وما أنا بظلام للعبيد . وقد عاد النبي إلى موسى فقال له: ماذا 
أعطاك ربك . قال الذبي: خمس صلوات ، فقال له موسى : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال إنني: سألت

ومن هذا الحديث نعرف ما بين الأنبياء من صلات ووشائج ونلمس رحمة موسى بالأمة المحمدية . وقد نقل إلى النبى خبرته فى جهاد بنى إسرائيل . ولذلك قال عليه السلام : « كان موسى خيرهم لى حين رجعت عليه » . وفى رواية : « فمررت بموسى ، ونعم الصاحب كان لكم » .

وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسائته بها جميعا ، فهى رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان ، وتربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام .

# ٧- تعريف بسورة الإسراء

هى سورة مكية نزلت فى السنة الحادية عشرة للبعثة قبل الهجرة بسنة . وتسمى سورة الإسراء نظرا لذكر الإسراء فى مدرها ، كما تسمى سورة بنى إسرائيل للحديث عنهم وعن إفسادهم فى الأرض وعقوبة الله لهم على هذا الفساد .

وعدد آياتها ۱۹۱ آية وهي مكية اتفاقا إلا الأيات: ٢٦، ٢٥، ٧٥، ومن آية ٧٣، إلى آية ٨٠ هدنية، وقد نزلت بعد القصص، فهي من أواخر ما نزل بمكة وقد تعيزت آياتها بالطول النسبي ويسط الفكرة والدعوة إلى الأداب ومكارم الأخلاق على حين تجد الآيات المكية التي نزلت في أوائل البعثة تتميز بقصر الفواصل، ومراعاة السجع ، والدعوة إلى التوحيد ، وسوق الأدلة على الإيمان بالله ، والآيات المدنية تتميز بالطول، ويبان أحكام التشريع ، ونظام العبادات، والمعاملات ، فسورة الإسراء اشتملت على خصائص السورة المكية، ومن ناحية أخرى ظهر فيها صفات من خصائص السور المدنية ؛ لأنها من أواخر العبد المكي فهي ممهدة للعبد المدني ، حيث استقرت الدعوة في المدينة ونزل القرآن يرسم سياسة المسلمين الداخلية والخارجية ويبان المؤمنين نظام الحرب والسلم وأدب المعاملة وفن الحديث وطريقة الدعوة ومنهاج الحياة ، وقد ذكر ويبان المؤمنين الماملات المفسر أن يعرف مكي وما يشبه المدني وهو مكي وما يشبه المكي وهو مدني وما يشبه المكري وهو مدني وما يشبه المكري ومو مدني وأن يعرف تاريخ النزول وأسباب النزول وما نزل من القرآن أولا وما نزل تاليا وما نزل مفردا وما نزل مشيعا بالملائكة .. فإن هذه المعرفة تعطينا ضوءا كاشفا يوضح أهداف السورة ومقصد الآيات وأسرار التشريع ، فهي دراسة للجو المحيط بالنص ولا غنى لمن أراد دراسة نص من النصوص عن معرفة تالله والبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها والعوامل والظروف التي أصاحك بهذا النص من النصوص عن معرفة تالمناء والبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها والعوامل والظروف التي أصاحك بهذا النص .

ونحن حين ندرس القرآن نحيط بدراسة محافلة للنص وما حوله ، ثم نحتاج إلى صفة أخرى هي صدق النية وعمق النظرة وإخلاص القلب وسلامة الفطرة حتى نستكشف هدى القرآن وسمو تعاليمه ؛ لأنها تظهر واضحة أمام العدمدنين ، وتخفى عن عيون الجاحدين قال تعالى : وَإِذَا قَرَاتَ ٱلْفُرْعَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبُهَنَ ٱلَّذِينَ لاَ يُطْرِئُونَ بَالاَّحْرَةِ صِحَانًا مُسْتُعُورًا • وَجَعَلْنَا عَلَىٰ لَلْدِيهِمْ أَكِنَّهُ أَن يُفْقَهُوهُ وَلِمَى عَاذَابِهِمْ وَقُوْا وَإِذَا ذَكُوتَ رَبُّكَ فِي ٱلْقُومَانِ وَحَدُهُ وَلُوْا عَلَيْمَ الْشَرْهِمْ فَقُورًا • (الإسواء: 6، 3، 3).

# ٣- أهداف السورة

بدأت سورة الإسراء بقوله تعالى : سُبَحَسْنَ ٱلَّذِيّ أَسْرَىٰ بِعَيْدِهِ لِللَّا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَلْفَ ٱلَّذِي يَسْرَكُنَا حَوْلَهُ لِنَرْيَةُ مِنْ ءَايَلِشِمَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّبِيعُ ٱلْمِيسِرُ .

وهذا هو مطلع السورة أو عنوانها الذي يحشد موضوعات السورة ، إن السورة في مجملها تتحدث عن النبي وعن القرآن الذي نزل عليه وموقف المشركين من هذا القرآن . وفي خلال هذا الحديث تستطرد إلى ذكر بني إسرائيل والحديث عن ماضيهم وإنسادهم في الأرض وعقوبة الله لهم كأنها تقوعد كل مكذب ومفسد بالعقاب العادل وفي هذا تهديد لكفار مكة ، ولكل خارج على نطاق الإيمان وشريعة العدل والنظام الإلهي (انظر الآيات: ١-٣٧).

كما تحدثت السورة عن قضية القوحيد لقهم عليها البناء الاجتماعي كله وآداب العمل والسلوك، فأمرت بالإحسان إلى الوالدين ، وبإيتاء ذى القربي حقه والمسكين وابن السبيل ، ونهت عن التبذير والقتل والزنا وتطفيف الكيل وأكل مال اليقيم ، والكبر والبطر . (الآيات: ٣٣-٣٩).

وقد أمرت المسلمين بجملة من الأداب في أسلوب رائع حكيم يدعو الناس إلى التمسك بها ويؤيد أن القرآن كتاب تربية أخلاقية وسلوكية . وأن هذه التربية هي التي صاغت المجتمع الإسلامي المحمدي صياغة جديدة مهذبة .

ويذلك كانت معجزة القرآن أنه غدا روحا جديدة يسرى فى أوصال المجتمع العربى والإسلامى فعهدم حطام الجاهلية وأوثانها ، ويقيم على أشلائها دولة جديدة تؤمن بالله ورسوله وتهتدى بكتابه الذى أنزله نورا وهدى . فترى المسلم إما عابدا فى مسجده أو ساعيا على رزقه أو مجاهدا فى سبيل إعلاء كلمة الله . وجمعت المسلمين تحت راية جديدة عمادها الإخلاص وأساسها الحب لله ولدينه وقوتها فى تماسك المسلمين وأخرتهم وترابطهم وتسائدهم ، فصلة الرحم والعطف على الفقير والبعد عن الكبر والشع والظلم كلها آداب سلوكية جعلت من المؤمنين خير أمة أخرجت للناس . (وفي الآيات: ٣٩-٨٥) تحدثت السورة عن أوهام الوثنية الجاهلية حول نسبة البنات والشركاء إلى الله وعن البعث واستبعادهم لوقوعه وعن استقبالهم للقرآن وتقولاتهم على الرسول عليه المسلاة والسلام، وأمرت المؤمنين أن يقولوا قولا آخر ويتكلموا بالتي هي أحسن .

(وفى الآيات ٥-٧٣) بينت السورة لماذا كانت معجزة محمد معجزة عقلية خالدة ولم تكن معجزة مادية محدودة ، فقد كنب الأولون بالخوارق فحق عليهم الهلاك اتباعا لسنة الله ، كما تناولت الحديث عن الإسراء وحكمته ، وأن الله جعله فتنة وامتحانا للناس ليتميز المؤمنون ، وينكشف المنافقون ، ويجيء في هذا السياق طرف من قصة إبليس وإعلائه أنه سيكون حريا على ذرية آدم. يجيء هذا الطرف من القصة كأنه كشف لعوامل الضلال الذي يبدو من المستركين ويعقب عليه بتخويف البشر من عذاب الله وتذكيرهم بنعمة الله عليهم في تكريم الإنسان وتفضيله على جميع المخلوقات وتسخير جميع الكون له حتى يفكر بعقله ويؤمن بقلبه فمن اهتدى أخذ كتابه بيمينه يوم القيامة ومن عمى عن الحق في الدنيا فهو في الأخرة أعمى وأضل سبيلا .

وفى الآيات ٧٣-٨٨ تستعرض السورة كيد المشركين للرسول ومحاولتهم فتنته عن بعض ما أنزل إليه ومحاولة إخراجه من مكة ، ثم تأمر النبى أن يمضى فى طريقه يقرأ القرآن ويردى الصلاة ويدعو الله أن يحسن مدخله ومخرجه ، وتذكر رسالة القرآن بأنها شفاء لأمراض الجاهلية ورحمة بالجماعة الإسلامية .

وفى الأيات ٨٨-٧١٧ ختام السورة، ويستمر فيها الحديث عن القرآن راعجازه على حين يطلب كفار مكة خوارق مادية ويطلبون نزول الملائكة ويقترحون أن يكون للرسول بيت من زخوف أو جنة من نخيل وعنب يفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا أو أن يرقى هو فى السماء ثم يأتيهم بكتاب مادى معه يقرءونه .. إلى آخر هذه المقترحات التى يمليها العنت والمكابرة لا طلب الهدى والاتفناع ، ويرد الله على هذا كله بأنه خارج عن وظيفة الرسول وطبيعة الرسالة .

فالرسول بشر يوحى إليه وليس إلها يتحكم فى مظاهر الكون ، وقد سبق أن أعطى الله موسى معجزات مادية فكذب بها فرعون وجحد نبوة موسى فكانت العاقبة أن أغرق الله فرعون ومن معه من المكذبين .

إن طريقة القرآن هي طريقة الدعوة الهادفة المتأنية وقد نزل مفرقا ليقرأه الرسول على قومه في هدوء وتؤدة وليجيب على أسئلة السائلين وليكون كتاب الحياة يحياها مع المؤمنين يعلمهم دينهم ويرد عنهم دعاوى أعدائهم ويلفت أنظارهم إلى الكون وما فيه حتى يعبدوا الله ويسحدوا له عن خشوع ويقين وتختم السورة بحمد الله وتنزيهه عن الولد والشريك فى الملك كما بُرنِّت بتنزيه الله وتسبيحه . وإذا أردنا إيجازا أكثر أمكننا أن نرجم أهداف سورة الإسراء إلى الأمور الآتية :

١ - معجزة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس: آية ١.

٢ - تاريخ بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض وعقوية الله لهم: الآيات ٢-٨.

٣- جملة من الأداب يجب على المسلمين أن يتحلوا بها حتى تظل رابطتهم قوية متماسكة ، وحتى لا
 يصيبهم ما أصاب اليهود عندما أفسدوا في الأرض: ٢٣-٢٩ .

٤- بيان أن كل ما في السماوات والأرض مسبح لله : آية ٤٤.

٥- الكلام في البعث مع إقامة الأدلة على إمكانه: الآيات ٥٠ -٥٥.

٣-- الرب على المشركين الذين اتخذوا مع الله آلهة من الأوثان والأصنام آية: ٤٦.

٧ – الحكمة في عدم إنزال الآيات التي اقترحوها على محمد ﷺ : آغ : ٢٥٠.

٨- قصة سجود الملائكة لأدم وامتناع إبليس من ذلك الآيات: ٦١-٦٥.

٩ – تمدد بعض نعم الله : الآيات ٢٦ –٧٧ .

 ١٠ – طلب المشركين من الرسول ﷺ أن يوافقهم في بعض معتقداتهم وإلحافهم في ذلك : الآيات ٧٧-٧٧.

١ ١- أمر النبي ﷺ بإقامة الصلاة والتهجد في الليل: ٧٨-٨٧.

١٢- بيان إعجاز القرآن وأن البشر يستحيل عليهم أن يأتوا بمثله : الآيات : ٨٨-٠٠٠.

۱۳-قصة موسى مع فرعون: ۱۰۱-۵۰۱.

١٤ الحكمة في إنزال القرآن منجما: الأيات ١٠١ – ١١٠.

١٥- تنزيه الله عن الولد والشريك والناصر والمعين : الآية ١١١.

# ٤- من أسرار الإعجاز في السورة

أهداف السورة تؤيد أنها سورة مكية نزات تثبت العقيدة وترسم أدب السلوك وتذكر تاريخ اليهود. ثم تناقش المشركين في آلهتهم ، وفي تعنتهم وكفرهم ، وتذكر طرفا من قصة آدم وإبليس وقصمة موسى وفرعون لتوضح عقوبة المتكبرين ومثوبة المؤمنين . وفي أفناء السورة حديث عن القرآن وإعجازه ، وعجز البشر عن الإليان بمثله ، وتعديد نعم الله على خلقه لتستميل الناس إلى الإيمان بالله وتقيم الصجة على أعداء الدين .

ومما لا شك فيه أن تصورنا لموقف الإسلام في مكة قبل الهجرة يعيننا كثيرًا على فهم السورة ويوضح أن القرآن كان كتاب الحياة ، صور موقف المشركين وعقيدتهم وتعنتهم ، وذكر طرفا مما أصاب الأولين علهم يتعظون أو يعتبرون ، قال تعالى : وَكَذَلِكَ أَنْوَلْتُكُ قُرْءًالًا عَرِيًّا وَصَوْقَا فِهِ مِنَ آلْوَهِدِ لَمُنْهُمْ يَتُقُونُ أَوْ يُعْدِثُ لَهُمْ وَكُوا . (ط: ١٩٣).

إنك تحس من خلال النص بنبضات حية تصور عنت المشركين وضلال عقيدتهم وتبرز أسلوب الدعوة الجديد الذي يملك الحجة على تضية الألوهية ويسوق الأدلة على قضيته من سجلات التاريخ ومن واقع الكون ومشاهده ، ومن التحدى بالقرآن وتأكيد عجزهم عن الإتيان بمثله .

والقرآن من خلال حديثه ينتقل من فن إلى فن ، ومن وصف للإسرام إلى تاريخ لليهود إلى رد على دعوى المشركين إلى قصص لآدم وإبليس وفرعين وموسى .

ويريط القرآن بين هذه الأفكار المتناثرة برياط قوى متين يؤكد أنه كتاب الله ، ولو كان من صنع بشر لتلمس طرقا للانتقال فكل كاتب تجد في كتابته أثرا للقوة في مكان ، ثم تفتر قوته في مكان آخر، قال تعالى : أَفَلاَ يَتَعَبُّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلُو كَانَ مِنْ عِبدِ غَيْرِ ٱللهِ تَوْجَدُواْ فِيه آخِلِكُ كَثِيرًا . (النساء: ١٨٦) ، وقد تعرضت علوم السابقين للنقض والتعديل ، ولم يبق كتاب في تاريخ البشرية سلم من النقض والعيب إلا هذا الكتاب .

وهى سورة الإسراء: آية ٨٨ يقول الله عز وجل: قُل ثُينٍ آجَتَمَعَتِ الإِسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٓ أَن يَأْتُواْ بِعِثْلِ هَلْدُا ٱلْفُرْعَانِ لاَ يَأْتُونَ بِعِثْلِهِ وَأَوْ كَانَ يُعَشِّهُمْ لِمُعْسِ ظَهِمًا.

# بنسير ألله ألز فراري

# ﴿ شُبْحَنَ الَّذِي ٓ أَسْرَىٰ بِمَسْدِهِ عَلَيْلَا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَكَرُكُنَا حَوْلَهُ رِلْزُيَهُ مِنْ الْنِينَا أَيْقَهُ هُوَ السَّمِيعُ الْمَصِيرُ ۞﴾

### المضردات ،

سبب حسان ، اسم فعل لتسبيح الله (\*) وتنزيهه ، فمعنى سبحان الله: أسبح الله سبحاته والمقصود التقديس والتنزيه عن السره فى الذات والمسفات والأفعال والأسماء والأحكام أى ما أبعد الذي له هذه الصفات عن جميم النقائص .

أسيبيري، سار في الليل (١٠٠) ومعنى أسرى به صيره ساريا .

السيسلا، أي في جزء من الليل ، أو في ساعات منه(١١).

من المسجد العدام: أي: ابتداء الإسراء المسجد الحرام وسمى حراما؛ لتحريم القتل والعدوان فيه ، حتى لو وجد فيه قاتل أبيه حرم عليه قتله داخل المسجد لقوله تمالي: وَمَن دُخَالُهُ كَانَ مَائِلًا.

إلى المسجد الأقصى: هو بيت المقدس وسمى الأقصى ؛ لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام.

الذى بازكتا حوله ، بارك الله حوله بركات مادية ومعنوية وأحاطه ببركات الدنيا والدين ، فبعل حوله الأشجار والثمار وجعله متعيد الأنبياء من وقت موسى ومهبط للوحى ومسرى محمد ﷺ

لشريسة من آياتشا: فيها بيان لحكمة الإسراء ، وقد رأى النبى من آيات الله ودلائل قدرته الكثير ورأى صعورا وأشكالا جسمت فيها المعاني بصورة ملموسة محسوسة .

كما رأى الملائكة تعبد الله على أشكال شتى منها القائم ، والراكع ، والساجد ، ورأى الأنبياء والمرسلين ، ورأى الجنة والنار .

وكان لدى النبى من الصغاء والنقاء والطهر ما جعله أهلا لأن يرى أيات الله في هذا الكون وأن يتقتح قلبه الشريف ليحيط بأسرار الكون ونظمه وليرى العالم العلوى وملائكة السماء ، وهناك فرض الله عليه الصلاة تحية خالدة لهذا اللقاء الكريم . إنفاهو السميع اليمسير: السميع يدعاء محمد، البصير بما أصابه من أذى الممشركين وهو يسمع ويرى ما لطف ودق وخفى عن الأسماع والأبصار من اللطاقف والأسرار .

#### التفسيره

١- سُيْحَدَن ٱللَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّن ٱلْهَسْجِدِ ٱلْحَرَاهِ إِلَى ٱلْهُسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِي بَـــُـرَكُنَا حَوْلَهُ لِيُرْبَهُ مِنْ
 مَايُنشَا إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّجِيعُ ٱلْجِيسُ.

تحدثت الآية عن الإسراء في إعجاز وبيان يملكهما مالك القدرة الخارقة التي شملت هذا الكون بما فيه، فاشتمات الآية على تنزيه الله أن يكون له صاحبة أو ولد وبينت أن الإسراء بعيد من عبيد الله اختاره واصطفاء ، وأن العبردية كلما تحقق مضمونها من الخضوع والخشوع والإهلام لله سما صاحبها وزاد قدره وكان الإسراء من أول بيت وضع للناس ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث كانت الرسل تتعيد وحيث اعقرفت له الأنبياء بالرسالة ، وحيث صعد من هذا المكان الطاهر إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهي إلى جنة المأوى ، ولم يتحرل بصره يمينا ولا شمالا ولا تجاوز الطريق المرسوم ، بل كان في سمت النبيين وأمانة الصديقين وسمو المرسلين .

### ١ -- المعراج:

المعراج والمصمد والمرتى كلها بمعنى واحد تدل على الصعود والارتقاء ومعراج الرسول هو صعوده إلى السماوات العلا ، حيث لقى من فضل الله الكلور ورأى من آيات ريه الكبرى .

# ٧- تاريخ الإسراء:

وقع الإسراء في السنة الحادية عشرة للبعثة ، قبل الهجرة بسنة (١٦٦) أو قبلها بسنة وشهرين .

وكان المشركون قد أمعنوا في إيذاء النبي ويالغوا في تعذيب المسلمين ، حتى اضطروهم للهجرة إلى الحبشة مرتين ، ولما يئس النبي من أهل مكة ذهب إلى الطائف ويها قبائل ثقيف فدعاهم للإسلام ورغبهم فى الايمان ، وكان يأمل أن يجيبوه إلى دعرته ، ولكنهم ردوه أسوأ رد وأرصدوا له الطلمان يرجمونه بالحجارة، حتى دميت قدماه الشريفتان ، وقد أغمى على النبى من شدة الإيذاء" ، فلما أفاق وجد نفسه مكنها فى قومه مضمطهدا فى مكة معنها فى الطائف وحيدا غريبا ، فعد يده إلى الله سبحانه قائلا :

« اللهم أشكر إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يارب العالمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى ، إلى عدو يتجهمنى أن بعيد ملكته أمرى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الطلامات وصلح عليه أمر الدنيا والأخرة أن ينزل بى سفطك أن يحل على غضبك ، لك العتبى حتى ترضى. عافيتك هى أوسع لى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى » .

وقد جاءه جبريل وقال: يا محمد هذا ملك الجبال ، وإن الله آمره أن يطيمك فى قومك بسبب ما فعلوه بك ، فإن شئت أن يطبق عليهم الأخشيين (جبلين بمكة) ، فعل ، فقال له النبى : لا تقعل إنى لأرجو أن يشرج من ظهورهم من يعبد الله . اللهم اهد قومى فهم لا يعلمون .

فقال جبريل للنبي : صدق من سماك الرءوف الرحيم .

وعاد النبي إلى مكة حزينا كثيبا ولم يستطع دخولها إلا في جوار المطعم بن عدى .

# ٣- ما قبل الإسراء :

كانت الفترة التى سبقت الإسراء من أقسى الفترات على النبى والمؤمنين ، وكان الامتحان قاسها ، يواجه المؤمنين كل يوم بفتنة ومحنة ويستنصر المؤمنون رسول الله قاتلين : ألا تدعو الله لنا ، ألا تستنزل غضبه على عدونا ، فيجيبهم بأن طريق الدعوة طريق وعر وصعب ، وأن على المؤمن أن يتحمل الهلاء في ذات الله ، ويصيح فيهم : « والله لقد كان يؤتى بالرجل فيمن قبلكم فيشق بالمنشار من مفرق رأسه إلى قدمهه فما يصده ذلك عن دينه ، والذى نفس محمد بهده ليتمن الله ذلك الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

كان فضل الله على المؤمنين فى هذه الفترة المؤلمة : أن أعطى نبيه معجزة إلهية كبرى ؛ ليرى عوائم أخرى وليصعد إلى السماء ؛ وليرى من فضل الله ونعمه الكثير ثم يعرد بالصلاة صلة بين المؤمنين وربهم فهى العون للمؤمن فى رحلة الحياة وهى الملجأ والملاذ إلى الله وهى فترة المناجاة والمثاداة فيها تسمو الروح وتطهر النفس ويناجى العبد إلها سميعا بصيرا مجيبا .

# ٤- الإسراء في ضوء العلم :

وردت قصة الإسراء والمعراج فى كتب السنة الصحاح وسرت بين الأمة سريانا مستغيضا ورعتها بطون الكتب وتحدث بها الرواة حتى نقلها من أعاظم الرجال خمسة وأربعون صحابيا بطرق شتى وأخذها جيل عن جيل فى تواتر وإجماع .

والأمر في جملته خاضع لقدرة الله التي لا تقف أمامها حدود وهو معجزة لرسول الله. والمعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى الرسالة تصديقا له في دعواه ، وليس فيما كشفه العلم من قوانين الجذب العام ونظام الأفلاك ومسابح النجوم وعناصر الكواكب ونواميس الحركة وطبقات الهواء وتحديد الحركات ومعايير السرعة - ليس في ذلك كله وما يتصل به - ما يقف أمام الإسراء والمعراج .

فقد ثبت أن نجم المشترى يجرى بسرعة ثلاثين ألف ميل فى الساعة فيجرى تسعة أميال كلما تنفس الإنسان . والمشترى أكبر من أرضنا بألف وأربعمائة مرة . وأن الله الذى جعل هذا الجسم الكثيف الهائل يقطع الأبعاد الشاسعة فى لحظات لا يبعد عليه أن يسرى بنبيه من مكة إلى بيت المقدس على مقتضى ناموس لا نعوفه ، وإن كان الوجود يشتمل عليه ، ما دام العلم قد أثبت سرعة عجيبة لأجرام كثيفة .

وإننا نشهد كل يوم كشفا عن ناموس ، وإبطالا لناموس ، حتى لقد صرح بعض علماء الغرب بأن أعرف ما نخافه أن ما نفاغر به اليوم من العلوم يصبح بعد مائة سنة باطلا منسوخا .

ويؤثر لرئيس مجمع ترقى العلوم بجامعة كمبردج سنة ١٨٥٤م أن كنه المادة غير معروف ، وأن منتبى علمها مبتدأ حولها .

ونحن إذا طوينا القرون القهقرى فرجعنا إلى ما قبل اليوم منذ قرنين اثنين ، أفكنا نحسب موجات الأفير وعدسات التليفزيون والتلستار تنقل صوت الإنسان وصورته إلى الأبماد الشاسمة والأقطار الناتية؟

إن الإنسان قد أخذه العجب العجاب عند اختراع الطائرة العادية ، ثم الطائرة النفائة والأطباق الطائرة، والأقمار السناعية .

وكان وصول الإنسان إلى القمر أخيرا خيرا مذهلا أخذ على الناس فى كل أصفاع الدنيا لبهم واستولى على مدا يقرب في على أصفاع الدنيا لبهم واستولى على المتمامهم ، وذلك كله مما يقرب فى ذهن الإنسان سهولة الإسراء والمعراج خاصة وأنهما يقعان فى دائرة القدرة الإلهية التي يخضع لها كل شىء فى عالم السماوات والأرض والهواء والفضاء ، قال تعالى : وَمَا قَدُرُو أَاللّٰهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْصُ جَعِيعًا قَبَعْتُهُ يُرَمَّ الْهَيْسُهَةَ وَالسَّمْسُواتُ مَطْوِيًّاتُ مَطْوِيًّاتٌ بِيَعِينِهِ مُسْبَحَسْهُ وَتَعَالَى عَمًّا فِيضُو الرابِدِيهِ) .

#### ٥- أحاديث الإسراء:

هذه جملة من الأحاديث النبوية الشريفة ترسم صورة الإسراء وتحكى قصته ومشاهداته بروايات متعددة:

(1)

قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت البناني ، عن أنس
بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : ه أتيت بالبراق ، وهو داية بيضاء ، فوق الحمار ويون البغل ، يضع حافره
عند منتهى طرفة ، فركبته ، فسار بى ، حتى أتيت بيت المقدس فريطت الداية في الحلقة التي يربط فيها
الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركمتين ، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خبر وإناء من ابن ، فاخترت
اللبن، فقال جبريل : أصبت الفطرة ، قال : ثم عرج بى إلى السماء الدنيا ، فاستقتح جبريل ، فقيل له : من
أثمت قال جبريل: قيل ومن معك ؟ قال: محمد ، فيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جيريل ، فقيل له : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل: ومن معك؟ قال: محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، فقتح لنا فإذا بابني الخالة يحيى وعيسى، فرحيا بى، ودعوا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل . فقيل له: من أنت ؟ قال: جبريل . قيل : ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى مثمار الحسن . فرهب بن ودعا لن بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل . فقيل له: من أنت ؟ قال: جبريل . فقيل : ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير. يقول الله تمالي : وَرُفْتَاهُ مُكَانًا عُرِيًّا (مريع: ٧٠) .

ثم عرج بنا إلى السماء الشامسة ، فاستفتح جبريل . فقيل له: من أنت؟ قال: جبريل . فقيل : ومن معكة قال : محمد . فقيل : قد أرسل إليه؟ قال : قد بعث إليه ، فقتح لنا ، فإذا أنا بهارون ، فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل له: من أنت؟ قال: جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال: محمد ، فقيل: وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام ، فرحب بى ودعا لى بخير . ثم عرج بنا إلى السماء السابعة : فاستفتح جبريل ، فقيل له: من أنت ؟ قال: جبريل ، قيل : ومن معك؟ قال: محمد فقيل: وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، فقتح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه .

ثم ذهبت إلى سدرة المنتهى: فإذا أوراقها كأذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشها ، تغيرت فما أمد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها ، قال : فأوجى الله إلى ما أوجى ، وقد فرض على في كل يوم وليلة خمسين صلاة .

فنزات حتى انتهيت إلى موسى . قال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قال : همسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التففيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطبق ذلك ، وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربى ، فقلت : أى رب خفف عن أمتى ؛ فحط عنى خمسا .

فنزات حتى انتهيت إلى موسى ، فقال : ما فعلت . فقلت: حط عنى خمسا . فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك .

قال: ظم أزل أرجع بين ربى، ويين موسى، ويحط عنى خمسا خمسا، حتى قال: يا محمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة ظم يعملها، كتبت له حسنة. فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة قلم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت سيئة واحدة.

فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته . فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : لقد رجعت إلى ربى حتى استحيت » (رواه مسلم بهذا السياق)<sup>010</sup> .

قال البيهقى: وفى هذا السياق: أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه المناذة والسلام من مكة إلى بيت المقدس .

ويقولُ أبن كلير عن ذلك: وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا مثك فيه ولا مرية.

وقبل أن نبدأ أحاديث أخرى نذكر أنه:

ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء ، والمتكلمين ، إلى أن الإسراء والمعراج: وقعا في ليلة واحدة في البقظة ،

بجسد النبي ﷺ وروحه ،

بعد البعثة .

ولقد توارد على ذلك - كما يقول الإمام ابن حجر - ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله (١٠٠٠ حقى يحتاج إلى تأويل .

ولو كان مناما ، أو بالروح فقط لما كنب رسول الله ﷺ مكنب، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لأحاد الناس : إن الناس في الرئيا يورن أنهم سافروا وأبعدوا ، وجاءوا وعندوا العقود ورأوا نتائج عقودهم وثمار جهودهم ، فلو كنا بصدد رؤيا لما ارتاب في صدق الصادق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه إنسان.

ولما أشفقت السيدة أم مائن رخس الله عنها على رسول الله ﷺ ، لما أغيرها الخبر ، وقال: إنه سيحدث الناس به ، فأرادت منه أن يعدل عن ذلك قائلة : إنهم سيكنبونك ، فلم يستجب صلوات الله وسلامه عليه لنصيحتها ، لأن الحق ينبغى أن يذاع ، وأذاعه ﷺ بين الذاس . وحدث ما سنذكر بعضه فيما بعد إن شاء الله .

#### ( u)

وهي حديث عند الطبرانى والبزار ، أنه عليه المسلاة والسلام: مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم، كلمـا حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يفلفه وهو هير الرازقين .

ثم أثى قوما ترضخ رموسهم بالصخر، كلما رضفت عادث كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء.

فقال: ما هذا يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة.

ثم أتى على قوم ، على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع .

فقال: ما هؤلاء ؟

قال: هوَّلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، وما ظلمهم الله، وما ربك بظلام للعبيد.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدر ، ولحم نيئ في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من الغيئ الخبيث ويدعون النضيج .

فقال: ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال جبريل: هذا الرجل من أمتك ، تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا ، فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها .

فقال: ما هذا يا جبريل ؟

قال: هذا الرجل من أمتك، تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفقر عنهم من ذلك شيء .

قال: ما هذا يا جبريل ؟

قال: هؤلاء خطباء الفتنة .

قال: ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .

قال: ما هذا يا جبريل ٢

قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة يندم عليها فلا يستطيع أن يردها .

ثم أتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة ، وريح مسك وسمع صوتا .

فقال: ما هذا يا جبريل ؟

قال: هذا صوت الجنة ، تقول : رب آتنی بما وعدتنی ، فقد کثرت غرفی واستبرقی ، وحریری وسندسی، وعبقریی، ولژاری ، ومرجانی ، وذهبی ، وأکرابی ، وصحافی ، وأباریقی، ومواکبی ، وعسلی ، ومالی ، ولبنی، وخمری ، تأتنی بما وعدتنی .

قال: لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بي ويرسلي وعمل صالحا ، ولم يشرك بي شيئا، ولم يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألني فقد أعطيته ، ومن أقرضني جازيته ، ومن توكل على كفيته ، إنني أننا الله لا إله إلا أنا ، لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين.

قالت: فقد رضيت .

ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة.

فقال: ما هذا يا جبريل؟

قال: هذا صوت جهنم ، تقول: رب آتنی بما وعدتنی ققد کثرت سلاسلی، وأغلالی، وسعیری، وحمیمی، وضعریمی، وغساقی، وعذایی، وقد بعد قعری، واشتد حری، شأتنی بما وعدتنی

قال: لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل جيار لا يؤمن بيوم الحساب .

قالت: قد رضيت.

فسار حتى أتى بيت المقدس.

(ج)

وهي حديث أبي سعيد: أنه رأى أَخْوِنَةُ عليها لحم طيب ليس عليها أحد. وأهرى عليها لحم نتن ، عليها ناس بأكلون .

قال جبريل: هؤلاء الذين يتركون الملال ويأكلون الحرام.

وقيه: أنه مر يقوم يطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خر، وأن جبريل قال له: هم أكلة الربا.

وأنه مر بقرم مشافرهم كالإبل يلتقمون جمرا فيخرج من أسافلهم ، وأن جبريل قال له هؤلاء الذين يأكلون أموال الميتامي فألما .

وأنه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم ، فيطعمون وأنهم الغمازون اللمازون .

وأنه مر بنساء تعلقن بثُريِّهنَّ ، وأنهن الزواني .

وهيه : حتى أتيت بيت المقدس أوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء تربطها فيها ، فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلي كل واحد منا ركمتين .

فى رواية أنس عن مسلم: ثم دخلت المسجد قصليت فيه ركعتين ، ثم هرجت فجاءتى جبريل عليه السلام، بإذاء من همر وإناء من لهن ، فالحترت اللهن .

فقال جبريل: اخترت الفطرة . أي : اخترت اللبن الذي عليه بنيت الخلقة .

وقال النووى: المراد بالفطرة هذا: الإسلام والاستقامة .

وقى رواية ابن مسعود: ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين: ما بين قائم ، وراكع وساجد .

ثم أذن مؤذن قائيمت الصلاة ، فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت ١٩٠

(a)

وَأَخْرِجِ البِخَارِي مِنْ طَرِيقَ عَكَرِمَةً عِنْ ابِنْ عِباسَ فَى قَوْلِهُ تَعَالَى: وَمَا جَعَلْنَا ٱلْوَقِيَّا ٱلْفِيٓ أَزْيَنَـٰكَ إِلاَّ فِِسَّةً لَلْنَاسِ . (الإسراء: ١٠) ، قال: هي رؤيا عين أربِها رسول الله ﷺ ، ليلة أسرى به ١٠١١ .

وأخرج الطبري في الأوسط بسند ممحيح عن ابن عباس أنه يقول: « إن محمدا 義 ، رأى ربه مرتين: مرة ببصره ، ومرة بفؤاده » .

وأخرج أيضا عن ابن عباس قال:

نظر محمد إلى ربه ، قال عكرمة: فقلت له: نظر محمد إلى ربه ؟

قال: نعم جعل الكلام لموسى ، والقلة لإبراهيم ، والنظر لمحمد ﷺ .

وأخرجه البيهقي في (كتاب الرؤيا) بلفظ:

إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة ، واصطفى موسى بالكلام ، واصطفى محمدا بالرؤيا .

وأخرجه بلقظ:

أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ ؟

وأخرج أحمد بسند صحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت ربي عز وجل » .

(و)

وأخرج أحمد والنسائى والبزار والطبرانى والبيهقى ، وابن مردويه بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن أبن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

ولما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة ، فقلت: ما هذه الرائحة ؟

قالوا: ماشطة بنت فرعون وأولادها، سقط مشطها منها فقالت: يسم الله.

فقالت ابنة فرعون: أبي ؟

قالت: ربى هو ربك ورب أبيك .

قالت: أولك رب غير أبي، ؟

قالت: نعم ،

فدعاما فقال: ألك رب غيري ؟

قالت: نعم ، ربي وربك الله .

فأمر ببقرة من نحاس ، فأحميت ، ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها فألقوا وإحدا واحدا حتى بلغ رضيما فيهم ، فقال:

قمر, يا أُمَّةُ ولا تقاعسي فإنك على الحق.

قال: وتكلم أربعة ، وهم صغار ، هذا ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسي بن مريم .

(3)

وأخرج الترمذي - وحسنه - وابن مردويه . من طريق عبد الرحمن ، عن ابن مسعود قال :

قال رسول الله ﷺ: لقيت إبراهيم ليلة آسرى بى، فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبهم أن الجنة طبية الترية ، عنبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قرة إلا بالله العلى العظيم .

(ح)

وأخرج أحمد وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن جبير عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما عرج بى مررت بقرم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت: من هولاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم .

وأخرج ابن مردويه ، من طريق قتادة وسليمان التميمى وثمامة ، وعلى بن زيد ، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «للِلة أسرى بى مررت بناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت عادت ، فقلت: من هؤلام يا جبريل ؟ ، قال : هؤلاء خطهاء أستك يقرفون ما لا يقطون » .

وأخرج ابن ماجة والحكيم الترمذي (في نوادر الأصول) وابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن أنس قال: قال رسول 師 纜: « رأيت لهلة أسرى بي مكتويا على باب الجنة ، المعدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية ، عشر » . فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟

قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة.

وأغرج ابن مردويه عن سمرة بن جندب قال: قال رسول ش ﷺ : « رأيت لؤلة أسرى بى رجلا بسبح في نهر ويلقم المجارة ، فسألت : من هذا ؟ فقيل لي: هذا آكل الربا .

(d)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما – فيما رواه الإمام أحمد –- قال: قال رسول الله ﷺ : « لما كانت ليلة أسرى بى ، وأصبحت بمكة ، فظعت أمرى ، وعرفت أن الناس مكتبى .

قال: فمر عدو الله أبي جهل ، فجاء حتى جلس إلى فقال له أبو جهل كالمستهزئ : هل كان من شيء؟

فقال رسول الله ﷺ: نعم .

قال: ما هو ؟

قال: إنه أسرى بي الليلة .

قال: إلى أين ؟

قال: إلى بيت المقدس.

قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال: نعم ..

قال: قلم ير أنه يكذبه ، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه .

قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني ؟

فقال رسول الله ﷺ : نعم .

فانطلق أبر جهل فقال: هيا يا معشر بني لوَّي .

قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما.

فقال أبو جهل: حدث قومك بما حدثتني .

فقال رسول الله ﷺ: إنى أسرى بى الليلة .

قالوا: إلى أين ؟

قال: إلى بيت المقدس ..

قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال: تعم.

فإذا بالقوم بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب.

قالوة: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ - وفي القوم من سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد.

ققال رسول اش ﷺ : فذهبت أنعت ، فمازات أنعت حتى التبس على بعض الذهت ، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر، حتى وضع دون دار عقيل ، فنعته وأنا أنظر إليه .

قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب،

وعن الحسن: أنه في يوم الحديث عن الإسراء : ارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا له: هل لك يا أبنا بكر في مساحيك ؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ررجع إلى مكة.

فقال لهم أبو يكن إنكم تكذبون عليه ٢

فقائوا: لا ، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس .

قال أبو بكر: لثن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك ؟ فواقه إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله ، أحدثت مؤلاء القوم أنك أثبت بيت المقدس مذم اللبلة ؟

قال: نعم ،

قال : يا نبي الله فصفه لي ، فإني قد جئته ؟

قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: فرفع لى حتى نظرت إليه ، فجعل رسول الله ﷺ يصف لأبى بكر ويقول أبو بكر: صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، وكلما وصف له منه شيئًا ، قال صدقت أشهد أنك رسول الله قال: حتى انتهى .

قال رسول الله ﷺ: وأنت يا أبا بكر: «الصديق» فيومئذ سماه « الصديق » .

هذا هو الموجز لما ترويه السنة مؤيدة للقرآن عن هذا النبإ الجليل ، ولقد حاول ابن إسحاق أن يبين الحكمة في هذا الحادث فقدم – حسيما يروى ابن هشام – لحديث الإسراء بكلمة نفيسة يقول فيها :

وكان فى مسراه ، وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق . وكان من أمر الله على يقين .

ذأسرى به كيف شاء ، وكما شاء ؛ ليريه من آياته الكبرى ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يزيد .

# ٦- الشعر والإسراء :

يقول الإمام البوصيري في «همزيته»:

فيطيق الأرض سيانسوا والسميوا فصف البليلة التي كان للمختا وترقي به إلى قاب قوسين رتب تسقط الأميانسي حسيري تسم واقسي يسميدن شمكرا

ت السحسلا فسوقسها لسه إسسراء ر فسيمها عسلسي السبسراق استسواء وتسلك السسيسادة السقسعساء دونسسهسا مسا وراءهسسن وراء إذ أنستسه مسن ريسه السنسهسمساء أو يسبقسي مسع السيسول السفشاء

ويقول شوقى في قصيدته التي عارض فيها الإمام البوصيري:

بالروح أم بالهيكان الإسراء نسور وروحسائسية وبهاء والسلمه يسفعان مما يسري ويشماء طمويت سمماء قسلمدتك سمماء نسون وأنت السندقاسة السزهاراء والسكاف والسمسرة والسحسانياء يستساء السون وأنن أطهس هيكل أبهما سمسون مطهن وكلاهما فضل عليك الذي الجالال ومنة تغشى الغيوب من العوالم كلما في كل منطقة حواشي نورها أنن النجسمال بها وأنن المجتلى نسزلا لسناتك لسم يسجسزه عسلاء ومسنساكب السروح الأمسيسن وطساء حساشسا لسفنيسرك مسوعد ولسقماء

#### ٧- فلسفة الإسراء:

عنى الفلاسفة والمتصوفين الإسلاميون بتلمس حكمة الإسراء ، وكان الصوفية يجدون فيها دليلا عمليا على أهمية العناية بالنفس الإنسانية ، وأن الروح سر من أسرار الله في الإنسان ، إذا تطهرت من سيطرة المادة وزاد تعلقها بالحق والخير ، فإنها تسمو إلى المالا الأعلى ، بل إن الروح إذا عظمت العناية بها صارت أقرى من الجسد وتلاشت مادية الجسم أمام سمو الروح وانطلاقها .

ويذكرون أن الرياح أجسام لطيفة فقط ، وليست روحية مع أنها تزعزع الأشجار الباسقة وتقتلع الأبتاد العاتبة وتفتت العمضور الحائمة .

والكهرباء -رهى من اللطافة بحيث ترى أثارها ولا ترى حقيقتها - تحول خواص الأجسام إلى أ أضدادها وتبعث اليوم فى الدنها حياة جديدة ، فهى تحمل الأثقال وتقلقل الجبال وترسل الصواعق فتنشر الشعواعق من المساعدة . الضوء وترجع النيران ، وهذا يعطينا دليلا على مدى ما للأجسام اللطيفة من سلطان على المادة .

قالإسراء بالنبى ليلا ومسعوده إلى السماوات العلا أثر من آثار تزكية النفس وتطهيرها ، بل إن مروره في السماوات على الملائكة يمكن أن يدل على منازل الأنبياء ، وتكون السماء إشارة إلى كل ما علاك ومنازل الأنبياء في السماوات حسب درجاتهم وجهادهم ، ويكون لرسول الله منزلة أعلى ، تجاوزت في روحانيتها آدم في سمائه الأولى ، ثم تجاوزت يحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثائلة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الرابعة ،

تجاوز رسول الله ﷺ كل ذلك وتجاوز الكون كله إلى سدرة المنتهى وإلى شجرة النهاية ، ثم إلى حيث لا يبلغ ملك مقرب ولا نبى مرسل إلى قاب قوسين أو أنش (٢٠٠٠ .

#### ٨- تصوير المعنى:

إذا كانت الترجيهات السابقة ، إنما كانت لتدلنا على مقام رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، فنزداد بذلك تقديرًا وحيا واتباعا ، فإن من هدى الله سيحانه وتعالى وتوجيهاته في نيا الإسراء والمعراج: هذه الرمزمات الأخلاقية التي تربط ربطا محكما بين الدين والأخلاق . والواقع أن الأخلاق في جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطا لا ينفصل ، منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم، وعنه تصدر : لأنها جزء من الدين الإسلامي لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره : إلهي رياني .

ويعض الناس في العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى ، يريد بعضيهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين ، فالضمير يربى ويكون ، وتربيته وتكوينه هما شكله ، ونزعته وانجاهه ، الذي يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط.

إن الضمير يصنع كما تصنع المزيقات، وهو إذن مقياس للأخلاق خاطئ.

ويعض الناس بريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة إنما يتحدث باسم فكرته هو ، منحوفة كانت هذه القكرة أو غير منحرفة .

فالمصلحة العامة إذًا كأساس للأخلاق إنما هي : أساس غير مضمون.

وبعض الناس يريد أن يرجح بالأخلاق إلى المصلحة الشغصية أو إلى اللذة ، أو إلى المنفعة . وكل هذا وارد الغرب الأوروبي ، أو الغرب الأمريكي عندما انحرف هذا الغرب وألحد .

أما وارد الشرق الإسلامي ، أو بتعبير أدق ، وارد الإسلام الإلهي ، فإن مقياس الأعلاق فيه : إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو المبادئ الدينية ، إنما هو آيات القرآن ، وإنما هو الفضائل التي أوحاها الله سيحانه وتعالى ، هذه الفضائل التي حددها القرآن في أسلوب عربي مبين وتحدث عنها نبأ الإسراه والمعراج في صور رمزية دائة مادفة مؤثرة وبينتها السنة النبوية الشريفة ، وركزها القرآن والسنة على أسس من الإيمان قوية ثابتة ، إنها في رحلة الإسراء والمعراج تكون منهج حياة مؤسسة على الإيمان بالله ورسوله ١٠٥٠

# 4-آراء العلماء في الإسراء:

لعله أمبيح واضحا أن الإسراء هو الانتقال بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وأن المعراج هو العروج به إلى السماوات العلا.

ولعل سائلا يسأل ، هل كان الإسراء بالروح والجسد أم بالروح وحدها ويمكن أن نوضع الجواب بما يأتي:

١- أكثر العلماء على أن الإسراء كان بالروح والبدن يقظة لا مناما ولهم على ذلك أدلة :

(أ) أنه لوكان مناما ما كانت قريش تبادر إلى تكذيبه ، ولما قالت أم هانئ: لا تحدث الناس فيكذبوله، ولما فضل أبر بكر بالصديق ، وجاء في الحديث عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الش 難 : « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسأنفى عن مسراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، (لم أعرفها حق المعرفة) . فكريت كريا ما كريت مثله قط . فرفعه الله لى أنظر إليه ، فما سألونى عن شعىء إلا أنبأتهم به «الحديث» ٩٠ .

- ( ب ) أن التسبيح والتعجب في قوله : سُبِحَسْنُ اللَّذِيّ الشَّرِيّ بِجَسْبُو إنما يكون في الأمور العظام ، ولو كان ذلك مناما لم يكن فيه كبير شأن ، ولم يكن مستعلمًا .
  - ( ج ) أن قوله : بَعَبُدهِ يدل على مجموع الروح والجسد.
- ( د ) أن ابن عباس قال في قوله : وَمَا جَعَلُنَا ٱلرُّقِيَّا أَلْبِيَ أَنْيَاكُ إِلاَّ فِيتَّهُ لِلْنَاسِ ؛ هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به ويؤيده أن العرب قد تستعمل الرؤيا في المشاهدة الحسيّة ، ألا ترى إلى قول الراعى يصف صائدا :

#### وكبن للرؤيا وهش فؤاده ويشر قلبا كان جما بلابله

( هـ ) أن الحركة بهذه السرعة ممكنة في نفسها ، فقد جاه في القرآن أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة ، قال تعالى : خُدُوُهَا خُهُرٌ وَرَوَاحُهَا خُهُرٌ . وجاء فيه أن الذي عنده علم من الكتاب أحضر عرش بلقيس من أقصى الشام في مقدار لمح البحسر ، كما قال حمالت : قال الذي عنده علم من الكتاب أعرب أن المجتب إن المجتب أن يَرتَدُ إِلَيْكَ طُرُفُكَ . وإذا جاز هذا لدى طائقة من الناس جاز لدى النبي بالأولى .

# ٧- ويرى آخرون أن الإسراء كان بالروح فحسب ، ولهم على ذلك حجج:

- (أ) أن محاوية بن أبي سقيان كان إذا سئل عن سرى رسول الله ﷺ قال: « كان رئيا من الله صادقة ». وقد ضعف هذا : بأن معاوية يومئذ كان من المشركين فلا يقبل خبره في مثل هذا ، أو أن هذا رأى لمحاوية لا سند له .
- ( ب ) أن يمض آل أبي بكر قال: كانت عائشة تقول : ما فقدت جسد رسول الله 義، ولكن أسرى بروحه، ونقدوا هذا ؛ بأن عائشة يومثذ كانت صغيرة ولم تكن زوجا لرسول الله 義.
- ( ج) أن الحسن قال : في قوله : وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّولًا ... الآية ، أنها رؤيا منام رآها ، والرؤيا تختص بالنوم .

قال أبر جعفر الطبرى: المعواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عناده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن حمله على البراق حتى أتناه به وصلى هناك بمن صلى من الأدبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى

لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يرجب أن يكون دليلا على من نوجب أن يكون دليلا على نبوجه أن يكون دليلا على نبوجه أن يكون دليلا عن المدينة ، ولا حجة له على رسالته ، ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بفي آمم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هر مسيرة شهر أو أقل – وبعد فإن الله إنما أخبر في كتابه: أنه أسرى بعبده ولم يخبرنا بأنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره – إلى أن الأدلة الواضحة والأغبار المتتابعة عن رسول الله في أن الله أسرى به على داية يقال لها : البراق ، ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجساد . ا هـ .

#### والخلاصة :

أن الذي عليه المعول عند جمهرة المسلمين أنه أسرى به عليه السلام يقطة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكبا البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ريط الدابة عند الباب ودخله يصلى فى قبلته تحية المسجد ركمتين وعرج به إلى السباء وعاد منها ثم ركب البراق وعاد إلى مكة قبل الفجر .

# · ۱۰- عظة وذكري :

إننا لنقف قليلا لدى هذين الحادثين الجليلين؛ لنستخلص منهما أمورا هي غاية في العظة والاعتبان؛

- ١- أن ماتين الرحلتين: الرحلة الأرضية (الإسراء) والرحلة السماوية (المعراج) حدثتا في ليلة واحدة قبل الهجرة بسنة: ليمحص الله المؤمنين ويبين منهم صادق الإيمان ومن في قلبه مرض ؛ فيكون الأول علية بمسحبة رسوله الأعظم إلى دار الهجرة والانضواء تحت لوائه، وجديرا بما يحتمله من أعباء عظام وتكاليف شاقة من حروب دينية، وقيام بدعوة عظيمة تستتبع همة قعساء وإنشاء دولة تبتلع المعمود في ذلك الحين شرقا وغربا.
- ٢- أن الله أطلع رسوله على ما في هذا الكون أرضية وسماوية من العظمة والجلال ؛ ليكون ذلك درسا عملها؛ لتعليم رسوله بالمشاهدة أجدى أنواع التعليم ، فهو وإن لم يذهب إلى لتعليم رسوله بالمشاهدة أو يتعلق أو يتعلق إلى السماء ؛ فقد كفل مدرسة أو يجلس إلى معلم أو يسبح في أرجاء المعمورة أو يصعد بالآلات الطمية إلى السماء ؛ فقد كفل له ربعه ذلك بما أراه من آياته الكبرى وما أطلعه عليه من مشاهدة تلك الموالم التي لا تصل أذهاننا إلى إدراك كنهها إلا بضرب من التخيل والتوهم ، فأنى لنا أن نصل إلى ذلك وقد حبس عنا الكثير من العلم ولم نؤت إلا تليله وَمَا أُوتِهُم مَن آلْوَلْهم إلا قَيْلِيلاً .
- ٣- أن ما يجد كل يوم من ضروب المخترعات والتوصل بها إلى طى المسافات بوسائل الطائرات والنفاثات والأعمار المستعين عبد والأعمار المستعين عبد الأمور الميسورة التي ليست بالعزيزة المصول أو الأمور الميسورة التي ليست بالعزيزة المصول أو الأمور المستعينة.

- أ- أن روحانية الأنبياء تتغلب على كثافة أجسامهم ، فما يخيل إلينا من العوائق العملية من صعوبة الوصول إلى الملإ الأعلى: لتخلخل الهواء واستحالة الوصول إلى الطبقات العليا من السماء ، فهو إنما يكون بالنظر إلى الأجرام والأجسام المشاهدة في عالم الحس ، وأن لوجانية الأنبياء والملائكة أحكاما لم يصل العقل البشرى إلى تحديدها وإبداء الرأى فيها وإنها لفوق مستوى إدراكه ، فأجدر بنا ألا نطيل البحث فيها ولا التعمق في استقصاء أثارها .
  - أن ما جاء في الحديث من أن الرسول ﷺ معلى إماما بالأنبياء في عالم السماوات: ليرشد إلى أن محمدًا
     إلى جاء بشريعة حتمت الشرائع السالفة كلها ، وأتمتها ومن أوتهما ألقوا الزعامة إليه وصاروا مؤتمين به.
  - ١- أن في هذا مغزى جديرا بطويل التأمل والتفكر وهو أن جميع الأنبياء كانوا في وفاق وونام في الملكوت الأعلى المذكوب القول المنافق من الملكوت الأعلى بالقرب من ربهم الذي أرسلهم أغلا يجدر بمتبعهم أن يقتفوا سنة رسلهم وأن يجعلوا أمرهم بينهم سلما لا حريا ، وأن يجعلوا الشريعة الأغيرة والقانون الذي جاءت به هو الشريعة التي يقضى بها بين الناس كما هو متبع في القوانين الوضعية ، فإن الذي يجب العمل به هو القانون الأخير منها .

\* \* \*

# ﴿ وَمَاتَيْنَامُوسَى ٱلْكِنْبَ وَجَعَلْنَهُ هُدَى لِنَوْ إِسْرَةِ بِلَ أَلَا تَنْخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ٥ ذُرِيَّةَ مَنْ كَمَلْنَا مَعَ ثُوجٌ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شِكُولَا ۞ ﴾

#### المفردات ،

الكتـــاب، التوراة.

وجعلفاه هدى ثبتى إسرائيل، جملنا الترراة مصدر هداية لهم تخرجهم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان .

مسن دونسس وكسيسلا، أى : معبودا تكاون إليه أموركم ؛ لأنه تعالى أنزل على كل نبى أرسله أن يعبده وحده لا شريك له .

فريسة من حملتا مه قدوم، نصب على الاختصاص أو النداء وفيه تهييج وتنبيه على المنة والإنعام عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة وإيماء إلى علة النهي ، 
كأنه قيل : لا تشركوا، فإنه المنعم عليكم والمنجى لكم من الشدائد وأنتم ضعفاء 
محتاجون إلى لطفه ، وفي التعبير بالذرية الغالب إطلاقها على الأطفال والنساء 
مناسبة تامة لما ذكر .

إضه كان عباشكورا، أى: لمعرفته بنعم الله واستعمالها على الوجه الذى ينبغى ، قال مقاتل: وكانَ من شكره أنه كان يذكر الله عز وجل حين يأكل ويشرب ، ويحمده على كل نعمه، ويذكر الله حين يقوم أو يقعد أو يلبس ثويا جديدا ، أو ينام أو يستيقظ ، ويذكر الله جل ثناؤه بكل خطوة ويكل عمل يعمله : فسماه الله عبدا شكورا.

### التفسيره

٣٠٣ - وَعَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِشَابُ وَجَعَلَنَـاهُ هَلَى لَّبَنَى إِسْرَآءِيلَ أَلاَّ تَتَخِذُواْ مِن فُوبِي وَكِيلاً \* ذُرَّيَّةَ مَنْ حَمَلُنَا مَعَ لُوحِ إِلَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا .

# المعنى الإجمالي :

ذكر الله: إسراء محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، ويمناسبة الحديث عن بيت المقدس ذكر ما أنعم الله به على بنى إسرائيل : فقد أعطاهم التوراة فيها هدى ونور .

وأمرهم أن يخلصوا له العبادة وأن يقوضوا له الأمور ، وأن يتوكلوا عليه وحده ، ولا يتخذوا وكيلا سواه، فهذا هو الهدى وهذا هو الإيمان .

ثم ذكرهم بنعمة الله عليهم فى الماضى : استمالة لهم وتهييجا الإيمانهم : فهم من ذرية نوح الذين نجاهم الله فى السفينة : الإيمانهم وأغرق من عداهم من الكافرين ، وخاطبهم الله بهذا النسب : ليذكرهم باستخلاص الله لآبانهم الأولين ، مع نوح العبد الشكور ، وليردهم إلى هذا النسب المؤمن العريق .

#### تنبيهات،

١- لما ذكر الله تعالى في الآية الأولى: إكرامه محمدا ﷺ بالإسراء ذكر في هذه الآية : أنه أكرم موسى قبله بالتوراة وجعلها مصدر هداية .

٣ - قال الله عن محمد أُسْرَى بِعَبْدِهِ وقال عن نوح إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ، ويذلك تلتقى وحدة الرسالات ووحدة الرسل في مقام العبودية الصقة لله .

# قال ابن القيم في (طريق الهجرتين):

أكمل الخلق لكملهم عبودية وأعظمهم شهودا للقره وضرورته وحاجته إلى ربه ، وعدم استفنائه عنه طرفة عين ، ولهذا كان من دعاته ﷺ : « اللهم ، أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك » . ا هـ .

وكلما زاد العبد ذلا لريه وإمعانا في عيادته والالتجاء إليه ، زاد عزة ورفعة بالإيمان والاعتماد على الله، وفي الحديث: « لمفظ الله ؛ يحفظك ، لحفظ الله : تجده تجاهك ، وإذا سألت ؛ فاسأل الله، وإذا استعنت: فاستحن بالله . واعلم أن الأمة لو لجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك .. جفت الأثلام وطويت المصحف».

٣- قال تعالى عن نوح: إِنَّهُ كَانَ عَبِثًا شَكُورًا . وورد : أن نوحا كان يشكر الله على كل حال ويروى من شكره: أنه كان إذا أكل قال : الحمد لله الذي أطعمنى ولو شاه أجاعنى . وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقانى، ولو شاء أظمأنى ، وإذا اكتسى قال : الحمد لله الذي كسانى ، ولو شاء أعرانى ، وإذا قضى حاجته ، قال: الحمد لله الذي أُهرج عنى أذاه في عافية .

وورد في كتب السنة: أن النبى محمدا ﷺ كان يذكر الله عند كل نعمة ويتعجب من فضل الله عند كل مشهد أو منظر مثير، فورد أنه كان يذكر الله عند الصباح إذا أسفر، وعند المساء إذا أقبل، ويذكر الله إذا تقدم للطعام، وإذا أتبع وإذا اكتسى، وإذا نام وإذا استيقظ، وإذا سائم وإذا عند من السفر، وهذا دليل على الأخوة النفسية للأنبياء فهم عبيد مخلصون لله، وهم شاكرون لأنم الله.

ا- حفلت كتب السنة بهدى النبى محمد ﷺ نى يرمه وليلته ، ومن دعائه عن الأكل: «اللهم ، بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار باسم الله» وعند أكل الفاكهة «اللهم ، اجملها نعمة دائمة تصلنا بها إلى نعمة الجمنة » وإذا أتم الأكل قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين . وإذا لبس ثويا قال: «الحمد لله الذي كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به في الناس» أو قال : «الحمد لله الذي كسانى هذا من غير حول منى ولا قوة» . وكان إذا خرج من بيت الخلاء يقول : «غفرانك ، الحمد لله الذي أذهب عنى ما ينذبنى وأبقى على ما ينذبنى».

ويكاد دعاء نرح ومحمد أن يكونا متقاربين في الاعتراف لله يفضله وشكره على نعمه ، صحيح أن الأسلوب مختلف ، ولكن الفكرة والمعنى متقاربان .

ه – وكان النبي إذا أراد النوم قال: « باسمك ربي وضعت جنبي ويك أرفعه ، إن أمسكت روحي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها فيما تمقط به عبادك المسالحين »<sup>(١٠)</sup> .

وكان إذا أرق من الليل يقول : « اللهم غارت النجوم ، ونامت العيون ويقيت أنت يا حى يا قيوم ، أرح ليلي وأنم عيني "".

وكان إذا استيقظ يقول: «الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور »("").

وإذا رأى الصباح يقول: «أصبحنا وأصبح الملك فله، والحمد فله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه النشور»<sup>(١٠٠</sup>).

وإذا خرج للسفر يقول: « اللهم، لك انتشرت ولك سرت ويك آمنت وعليك توكلت ، فأغفر لي ما قدمت وماً -لـغرت وما أسررت وما أعلنت »<sup>(۱۱)</sup>.

وإذا عاد من السفر يقول: « تائبون آيبون حامدون لرينا شاكرون »(٢٠٠).

وكلها أدعية تحقق معنى العبودية لله والشكر له ، فكما أن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا ، فإن محمدا ﷺ كان عبدا شكورا ، والأنبياء إخوة في طريق الدعوة إلى الله .

\* \* 1

# فساد بني إسرائيل في الأرض

﴿وَقَصَيْنَ ٓ إِلَى بَوْ َ إِسْرَةِ مِلَ فِي ٱلْكِنْكِ لَنُفْسِدُنَّ فِ ٱلْأَرْضِ مَرَّ تَبْنِ وَلِنَعَلْنَ عُلُوًّا كِيبُرَا ۞ فَإِذَا كَمَّةَ وَعَدُ أُولِنَهُمَ الْمَثْنَا عَلَيْكُمُ عِبَادًا لَنَا أُولِي أَلِي شَدِيدِ فَعَاسُوا خِلْلَ الْدِيارُ وَكَاتَ وَعَدَا الْمُعْوَلِا ۞ ثُمَّرَدَدُ ذَا لَكُمُ ٱلْكَرَّ وَ فَلَيْمِ مَ وَأَمْدَدُ نَكُم بِأَمُولِ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمُ أَكُثُرُ نَفِي بِرُا ۞ إِنْ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لِأَنفُيكُمُ وَإِنْ أَسَلَّمُ فَلَهَا فَإِذَا كَمَ وَعَدُا الْاَحْدِينَ وَعَدُ اللَّهُ فَلَهُ أَوْلَا عَلَى وَعَدُا اللَّهِ فَلَهُ أَوْلَ مَرَّ وَوَعَدُ اللَّهُ فَلَهُ أَوْلَ مَرَّ وَ وَعَدُ الْآخِدَ وَقَلِيسُتُوا وَجُوهَ كُمْ وَلِينَا شُكُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَّ وَاللَّهُ وَلِيسُتَيْرُواْ مَا عَلَوْا نَتْقِيرُا ۞ عَنَونَ رَبُّكُواْنَ رَحَى كُمُّ وَإِنْ عُدَّمُ عُدْنًا وَحَمَلَنَا جَهَنَمُ لِلْكَنْفِينَ وَكُولُوا مَا عَلَوْا نَتْقِيدُوا لَا لَمْسَعِدَ كَمَا ذَا وَحَمَلَنَا جَهَمَ لِلْكَنفِينَ وَلِينَا اللَّهُ اللَّهُ وَقَلْمُ اللَّهُ الْمَالِقُولُ وَمُولِي اللَّهُ فِينَا اللَّهُ فَاللَّهُ وَالْمُولِينَا وَالْمَلَافِينَا مُعَلِّا اللَّهُ الْمُؤْمِنَا اللَّهُ وَعَلَيْكُمُ الْمُولِينَا عَلَيْتُ اللَّهُ الْمُلْفَا وَلَوْلَ الْمُسْتَوِلِانَ الْمُولِينَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمُعْمِلُونَا الْمَوْدِ وَالْمُعْمُ الْمُؤْمِنَا الْمُعْمَلِقُولُونَا مُنْ مُولِلْمُ الْمُؤْمِلِكُونُ الْمُعْمَالِكُونُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمُعْمِلَانَا عَلَيْمُ اللَّهُ الْمُعْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمُعْمَلُونَا الْمُعْلِقُولُونَا اللَّهُ الْمُؤْمِنَا اللْمُولِينَا الْمُعْلِقِيلُونَا اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَا اللْمُولِينَا اللَّهُ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا اللْمُؤْمِولُونَ الْمُؤْمِنَانَا الْمُعْلِقَالَ الْمُؤْمِنَالُونَا الْمُؤْمِلُونَا اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَا اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُعْتَمِينَا اللْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَا اللْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا اللْمُولِي الْمُؤْمِلُونَا اللْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُونَا الْمُؤْمِلُول

#### المفردات

قضيب يسبئيساه أعلمنا بالوجين

السكتاب؛ التوراة.

. المستكبرن عن طاعة الله.

المسموعمم عند الموعود به ، وهو العقاب ، أي : فإذا جاء وعد عقاب أولاهما .

الهاس والهاساء والبؤس: النَّددة والمكروه ، إلا أن البأس والهاساء كثر استعمالهما في النكاية بالعدو ، والهوس كثر استعماله في الفقر والحرب.

جساس وا، ترددوا للغارة.

محالات الصنهدان أوسطها وقرحها

المسكسرة، البولة والغلبة.

- 4444

٤ من قومه وأهل بيته.

#### التفسيره

٤ - وَقَطَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَ آهِيلَ فِي ٱلْكِتَلْبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنَ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا .

أوحينا إلى بنى إسرائيل فيما أنزلناه فى الترراة على موسى ، فأعلمهم به : لتعمن الله ولتخالفن أمره مرتين ، ولتستغلن على الناس استعلاء عظيما ؛ يرّدى يكم إلى الخسران والدمار .

وكان من مظاهر إفسادهم في الأرضى: تحريفهم للثوراة ، وتركهم العمل بما فيها من أحكام ، **وتتلهم** الأنبياء ، واعتداؤهم على الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وشيوع الفواحش والرذائل فيهم .

٥ - فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَنهُمَا بَعَثَنا عَلَيْكُمْ عِبَادًا ثُنآ أَوْلِي بَأْسِ شَدِيدٍ فَجَاشُواْ خِلَالْ ٱللَّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مُفْعُولاً.

فإذا حان وقت حلول العقاب الموعود ؛ سلطنا عليكم ؛ لمؤاخذتكم بجنايتكم عبادا لنا أصحاب قوة ربطش شديد في الحروب ، وهم : سنحاريب ملك الموصل وجنوده ، أو بختنصر البابلي ، أو جالوت أو غيرهم.

وقد أوغل الغزاة في بلاد اليهود وترددوا بين الدور والمساكن للقتل والسلب والنهب وقتاوا علماهم وكبرامهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وسبوا منهم عددا كثيراء وكان ذلك وعدا مفعولا نافذا لا مرد له.

# ٧- نُمْ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكُرُةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَال وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمُ أَكْثَرَ لَفِيرًا .

ثم أعدنا لكم – يا بني إسرائيل – الدولة والغلبة على الذين قهروكم وأذلوكم حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الإنساد والعلو فغزوتم البابليين أو قهرتم أعداءكم واستنقذتم الأسرى والأموال ورجع الملك إليكم وكثرت أموالكم يعد أن نهبت ، وأولادكم يعد أن سبيت وصرتم أكثر عددا وأعظم قوة مما كنتم من قبل وذلك بغضل طاعته تعالى والرجوع إليه . ٧- إِنْ أَخْسَنتُمْ أَخْسَنتُمْ لأَنفِسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ... الآية .

أى: إن أحسنتم فأطعتم الله ولزمتم أمره أحسنتم لأنفسكم: لأنكم تنفعونها بذلك فى دنياها وآخرتها. فقد جعل الله الجزاء الحق من جنس العمل ووعد المؤمنين العاملين بالنصر والتأييد، كما وعد المفسدين بالمقاب والتأديب.

تلك قاعدة لا تتغير فى الدنيا وفى الأخدرة ، وهى تجعل عمل الإنسان كله له بكل ثماره ونتائجه ، وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل ، منه تنتج ويه تتكيف ، وتجعل الإنسان مسئولا عن نفسه إن شاء أحسن إليها وإن شاء أساء لا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء .

فإذا تقررت هذه القاعدة ، مضى السياق يكلم النبوءة الصادقة .

فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ لِنَشْعُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَرُّواْ مَا عَلَوْا تَطْبِيرًا .

لقد فهم اليهود من السياق: أن اليهود أفسدوا مرتين فسلط الله عليهم في المرة الأولى من انتقم منهم، ثم أعاد لليهود دولتهم وملكهم ولم يذكر هنا ما صنع اليهود بعد أن رد الله لهم الكرة على أعدائهم اكتفاء بما علم من طبعهم أنهم كلما استعلوا في الأرض يغوا وأفسدوا ، ويما ذكره القرآن من قبل : تَقُسِّدُونٌ فِي الْأَرْضِرُ مُرْتَنَّرٍ ، ثم أثبت ما يسلطه الله عليهم في المرة الأخرة فقال :

فَإِذَا جَاءً وَعْدُ ٱلآخِرَةِ (٢٠) لِيَشْتُواْ وُجُوهَكُمْ.

أي: فإذا جاء وقت عقوبتكم — يا بنى إسرائيل — على المرة الأهرة من مرتى إفسادكم فى الأرض بعثنا أعدامكم؛ ليجعلوا آثار المساءة بادية فى وجوهكم بما يرتكبونه معكم من نكال يملأ النفوس بالإساءة حتى تفيض على الوجوء ، أو , ما يجبهون به وجوهكم من مساءة وإذلال. ويستبيحون المقدسات ويستهينون بها: وَإِنْ خُلُواْ ٱلْمُسْجِدُ. قاهرين فاتحين مذلين لكم ، كُمَّا ذَخُلُوهٌ أَوْلَ مُرَّةٍ ؛ وليهلكوا ما الخرتموه تتبيرا شديدا فلا يبقرن منه شيئا .

وهي صورة للدمار الشامل الكامل الذي يطفي على شيء والذي لا يبقى على شيء.

# قال الإمام الرازي :

٨ - عَسَىٰ زَائِكُمْ أَن يَوْ حَمَكُمْ.

يمقب القرآن على الذبوة الصادقة والوعد المفعول ، بأن هذا الدمار قد يكون طريقا للرحمة إن أفدتم منه عبرة وتبتم عن المماصى وعلمتم أن سنة الله لا تتخلف وأن عدالة الله نافذة في رحمة التاتبين ، وعقاب المفسدين .

وقد حقق لهم وعده فكثر عددهم وأعزهم بعد الذلة وجعل منهم الملوك والأنبياء.

وَإِنْ غُدَّتُمْ غُدْنَا .

أي: وإن عدتم لمعصبيتي وخلاف أمرى وقتل رسلي ؛ عدنا عليكم بالقتل والسلب والإذلال .

وقد عادوا إلى الإفساد وكذبوا رسول الله مجمدا ﷺ، وهموا بقتله ونقضرا عهودهم معه، فسلطه الله عليهم؛ فأجلى عن المدينة بنى قينقاع ، وينى النضير ، وقتل بنى فريظة ، وفتح خيبر ، وفرض الجزية على من بقى من اليهود فى بلاد العرب فهم يعطونها عن يد وهم صاغرون ولا ملك لهم ولا سلطان .

وقد تكرر رجوعهم للفساد في عهود التاريخ ؛ فسلط الله عليهم في كل مرة من يسومهم سوم العذاب حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم «هنار» .

ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات . وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب : تصديقاً لوعد الله القاطع ، ووفاقاً اسنته التي لا تتخلف .

وتختم الأيات ببيان مصير الكافرين في الآخرة لما بينه وبين مصير المفسدين من مشاكلة.

وَجَعَلْنَا جَهَنَّمُ لِلْكُلْفِرِينَ خَصِيرًا.

تحصرهم فلا يند عنها حد، وعن الحسن: بساطا كما يبسط الحمس المنسوج،

# ١ - في أعقباب التفسيس

خلاصة الآيات ما يأتي:

١ – أهبر الله : أن بني إسرائيل سيفسدون فى الأرض مرتين ، وهذا الفساد معناه : طغيان وعدوان منهم على عباد الله وخروجهم على الطريق القريم .

٧ - أخير الله عنهم: أنهم لما طغوا ويغوا ؛ سلط الله عليهم من ينتقم منهم.

- بعد الانتقام الأول عادوا إلى طريق الجادة فانتصروا على أعدائهم ، لكنهم لم يلبثوا أن عادوا للفساد
 فحق عليهم وعيد الله .

- ٤- سلط الله عليهم في المرة الثانية من أذلهم، وهدم هيكلهم، وهدم المسجد الأقصى، وقضى عليهم وعلى ملكهم.
  - ٥- ذكر الله: أنه يشملهم برحمته إذا تابوا إليه ، فإن عادوا للفساد ؛ عاد الله عليهم بالعقاب.
  - ٣- كثر عدد اليهود بعد الإفساد الأول والثاني وعقويتهما ، وأعزهم الله بعد الذل وأعطاهم المال والجاه.
- إسل الله محمد نبيا رسولا يعرفون صفته في التوراة ، ولكنهم كذبوه وغدروا به ؛ فسلط الله عليهم المسلمين ؛ فحاصروهم وقاتلوهم ، وفرضوا عليهم الجزية ، ثم أشرجوهم من بلاد العرب .
- استمرت حياة اليهود بين مد وجزر فكلما أرضى الله لهم الحبل ومتّعوا بالنعمة : أسرقوا في استفلال
   النعمة وفي القساد : فسلط الله عليهم من ينتقم منهم .
- ٩- كان آخر إفساد لهم سيطرتهم على فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وابتلاع مساحات من البلاد العربية في سنة ١٩٦٧.
- ١- الأمل في الله أن يهيئ لهم من ينتقهم منهم وأن يتكاتف العرب والمسلمون: ليثأروا لأنفسهم ولدينهم وأوطانهم.

### ٧- من هم القوم الذين سلطهم الله على اليهبود

تاريخ اليهود الطويل حافل بالعدوان وسفك الدماء وقد سلط الله عليهم أعدامهم مرارا وتكرارا شإفسادهم مرتين مراد به : كرتين أي : المرة تلو المرة بدليل قوله تعالى بعد ذلك : رَإِنْ غُلْتُمْ غُلْنًا ، وقد عاد اليهود للفساد ، وكلما عادوا ؛ عاد لهم الانتقام .

#### قال ابن كثير:

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟

فعن ابن عباس وقتادة : أنه جالوت الجزرى وجنوده ، سلط عليهم أولا ثم أديلوا عليه بعد ذلك وقتل داود جالوت ، ولهذا قال : ثُمُّ رَدُقُنا لَكُمُّ الْكُرُّةُ عَلَيْهِمْ .

وعن سعيد بن جبير: أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده وعنه أيضا وعن غيره: أنه بختنصر ملك بابل.

ثم قال : وقد وردت في هذا أقار إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ؛ لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادلتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ، ونحن في غنية عنها ولله الحمد .

وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله. ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم.

وقد أخبر الله عنهم: أنهم لما طغوا ويغوا ؛ سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذائهم وقهرهم: جزاء وفاقا، وما ريك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء «العاماد"» اه.

وتفسير الأيات غنى عن تحديد أشخاص المسلطين على الههرد رتاريخ هذا التسلط، فالقرآن كتاب 
مداية يذكر من القصة التاريخية الجانب الذي يحقق العظة والعبرة ولا يهتم بإيراد القصة كاملة . وإنما 
يلقى الضوء على فترات معينة في تاريخ البشرية ؛ لتحقيق العظة والاعتبار . قال تعالى : لَقَدْ كَانَ فِي 
لَقَمَ مِهِمْ عَبْرَةً لاَّ إِلْي اللَّآثِي الاَّرْبُ عَلَيْهُ عَنْوَى وَكُنْ مَكِنَ اللَّهِ عَبْرَةً لاَّ إِلَى اللَّهُ عَلَى فَكَنْ عَلَيْهِ وَهُدَى وَرَحْمُةً 
لَقَمْ مِهْمْ عَبْرَةً لاَّ إِلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهُ وَلَا عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَهُدَى وَرَحْمُةً 
لَقَوْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْحَرَاقُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْتَعْلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْعَلَالِهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَالِهُ اللَّهُ عَلَى اللْعَلَامُ اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ الْعَلَالِهُ اللَّهُ الْعَلَى الْعَلَى اللَّهُ الْعَلِيْمِ اللْعَلِيْ الْعَلِيْمُ اللْعَلِيْمِ اللْعَلِيْمُ اللَّهُ الْعَلِيْمُ اللْعَلِيْ

فالقرآن تدأيهم أسماء ويلانا ؛ لأنه لم ير فائدة كبيرة تتعلق بذكرها ولو علم الله في ذلك فائدة لذكرها . وحين أيهم الأشخاص المسلطين على اليهود صدار من واجب المؤمن أن يعرف أن هذاك أشخاصا انتقموا من اليهود في تاريخهم ، وإذا أواد تحديد هؤلاء الأشخاص ؛ لجأ إلى التاريخ الصحيح لا ليحكمه في معنى القرآن وإنما ليستأنس به ولتكون معرفة جانبية لا تحكم على التفسير ، فعمنى الآيات واضع بدون إقحام الإسرائهليات للتي أدخلها لليهود للكيد والدس وتلفقها عنهم المفسرون ؛ ليشبعوا فضول الناس في معرفة الأشفاص المبهمين ، وقد أمرنا ألا نصدق بني إسرائيل ولا تكذبهم ؛ فما روى عنهم لا يخلوا عن واحد من ثلاثة أنسام :

القسم الأول: ما يعلم صحته عن طريق القرآن أو السنة أو شاهد من الشرع، وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثاني : ما يعلم كذبه ؛ بان يناقض ما عرفناه من شرعنا أو يكون مخالفا لما يقرره العقل وهذا القسم لا يمنح قبوله ولا روايته .

القسم الثالث: وهو المسكوت عنه فلا هو من قبيل الأول ، ولا هو من قبيل الثاني ، وهذا القسم نتوقف فعه فلا نصدقه ولا تكذبه .

وقد ذهب ابن كثير إلى جواز رواية القسم الثالث للاستشهاد به لا التفسير ، وخالفه في ذلك المحقق أحدد شاك (٣٠) .

# ٣- أشهر أقوال المفسرين في من سلطه الله على بني إسرائيل

 (أ) ورد في الطبرى: أن أول الفساد كان قتل زكريا: فبعث الله عليهم ملك النبط (وكان يدعى: صحابين) منا فانتصر عليهم ، ثم رد الله الكرة اليهود على أعدائهم . ا هـ .

وهذا الرأى مردود ؛ فلم يحفظ التاريخ أن بني إسرائيل غزوا النبط أو أصابوا منهم (٢٠٠٠).

 (ب) وأخرج ابن عساكر في تاريخه: عن على بن أبى طالب قال: الإفساد الأول: قتل زكريا ، والثاني: قتل يحيين (\*\*).

وهو مردود ؛ بأن بين قتل الاثنين فترة قصيرة لا تسمح لهم برد الكرة وتحقيق النصر.

(ج) أخرج ابن جرير قال: أما المرة الأولى ، فسلط الله عليهم جالوت حتى بعث طالوت ومعه داود ، فانتصرا على جالوت وأسسوا مملكة داود سنة ٩٥٠٠ ق. م٣٠٠ .

ثم بعث الله عليهم في الدرة الثانية يختنص البابلي المجوسي فقزاهم ثلاث مرات : الأولى : سنة ٦٠٦ ق . م ، والثانية : سنة ٩٩٩ ق. م ، والثالثة : سنة ٨٥٨ ق. م.

وفي المرة الثالثة : أكثر فيهم القتل ، وأخذ الأحياء أسرى ودمر أورشليم تماما(١٠٠٠) .

( د ) ذهب جمهور المفسرين: إلى أن المسلط عليهم في المرة الأولى هو بختنصر الهابلي ، وقد غزاهم في
 سنة ٢٠٦ ، ٩٥ ، ٨٥٥ ق . م .

ثم ساعدهم قورش ملك الفرس سنة ٢٦٥ ق. م فعادوا لبلادهم ، وأعادوا بناء هيكلهم .

والمسلط عليهم في المرة الثانية هم الرومان بقيادة تيطس سنة ٧٠ م.

وقد كان إذلاله لهم أسد وأنكى حتى بلغ عدد الفتلى منهم مليون قتيل ، ويلغ عدد الأسرى مائة ألف أسهر [m].

ويعد انتصار تبطس الروماني عليهم؛ تفرقوا في البلاد ، وأصبح تاريخهم ملحقا بتاريخ للممالك التي نزلوا فيها<sup>يدي</sup>

رلم يرجع اليهود إلى فلسطين إلا في العصر الحديث بعد أن ظلت فلسطين في يد العرب المسلمين ١٣٠٠ سنة من الفتح العربي سنة ٢٣٦م (سنة ١٥هـ) إلى سنة ١٩٤٨م (سنة ١٣٦٦ هـ) . باستثناء ٨٠ سنة هي فترة الحرب الصليبية (١٩٠٩م – ١١٨٧م) حين سقط بيت المقدس في يد الغزاة ، ثم استرده العرب المسلمون على يد مسلاح الدين الأيويى فى يوم الجمعة ٧٧ رجب سنة ٨٣٣ هـ – ٢ أكتربر سنة ١٩٨٧م . ويـخل خطيب المسلمين بيت المقدس ، وحمد الله حمدا كثيرا على رجوعه إليهم . وظل فى يد المسلمين إلى أن استولى عليه اليهود فى حرب يرنيو سنة ١٩٦٧ .

#### ٤- ملاحظات

- ١- لم يمسح عن الرسول ﷺ حديث في بيان المراد بالعباد الذين سلطوا على بني إسرائيل.
  - ٢- الإنساد قد تكرر من يني إسرائيل والمرتين هما أظهر مرتين.
  - ٣- الرجرع إلى التاريخ الصحيح هو الذي ينيدنا في الموضوع.
- اختلفت أنظار المؤرخين والمفسرين فيمن سلط على اليهود بحسب الاجتهاد الشخصى لكل مؤرخ أو
   مفسر.
- ٥- مقصود الآيات: هو بيان سنة من سنن الله في الأمم حال مبلاحها وفسادها ، وهذه السنة ماضية في
  الأمم دون تبديل أو تحويل.
- لا يترقف فهم المعنى على تحديد أشخاص بعينهم سلطوا على اليهود ، بل المقصود : أنهم كلما أكثروا
   من المحاصى : سلط الله عليهم أقواما أخرين قتلوهم وأذارهم .

\* \* \*

# ملاحق عن اليهود

الملحق الأول:

## تاريخ اليهود في فلسطين

الفترة التي استقر فيها حكم اليهود في فلسطين لا تزيد على ثلاثة قرون ونصف قرن ، وكل ما تركوه بظسطين آثار حائط لهيكلهم ظلوا يتوجون عليه قرونا عديدة ؛ حتى سمى حائط المبكى .

والفترة الذهبية لحكمهم بدأت بتأسيس مملكة داود سنة ١٠٩٥ ق. م ،

واستمر ملك داود ٤٠ سنة جاء من بعده ابنه سليمان فحكم ٤٠ سنة أخرى انتهت بوفاته سنة ٩٧٥ق. م.

ثم خلفه ابنه رحيدام الذي لنقسمت مملكة اليهود في زمنه إلى قسمين: مملكة إسرائيل في الشمال والسامرة» ، ومملكة يهوذا في الجنوب «أورشليم» . ودامت مملكة الشمال نحو ٢٥٠ سنة وانتهت سنة ٧٢١ ق. م ، حينما غزاها سرجون ملك آشور واستولى على السامرة (نابلس الآن) وقضى نهائيا على تلك المملكة .

وأما مملكة يهوذا فقد عاشت أكثر من أختها إسرائيل حتى غزاها بختنصر سنة ٦٠٦ق. م غزوات متعددة انتهت بتهديم أسوار المدينة ، وإحراق الهيكل ، وسبى الشعب إلى الأسر في بابل .

ثم أعيد اليهود من السبى سنة ٣٦٥ ق. م على يدقورش الذى تولى ملك فارس وغدت يهوذا ولاية من ولايات القرس حتى سنة ٣٣٢ك. م ، حيث انتقلت إلى ملك الإسكندر المقدونى بعد أن هزم القرس ودخل سرية وللسطين .

وفي سنة ٧٠ م تقدم القائد الروماني (تيطس) ودمر أورشليم وهيكلها وذبح اليهود فيها وأسر كثيرا من شعبها ، وذاق اليهود على يد تيطس الذل والهوان .

وتعددت ثورات اليهود على الرومان كما تكرر بطش الرومان بهم وقهرهم ، وفي سنة ١٣٥م قتل الرومان من اليهود ٥٨٠ آلفا ، ودمروا أورشليم ، وأنشئوا مكانها مدينة جديدة سميت: إيلهاء .

فتاريخ اليهود. هافل بالثورات وسفك الدماء . وأهم استقرار لهم كان في عهد داود وسليمان ١٠٩٥ – ٩٧٥ق . م .

وقد غزاهم بختنصر ثلاث مرات وقتلهم وسياهم إلى بابل في الفترة من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٥٠٨ ق.م (رسمى ذلك : بخراب أوركثليم الأول) . وفى سنة ٣٦٠ ق. م أنقذهم قورش الفارسى من السبى وسمح لهم بالمودة إلى أورشيلم ، كما صرح لهم بإعادة بناء الهيكل سنة ٤١٥ ق. م .

وفي سنة ٧٠م هاجمهم تيطس الروماني وقتلهم ودمر هيكلهم.

وفي سنة ١٣٥م هاجمهم القائد الروماني يوليوس سيفروس فاحتل أورشليم وهدمها ويني مكانها إيلياء وأسدل الستار على تاريخ اليود القديم في فلسطين .

ثم جاءت هيلانة أم الملك قسطنطين الروماني البيزنطي ، ويَنْتَ كنيسة القيامة سنة ٤٣٦م ، ثم بُنِيْتُ كنيسة الطرار سنة ٥٣٠م .

وفي سنة ١٣٦٦م (١٥ هـ) فتح العرب المسلمون بيت المقدس وما حوله من بلاد فلسطين وظلت فلسطين عربية إسلامية حتى سنة ١٩٤٨م (١٣٦٦هـ).

ومن ذلك الحين بدأ الغزو اليهودي المنظم لفلسطين ثم كان مشروع تقسيم فلسطين، وتوسع اليهود

الأليم في سنة ١٩٦٧ ، حيث ضموا إلى فلسطين أجزاء من البلاد العربية ، ولا تزال الحرب سجالا بين العرب \_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_ وبينهم (والله غالب على أمره) .

وقد تنبأ النبى الكريم بهذا العدوان اليهودى الغادر ورعد أمته بالنصر . فقد روى الهخارى في صحيحه أن رسول الله ﷺ ، قال: « لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ؛ فيختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، هذا يهودى وراثي فاقتله ، (٣٠).

\* \* \*

الملحق الثاني :

#### نكبات اليهود

إليك لمحات من العقويات التي أصنابت اليهود جزاء وفاقا ؛ لجشعهم ونهيهم ورغيتهم في امتصاص دماء الشعوب :

١- في بريطانيا لقى اليهود في بعض العهود ألوانا من التعذيب وصنوفا من القتل والتشريد.

حدث ذلك في عهد الملك هذرى الثالث الذي أصدر آمره سنة ١٣٣٠ م يأن يدفع اليهود إلى الخزينة البريطانية ثلث أموالهم المنقولة .

وتكرون عقوياتهم في عهد إدوارد الأول سنة ١٣٧٧ م.

٢ - وفي فرنسا تكررت المأساة في عهد لويس التاسع ، وفيليب الجميل ، وعلى يد نابليون في القرن التاسع عشر .

ح وفي إيطالها حاربهم المبابوات حربا شعواء وأطلقوا عليهم اسم: الشعب المكروه ، وأغروا بهم الشعب ؛
 أعمل فيهم القتل والتشريد . وفي سنة ١٥٤٠ ، قتل منهم الآلاف وطرد من بقى حيا خارج إيطالها .

وفي أسبانيا ذاق الههود أنسى العقوبات على يد محاكم التفتيش ولم يظفروا بالراحة إلا أيام الحكم
 الإسلامي لأسبانها.

وفي روسيا أوقع الروس بهم المذابح كما حدث في سنة ١٨٨٢،١٨٨١. وفي سنة ١٩٠٧ م عمت المذابح
 شدهم حتى قتل منهم ١١ ألفا .

٣- وفي ألمانيا تعرضوا لعقوبات قاسية آخرها ما لقوه على يد هتلر من سنة ١٩٣٣ م إلى سنة ١٩٤٥(١٠).

٧ - وقد تعرضوا لانتقام المسلمين في غزوات: بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وفتح خبير ؛
 حيث حاصرهم المسلمين وقتلوهم وأجلوهم من ديارهم .

وهكذا يحق قوله تعالى : وَإِذْ تَأَذْنَ رَبُّكَ لَيْتَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْم الْقِيَلْمَةِ مَن يُسُومُهُمْ سُوءَ الْقَذَابِ إِنَّ رَبَكَ لَسَرِيمُ الْمِقَابِ وَإِنَّهُ لَفُورٌ رَّحِيمٌ . (الأعاماء: ١٦٧) .

\* \* \*

الملحق الثالث:

## من هدى السنة في الموضوع

يرى بعض المفسرين: أن الآيات السابقة تحمل بشارة من الله بالنصر على اليهود فى العصر الحديث، ونحن لا تمنع أن تحتمل الآيات هذا المعنى بشرط أن نعمل العمل الملائم للنصر، فقد جعل الله الأسباب مرتبطة بالنتائج، وقال سيحانه: وَإِنْ عُثْنُمْ غُنْنًا، فكلما عاد اليهود للإفساد: سلط الله عليهم القتل والانتقام. قال الأستاذ نديم الجسر ("):

روى مسلم : عن ابن عمر ، قال: قال رسول ا廊 ﷺ : « لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم ، حتى يقول الحجر: يا مسلم ، هذا يهودى اقتله » .

وفي رواية: « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودى ورائى فاقتله».

وفي رواية: «لا تقرم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودى
وراه الحجر والشور؛ فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفي فتمال فاقتله».

### البشرى من هذا الحديث

- (أ) إن الحديث يصرح: بأن المقتلة مع اليهود ستكون في المستقبل ، بل رواية « لا تقوم الساعة حتى ... »
   تغيد: أن المقتلة ستكون في المستقبل الهميد.
  - ( ب) المفهوم من ظاهر وصف المقتلة أنها ستكون عظيمة وضارية .
- ( ج ) في رباية: «تقاتلكم اليهود...» أنهم هم الذين يبدءون المسلمين بالقتال ، وهذا يقتضى أن تكون لهم
   دولة رشوكة تشجعهم على البدء بالقتال .
- ( د ) لا يخفى أن يهود الحجاز والجزيرة العربية لم يكن لهم كيان دولى قائم بذاته قبل الإسلام ، وأما بعده فلم يعد لهم شوكة ، بل لم يعد لهم وجود يظن معه أنهم يقاتلرن المسلمين .
- ( هـ ) ولا يمكن أن يعنى الحديث: قتالا مع شراذم اليهود الضعفاء من أهل الذمة ، فالمسلمون مأمورون
   بحمايتهم ، وليس قتلهم مما يستحق أن يبشر به الرسول المسلمين .

( و ) أما في خارج الحجاز والجزيرة ، فاليهود بعد التشتيت الثانى الذي حصل لهم على يد ( تيطس ) الروماني له يحد لهم كبان دولي أو تجمم أو تكثل مستقل في أي قطر من أقطار الأرضر.

وهذه الأحاديث لا يمكن في العقل تصور اختراعها : إذ لم يوجد من الدواعي والأسباب ما يبرر اختلاقها، فلم يكن هناك اليهود دولة تحتك بالمسلمين في مواقع شديدة حتى يمكن تصور اختراع مثل هذه الأحاديث، بل كانوا شعبا ذليلا مشتتا لا شوكة له ولا دولة ، ولا ذكر له عند المسلمين ، ولا يخطر ببالهم التخوف منه .

إذن فكيف يتحقق صدق هذا الحديث ؟

لقد ظل الجواب على هذا السؤال مستورا وراء الغيب أربعة عشر قرنا ، حتى ظهرت دولة إسرائيل الحديثة الذي لم يخطر على البال ولا بالخيال ظهورها في حياة الإمامين الراويين للأحاديث ثلك: (البخارى ومسلم) في القرن التأسع عشر الميلادي وأين ظهرت؟ أين؟

فى قلب البلاد العربية والإسلامية ، أى : حيث أصبح حصول الاحتكاك مع اليهود معقولا ، بل فى صميم الأرض المقدسة عند المسلمين ، حيث أصبح وقوع القتال محتما ، وعلى مقوبة من الكعبة بيت الله ، ومقربة من يثرب مدينة الرسول ، التى لليهود فيها ذكريات كلها أحقاد ، أى : حيث أصبح القعود عن القتال خروجا عن الإسلام ، وهكذا تحقق صدق الحديث التبرى المعجزة فى حصول القتال ، ولابد أن يتحقق صدقه عن نتيجة القتال إن شاء الله ، والأبام بيننا .

أيها المسلمين في الأرض .. كل الأرض ، إني على يقين من أن هذه البشارة النبوية سوف تتحقق في يوم من الأهام قريب .. أو بعيد ، وعسى أن يكرن قريبا بتعاون هذا الجيل الحاضر من حكام المسلمين وتناصرهم ، حتى لا تتكرر لعنة الله والتاريخ التي سجلها الشاعر الأندلسي ، على المتنابذين والمتخاذلين في النصرة بقوله :

الملحق الرابع :

## رأى جديد

للأستاذ عبد الحميد جودة السحار، في كتابه ( وعد الله وإسرائيل )، رأى خلاصته:

أن وعد الله الإسرائيل بأن يفسدوا في الأرض مرتين ، قد تحقق أولهما أيبام بختنصر حيث عاقبهم الله على يديه عقابا أليما وشتتهم وأزال ملكهم ، ثم رجعوا لملكهم على يد « قورش » ولم يحدث منهم فساد منتشر عنيف في أيبام بختنصر ، كما حدث في فلسطين الآن ، وفي الأراضي المحتلة بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وأن الله تعالى من أجل إفسادهم هذا سيسلط عليهم العرب والمسلمين ، ويمكنهم من رقابهم ؛ حتى يستردوا ما فهبوه ويستعيدوا أرضهم ومقدساتهم ، ويصمون اليهود بالخزى والهوان .

#### يقول السحار:

لقد نشبت الحرب بين إسرائيل والعرب ، وقد تحصنت إسرائيل بحصون أمريكا وإنجلترا ، فالهود على مر التاريخ لا يحاربون إلا من وراء حصون ، واتضحت المؤامرة الجديدة التى دبرتها (أمريكا) لإذلال العرب الذين أبوا أن يدرروا في فلك أمريكا ، وأن يطأطئوا الرءوس لمطامعها .

وأصيب العرب بنكسة (وما أكثر النكسات التى نزلت بهم!!!) ، وطن أنها كارثة وإذا بها بداية انتفاضة. وإذا بها تحفز لوثبة ، وانتابنى حزن عميق ، فعدت إلى كتاب الله ألتمس فيه السلوى ، وقرأت أول سورة الإسراء ، إلى نهاية الآيات المتحدثة عن بنى إسرائيل .

وتوقفت أفكر فى تلك الآيات ، وأسترجع ما وعته ذاكرتى من تاريخ بنى إسرائيل فوجدت أن بنى إسرائيل قد أخرجوا من القدس أيام بختنمسر ملك العراق قبل المهلاد بخمسمائة سنة ، وأن (قورش) مؤسس الإمبراطورية الساسانية فى فارس هو الذى أعادهم إلى بيت المقدس ، وأنهم ظلوا بالقدس إلى أن جاء (تراجان) القائد الرومانى وهدم هيكل سليمان ، وقد فرح المسيحيون بذلك ؛ لأن السيد المسيح كان قد تنبأ يزوال الهيكل ومنذ ذلك الوقت صار اليهود مشتتين فى الأرض ، ولم تقم لهم قائمة ، ولم يكن لهم ملك فى القدس .

جاس بختنصر خلال فلسطين ، وحمل اليهود سبايا إلى بابل ، وبدخلوا المسجد أول مرة بعد ذلك في أيام (قورش) وطردوا من القدس في أيام الرومان ، بعد أن أفسدوا في الأرض ، وتحقق وعد أولاهما ، ورحت أنقب في تاريخ بني إسرائيل ؛ بحثا عن دخولهم مرة ثانية ، فلم أجد غير هذه العرة التي دخلوا فيها بيت المقدس بعد العدوان الثلاثي الجديد ، عدوان إسرائيل وأمريكا وإنجلترا على العرب ، وقد اطمأنت نفسي إلى أن ذلك هو الذي قصده الله سبحانه وتعالى بقوله : ثُمَّ رَدَّدُنًا لَكُمُّ ٱلْكُرُّةَ عَلَيْهِمٌ وَأَمْدُذُلْكُم بِأَمْوَالم وَبَيْنَلُ

إن أمريكا قد أغنقت الأموال على إسرائيل ، وأمدتهم بمتطوعين ودبابات وطيارات ، وسخرت لهم القمر الصناعى: ليصور لهم مواقع العرب ومطاراتهم ، وسيرت سفينة التجسس «ليبرتي»؛ لتكون لهم خير عون على تنفيذ المؤامرة ، فصارت إسرائيل بذلك أثكر عدة وعتاناً وأثكر نفيرا ؛ ليدخلوا بيت المقدس ويصل إفسادهم في الأرض قمته ؛ ليجيء وعد الأخرة ، وعد العرة الثانية ، العرة التي يدخل فيها العرب فلسطين ، ويطردون منها بني إسرائيل ، ويهلكونهم هلاكا ؛ جزاء وفاقا على علوهم في الفساد .

ويعد أن أبدى الأستاذ السحار عدم ارتياحه لما قاله المفسرون في هذه الآيات وما فسروا به مرتى الإفساد عاد يقول :

ولما لم أجد أيا من التفسيرات التي قرأتها تتفق مع المقانق التاريخية الثابتة ، فقد عدت مرة أخرى أقلب صفحات التاريخ ، فوجدت أن الهبود قد عادوا مرة واحدة في تاريخهم الطويل إلى القدس بعد أن حملهم بختنصر ملك العراق أسرى إلى بابل ، وكانت تلك العودة أيام (قورش) مؤسس الأسرة الساسانية الفارسية ، وقد ظلوا بها إلى أن طردهم الرومان ، واستمروا مشردين في الأرض ، ولم يدخلوا بهت المقدس مرة شانية، إلا بعد العدوان الثلاثي الأخير ، فإنهم في عدوان ١٩٥٦ لم يدخلوا المسجد الأقصى .

إن الآيات الكريمة لا يمكن أن تفسر إلا بعودة بنى إسرائيل إلى القدس ، ثم طردهم منها ؛ ليكون في ذلك إذلال لهم وإمعان في الهوان ، وقد عادوا إليها هذه المرة ، فأصبح على العرب أن يجمعوا صفوفهم على قلب رجل واحد ، وأن يوحدوا قبلتهم ، وأن يطهروا نفوسهم ، وأن ينصروا الله ؛ ليكونوا أهلا للنصر الكبير الذي وعدهم به ريهم في كتابه الكريم .

هذا رأيى، فإن كنت قد ونقت فمن عند الله ، وإن كان التوفيق قد جانبنى فحسبى أننى اجتهدت على قدر علمي وليغفر الله لي . ا ه . .

أقول: إنه مجرد رأى وأمل قابل للنظر والبحث والاجتهاد والمناقشة ، وقد ذهب مذهبه الأستاذان: 
عبد الكريم الخطيب في صحيفة الأخبار الجمعة ١٩٦٩/١/١٠ ، وعبد الرحيم فودة ، وإن كان الأستاذ 
الهاقوري أشار في أخبار ٣١/ ١٩٦٩/١/١ ، أن المؤمن يستقى العبرة من كتاب الله ولا يحمل الآيات على أمر 
قطعى ، وهي محتملة وخاصة لو فهم البعض من هذا التفاؤل والتأويل أن الله ضمن النصر لنا دون جهاد 
منا وإعداد واستعداد ، فهذا عين التواكل والمعصية والمخالفة لكتاب الله ، ونحن أحرج ما نكون إلى العمل 
كل العمل (١٠٠).

وأقول : إذا اجتمع الأمل مع الأحذ بالأسباب ، كان الخير محققا ، والله يقول : قَاتِلُوهُمْ يَعَلَّبُهُمْ اللَّهُ بِأَنْفِكُمُ وَيَسُمُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِى صُدُورَ قَوْم مُّوْتِينِ . فأمر بالقتال وعلق عليه تعديب الأعداء بأيدى المؤمنين، وهو القاتل مع هذا : وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْسَ كُل الْمُؤْمِنُونَ .

الملحق الخامس:

#### مقتطفات عن اليهود

عرف اليهود. بالقسوة البالغة واضطهادهم لغيرهم متى ملكوا المقدرة الظاهرة أو الخفية لذلك . وتاريخ اليهود ملطخ بجراتم القتل والذيح والنهب والسلب والغدر والبطش .

قال أحد الكتاب المعاصرين: «إن مذبحة دير ياسين كانت أبشع المذابح التي ارتكبها اليهود؛ فقد قتلوا ٢٥٠ إنسانا في قرية صغيرة ومثلوا بأجسادهم رذبحرا الأطفال في أحضان أمهاتهم وأمام أعينهم "<sup>١٠٥</sup>.

وتكرر ذلك في حيفا ويافا وكفر قاسم وكثير من مدن فلسطين.

ويقول الدوّرخ اليهودى يوسيقوس: «لا توجد أمة فى الأرض فى كل أجيال التاريخ منذ بدء الطليقة إلى الآن تحملت ما تحمله بنو إسرائيل من الكوارث والآلام على أن هذه الكوارث والآلام لم تكن إلا من صنع بنى إسرائيل أنفسهمه (11).

#### ومن تصريحات اليهود المعاصرين :

«إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أُصْحى قريبا جدا وسأكرس بقية حياتى لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الأقصى».

(ألفرد موند) الزعيم اليهودي الإنجليزي .

«أهداف الصهيرنية هي إبادة العرب جميعا».

(الدكتور ايدوا) رئيس اللجنة الصهيونية .

«لقد استولينا على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب».

(موشى ديان) وزير الحربية في إسرائيل.

«وهلنكم يا إسرائيل من الفرات إلى النيل ومن البحر الأبيض إلى البحر الأحمر».

(مبدأ صهيوني) :

«الصهيوني هو اليهودي الذي يدفع ليهودي لَخر نفقات هجرته إلى فلسطين» (١٠٠).

الملحق السادس:

# توضيح ثما رود في القرآن بشأن تعظيم اليهود وتفضيلهم

فى القرآن بعض آيات فيها تنويه ببنى إسرائيل وإيذان برعاية الله لهم ، وتفضيلهم على العالمين ، وكتابته لهم الأرض المقدسة ، وتوريثه إياهم مشارق الأرض ومفاريها التى بارك الله فيها ، وإيجاب الجنوح إلى السلم معهم إذا جنموا إليها .

ومع أن القرآن به آيات كثيرة تنسخ كل ذلك فإن اليهود يستغلون تلك الآيات لخداع المسلمين وإقامة الحجة عليهم من قرآنهم: ليجعلوهم يسيغون ما كان منهم من عدوان ريغى وظلم واغتصاب، وما يدعون إليه من الصلح على أساس الأمر الواقع الذي يؤيده القرآن يزعمهم.

ولذلك صارمن ولجب علماء المسلمين ونههاتهم توضيح المسائل ووضعها في نصابها الحق؛ لتنوير عامة المسلمين وتحذيرهم من خداع اليهود وتضليلهم ، وفيما يلى شيء من ذلك :

## أولاً : في القرآن هذه الآيات :

- ١ يَلْنِي إِسْرَ عِيلَ ٱذْكُرُواْ يْفَمَتِي ٱلَّتِي ٱلْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَشَلْتُكُمْ عَلَى ٱلْصَلْمَونَ . (البقرة: ٤٧).
- ٢ وَلَقَدْ عَائِنَا مُوسَى ٱلْكِتَلْسَ فَالاَ تَكُن فِي مِرْئَةٍ مِنْ لَقَالِهِ وَجَعَلْنَهُ هَدَى لَّنِي إِسْرَاعِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمَ أَلِيلَةً بَهْلُونَ
   بأمْرِ مَا لَمُا صَبَرُواْ وَكَالُواْ بِنَافِئِتِنَا لِمُؤْفِونَ (السجة: ٢٧، ٧٥).
  - ٣ وَلَقَدْ عَالَيْنَا هُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ٱلْكِتَلْبَ وَهُدًى وَذِكْرَىٰ لأُولِي ٱلأَلْبَلْبِ . (غافر: ٥٠،٥٠).
- ﴿ وَلَقَدْ نَجْنَنَا تَهِيَّ إِسْرَا عِيلَ مِنَ الْعَلَمَابِ الشَّهِينِ و مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيا مَنَ الْفُسْرِفِينَ و لَقَدْ آخَتَرَ لَنهُمْ عَلَىٰ عِلْم عَلَىٰ عِلْم عَلَىٰ عِلْم
   عَلَى النَّسَلَقِينَ و وَعَائِشَتْهُم مَنَ الْآيَسْتِ وَالْحِيدَ الْحِيدَ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْم
- ٥ وَلَقَدْ عَانَيْنَا يَنِينَ إِسْرَاعِيلَ ٱلْكِيَسْبَ وَٱلْحُكُمْ وَٱلنَّبُوا فَ وَزَقْتَلْهُم مّن ٱلطَّيْسَتِ وَلَعَشَّلْتُ لِهُمْ عَلَى ٱلْمُسْلَعِينَ . (الجانية: ١٦).

وقبل كل شيء نقول : إن المفسرين متفقون على أن ما ورد في الآيات من تنويه وتفضيل هو مؤقت بالظروف التي منحوها فيه وليس على التأبيد ، ولقد حكت آيات كثيرة جدا بغيهم وعدوانهم وعصيانهم وتكذيبهم للأنبياء وقتلهم إياهم وتحريف كتب الله وارتكاسهم في الكفر والشرك وعبادة العجل وأكلهم السحت وعدم تناهيهم عن المنكر ، ومخالفتهم لشرائع الله واحتيالهم لها ، ومكابرتهم في الحق ، وصدهم عن سبيل الله وسعيهم بالفساد في الأرض ، وخيانتهم لعهودهم وأماناتهم ، واستحلالهم أموال الغير، وتآمرهم على الإسلام والمسلمين مع الأعداء ، وفي القرآن آيات كثيرة تقرر أن الله عاقبهم على سوء سلوكهم وأعملاقهم وانحرافهم الديني والاجتماعي فضرب عليهم الشتات والذلة والمسكنة وصب عليهم غضبه ولعنته وجعل منهم القردة والخنازير ، وآلي على نفسه أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم من سوء العذاب وأذن لرسوله أن ينكل بهم ويطهر الأرض المقدسة من رجسهم

وهذه أرقام وسور الآيات المذكورة:

البقرة: (٥٥, ١٦, ٥٦, ٤٧, ٧٩, ٥٨, ٢٨, ٧٨, ٣٣, ٠٠٠).

آل عمران: (۲۹، ۲۷، ۲۷، ۲۷، ۷۷، ۸۷، ۹۹، ۹۹، ۲۱۱، ۱۸۱)

النساء: (٤٤، ٥٥، ٤٦، ٤٧، ٨٤، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٠، ٥٥، ٥٥١، ١٥٤، ١٥٤، ١٥٥، ٢٥١).

الأحزاب: (٢٦، ٢٧).

الحشر : (٤) .

المف : (٥) .

الجمعة : (٥ , ٦ , ٧ , ٨) .

بحيث يكون في هذه الآيات الكثيرة إينان رماني بنسخ تلك الآيات وإلقاء تلك الميزات للانحرافات الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي ارتكسوا وظلوا مرتكسين نيها .

ولقد ذكرت آية السجدة (٤٤): أن الله منحهم ما منحهم ؛ لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون . أى : أن ذلك كله رهنا بصبرهم رحسن يقينهم فيزول بزوال ذلك . وهو ما قررته الآيات . وقد جاء تقرير ذلك في آيات عدة كما ترى في الأمثلة الثالية :

١ - وَقَالُواْ قُلُولُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ... (البقرة : ٨٨).

- ﴿ صُرِبَتَ عَلَيْهِمُ ٱللَّذَةَ لَنَ مَا فَقِهُواْ إِلَّا بِحَمْلٍ مِنَ ٱللَّهِ وَحَمْلٍ مَنَ ٱللَّهِ وَحَمْلٍ مَنَ ٱللَّهِ وَمَا مُو بِهَ مَسَبِ مَنَ ٱللَّهِ وَطُرِبَتَ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ
   ذَلِكَ بِاللَّهِ مُمْ كَالُواْ يُكَثِّمُ وَفَ بِالنَّاتِ ٱللَّهِ فَيَقَالُونَ ٱلْأَنْبِياءَ بِشَوْرِ حَقَ ذَلِكَ بِمَا حِصُواْ وَكَالُواْ يَتَتَلَمُونَ . (ال مدول: ١١٧).
- ٣ أَلَمْ قَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ مَصِينا مَنَ ٱلْكِسَلَى يُؤْمِنُونَ بِٱلْحِيْتِ وَٱلطَّلْمُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفُرُواْ هَسَلُولا ءِ أَهْدُعا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُسِيلاً ، أَوْلَسُلِكا ٱلَّذِينَ لَقَتْهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْصَ إِلَّذِهُ فَلَن قَبِدَ لَلَّهُ تَصِيرًا . (النساء: ٥٠ / ٥٠)

﴿ وَلَقَدَ أَعَدَ اللّهُ مِينَــٰق بَسَى إِسْرَءِيل وَبَعْشَا مِثْهِمُ آثنى عَدَرَ فَيشِيا وَقَال اللّه إِنّى مَعَكُم قِينَ أَفَعَنُمُ الصَّلَوْا وَ وَعَائِكُمْ وَالْوَطْئَمُ اللّه قَرْحَا حَسَنًا الْأَكْمَرُنَّ عَنَكُمْ سَيْسَاتِكُمْ وَالْدَطِلَكُمْ جَسْسَ الزّكُولَة وَوَامَنْتُم الرَّسُلِيلَ وَعَرْزُومُوهُمْ وَالْوَطْئُمُ اللّهُ قَرْحًا حَسَنًا الْأَكُمْرِنَّ عَكُم سَيْسَاتِكُمْ وَالْدَطِيلَةُمْ وَجَعَلنًا تَعْرِمُ وَالْمَعْمَ اللّهُ عَلَيْ حَالِمَ مِنْكُمْ قَلْدُ صَلَّى اللّهَ اللّهِ عَلَى خَالِمَ مَنْكُمْ عَنْ مُواحِبُهِ وَلُسُوا حَظًّا مَثّا ذَكُولًا بِهِ وَلاَ تَوَالْ نَطْلِحُ عَلَى خَالِمَة مَنْكُمْ إِلاَّ قَلْمُولُ اللّهُ يَعِيلًا خَلْمَا عَلَى اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ عَلَى خَالِمَ اللّهُ يَعِيلًا اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ يَعْلَى اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ يَعِيلًا اللّهُ يَعْلِمُ اللّهُ يَعْلِمُ اللّهُ يَعْلِمُ اللّهُ يَعِيلًا اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ يُعِيلًا اللّهُ يُعِيلًا اللّهُ عَلَيْمٍ اللّهُ عَلَى خَالِمُهُ اللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمُ وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمٌ وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمٌ وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمً وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمً وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمً وَلَمْ اللّهُ عَلَيْمًا وَكُولًا عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَلَمْ اللّهُ عَلْمُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا وَاللّهُ عَلَيْمً عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلْمُ عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمً اللّهُ عَلَيْمًا عَلَيْمُ اللّهُ عَلْمُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ الللّهُ عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمًا عَلَيْمً عَلَيْمًا عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمًا عَلَمْ اللّه

#### وثانيًا :

#### ١ - في سورة المائدة هذه الآيات:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِشَوْمِهِ يَـٰ لَقَوْمَ الْذَكُرُواْ يِعْمَهُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَمَلَ فِيكُمْ أَلِيَاءَ وَجَمَلَكُمْ مُّلُوكُا وَمَاكُمُ مَّا لَمْ أَلِمُتُ أَحَدًا مَنْ ٱلْغَسْلُمِينَ ۚ وَيَسْقُومُ آذَخُلُواْ الْفَرْضَ اللَّهُمُلَسَةَ اللَّبِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتُدُواْ عَلَيْ أَذَبَارِكُمْ لِمُسْقِلُواْ مُحْسِرِينَ. (المائدة: ۲۰، ۲۰) ،

#### ٢ - وفي سورة الأعراف هذه الآية:

وَأَوْرَفَتَا الْقَوْمُ الَّلِينَ كَانُوا يُسْتَطَعْفُونَ مَشْنِوقَ الْأَرْصَ وَمَصَّنِيتِهَا الَّينِ بَسْرَكَنَا فِيهَا وَمَمَّتَ كَلِثَتُ زَمَّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَيْنَ إِسْرَّوِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَمُعَرِّنًا مَا كَانَ يَعْشَعُ فِرْعَوْنُ وَقُومُهُ وَمَا كَانُوا يَقِرْضُونَ . (١٧هراف: ١٣٧٪

ولقد جاء بعد آيتي المائدة آيات تحكى موقف اللجاج والتمرد والهام الذي وقفه بنر إسرائيل من أمر الله ورسوله ، وإيجاب التيه الذي أوجبه الله عليهم وعدم السماح لهم بدخول الأرض بسبب فسقهم وهي هذه:

قَالُواْ يَنْشُوسَ إِنَّ لِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَ لَدُعَلُهَا حَيْنَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فِإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ دَحِلُونَ مَ قَالَ رَجُكُونِ مِنَ اللَّهِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فِإِنْ كَمُتُم رُجُكُونِ مِنَ اللَّهِنِ يَخَلُونَ الْمُمَّ اللّهُ عَلَيْهِمَا الْحُلُواْ عَلَيْهِمَ الْآلِبَ فِإِذَا وَخَلْصُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلَيْهُمَ اللّهِ فَقَرْمُنَا إِنْ كُمُتُم مُولِينِينَ هَ قَالُواْ يَسْتُمُوسَى إِنَّا لَنَ نَسْطُهُمَا أَنْهَا هَا فَامُواْ فِيهَا فَلَفْحَالَ أَنْهُ مَ لَأَمْنِيلُ إِلاَّ فَفِيهِ وَأَحِي فَالْمُوقَ يَنْتَا وَيَشَنَ الْقَوْمِ الْفَلْمِيقِينَ هَ قَالَ فِإِنْهَا مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمَ أَرْبَهِينَ مَنْ اللّهِ فَالْمِنْ اللّهِ فَقَالَ اللّهِ فَاللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهِ فَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا لَكُولُوا مِنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ

وهكذا يصدح أن يقال : إن الأمر من وجهة النظر الريانية القرآنية قد وقف عند هذا الحد وانتهى مدى كلية قول موسى : إن الله كتب لهم الأرض المقدسة . ويلحظ أن آية سورة الأعراف قد تضمنت تعليلا لما كان من حكمة الله تعالى بإعلانه أنه أورثهم مشارق الأرض ومغاربها التي بارك فيها وهو صبوهم واستقامتهم . ولقد انحرفوا انحرافات دينية وأخلاقية خطيرة ونقضوا بذلك التعليل الرياني فلم بعد لهم حق التمسك بالآية القرآنية والاحتجاج بها فضلا عن الآيات الكثيرة التي أوردنا أرقامها وسورها التي تضمنت لعنة الله عليهم وغضبه وإيذانه بتشتيتهم في الأرض وتسليط من يسومهم سوء العذاب عليهم إلى يرم القيامة وكتابته الذلة والمسكنة عليهم .

وإذا كان التاريخ سجل دخولهم الأرض المقدسة بالعنف والقوة والدم ، وإقامتهم فيها وقيام دولة لهم أثناء ذلك فيها ردحا من الزمن ، فإن ذلك لا يصح أن يرتخذ على أنه أكسبهم حقا شرعيا أبديا من وجهة النظر القرآنية ولا من وجهة نظر الواقع . فمن وجهة النظر القرآنية : أن ذلك الوعد الرياني كان مرهونا بصفات زالت عنهم فانتسخ الوعد بزوالها . ومن وجهة نظر الواقع : أنهم تشردوا وتشتتوا عنها منذ ألفى سنة وحل مطهم أقوام ظلوا فيها ثم امسطيفت بصبيغة الإسلام والعروية الخالدة فغدت بلاد الإسلام والعروية وخلك في طوال ألف وأريممائة عام ولم ينقطع ذلك إلا فترة قصيرة في زمن الحروب الصليبية فحارب المسلوين والعرب حريا شديدة ومديدة حتى طهروها من الغزاة وعادت صبغتها الإسلامية العربية إليها .

ومن الجدير بالذكر: أن الإصماح (٣٦) من سفر الأحيار أحد أسفار اليهود المقدسة أنذرهم إنذارا شديدا رهبها بالنكبات والضريات والشتات وتسلط الأقوياء عليهم وإذلالهم وتدميرهم إذا هم انحرفوا عن وصابا الله وشرائعه ، وقد سجلت أسفارهم العديدة مثل: أسفار القضاة ، وصموتيل ، والملوك ، وأخبار الأيام، وحزئيال ، ودانيال ، وأشعيا ، وأرميا ؛ الحرافهم عن وصابا الله وشرائعه انمرافا خطيرا ؛ ففقدوا ذلك من وجهة نظر أسفارهم أيضًا ٧٠ .

#### : धिष

إن عدوان اليهود مستمر لا ينقطع وآخر ذلك عدوانهم في يونيو ١٩٦٧ الذي وقع ولا يزال مستمرا على أشد وأقسى وأنكى ما يكن ولم يكن بينها وبين المسلمين والعرب سابق عداء قبل تفكيرهم في غزو فلسطين وإنشاء دولة لهم فيها على أنقاض العرب والمسلمين، بل كان المسلمون والعرب في ظل السلطان الإسلامي يمنحون من كان في ظله منهم الحرية والأمن والطمأنينة في حين كانوا وظلوا معرضين للاضطهاد والممادرة في جميع البلاد الأخرى التى كانوا يقيمون فيها .

وعلى المسلمين واجب إعداد كل قوة يستطيعونها والاستعداد بكل وسيلة لمقاتلتهم وتضييق الخناق عليهم بدون كلل ولا فتور كما أمر الله ، إلى أن يقوضوا كيانهم ويطهروا أرض العرب من رجسهم وتعود إلى السلطان الإسلامى العربي كما كانت ، كَبَّ اللّهُ لأَظْئِنَّ أَنْ أَرْمُنِيّ إِنَّ اللّهُ قَوَّىً عُرْيِزٌ (المجادلة : ٢١).

# ﴿إِنَّ هَذَا ٱلْفُرَّ اَنَيْهِ عِى الْبَيْ هِى أَقْوَمُ وَيُنْشِرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّلِحَنتِ أَنَّ لَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّلِحَنتِ أَنَّ لَكُمُ أَجْرًا كَلِيبًا اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ا

#### تمهيده

تحدث الله عن الأنبياء والرسل . ثم ففي على ذلك بالثناء على القرآن الكريم وبيان أنه يهدى للصراط المستقيم ويبشر الصالحين بالأجر والثواب العظيم وينذر الكافرين بالعذاب الأليم .

#### التفسيره

إِنَّ هَلْلَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ ٱلْوَمُ ...

فاقت هداية القرآن كل هداية : فقد كان دليل الإصلاح ومصباح الإرشاد وسبيل الحكمة وآية الله الناطقة.

ففي مجال العقيدة : دعا إلى التوحيد ووضع عظمته وقدرته ودعا إلى نبذ الأصنام والأنداد.

و في مجال العبادة: شرع العبادات: ليربط المؤمن بربه عن طريق أداء الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج.

و في مجال الشريع: شرح للناس ما يلزمهم وما يحتاجون إليه في سلوكهم وحرم عليهم ما يضرهم ويودي بمجتمعهم، وبين للناس الطريقة المثلي في علاقات بعضهم ببعض: أفرادا، وأزواجا، وحكومات، وبشعريا، ووولا، وأجناسا.

إِنَّ هَنْلَنَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.

أي: الحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة .

#### قال الزمخشرى:

وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه .

وَيُسَدُّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلْلِحَدْت أَنَّ أَهُمَ أَجُّرًا كَبِرًا . أى : يبدد المخلصين في إيمانهم ، وهم الذين يعملون الصالحات كلها ويجتنبون السيئات ، أن لهم في الدنيا والآخرة ثوابا وافرا .

. ١ - وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ ...

أي: بالبعث والجزاء على الأعمال.

أَغْتُدُنَا لُهُمْ عَلَابًا أَلِيمًا .

أي: عقابا مرجعا ؛ جزاء ما ينسوا به أنفسهم من الكفر واجتراح الآثام.

وتلك هى قاعدة القرآن الأصلية فى العمل والجزاء . فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه ؛ فلا إيمان بلا عمل ، ولا عمل بلا إيمان . الأول مبقور لم يبلغ تمامه ، والثانى مقطوع لا ركيزة له ويهما مما تسير الحياة التى هى أقوم ويهما معا تتحقق الهداية بهذا القرآن .

\* \* \*

# ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنْنَنُ بِٱلشَّرِدُعَآهُ مُ بِٱلْمَيْرِ قَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿ ﴾

التفسيره

١١ - وَيُدُعُ ٱلإنسَانُ بِٱلشَّرُّ دُعَاءَهُ بِٱلْخَيْرِ ... الآية .

والمعنى: ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرحين الغفس فيقول: اللهم ، أهلكنى . اللهم، العهم، اللهم، اللهم، اللهم، اللهم، اللهم، اللعنى، كدعاته ربه بالخير بأن يهب له العافية ويرزقه السلامة ولو استجيب له في دعاته بذلك كما يستجاب له في هذا : لهلك ولكن الله بفضله ومنته لا يستجيب دعاءه ، كما قال: وَلَوْ يُعَجَّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَ ٱستُجْعَلُهُم اللهم، أَجْلُهم، أَخْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَخْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَجْلُهم، أَخْلُهم، أُخْلُهم، أَخْلُهم، أُخْلُهم، أَخْلُهم، أُخْلُهم، أَخْلُهم، أُخْلُهم، أُخْلِهم، أُخْلُهم، أُخْ

وفي الحديث «لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم ؛ أن توافقوا من الله ساعة يستجيب فيها».

وفي تفسير مقاتل ، والنيسابوري ، وابن كثير ، وجمع من المفسرين .

أن الإنسان في الآية هو النضر بن الحارث ، دعا قائلا : اللَّهُمُّ إِنْ كَانَّ هَنْلَا هُوَ الْمَقَّ مِنْ عِبْلِكُ فَأَمْطِرْ عَلَيْتَا حِجَازَةً مِّنَ السَّمَاءَ أَوْ الْعَنَا بِعَلَاسِ الْهِمِ (الأنفال: ٣٧) . فأجاب الله دعاءه وضريت رقبته صبرا ، وكان بعض الكافرين يقول النبى : انتنا بعناب الله ، وأخرون يقولون : متى هذا الوعد؟ جهلا منهم واعتقاداً أن محمدا ﷺ كاذب .

وقد يكون المعنى في الآية : أن الإنسان قد يبالغ في الدعاء طلها لشيء يعتقد أن قيه خيره مع أن ذلك قد يكون سبب بلانه وشره : لجهله بحاله ، وإنما يقدم على ذلك العمل : لكونه عجولا مفترا يظواهر الأمور غير متفحص لحقائقها وأسرارها . وَكَانَ ٱلإنسَّنُ مُجُولاً ، يسارع إلى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره، وقيل: أراد بهذا الإنسان: آدم وذلك أنه لما انتهى الروح إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى فذهب؛ لينهض ظم يقدر (\*\*).

\* \* \*

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلِيَّلُ وَٱلنَّهَارَ مَايِئَيْنَ ۚ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلنَّلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلَا قِنزَتِبِكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَكَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابُ وَكُلُّ شَقَءِ فَصَّلْنَهُ تَغْصِيلًا ﷺ 
التفسيد :

٢ - رَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَعَيْنِ ...

أي : جملناهما بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر علامتين تدلان على أن لهما خالقا حكيما ويشيان بدقة الناموس الذي لا يصبيبه الخلل مرة واحدة ولا يدركه التعطل مرة واحدة ولا يني يعمل دائبا بالليل والنهار.

فَهَحَوْنًا عَايَةَ ٱلَّيْلِ . أي : بجعلها مظلمة فكأن الليل ممحو إذا قيس إلى ضوء النهار .

قال مجاهد: حعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبين فيه شيء كما لا يستبين ما في اللوح الممحور

و جَمَالُنَا عَالَهُ ٱللَّهُ الرِّمْعِرُةُ. أَى: وجعلنا الآية التي هي النهار مضيئة ؛ لتعييز الأشياء المحسوسة وكأنما النهار ذاته مبصر بالضوء الذي يكشف كل شيء فيه الأبصار.

تُتَيَّهُواْ فَصْلاً مِّن رُبَّكُمْ . أي : فعلنا ذلك : لتطلبوا في النهار رزقا منه سبحانه بالانتشار للمعاش والصناعات والأعمال والأسفار .

وَ رَشَغُلُواْ بُعَدُهُ السُّهِنَّ . أي : ولتعلموا بمحو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة عدد السنين التي تتوقف عليها مصالحكُم الدنيوية .

وَٱلْوِسَابَ. أَى: الحساب المتعلق بما في ضمن السنين من الأشهر والليالي والأيام أو الحساب المجارى في المعابدات كالبيوع والاجارات وفي العبادات ، أي: لتعرفوا مضى الآجال المضروبة لذلك ؛ إذ لولاه لما علم أحد حسيان الوقات ولتعطك الأمور.

قال السيوطي في الإكليل:

هذه الآية أصل في علم المواقيت والهيئة والتاريخ وفي الآية لف ونشر غير مرتب.

فابتغاء الفضل يكون فى النهار ، وعلم الحساب والمواعيد يكون من أطّلام الليل ، والمخالفة بيثه وبين النهار .

وَكُلُّ مَّيْءٍ لَهُ النَّهُ تَفْصِلاً. أَى : مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم بيناه في القرآن بيانا بليفا لا التباس معه ، كقوله تعالى: وَيُوْلُنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتْبَ بِيِّيْنًا لَكُلِّ شَيْءٍ . (النمل : ٨٩) . فظهر كونه هاديا للتي هي أقرم ظهورا بينا .

وقيل: معنى رُكُلِّ هُيْءٍ لَهَنَّنَتُهُ تَفْهِيلاً أي: أبدعنا نظامه في دقة متناهية فليس شيء وليس أمر في هذا الوجود متروكا للمصادفة والجزاف. ودقة الناموس الذي يصرف الليل والنهار ناطقة بدقة التدبير والتفصيل وهي عليه شاهد ودليل.

وقال تعالى: فَالِقُ ٱلْإِصْبُاحِ وَجَعَلَ ٱلْيَلَ سَكُنَا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْفَصَرَ حُسْبَانًا ذَالِكَ تَقَدِيرُ ٱلْفَرِيزِ ٱلْفَلِيمِ . (الأنعام : ٩٦.

﴿وَكُلَّ إِنسَنِ ٱلْزَمْنَهُ طَهَيِرُمُ فِي عُنُقِهِ ۚ وَنُغْرِجُ لَهُ رَقِّمُ ٱلْقِينَمَةِ كِتَبَا يَلْقَنُهُ مَنشُورًا اللهُ اقْرَأَ كِننَبِكَ كَفَن نِنفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا اللهُّ مِّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنْمَا يَمْ تَدِى لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن صَلَّ فَإِنَّ مَا يَضِكُ كَفَن نِنفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا اللهُ مِنْ الْهَتَدَىٰ فَإِنْمَا يَتَمَا عَلَيْم

#### المقردات ،

طسمانسره، أى: عمله ، سمى به ؛ إما لأنه طار إليه من عش الغيب ، وإما لأنه سبب الخير والشر كما قالوا: طائر الله لا طائرك أي : قدر الله الغالب الذي يأتي بالخير والشر لا طائرك الذي تتشام به وتتيمن ؛ إذ جرت عادتهم بأن يتفاطوا بالطير ويسمونه : رُجِرا فإن مر بهم من اليسار إلى اليمين ؛ تيمنوا به وسموه : سانحا ، وإن مر من اليمين إلى اليسار : تشاءموا منه وسموه: بارحا.

كستسابسا، هو صحيفة عمله.

مستشسورا، أي :غير مطوى .

مسيييا: أي حاسبا، أي: عادا بعد عليه أعماله .

التفسيره

١٧ - وَكُلُّ إِنسَدْنِ ٱلْزَمْنَدَةُ طَدِيرَهُ فِي عُنُقِهِ ...

أى: الزمناه عمله الصادر منه باختياره خيرا وشرا ، بحيث لا يفارقه أبدا بل يلزمه لزرم الطوق في العنق لا ينفك عنه بحال.

قال أحد المفسرين: وطائر كل إنسان ما يطير له من عمله ، أى : ما يقسم له من العمل وهو كذاية عما يعمله ، وإلزامه له في عنقه تصوير للزومه إياه وعدم مفارقته على طريقة القرآن في تجسيم المعانى وإبرازها في صمورة حسية ، فعمله لا يتخلف عنه وهو لا يملك التملص منه .

وقال أبو عبيدة: الطائر عند العرب: الحظ ، ويقال له: البخت ، فالطائر ما وقع للشخص في الأزل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كأنه طائر يطير إليه من وكر الأزل وظلمات عالم الغيب (44 هـ.

وإنما أَصْنِف الطائر إلى العنق ولم يضف إلى اليد أو غيرها من أعضاء الجسد؛ لأن العنق هو موضع السمات الثابتة وموضع القلائد والأطوقة وغير ذلك مما يزين أو يشين .

وقال الفخر الرازى: إن توله : في عُنْقِم كناية عن اللزوم كما يقال : (جعلت هذا في عنقك) أي : قلدتك هذا العمل والزمنك الامتفاظ به ومنه يقال : (فلان يقلد فلانا) أي : يجمل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة على عنقه.

وَ تُعْرِجُ لَكُ . أَى : نظهر له ، يَوْمُ ٱلْقِيْلَمَةِ . أَى : البحث للجزاء على الأعمال ويقال له : ٱقْرَأْ كِتَلَبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيُوْمُ عَلَيْكَ جُسِياً . أَى : شهيئا بما عملت .

قال القاشاني : كِنْـبًا ، ميكلا مصورًا يصور أعماله ، يَأَقَنَهُ مَنْشُورًا ؛ لظهور تلك الهيئات فيه بالفعل مفصلة، لا مطه ما كما كان عند كونها فيه بالقوة .

١٤~ آفراً كتلبك ...

أى: اقرأه قراءة الممأمور المتمثل لأمر آمر مطاع يأمر بالقراءة . أو تأمره القوى الملكوتية سواء كان قارئا أن غير قارئ؛ لأن الأعمال هناك ممثلة بهيئاتها وصورها . يعرفها كل أحد . لا على سبيل الكتابة بالحروف ؛ فلا يعرفها الأمى .

كُفّى بِتُفْسِكُ أَلْيُومَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ، لأن نفسه تشاهد ما فعلته لازما إياها ، نصب عينها ، مفصلا لا يمكنها الإنكار (٥٠).

والتعبير القرآنى بإخراج كتاب الإنسان منشورا يوم القيامة يصور عمله مكشوفا لا يملك إخفاءه أو تجاهله أن المغالطة فيه . ويتجسم هذا المعنى في صورة الكتاب المنشور ، فإذا هو أعمق أثرا في النفس وأشد تأثيرا في الحس ، وإذا الخيال البشرى ، يلاحق ذلك الطائر ويلحظ هذا الكتاب في فرع طائر من اليوم العصيب الذي تتكشف فيه الخبايا والأسرار ولا يحتاج إلى شاهد أو حسيب .

ه ١ - مَّن ٱهْعَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْعَدِي لِتَفْسِهِ .

قال أبو السعود:

من اهتدى بهداية القرآن وعمل بما في تضاعيفه من الأحكام وانتهى عما نهاه ؛ فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتخطاه إلى غيره ممن لا يهتدى ، وَمَن صَلَّ . أى : عن الطريقة التي يهديه إليها ؛ فَإِنَّمَا يُعَلِّمُ عَلَيْهَا . أى : وبال ضلاله عليها ، لا على من عداه ممن لم يباشر الضلال ، فقوله ؛ وَلا تَرِرُ وَارِرُةُ ورْرُ أُحَرَى. مؤكّد لما قبله للاهتمام به .

## قال أبو السعود :

أى: لا تحمل نفس هاملة للوزر، وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل إنما تحمل كل منهما وزرها . وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وُكُلُّ إِنسَانٍ ٱلْزَشْنَةُ طُلِّرُهُ فِي مُثَقِّهِ . ا هـ .

وفي الآية تقرير لمبدإ التبعة الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه وتجعله مسئولا عن عمله ، إن اهتدى طنفسه وإن ضل فعليها ، وما من نفس تحمل وزر أخرى ، وما من أحد يخفف حمل أحد إنما يسأل كل عن عمله ويجزى كل بعمله ولا يسأل حميم حميما .

إن الله سبحانه لا يحاسب الناس جملة بالقائمة إنما يحاسبهم فردا فردا كل على عمله وفي حدود واجبه، ومن واجب الفرد أن ينصح وأن يحاول الإصلاح غاية جهده، فإذا قام بقسطه هذا فلا عليه من السوم في الجماعة التي يعيش فيها فإنما هو محاسب على إحسانه ، كنلك لن ينفعه صلاح الجماعة إذا كان هو بذاته غير صالح.

على هذا نرى الإسلام يذكر أشد الإنكار فكرة بيع صكوك الغفران القائمة على أن كنوز الصالحات تدخر من أعمال الصالحين؛ ليهاع منها لغيرهم ، تلك الفكرة تناقض أمبولا مشهورة ونصوصا صريحة فى القرآن ، والآيات المناهضة لفكرة بيع الترية وكنوز الصالحين كثيرة فى القرآن ، منها :

قوله تعالى : كُلُّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً . (المددر: ٣٨) .

وقوله سيحانه: ثُهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ . (البقرة: ٢٨٦).

والآية التي نفسرها: مُن ۗ اَفْتَدَىٰ اَلْإِنَّمَا يَهْتَدِي لِتَفْسِهِ وَمَن صَّلُ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَوِرُ وَازِرَةٌ وِزُرَ أَحْرَىٰ ... إلى غير ذلك من المشواهد التي تؤيد أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

كذلك لا غرابة في أن ينكر الإسلام الاعتراف بالذنب لرجل الدين حتى تصح التوية ويمحى الذنب؛ إذ أساس الإسلام أن الله وحده يقبل التوية عن عباده ويعفو عن السيئات.

وَهَا كُنَّا مُعَلَّمِينَ حَتَّىٰ لَبْعَثَ وَسُولاً .

أى: وما صنح وما استقام منا أن نعذب قوما قبل أن نبعث إليهم رسولاً يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال : إقامة للحجة وقطعًا للعذر ، والعناب أعم من الدنيوى لقوله تعالى : وَلَوْ أَلَّا أَعَلَكُسُهُم بِعُذَابٍ مُّ يُتِلِهِ تَقَالُوا رُبِّنَا لُولاً أَرْسُلُتَ إِلِّنَا رَسُولاً قُشِعَ مَاتِيْكِ مِن قَبِل أَنْ لَذِلَّ رَعُوْقى . (عد : ١٣٤).

وقال تعالى : كُلْمَا ٱلْقِيَ فِيهَا فَقْ جُ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا آلَمْ يَأْتِكُمْ نَابِيرٌ هَ قَالُواْ بَلَئَ فَذَ جَاءَنَا نَابِيرٌ فَكُلْبَا وَقُلْنَا مَا نُزُلُ آللُهُ مِن شَيْعٍ إِنْ أَنْهُمْ إِلاَّ فِي خَلْلُ كَبِيرِ . (الدلك : ١، ٩) .

إلى خحر ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى لا يدخل أحدا التار ، إلا بعد إرسال الرسل إليه . قال قعادة : إن نشد لا يعذب أحدا حتى يتقدم إليه بخبر أو بينة ولا يعذب أحدا بذنبه .

و محلاصة ذلك: أن سنتنا المبنية على الحكم العالية ألا نعنب أحدا أى نوع من العذاب الدنيوى أو الأخروى على فعل شىء أو تركه: إلا إذا أرسلنا إليه رسولا يهدى إلى الحق ويردع عن الضلال ويقيم الحجج ويبلغ الدعوة. قَالَ الإمام الْعَرَالَى: الناس بعد بعثة الرسول ﷺ أَصناف ثلاثة :

- (أ) من لم تبلغهم دعوته ولم يسمعوا به أصلا وأولئك مقطوع لهم بالجنة .
- (ب) من بلغتهم دعوته وظهور المعجزات على يديه ، وما كان عليه ﷺ من الأخلاق العظيمة والصفات
   الكريمة ، ولم يؤمنوا به كالكفرة الذين بين ظهرانينا : وأولئك مقطوع لهم بالنار .
- (جـ) من بلغتهم دعوته ﷺ وسمعوا به ولكن كما يسمع أعدنا الدجالين وحاشا قدره الشريف عن ذلك وهولام أرجر لهم الجنة إذا لم يسمعوا ما يرغبهم في الإيمان به .

يريد الغزالى بهذا أنهم سمعوا عنه أهبارا مكذوبة وعن دينه أهبارا لا تنطبق على حقيقته كما يفعل رجال الكنائس فى تشويه أخبار الرسول بأنه مزواج مطلاق وأنه كان متهالكا فى حب النساء ، وأن دينه دين وثنية ! لأنه كان يسجد للكعبة وأنه خالف جميع الأنبياء واتجه إليها ولم يتجه لبيت المقدس ، وأن القرآن كثير المتناقضات كثير التكرار للقصص وفيه كذب ، إلى نحو أولئك مما يقولون وهم لا يقولون إلا ترمات وأباطيل .

فالشرط عند الفزالي أن تبلغ الإنسان الرسالة على نحو يحرك فيه داعية القبول. فلو لم تبلغه الرسالة أو بلغته بصورة مشوهة فليس من حكمة الله أن يعذبه لقوله سبحانه: وَمَا كُنَّا تُعَدِّينَ حَتَّى لِنُعَثِّ رَسُولاً

قال صاحب الكشاف: معناها: ما يصبح منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعنب قوما إلا بعد أن نبعث إليهم رسولا فيلزمهم الحجة.

\* \* \*

# ﴿ وَإِذَا ٓ أَرُدُنَاۤ أَن تُهُلِكَ فَرَيَّةً أَمَرْنَا مُتَرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّى عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرَنَاهَا تَدْمِيرًا ۞ ﴾

#### التفسير

١٦ - وَإِذَا أَرْدُنَا أَن لَهْلِكَ قَرْيَةُ أَمْرُنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقُولُ فَنَمَّرُنَى لَهَا تَدْهِيرًا .

المترفون في كل أمة مم : طبقة الكبراء المتجبرين الذين يجدون المال والخدم والراحة فينعمون بالدعة : حتى تترهل نفوسهم وتأسن فترتع في المجانة والفسق ، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات ، التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها ، وتلغ في الأعراض والحرمات ، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم: عائوا في الأرض فسادا ، ونشروا الفاحشة وأشاعوها ومن ثم تتحلل الأمة وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها فتهاك وتطوى صفحتها . والإسلام يفرق بين الغنى والترف ، فإذا كنا في مجتمعنا نعمل من أجل «الكفّاية» فنحن تحارب «الترف» في نفس الوقت .

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف ، وسننا لا تنبدل ، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته ، فالقانون الذى يمكن أن نخرج به من آيات متعددة من كتاب الله هو ارتباط الترف بالإفساد ، وهؤلاء المترفون من أشد من يقارم الحق والتغيير في المجتمع . ويقول الله تعالى هذا في قاعدة شاملة في القرآن : وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْبَةٍ مَن نَّلِيهٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسِلْتُم بِهِ كُنْهُ وَنَ (الله عالم) .

ولقد ذكر الله: الترف في ثمانية مواضع من كتابه الكريم ليس فيها واحد في مجال المدح أو الإطراء، وإنما ترتبط بالظلم والفسق والإفساد في الدنيا والمغاب في الأخرة.

والآية التى نشرحها تقرر: سنة من سنن الله فى هذا الوجود وهى: أن الله تعالى إذا قدر لقرية أنها 
هالكة ؛ لأنها أخذت بأسباب الهلاك ، فكثر فيها المترفون ، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم ؛ سلط الله 
هؤلاء المترفين ، ففسقوا فيها فعم فيها الفسق فتحالت وترهلت وفقدت لباسها الحربى والتمسك بدينها ، 
فحقت عليها سنة الله ، وأصابها الهلاك والدمار ، وهى المسئولة عما يحل بها ؛ لأنها لم تضرب على أيدى 
المترفين ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين .

فرجورد المترفين ذاته : هم السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا ، ولو أُعدُت عليهم الطريق قلم تسمح لهم بالظهور فيها : ما استحقت الهلاك وما سلط الله عليها من يفسق فيها ريفسد فيقودهما إلى الهلاك .

ووجود المترفين دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها ، وسارت في طريق الانحلال ، وأن قدر الله سرصيبها جزاء وفاقا ، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة .

فالإرادة هنا ليس معناها: أن الله يريد إهلاك قوم ابتداء فيترسل إليه بأن يأمرهم فيفسقون فيهلكهم، فإن إرادة ضرر الغير ابتداء من غير استحقاق الاضرار – كالاشرار كذلك – مما ينزه عنه تعالى لمنافاته للحكمة ، كما أن الأمر ديس أمرا بالقسق ؛ لأن الله لا يأمر بالقسق ولا يأمر بالقحشاء .

فالإرارة هنا في الآية ليست إرارة للتوجيه القهرى الذي ينشئ السبب، ولكنها ترتب النتيجة على السبب، ولكنها ترتب النتيجة على السبب، الأمر الذي لا مفر منه ؛ لأن السنة جرت به ، والأمر ليس أمرا توجيهيا إلى الفسق ، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي القسق .

وجميع علماء الكلام متفقون على أن أفعال العباد الاختيارية صادرة بمجموع الإرادتين والقدرتين بإرادة العيد وقدرته تسببا وكسبا ، ويارادة الله وقدرته خلقا وليجادا وتقديرا . وأن سُثّة الله في خلقه جرت بريط تعلق إرادته وقدرته بفعل العبد على إرادة العبد وقدرته ، كما اتفقوا على أن تعلق إرادة الله وقدرته تابع لعمله الذى لا يتنظف . فما علم أنه يكون تتعلق به إرادته وقدرته تعالى بكونه وإيجاده وإلا لانقلب العلم . جهلا وهو محال عليه تعالى .

لَفَكُرُنَكُمْ لَلْهِمُ لَلْهِمِرًا . والتدمير : الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء فالآية تدل على إهلاك أهل القرية على أم القرية على أم الله وجه ، وإهلاك جميعهم لمدور الفسق عنهم جميعا فإن غير المترف يتبعه عادة . وقيل : هلاك المجميع لا يتوقف على التبعية فقد قال سبحانه : وَأَهُواْ فِيَهُ لا تُعْمِينُ ٱللّٰهِنُ ظَلُمُواْ مِسْكُمْ عَآصَةُ (الانفال : ٥٧) ومع عن أم الدؤمنين زينب بنت جحش أن النبي في دلى عليها فزعا يقول : «لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرقد اقترب فتح اليوم من ردم يأجرج ومأجوج مثل هذه اوحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها» . قالت زينب: قلت: يا رسول الله ، أنهاك وفينا المسالحون ؟ قال : «نعم ، إذا كثر الخبيث» فتبعة الجماعة تظهر في ترك النظم الفاسدة تنظئ آثارها التي لا مفر منها ، وعدم الضرب على أيدى المترفين فيها كي لا يفسقوا فيها النظم الغلول فيدمرها تدميرا .

هذه السنة قد مضت فى الأولين من بعد نوح قرنا بعد قرن كلما فشت الذنوب فى أمة انتهت بها إلى ذلك المصير .



# ﴿ وَكُمْ أَهْلَكُنَامِكَ ٱلْقُرُونِ مِنْ مَقِيقُوجٌ وَكُفَى مِرَاكَ بِذُنْوَبِ عِبَادِهِ خِيرًا مِعِيرًا صَلَ

المفردات :

السسة سسوق القوم المقترنون في زمان واحد، والقرن: ثمانون سنة أو مائة سنة ، أو مائة وعشرون سنة. من يسعد نسوع ، أى: من بعد زمن نوح ؛ لأن نوحا أول رسول آذاه قومه فاستأصلهم العذاب. وذكر نوح عليه السلام رمز إلى ذكر قومه .

التفسيره

١٧- وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوح ...

كان القرآن يقص عليهم أمر الطوفان الذي أهلك العصاة من قوم نوح وأمر الريح التي أهلكت عادا حين عصوا أخاهم هودا وأمر الصيحة التي أهلكت ثمود حين عصوا أشاهم صالحا ، ويقص عليهم ما جرئ على قوم لوط حين أمطرتهم السماء حجارة مسمومة ، وما جرئ على أهل مدين حين أهلكتهم الرجفة لما عصوا موسى . كان يخوفهم أن يلم بهم مثل ما ألم يهذه الأمم من ألوان العذاب في الدنيا إلى ما ينتظرهم في الأخرة من العذاب المقيم وَ كُلُيْ يُرِبَّكَ ... وكفي ربك خبيرا بصيرا بذنوب عباده ، أي : يحيط يظواهرها ويواطلها فيعاقب عليها .

\* \* \*

# ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْمَاحِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآهُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّرَ جَعَلْنَا لَهُ حَهَمَّمَ يَصْلَنهَا مَذْمُومًا مَّذْحُورًا ۞﴾

#### التفسيره

١٨ - مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْقَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ... الآية .

إن من أراد أن يعيش لهذه الدنيا وجدها ، من غير أن يريد معها الأهرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كَانَّ ههنا مع الاقتصار على مطلق الإرادة في قسيمه الآتي وَمَنْ أَرَادَ ٱلآجُرَةُ .. فإن الله يعجل له حظه في الدنيا حين يشاء ، وتقييد المعجل له يما نكر من المشيئة والإرادة : ليبيان أن المكمة التي يدرد عليها أمر التكوين لا تقتضي وصول كل طالب إلى مرامه ، ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه .

ثم جعلنا له في الآخرة مكان ما عجلنا له في الدنيا ؛ جهنم وما فيها من أصناف العذاب يُعَشِّلُها. يدخلها أن يقاسي حرها . مُلْمُومًا ، بما ارتكب . مُلَّحُورًا ، بما انتهى إليه من عذاب ومطرودا من رحمة الله .

فالذين لا يتطلعون إلى أعلى من الأرض التي بعيشون فيها فإنهم يتلخون بدنسها ورجسها ويستمتعون فيها كالأنمام ويستسلمون فيها للشهوات والنزعات ، ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يزدى بهم إلى جهذم.

\* \* \*

# ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَمَا سَعْيَهَا وَلَهُو مُؤْمِنٌ قَأُولَتِكَ كَانَ سَعْيَهُم

التفسيره

١٩- وَمَنْ أَرَادَ ٱلآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلِكَ كَانَ سَعْيَهُم مُشْكُورًا.

ومن أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم ، وسعى لها سعيها أى : السعى اللائق بها فيؤدى تكاليفها وينهض بتبعاتها ، وغائدة اللام في قوله : أنها اعتبار النية والإخلاص ، وهو مؤمن إيمانا صحيحا لا يشويه شىء قادح فيه . وإيراد الإيمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لإرادة الآخرة والسعى لها ، فلا تنفع إرادة ولا سعى بدونه ، وفى الحقيقة هى الناشئ عنه إرادة الآخرة ، والسعى للنجاة فيها وحصول الثواب .

والسعى للآخرة لا يحرم المرء أن يأخذ بقسط من المتاع في الحياة الدنيا ، بل الإسلام يحض المرء على هذا المتاع ويكلفه إياه تكليفا ؛ كيلا يتزعد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها ، لقد خلق الله طبيات الحياة : ليستمتع بها الناس ، وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها ، فتنمر الحياة وتتجدد وتتحقق علاقة الإنسان في هذه الأرض ، ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة فلا ينحرفون عن طريقها ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها .

وإذا كان الذى يريد العاجلة بنتهى إلى جهنم مذموما مدحورا فالذى يريد الآخرة ويسعى لها سعيا رهو مؤمن ينتهى إليها مشكورا يتلقى التكريم فى الملإ الأعلى جزاء السعى الكريم لهدف كريم .

وإن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام ، فأما الحياة للأرض حياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله الذى خلقه فسواه وأودع روحه ذلك السر الذى ينزع به إلى السماء وإن استقرت على الأرض قدماه .

هذان اللونان من الحياة : لون الحياة الحيوانية أن الطفولة الإنسانية ، ولون الحياة المثالية ، قديمان في تاريخ الإنسانية قدم الإنسانية نفسها والخصومة بينهما قديمة منذ وجودهما وتعارضهما ، ورسالات الأديان السمارية في غايتها وجوهرها تدفع الإنسان إلى الحياة المثالية أو حياة الرعد الإنساني على حين انقسمت فلسفة الإنسان منذ القدم أيضا إلى اتجاهين يدفع كل اتجاه منهما إلى لون من هذين اللونين ، فعدرسة الماديين تدفع إلى الفرع الحيواني ، ومدرسة المثاليين أو المدرسة الإنسانية تدفع إلى حياة الأهداف البعيدة وراء حفظ البقاء الفردى والنوعي .

والإسلام كصورة كاملة وواضحة للدين السماوى يخاصم الوجودية المادية خصومة عنيفة : إذ ينظر للإسلام كصورة عنيفة : إذ ينظر للإنسان على أنه الرشيد وصاحب التأميل للقيادة في هذه الحياة وَهُوْ اللّهِي جَعَلْكُمْ خَلْتِهُمْ الأَرْضُ وَرَفُعَ بِمُعَكُمْ فُوْ فَاتَعْمَ وَكَامَ المَّاسَةِ المُحَامِدَ المُعَلَّمُ فَلَ فَيْ الحياة توفير المذافع المخاصة المتحسلة بالجانب الحيواني فيه بل هدفه أبعد من ذلك كليزًا قُلْ إِنْ صَارِّي وُلُسُكِي وَمُحَيَّاى وَمُمَاتِي لِلْهُ رَبُ المُعلِّمِينَ وَلَمُ اللهِ وسالكا المتحسلة الذي خطته الرسالة السماوية .

# ﴿ كُلَّانُمِدُّ هَٰ تُؤْلَا ءِ وَهَٰ تُؤَلَّا مِنْ عَطْلَةِ رَبِّكَ وَمَاكَانَ عَطَاةً رُبِّكَ تَخَفُّونًا ۞ ﴾

# المضردات ا

ئىمىد: نزيد مرة بعد مرة.

#### التفسيره

كلا الغريقين ، من يطلب الدنيا فيعطاها ومن يطلب الأخرة فيلقاها نعد بالعطايا العاجلة من عطاء 
ربك الواسع وفضله السابغ ، وعطاء الله لا يحظره أحد ولا يمنعه ، فهو مطلق تتوجه به المشيئة حيث تشاه ، 
فالثراء والغنى ليس آية على رضاء الله فهو يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويضيقه لأسباب أغرى غير 
الرضا والغضب . فالله يرزق في الدنيا مريدى العاجلة الكافرين ، ومريدى الأخرة المؤمنين ، وبعد الجميع 
بالرزق ، فهو لا يمنعه عن كافر لكفره ولا عن عاص لعصيانه ، بل يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة ويصر.

#### \* \* \*

# ﴿ ٱنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِزَةُ ٱكْبُرُدَرَ حَنْتِ وَأَكْبُرُ تَغْضِيلًا ١٠٠

#### التفسيره

٢١ – ٱلْظُوْ كَيْفَ فَصْلُنَا يَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ وَلَلاَخِزَةُ أَكْبُرُ ذَرْجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً .

التقاون بين الناس فى الدنيا ملحوظ بحسب وسائلهم وأسبابهم واتجاهاتهم وإعمالهم . من وضبع ورفيع ، ومالك ومملوك ، وموسر ومسطوك ، وعالم وجاهل ... إنغ . وإذا كان هذا التفاوت فى متاع الحياة الدنيا القلول الهزيل فكيف التفاوت بينهم فى الآخرة التى لا تزن فيها الدنيا كلها جناح بعوضة ، لا شك أن التفاوت الحق والتفاضل الضخم هو هناك فى الآخرة : لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها المالية، وفى ذلك ظبينافس المتنافسون ، لا فى زخارف الدنيا ومتاعها الزائل .

# ﴿ لَا يَعْمَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَيَّهَا ءَاخَرَ فَنَقَعُدُ مَذْمُومًا غَغْذُولًا ۞ ۞

التفسيره

٢ ٢ - لا تَجْعَلُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَىٰهَا ءَاحَرَ فَتَقَعُدَ مَلْمُومًا مُخْلُولاً .

والخطاب للنبي ﷺ ولكنه في الحقيقة عام للمكلفين ويحسن أن يقال : إن الخطاب للإنسان كأنه ليل: يا أيها الإنسان ، لا تجعل ، أو القول مضمر . أي : قل لكل مكلف : لا تجعل ، والأمر عام في حقيقته ولكنه وجه إلى المفرد ؛ ليحس كل فرد أنه أمر خاص به صادر إلى شخصه ، فالاعتقاد مسألة شخصية مسئول عنها كل فرد بذاته ، والماقبة التي تنتظر كل فرد يحيد عن التوحيد أن يُقْعَد مَلْمُومًا ؛ بالفعلة النميمة التي المعملة المهمية المنافقة عليه ، مُخْدُولًا لا ناصر له ، ومن لا ينصره الله فهو مخذول وإن كثر ناصروه ، ولفظ : فَتَقَعَدُ يصور هيئة المذموم الصخدول وقد حط به الخذلان فقعد ، ويلقي ظل الضعف ، فالقعود هو أضعف هيئات الإنسان وأكثرها استكانة وعجزا فإن السعى إنما يتأتي بالقيام والعجز عنه يلزمه أن يبقى قاعدا عن الطلب .

ونحلاصة المعنى: لا تجمل أيها الإنسان مع الله شريكا في عبادته فقصهر مذموما على الشرك مخذولا من الله ، يكك إلى ذلك الشريك ولا ينصرك . قال تعالى : وَإِنْ يَعْفَلْكُمُّ فَمَنْ ذَا ٱللَّذِي يَنَصَرُكُمْ مُنْ يَعْفِد . (ال عمان: ١٦٠)

\* \* \*

#### مكارم الأخلاق في سورة الإسراء

اشتمات الآيات من ٣٣ إلى ٣٩ على جملة من الوصايا والآداب التى تسهم فى تربية الأفراد وتماسك المجتمع وترابطه وذكر ابن عباس: أن هذه الوصايا هى خلاصة ما ورد فى التوراة ومجمل هذه الوصايا ما يأتى:

١ ~ عبادة الشوحده	الآية ٢٣
٢ – پر الوالدين	الأياد ٢٣ – ٢٥
٣ - صلة الرحم	الآية ٢٦
٤ – العملف على المسكين وابن السبيل	۲٦ تيآيا
» – النهى عن الخِفل والتبذير	الآيات ۲۷ – ۲۹
٣ - النهى عن قتل الأولاد	الأية ٢١

الجزء الخامس عشر	الإسراء(٢٣)	\TT
٧ – النهي عن الزنا		الأية ٢٣
٨ — النهي عن قتل النفس		الآية ٢٣
٩ — النهى عن أكل مال اليتيم		الأية ع٣
٠١- الأمر بالوفاء بالعهد		الأية ع٣
١١ – الأمر بالوفاء بالكيل والميزان		الآية ٣٥
١٧ – الأمر بالتثبيت في القول		٢٦ ٤ ١١
٩٣ – النهي عن الخيلاء والكبر		18,5 PT
١٤ – النهى عن الشرك بالله		الأية ٢٩
وإليك نص هذه الآيات ثم تفسير،	.L	

﴿ وَفَضَىٰ رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِنَاهُ وَإِلْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَر أَحَدُ هُمَا ٓ أَوْكِلاَهُمَا فَلَا تَقُلُّكُمَا ۚ أَنِّي وَلَا نَتْهُرُهُمَا وَقُل لَهُمَا فَوَلَا كَرِيمًا ۖ

### المطردات: قضي: أي:حكم وأمر.

أف ، اسم صوت ينبئ عن التضجر والتألم ، يقال : لا تقل لفلان : أف ، أي : لا تتعرض له بنوع من الأذى والمكروه .

الشهر، الزجر بغلظة .

كريما: أي: جميلا لا شراسة فيه ، قال الراغب: كل شيء يشرف في جنسه يقال: إنه كريم .

### الآبية مفتاح لمكارم الأخلاق

تصدرت هذه الآية جملة من الوصايا والأوامر والنواهي التي تتعلق بآداب السلوك في واقع الحياة . وهي : الأمر بمبادة الله يحده والتزام أوامره واجتناب نراهيه ومن هذه الأوامر :

بر الوالدين ، وصلة الرحم ، والحطف على المسكين وابن السبيل في غير إسراف ولا تبذير، وتحريم قتل الذرية ، وتحريم الزنا ، وتحريم القتل ، ورعاية مال اليتيم ، والوغاء بالعهد ، وتوفية الكيل والعيزان ، والثثبيت في القول ، والذهبي عن الخيلاء والكبر . وتنتهى الأوامر بالتحذير من الشرك ، فهذه الأوامر كلها محصورة بين الأمر يطاعة الله ، والنهى عن الإشراك به ، والتزام الفضائل التي دعا إليها ، والبعد عن الرذائل التي حذر منها ومما يساعد الإنسان على هذا السلوك المهذب عقيدته الصادقة التي تقوم على الإيمان بالله ولتباع شريعته وهديه تلك الشريعة التي يقوم عليها بناء الحياة وسعادة المجتمع

#### التفسيره

٣٣ - وَقَعَنِي زَلُكَ أَوْ تَعِبُدُوا إِلاَ إِيَّاهُ وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَا إِمَّا يَشَلَقَنَّ عِندَكَ ٱلْكِيَّرَ أَحَدُهُمَّا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَهُمَّا أَمَّى " وَلاَ تَفَهَرُهُمَا وَقُل لَهُمَّة قَوْلاً كُوبِهَا .

أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نفوده بالعبادة وأن نخصه بالقرحيد وهذا معنى إِبَّاكَ مُقِبَّدُ وَإِبَّاكَ مُسْتَعِين أي : لا تعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك فأنت نعم العولى ونعم المعين .

ثم أمريا الله بالإحسان إلى الوالدين وبالغ في هذه الوصية وكررها في القرآن الكريم؛ لأن الوالدين أصل حياة الإنسان فالله هو الخالق الموجد المسبب . والوالدان هما السبب المهاشر لوجود الإنسان وقد تحملا في سبيل رعايته وتربيته وتهذيبه كل صعب وذلول .

فوجب أن يكافأ الإحسان بالإحسان وأن ترد التحية بأحسن منها خصوصا عند العجز والشيخوهة. فذلك هو التضامن الاجتماعي والتكافل الإسلامي الذي يحفظ للأسرة تماسكها وترابطها .

إن الكرام إذا منا أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الخشن

وقد يسأل سائل: لم تكررت وصية الله للأبناء بأن يبروا آباءهم ولم تتكرر وصيته للآباء بأن يبروا أبناءهم؟

والجواب سهل ميسور: ذلك أن الغريزة والقطرة تدفع الوالدين إلى رعاية الأولاد والتضحية بكل شيء في سبيلهم وكما تمتص النبتة الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، ويمتص القرح كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر ، كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين فإذا هُما شيخوخة فانية – أن أمهلهما الأجل – وهما مع ذلك سعيدان .

فأما الأولاد نسرعان ما ينسون هذا كله ، ويندفعون إلى الأمام ، إلى الزوجات والنرية .. وهكذا تندفع الحياة. ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى التوصية بالأبناء ، إنما يحتاج الأبناء إلى تذكيرهم بحق الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف .

وهنا يجيء الأمر بالإحسان إلى الوالدين في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد، بعبادة الله.

ثم تأخذ الآيات في تأكيد هذا المعنى وتحريك عاطفة الحتان والرحمة في صدر الأبناء نحو الآباء فتقول : إِنَّا يُتُلُفُنُّ صِنَاكُ ٱلْكِيْرَ أَخَلُهُمَا أَوْ كِلْأَهُمَا . (الإسراء: ٣٢) والكبر له جلاله ، وضعف الكبر له إيحاؤه ، وكلمة عِندُكُ تصور معنى الالتجاء والاحتداء في حالة الكبر والضيف.

أى: إذا وصل الوالدان عندك أو أحدهما إلى حال الضعف والعجز وصارا عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله : وجب عليك أن تشفق عليهما ، وأن تعاملهما معاملة الشاكر لمن أنهم عليه ويتجلى ذلك بأن تتهم معهما الأمور الآتهة :

- (أ) ألا تتأفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما حتى لو كنت تقضى لهما جميع الأمور التي كانا يقضيانها لك وأنت صعفير فاستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال ، ولا تقل لهما إذا أضبوك ما يستقدر منهما ، أو يستثقل من مؤنتهما : أف ، فضلا عما يزيد عليه ، وفي الأثر : لو علم الله أدني من أف لقالها .
- (ب) وَالاَ تَشْهُرُهُمُا ولا تنغص عليهما بكلام تزجرهما به بفلظة بل استعمل الرفق واللين والأدب وتحمل منهما:
   لأن لهما عقلية وتذكيرا وآراء تناسب ضعفهما ، قال تعالى :

آللَّهُ ٱلَّذِي عَلَقَكُم مِّن صَعْفَر مُمْ جَعَلَ مِن يَعْدِ صَفَعَرِ قُولَةً كُمَّ جَعَلَ مِن يَعْدِ قُولِةٍ وَخَفْقًا وَخَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءً وَهُوَ آلْفِلِيمُ ٱلْقَدِيمُ . (الربيم : ٥٠) .

وقد يكون أهدهما جائزا أو ظالما أو مغالفا لك في الرأي قحاول أن تنفذ له أمره ولو كان على خلاف. رأيك ما لم يكن إثما أو نتبا ؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

( ج.) وَقُلْ نُهُمَا قُولاً كُورِهَا . أي : قولا حسنًا رقيقا فإن الإنسان في هذه السن الكبيرة كالمريض يمتاج إلى البسمة الجميلة والكلمة الطبية التي تشرح صدره وتشعره بأنه صاحب الجميل السابق والفضل المتقدم فالأب في كبره ينتظر من ابنه العرفان والثناء ، فهذا العرفان يشيع فهه السرور والرضا ويقنعه أنه ليس عالة ولا ثقلا بل هر يسترد معروفا سابقا ويجنى ثمرة غرسها بيديه الكريمتين .

أما إذا قبابلته بالعقوق والجحود : فإنه يأسى على ما قدم لك من رعاية حانية فى عمرك الطويل كما قال الشاعر العربى يعدد نعمه على ولده وقد عقه فى كبره :

ا تعلی بما أجنى علیك وتنهل ت اسطمار أتمانمال ت اسطمال الاساهار أتمانمال علی طرفت به دونی فعینی تهمال اسمارت وقت مؤجل

غـنونك مواـودا وعـلـنك يــافـعـا إذا لـيـلـة ضـافـتك بــالاسـقم لـم أبت كــانـى أنـا الـمطـروق دونك بــالـذى تـــخـاف الـردى نـفسـى عـليك وإنـهـا اليها مدى ما كنت فيك أؤمل كأنك أنت المنعم المتفضل فعلت كما الجار المجاور يفعل فلما بلغت السن والغاية التي جمعات جزائي غلظة وفظ اظة في السيادي في السيادية إذ لح تبرم حيق أبسوتي

\* \* \*

# ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُ مَاجَنَاحَ الذُّلِّي مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل زَّتِ ٱرْحَمْهُ مَا كَأَرْبَيَا فِي صَغِيرًا ٥٠٠٠

\$ ٧- وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاعَ ٱلذُّلُّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ...

حفض الجناح برك به : التواضع والتذلل (\*\*) . من الرحمة : أي : من فرط رحمتك بهما وعطفك عليهما لكبرهما وانتقارهما إليك .

وَقُل زُّبُّ آزْحَمْهُمَا كَمَا رَبُّيَّالِي صَغِيرًا.

أى: رب تعطف عليهما برحمتك ومغفرتك ، كما تعطفا علىٌ في صغرى ، فرحماني وربياني صغيرا. حتى استقللت بنلسى واستغنيت عنهما .

قَالَ الْرَمَعُشرَى: أَى: لا تَكتَف برحمتُك بهما بل ادع الله أن يرحمهما برحمته الواسعة ، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما بك في معفرك وتربيتهما لك (٣٠) .

وكلما كرر الإنسان قراءة هذه الآية ؛ استشعر جمال التعبير القرآنى وتلطفه فى الوصول إلى حنايا النفس البشرية ، وروعته فى تصوير الرحمة تصويرا رقيقا لطيفا حتى لكأنها الذل الذى لا يرفع عينا ولا يرفض أمرا وكأنما للذل جناح يفقف إيذاتنا بالسلام والاستسلام ، وَقُل رُبَّأَرْ حَمْهُما كُمَّا رَبَّاتِي صَغِيرًا فهى الشكرى المانية ، ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الوائدان ، وهما اليوم فى مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان . وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع ورعاية الله أشمل ، وجنات الله أرحب، وهو أقدر على جزائه الأبناء .

والغلاصة: أن الله سبحانه قد بالغ في التوصية بالوالدين مبالغة تقشعر منها جلود أهل العقوق وتقف عندها شعورهم من حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته ثم شفعها بالإحسان إليهما ، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من التضجر ، ثم أمر بالذل والخضوع للوالدين وبالدعاء لهما والترجم عليهما ؛ فهي خمسة أمور مرتبة كالآتي :

٧ — الاحسان إلى الوالدين .

٢ -- عدم التأفف والتضجر وعدم إيذائهما بالقول أو بالفعل.

التلطف في الخطاب والتأنب فيه ، مثل ذلك ألا ينادى أحدهما باسمه مجردا ولا يرفع صوته عليه بل
 يقول: يا أبي ويا أمي ولا يتكبر من أن يقبل يدهما ويبالغ في خدمتهما ولحترامهما.

- حفض الجناح ولين الجانب كما يفعل الطائر الذليل ، لا خوفا ولا رياء ولكن رحمة ورأفة بالسن الكبيرة
 والشيخوجة المتداعبة .

٥ -- الدعاء لله أن يرجمهما وأن يشعلهما بعطفه ورضاه في الدنيا والآخرة.

\* \* \*

# ﴿ زَيُّكُوْ أَعْلَوُ بِمَا فِي نَفُو سِكُو ۗ إِن تَكُونُواْ مَالِحِينَ هَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّ بِيكَ عَفُولًا ﴿ ﴾ المفددات:

. الأواب، الذي ديدنه الرجوح إلى الله والالتجاء إليه ، قال سعيد بن جبير : هو الرجل تكون منه البادرة إلى

التفسيره

. ٥٧- رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ...

أبيه لا يريد بذلك إلا الخير.

أى: بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات .

إِنْ تَكُونُواْ صَلِّاحِينَ قاصدين الصلاح والبر إلى الوائدين دون العقوق ثم بدرت متكم بادرة في حقهما فأنبتم إلى الله واستغفرتم منها .

فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَرْسِنَ غُفُورًا . أي : التوابين الرجاعين إليه تعالى بالندم عما فرط منهم فإنه يغفر لهم ما اكتسبوا: وفي هذا وعد لمن أضمر البر بهم ووعيد لمن تهاون بحقوقهم وعمل على عقوقهم .

والآية كأنها ترد على تساؤل في النفس فإذا قال قائل: كيف يقوم بحقهما وقد تبدر بوادر. فأجابت الآية بأن الأمر كله لله الذي يعلم النوايا ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال.

فإذا كان الابن بارا ثم بدرت بادرة أو هفا هفوة بدون قصد الإساءة وأعقب ذلك بالندم والاستغفار؛ فإن الله يغفر له ذنبه ، ويجوز – كما قال الزمخشرى – أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ، ويندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته ؛ لأن الآية وردت في أعقاب الوصية بالوالدين .

# الأثار في الوصية بالوالدين

وردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ووصايا السلف الصالح تؤكد حق الوالدين وتأمر الأبناء برعايتهما والإحسان إليهما وتُمَثِّل أخطائهما والبر بهما والتلطف في القول معهما ، فهذا نوع من رد الجميل ومن مقابلة الحسنة بمثلها .

#### (1) 心趣:

«عقوا ؛ تعف نساؤكم ، ويروا آباءكم ؛ تيركم أبناؤكم» (٢٠).

«بر أمك وأباك وأختك وأشاك ، ثم أدناك فأدناك» (10) .

وروى الإمام أحمد : أن رسول الله علم قال :

مرغم أنف رجل ؛ ذكرت عنده فلم يصل على ، ورغم أنف رجل ؛ دخل عليه شهر رمضنان فانسلخ فلم يقفر له ، ورغم أنف رجل ؛ أدرك عنده أبواه الكبر قلم يدخلاه الجنةء "".

(ب) وقد أمر الدين بإكرام الوالدين في حياتهما وبعد وفاتهما وذلك بزيارة قبرهما والتصدق عليهما وملة الرحم من أقاريهما وتنفيذ وصبيتهما وفعل كل خير عنهما كالحج والصدقة وأداء دين عليهما ، إلى غير ذلك من الأمور الخيرة وأفعال البر والمعروف .

سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، هل بقى على من بر أبوى شىء بعد موتهما أبرهما به . قال: «نعم خصال أربح: الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا يهماء (^^).

(ج.) وقد وصى الدين بالأم وكرد الرصية بها وجعل برها مقدما على بر الأب، قال تمالى: وَوَصِّيتَا ٱلْإِنسَنْنَ بَوَ النِّنْهِ حَمَلَتُهُ أَمُّهُ وَهُنَا عَلَىٰ وَهُنِ عَلَىٰ وَهُنِ اللّهِ عَامْنُ أَنْ آشَكُو لِي وَلِاَلْتَيْكَ إِلَى ٱلْمُعِيدُ. (القمان: ١٤) وروى الشَّيْخ الله عَلَى الله

### (د) رعاية الأب الولد:

وصعى الدين الأب أن يرعى ولده وأن يقوم على تربيته وتهنيبه ؛ فالولد أمانة وقد أمرنا بحفظ الأمانة ورعايتها .

قال تعالى : وَأَمُرْ أَهْلَكَ بَالصَّلَوْ وَآصْطَبرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْتَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْمَنْقِبَةُ لِلتَّقْرَى (طه : ١٣٢).

وقال سيحانه : قُوااً أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَازًا (التعريم: ٦) .

وقال ﷺ: «اتقوا الله وأعدلوا بين أولايكم حتى في التمرة والكلمة الطيبة» (٩٠٠).

وقيل: ولدك ريحانتك تشمها سبعا، وخادمك سبعا، ثم هو عدوك أو شريك.

وقال ﷺ: «الغلام يعنى عنه يوم السابع ريسمى ، ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبرى ثم أهذ بيده وقال: أدبتك وعامتك وأنكحتك أعوذ بك من فتنتك في الدنيا وعذابك في الأهرة، (<sup>(١٠)</sup>.

ورأى الأقرع بن حايس النبي ﷺ وهر يقبل واده الحسن فقال : إن في عشرة من الواد ما قبلت واحدا مذهم . فقال عليه السلام : وإن من لا يرحم لا يرحمه (١٠٠).

وقال پزید بن معاویة : أرسل آبی إلی الأحنف بن قیس ظما وصل إلیه قال له : یا آبا بحر ، ما تقول فی الولد ؟ قال : یا آمیر المؤمنین ، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ونحن لهم آرض ذایلة ، وسماء ظلیلة ، ویهم نصول علی کل جلیلة فإن طلبوا فأعظهم ، وإن غضبوا فأرضهم ؛ یمنحوك ودهم ، ویحبوك جهدهم ولا تكن علیهم ثقلاً تقیلاً فبدلوا حیاتك ویودرا وفاتك ویكرهوا قریك (۵۰).

\* \* \*

# ﴿ وَمَاتِ ذَا ٱلْفُرْفَ حَقَّهُ وَٱلِمِسْكِينَ وَآبَنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَالْبُذَرْتَبَذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْمُبَذِينَ كَانُوٓ ٱلِخُوۡنَ ٱلشَّيَاطِينِّ وَكَانَ ٱلشَّيَطَ لُنُ لِرَيِّهِ مَكُفُولًا ۞﴾

#### تمهيد ،

لما ذكر تعالى بر الوالدين أتبع ذلك بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ثم بين حق الفقراء والمساكين الأجانب وَوَاتِ فَا الْقُرْيُنَ حَقَّهُ والأمر للرجوب عند أبى حنيفة فعنده يجب على الموسر مواساة أقاريه إذا كانوا مصارم كالأخ والأمت وعند غيره للندب فلا يجب عند غيره إلا نفقة الأصول والفروع دون غيرهما من الأقارب ٥٠٠.

وقد تكررت وصية القرآن بصلة الرحم والعطف على الأتمارب فقال سبحانه : وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمُرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلُ ... (الرحد ٢١٠) .

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَيْتُمْ أَن تُفْسِلُواْ فِي ٱلأَرْضِ وَتُقَطَّعُواْ أَرْحَامَكُمْ . (مصد: ٢٢) .

و في الحديث القدسي يقول الله عز وجل : «أنا الرحمن وهذه الرحم فمن وصلها ؛ وصلته ومن قطعها؛ قطعت» 1172.

لتفسير

٢٦ - وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْنَىٰ حَقَّةُ ...

بفيد : أن للقريب حقا في مال قريبه كما أن صلة الرحم سبب في سعة الرزق وكثرة العدر والبركة والنماء ففي الحديث الشريف «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله ؛ فليصل رحمه» (٢٠٠).

وقال عليه السلام: الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان» (م).

ولما أراد أبر طلحة أن يتصدق بحائط كنان له : عصلا بقوله تعالى : كَنَّ لَوَا أَبْرِ ۖ حَيُّ تُعِلُّواْ مِنَّا تُحِبُّونَ (آل عدران : ٩٢) . قال : يا رسول الله ، هو في سبيل الله وللفقراء والمساكين فقال عليه السلام : «وجِب أجرك على الله فاقسمه في أقاريك» (١٠ وإيتاء ذي القربي حقه يكون بالصدقة وصلة الرحم وحسن المماشرة والإنفاق عليه .

وَ ٱلْمِسْكِينَ أَى: الفقير من الأباعد ، فالصدقة على المسكين القريب صدقة وصلة رحم ، وعلى المسكين البعيد صدقة فقط .

رُأَيْنَ ٱلسِّبِرِ أَى: المسافر الذي لنقطع به الطريق فيجب إعانته ومساعدته على سفره حتى يصل إلى مقصده. وَلاَ يُسُورُ بُكُورُ تُلِيرُورُ أَى: بوجه من الوجوه بالإنفاق في محرم أو مكروه أو على من لا يستحق.

### وفي الكشاف:

كانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر ™ عليها وتبذر أموائها في الفخر والسمعة ، وتذكر ذلك في أشعارها ، فأمر الله بالففقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف .

والتبذير هو إنفاق المال في وجوه الملذات والشهوات فهو تبذير النعمة وتوجيهها في غير الوجه السليم أما إنفاق المال في الخير والبر ومساعدة المحتاجين. فهو نعمة محمودة ، فنعم المال المسالح للرجل المسالح.

قال عثمان بن الأسود : كنت أطرف في المساجد مع مجاهد حول الكعبة فرفع رأسه إلى أبي قبيس (جيل بمكة) وقال : لو أن رجلا أنفق مثل هذا في الله لم يكن من المسرفين ، ولو أنفق درهما واحدا في معصية الله كان من المسرفين ، وأنفق بعضهم نفقة في خير وأكثر فقيل له : لا خير في الإسراف فقال : لا إسراف في الخير.

وروی أحمد عن أنس بن مالك : أنه قال : أتى رجل من تميم إلى رسول الله ﷺ نقال : يا رسول الله ، إنى ذو مال كلير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرنى كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ : «تخرج الزكاة من مالك إن كان فإنها طهرة تطهرك ، وتصل أقرباءك وتعرف حق الجار والمسكين» . فقال: يا رسول الله ، أقلل لى ، قال : قات ذَا آقرَيُّي شَعُّهُ وَآلُوسَكِينَ وَآبُنَ ٱلنَّبِيلِ وَلاَ كُنْنَ بَلَيْهِا ، فقال : حسبى يا رسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسوك فقد يرتت منها إلى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : «نعم إذا أدينها إلى رسولى فقد برئت منها ولك أجرها وإلامها على من يدلهاء .

وقال أبن مسعود: التبذير: الإنفاق في غير حق.

وعن على كرم الله وجهه قال : ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما تصدقت: فلك ، وما أنفقت رياء وسمعة : فذلك حطّ الشيطان .

٧٧- إِنَّ ٱلْمُبَلِّرِينَ كَانُوٓ ا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ ...

أى: أمثالهم فى كفران نحمة المال بصرفه فيما لا ينبغى ، أن هم قرناء الشياطين فى النار على سبيل الوعيد والعرب تقول لكل من لازم سنة قوم واتبع أثرهم : هو أشوهم أى : إن المفرقين أموالهم فى معامس الله المنفقيها فى غير طاعته : قرناه الشياطين فى الدنها والآخرة .

قىال تحالى: وَمَن يُعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَانِ تَقَيْضُ لَهُ شِيْطَانَا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (الزحرف: ٣٦). وقال: آخْطُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَرْوَاجَهُمُ (الصافات: ٢٢). أى: قرضاههم من الشياطين.

وَ كَانَ ٱلطَّيِّطُ ثُنَ إِرْبُهُ كُلُورًا . أي : مهالغا في كفران تعمته تمالى لا يؤدى حق النممة ، كذلك إهوائه المبذرين لا يؤدرن حق التعمة ، بل يفققون أموالهم في معصية الرحمان ويسلكون بها سبل الشيطان .

قَالَ الكَرَّضِ: وكذلك من رزقه الله جاها أو مالا فصرفه إلى غير مرضاة الله كان كفرا لنعمة اللهُ ؛ لأنه موافق للشيطان في الصفة والفعل.

وقد كان من عادة العرب أن يجمعوا أموالهم من السلب والنهب والغارة ثم ينفقونها فى التفاهر وحب الشهرة . وكان المشركون من قريش ينفقون أموالهم ؛ ليصدوا الناس عن الإسلام وتوهين أهله وإعانة أعدائه، فجاءت الآية تبين قبح أعمالهم .

# ﴿ وَإِمَّاتُمَّرِضَنَّ عَنَّهُمُ ٱبْيَعَآ اَدَحْمَةِ مِن رَّبِكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۞﴾

التفسيره

٧٨ - وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ آنِيفَاءَ رَحْمَةٍ مِن زَّبُكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا .

أى : وإن أعرضت عن ذوى القربى وابن السبيل حياء من الرد لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتمطيه فلا تؤيسهم وقل لهم قولا لينا سهلا وعدهم وعدا جميلا ، قال الحسن : أمر أن يقول لهم : نعم وكرامة، وليس عندنا اليوم شىء فإن يأتنا نعرف حقكم ، وفى هذا تأديب من الله لعباده إذا سألهم سائل ما ليس عندهم كيف يقولون وبم يردون ؟

قال السيوطى فى الإكليل : فى هذه الآية الأمر بالقول اللين عند عدم وجود ما يعطى منه ، وفسره ابن زيد بالدعاء ، والحسن وابن عباس بالعدة .

# ﴿ وَلا جَمْعَلْ بَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا نَبْسُطُهَا كُلُّ ٱلْبَسْطِ فَنَقَعُدَ مَلُومًا تَعْسُورًا ۞ إِنَّ زَيَكَ يَبْسُطُ الرِّزْفَ المِن بَشَاءٌ وَنَقْدِرُّ إِنَّهُكَانَ بِعِبَادِهِ - خَبِرًا بَعِيدًا ۞﴾

المقردات ،

المقلولة: المقيدة بالغل وهو القيد يوضع في اليدين والعنق.

تبسطها: أي: تتوسع في الإنفاق.

المحسور، المنقطع عن السير إعياء وكلالا .

التفسيره

٧٩ - وَ لاَ تَجْعَلْ يَذَكَ مَعْلُولًا أَن

نهانا الله عن البخل والشع كما نهانا؛ عن الإسراف والتبنير وأمرنا بالتوسط في النفقة كما قال عز شأنه في آية أخرى : وَٱلّْلِينَ إِذَا أَلْفَقُوا أَمْ يُسْرِقُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ يَيْنَ ذَالِكَ قُوْاهًا (الفرفان: ٦٧) .

والتوازن هو القاعدة الكبرى فى النهج الإسلامى ، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن والتعبير هنا يجرى على طريقة التصوير ، فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق ويرسم الإسراف يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئًا ويرسم نهاية البخل والإسراف قعدة كقعدة العلوم المحسور . والحسير ٢٠٩ : هى الدابة التي تعجز عن السير فتقف ضعفا وعجزا فكذلك البخيل حسره بخله فيقف ، وكذلك المسرف ينتهى به سرفه إلى وققة الحسير ملوما فى الحالتين على البخل وعلى السرف وخير الأمور الوسط ٢٠٩.

وجعل ابن كثير قوله تعالى : أشَعُّهُ مَلُومًا مُحْسُورًا من باب اللف والنشر المرتب قال : أي : فتقعد إن بخلت ، ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير :

ومن يك ذا قضل فيبخل بقضله على قبومه يستغبن عنيه ويذمع

ومتى بسطت ينك فوق طاقتك : قعدت بلا شىء تنفقه فتكون كالحسير الممنوع من العسير وهو مأخوذ من الكلال والإعياء كما قال: فَأَرْضِع آلْبَصْرَ هَلْ تُوَىٰ مِن لُشُورٍ ه ثُمَّ آرْضِع آلْبَصَرَ كُرُكُيْنِ يَتَقَلِبْ إِلَيْكَ آلْبَصُرُ عُمَاسًا وَهُوَ حَسِيرٌ (العلك: ٣ - ٤). أي: كلنل عن أن يوى، عبدا .

وقد ذهب ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم إلى أن المراد بالآية : النهى عن البخل والإسراف .

#### الأثار في الموضوع:

ورد في كتب السنة الصحاح : ذم البخل والشح والتحذير منهما ، فمن ذلك ما ورد في الصحيحين أن رسول الله 獲 تال :

«ما من يوم يصبح الحباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم ، أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم ، أعظ ممسكا تلفاء .

وروى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا : «ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع الله رفعه الله» ، وهى الحديث «إياكم والشح : فإنه أهلك من كان قبلكم : أمرهم بالبخل : فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة : فقطعوا ، وأمرهم بالقجور : ففجروا» .

كما ورد في كتب السند: الأمر بالاقتصاد في النفقة والاعتدال والقوسط. روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس قال: قال ﷺ: وما عال من اقتصده وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: قال ﷺ: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، وروى عن أنس مرفوعا: «التدبير نصف المعيشة، والتودد نصف العقل، واللهم نصف العمل، عن الإسراف.

٣٠- إِنَّ زَبُّكَ يَيْسُطُ ٱلرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْلِرُ ...

أى: يوسعه ويضيقه حسب مشيئته وحكمته : إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَبِيرًا يَهِبِوًا . أَى : خبيرا ببواطنهم بصيرا بظواهرهم ، فهو يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر ويأمر بالقصد والاعتدال ، وينهى عن البخل والإسراف ، وهو الخبير البصير بالأقوام في جميع الأحوال .

وقال ابن كثير : خُبِيرًا بَمِسِرًا بِمن يستحق الغنى ويستحق الفقر كما جاء فى الحديث : «إن من عبادى لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادى لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه» . وقد يكون الغنى فى حق بعض الناس استدراجا، والفقر عقوبة عياذا بالله من هذا وهذا، ا هـ.

وقمىارى القول : إنكم إذا علمتم أن شأنه تعالى البسط والقيض وأمعنتم النظر في ذلك ؛ وجدتم أن من سنته تعالى الاقتصاد فاقتصدوا واستنوا بسنته .

\* \* \*

# ﴿ وَلَا نَفْنُكُوٓ ٱلْوَلَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَةً إِخْنُ نَرَوْقُهُمْ وَإِيَّاكُمُّ إِنَّ قَنْلَهُمْ كَانَخِطْ كَالْمِيرُ ٢

المفردات ،

أعبد لأشيباقي الشواء المضهبا

الإمسالاق، النقر، قال الشاعر: وإنى على الإملاق يا قوم ملجد

الخسطاء؛ كالإثم لفظا ومعنى.

التفسيره

٣١ - وَلاَ تَفْتُلُواْ أَوْلَـٰلَاكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰتِي نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ...

أى: لا تندوا بناتكم خوف الفقر فنحن نرزقهم لا أنتم، فلا تخافوا الفقر لعلمكم بعجزهم عن تحميل رزقهم . وقد كان العرب فى جاهليتهم يقتلون البنات لعجزهن عن الكسب وقدرة البنين عليه بالغارات والسلب والنهب ، ولأن فقرمن ينفر الأكفاء عن الرغبة فيهن فيحتاجون إلى تزويجهن لغير الأكفاء وفى ذلك عار أيما عار عليهم .

والمخلاصة : أن الأرزاق بهد الله ، فكما يفتح خزائنه للبنين يفتحها للبنات فليس لكم سبب يدعو إلى قتلهن ، ومن ثم قال : إِنَّ قَتَلَهُمْ كَانَ مُحِمُّنا كَسِرًا أَى : إن قتلهم كان إثما فطيعا ! لما فيه من انقطاع النسل وزوال هذا الذوح من الوجود ، وفي الصحيحين : عن عبد الله بن مسعود قال : قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : «أن تجعل للله ندا وهو الذي خلقك» ، قلت : ثم أي ؟ قال : «أن تقتل ولدك ؛ خشية أن يطعم معك» قلت : ثم آي ؟ قال : «أن تزاني حليلة جارك» .

ونقف هنا لحظة أمام مثل من نقائق التعيير القرآني المجيبة ، ففي هذا الموضع قدم رزق الأبناء على رزق الأبناء تعثر رزق الأبناء على رزق الأبناء تعثر رُزق أَكُمْ وَلِيَاهُمْ. وفي سورة الأنعام قدم رزق الآياء على رزق الأبناء تعثر رُزقَكُمْ وَلِيَاهُمْ. وذلك بسبب احتلاف آخر في مدلول النصيين ، فهذا النص وَلا تَقْتُلُواْ أَوْلَنْدُكُمْ عَلَيْهُ إِمْلَىٰكَ بِعَنْ رُزَفُهُمْ وَلِيَاكُمْ. والنص الآدر : وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَمُنْكُمْ مُنْ إِمْلُكُمْ وَلِيمُنَا وَلَهُمْ وَلِياكُمْ. والنفر بسببهم فقد مرزق الأولاد ، وفي الأنعام قتلهم بسبب فقر الآياء فعلا ، فقدم رزق الآياء فكان التقديم والتأخير وفق مقتد الأدلاد التعبيرية هنا وهناك .

وقد لا يتصور إنسان أن يجرؤ والد على قتل ولده ، ولكن انحراف العقيدة وفسادها ينشئ هذه الآثار الضارة في حياة المجتمع .

لقد كانت مفاهيم الجاهلية تقوم على أساس تعظيم الغني لناته وتحقير الفقير لذاته ، وكان الصمعاليك يقتفرون بالقارة والسلب والنهب ؛ ليصبحوا أثرياء محترمين ، ومن ذلك قول عروة ابن الورد لزوجته :

رأيت السنساس شمرهم السفسقيس وأن أهممنس لسه نسب شمهيس <u>ما يها لتبه ويمنمه</u>ره المسفوس يمكساد فعال صماحيه يمطيس واسكس لمالية فعال صاحيه يمطيس دريسنس لسلخنس أسعى فإنس وأصقرهم وأهونهم عاليهم ويسنسس في السندي وتسزيريه ويسلفين دوالسفنسي وله جسلال عسلاميم ننسهه والسنني جسم

فلما جاء الإسلام قام على أساس العقيدة السليمة من الإيمان بالله ربا وخالقا ورازقا ، ومن احترام إنسانية الإنسان وتحريم قتله وفي الحديث: والإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله ي كما قوم الإسلام المفاميم الخاطئة ؛ فبين أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وأنهم عند الله سواء يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

وإن المجد والفضار لا يكون بالغنى ولا بالأثاث والرياش والمتاع وإنما يكون بعمل نافع وخدمة إنسانية وإصلاح للمجتمع ، وفي الأثر : وإن الله لا يتظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ؛ إنما ينظر إلى قلويكم وأعمالكم». والمحلاصة : أن قتل الأولاد كان من آثار انحراف العقيدة ، وأن سلامة العقيدة له أثره العملي في واقع الجماعة الإنسانية ، وأن الحياة لا يمكن إلا أن تتأثر بالعقيدة ، وأن العقيدة لا يمكن أن تعيش في معزل عن الحياة.

﴿ وَلَا نَقْرَهُوا ٱلرِّنَّةُ إِنَّهُ كَانَ فَنحِشَةً وَسَآ اَمَسِيلًا ۞

التفسيره

٣٧ - وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزَّلَيْ إِلَّه كَانَ فلحِشَّةٌ وَسَاءَ سَبِيلاً.

وَلاَ تَقْرُبُواْ ، أَى : لا تقتربوا منه ولا من مقدماته ، كاللمسة والقبلة والنظرة والفحرة والفاحشة : القعلة الظاهرة القبح ، وَسَاءَ سَسِلاً : قال الطهرى : ساء طريق الزنا طريقا : لأنه طريق أهل محصية الله والمضالفين أما و: فأسوع به طريقاً يورد مساحيه نال جهنم !

### من مقاسد الزنا:

- ١ اختلاط الأنساب واشتباهها، وإذا اشتبه المرء في الولد الذي أنت به الزائية أمنه أم من غيره ؛ لا يقوم بتربيته ولا يستمر في تعهده وذلك مما يوجب إضاعة النسل وانتشار الفساد.
- باب النزاع والاضطراب بين الناس ؛ دفاعا عن العرض فكم سمعنا بحوادث قتل كان مبعثها
   الإقدام على الزنا حتى إنه ليقال عند السماع بحادث قتل : (فتش عن المرأة).
- ٣ أنه ليس المقصود من المرأة مجود قضاء الشهوة ، بل أن تصير شريكة للرجل مى ترتيب المنزل وإعداد مهامه وأن تكون راعية للأولاد وهذه المهام لا تتم على وجه الكمال إلا إذا كانت مختصة برجل واحد منقطعة له دون غيره من الناس.

وذاحظ أن الله تعالى ذكر النهى عن الزنا بعد النهى عن قتل الأولاد ،، وقبل النهى عن قتل النفس ،
وعلة ذلك أن الزنا فى حد ذاته قتل من نواحى شتى : أنه قتل ابتداء ؛ لأنه إراقة لمادة الحياة فى غير
موضعها، يتبعه غالبا الرغبة فى الخلص من أثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق قبل مواده
أو بعد مواده ، فإذا ترك الجنين للحياة ترك فى الغالب لحياة شريرة ، أو حياة مهيئة فهى حياة مضيعة فى
المجتمع على نحو من الأنحاء .. وهو قتل فى صورة أخرى قتل للجماعة التى يفشوا فيها ، فتضيع الأنساب
وتختلط الدماء وتذهب الثقة في العرض والواد ، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها ، فننتهى إلى ما يشبه
الموت بين الجماعات ، وهو قتل للجماعة من جانب آخر ، إذ إن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجمل
الصياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها ويجعل الأسرة تبعة لا داعى لها ، والأسرة هى المحضن المسالح للتربية

وهى الجو الملاتم لتنشقة الأطفال ورعايتهم وتعذيب غرائزهم ورعاية نموهم النفسى والبدنى والاجتماعي، وقد كتب أحد علماء التربية الأجانب كتابا بعنوان: (أطفال بلا أسر)، ذكر فيه: أنه لاحظ البون الشاسم بين الأطفال التي تنشأ في الملاجئ والمؤسسات، والأطفال التي تنشأ في أسرة طبيعية، فأطفال المؤسسات عندهم بطه في الاستجابة للمناغاة والمناداة ويصعوبة بالغة يمكن أن تنتزع من أحدهم ابتسامة، أما الطفل الطبيعي فهر طبيعي في انفعاله ومناغاته ومناجاته، وذلك له أثره في النمو النفسى والتكامل الاحتماعي لشخصية المظفل في مستقبل حياته.

وإذا رجعنا إلى تاريخ البشرية الطويل رأينا أنه ما من أمة من الأمم فشت فيها الفاحشة: إلا صارت إلى انملال وهزيمة ، وقد يغتر بعضنا بأن أوربا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع فشو هذه الفاحشة فيهما ، ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة منها كغرنسا ظاهرة لا شك فيها ، أما في الأمم الفنية كالولايات المتحدة ، فإن فعلها لم تظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب ، واتساع موارده ، كالشاب الذي يسرف في شهواته فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب ولكنه سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة فلا يقوى على احتمال آثار السن كما يقوى عليها المعتدلون من أنداده .

والقرآن يحدّر من مقاربة الزناء وهي مبالغة في التحرز؛ لأن الزنا تدفع إليه شهرة عنيفة ، فالتحرز من المقاربة أضمن ، فعند المقاربة من أسبابه لايكرن هناك ضمان .

ومن ثم يأخذ الإسلام الطريق على أسبابه الدافعة ؛ توقيا للوقوع فيه ، يكره الامتلاط في غير 
ضرورة ، ويحرم الخلوة ، وينهي عن التبرج بالزينة ، ويحض على الزواج لمن استطاع ، ويومى بالمسوم 
لمن لا يستطيع . ويكره الحواجز التى تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور ، وينفى الخوف من العيلة 
والإملاق يسبب الأولاد ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ؛ ليحصنوا أنفسهم ، ويوقع أشد العقوبة على 
الجريمة حين تقع ، وعلى ومى المحصنات الفاقلات دون برهان ... إلى آخر وسائل الوقاية والعلاج ، ليحفظ 
الجماعة الإسلامية من التردى والانحلال .

روى الإمام لحمد عن أبى أمامة : أن فتى شايا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، الثدن في بالزنا فأثرا : واحسره الله ، الثدن في بالزنا فأثرا : واحسره . فدنا منه قريبا فقال : واحسره . فدنا منه قريبا فقال : واجسره . فقال : وأتحبه لأمكاء قال : لا والله جملنى الله فدلك ، قال : وولا الناس يحبونه لأمهانهم» ، قال : وأفتحبه لابنتكء قال : لا والله يارسول الله جملنى الله فدلك . قال : وولا الناس يحبونه لبناتهم» . قال : وأفتحبه لأمتكء قال : لا والله جملنى الله فدلك . قال : وولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال : وأفتحبه لأمتكء قال : لا والله جملنى الله فدلك . قال : وولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال : وأفتحبه لخائتكء قال: وأفتحبه لخائتكء قال: وأفتحبه لخائتكء قال:

لا والله جعلنى الله فداك . قال : دولا الناس يحبونه لخالاتهم» . قال : فوضع يده عليه وقال : «اللهم ، اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه» قال : قلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء (\*\*).

وفي الحديث «مامن ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له» (١٠٠٠).

وفى صحيح البخارى يقول النبى ؛ الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة. فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما اللمس ، والرجلان تزنيان وزناهما الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » أش.

# الزنا الموجب للحد

عرف الفقهاء الزنا بأنه : وطء الرجل المرأة في القبل حراما كالميل في المكحلة ، أو القلم في الدواة. وجاء في كتاب الاختيار ما يأتي :

يثبت الزنا بالبينة والإقرار ، والبينة أن يشهد أربعة على رجل أو امرأة بالزنا فإذا شهدوا يسألهم القاضى عن ماهيته وكيفيته ومكانه وزمانه والمزنى بها فإذا بينوا ذلك ، وذكروا أنها محرمة عليه من كل وجه وشهدوا به كالميل في المكملة والقام في الدواة وعدلوا في السر والعلانية ؛ حكم القاضى عليه بالحد:

وحد الزائس إذا كان محصنا (<sup>(1)</sup> الرجم بالمجارة حتى يدوت و يغرج إلى أرض فضاء فإن كان ثبت بالبيفة يبتدئ بالشهود ، ثم الإمام ، ثم الناس فإذا امتنع الشهود أو بعضهم : لا يرجم . وإذا ثبت بالإقراق إبتداً الإمام ، ثم الناس .

وإن لم يكن محمننا فحده الجلد مائة جلدة يضرب بسوط لا ثمرة <sup>(س</sup> له ضربا متوسطا يفرقه على أعضائه إلا رأسه ووجهه وفرجه ، ويجرد عن ثيابه إلا الإزار ، ولا تجرد المرأة إلا عن الفرو والحسو (<sup>س</sup>.

والأصل هى عقوبة الذنا ماورد من تقديرها بمائة جلدة فى الآية الثانية والثالثة من سورة الدور. حيث بقول سبحانه: الزَّائِيَّةُ وَالْزَائِي لَاَجْلِدُواْ كُلُّ وَحِدِمِّتَهُمَّا مِائَةَ جَلَدُةٍ وَلَا تَأَخُذُكُم بِهِمَا وَأَفَةً فِي فِينِ اللَّهِ إِنْ كُتُمُ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْوَمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهُمْ عَلَائِهُمَّ مَنْ الْتُؤْمِينَ وَ الزَّائِي لَا يَتَكِمُ إِلَّا وَانِ أَوْ مُشْرِكُ وَحُرُمُ ذَلِكَ عَلَى ٱلْتُؤْمِينَ (النود: ٢ . ٣).

وذلاحظ أن الخوارج ويعض الشيعة ويعض المعتزلة يرون أن لا عقوية في الزنا غير الجلد مائة جلدة للمتزرج وغير المتزرج ٣٠٠. وقد ورد فى التوراة: أن عقوبة الزانى المحصن الرجم ، جاء فى سفر التثنية «وإذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل بالمدينة فاضجع معها ؛ فأخرجوهما كليهما من المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه فينتزع الشر من المدينة» .

## والخلاصة :

- ١ أن جلد الزناة يثبت بالنصوص الصريحة التي لا شبهة فيها.
- ٢ أن دين الفضيلة يحارب الرذيلة بعقوبة قاسية رادعة ؛ لأن رذيلة الزنا تدفع إليها شهرة جامحة فلابد
   أن تكون عقوبتها شديدة.
- " ان الإنسان الشهوانى الذى يذوق عسيلة الرذيلة ويستطيبها يجب أن يعاقب بما يكون أشد إيلاما
   لجسمه، كما أحس جسمه باللذة فيجب أن يوزع الجك على جميع هذا الجسم : لهكون الجزاء من جنس
   العمل .

### أضرار الزنا

تحدث الأطباء عن أضرار الزنا من الناحية الصحية فذكروا أنه سبب لكثير من الأمراض والأويئة وهذا مصداق قوله ﷺ: « ما ظهرت الفاحشة في قوم يتمامل بها علانية : إلا فشا فيهم الطاعون والأرجاع التي لم تكن فيمن قبلهم » . والطاعون : كل وياء فتاك ينفر في عظام الإنسان كما ينفر السوس في مادة الشش .

### الزهري

### يقول الدكتور أحمد وصفي في كتابه ( القرآن والطب ) :

« الزهرى : ثالث مرض فى العالم يتسبب فى إزهاق النفوس وتضييع الأرواح وينتشر فى العالم انتشار فاحشة الزنا ، والإصابة به فى لندن وحدها حوالى ١٠٪ وفى عاصمة فرنسا ١٠٪ من سكانها ولا يقل عدد المصابين به فى القطر المصرى ، عن العليونين .

هذا المرضى يعدى بمجرد اللمس عن طريق الزنا أو بمجرد تقبيل المصاب لغيره أو ملامسته وتسببه جرفومة خاصة تسمى ( الأسبيروشيت باليدا ) ويفاقل الزهرى بالوراثة إلى نسل المصابين به .

ويفتك الزهري بمح الزائى فتكا ذريعا فتلتهب سحاياه خاصة جزء ( الأم الجنون ) وتصاب كذلك أوعيته الدموية التي تضيق حتى ينتهي الأمر بإفسادها .

## السيلان

والسيلان : من الأمراض الفتاكة التي تسببها كذلك هذه الفاحشة ، ويسبب الداء جرثومة خاصة تسمي: بالجونوككس ، وهو كثور في مدن العالم .

وهو مرض فتاك يترك المصاب به في حالة من الألم والمرض ، مما يعطل حركتة ويشل تفكيره ريجيك عضرا أشل في المجتمع .

### إصابة المرأة:

ولقد ثبت أن كل امرأة اتصلت برجل مصاب بهذا الداء ؛ لابد أن تصاب به هي الأخرى ؛ لاستعدادها لقبول العدوى ، ولقابلية جهازها التناسلي لاستقبال جرائيمه المرضية ، فتفتك به ، وتعطل وظيفته ، إذا لم تفقدها تماماً .

#### إصابة الرجل:

ريمسيب السيلان الرجل إمسابات بالغة إذ تلقهب عنده كذلك فتحة البول ويشتد احمرارها ، وتصاب حوافيها بالورم ، فتنقلب على نفسها ، وقد تتأكّل أطرافها ، ثم يمتد الورم فى عضو التناسل فيعوق التبول ويشعر المصاب بالآلام الميرحة أثناءه .

وتصاب البروستاتا كذلك بالسيلان إصابة شديدة فتلتهب ويزداد حجمها ، ولمل إصابة الحريصلات المنوية من أشد الإصابات وعن طريقها ينتقل المرض إلى الطرف الآخر .

### أمراض أخرى

وهناك أمراض أهرى لا يستهان بها يصاب بها الزناة ، منها : القرحة الرهوة ، وجرب التناسل ، وسنط التناسل ، وقمل العانة ، وغير ذلك من الأويئة الفتاكة التي تنتقل بالعدوى بين الزناة الملوثين (٢٠٠٠).

ولعل فيما نقلت مثلا فبعض ما عناه تعالى في قوله عن الزنا: إِنَّهُ كَانَ فَلْحِشَّةٌ وَسَآءَ سَبِيلاً (الإسراء: ٢٧).

# ﴿ وَلَا نَقَتُلُواْ التَّفْسَ الَّي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا إِلْحَقِّ وَمَن قُيلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَمَلُنَا لِوَلِيِّهِ -شُلْطُنَنَافَلَا يُشْرِف فِي الْقَتْلَ إِنْهُمَّانَ مَنصُوزًا ﴿ ﴾

المفردات:

السلطان، التسلط والاستيلاء.

لا يسبرها: أي: لا يتجاوز الحد المشروع فيه .

التفسيره

٣٣ - وَلاَ تَقْتُلُواْ التَّفْسَ آلْتِي حَرَّمَ الله إلا بِالحَقّ ...

أي: لا تقتلوا النفوس التي حرم الإسلام قتلها إلا قتلا متلبسا بالحق.

لقد كرم الله الإنسان : فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة ، وسخر له ما في الكون وفضله على كثير من خلقه ، وحرم الله تتل الإنسان لأن الإنسان : بنيان الله ، أحكم الله بناءه وأودع فيه الروح ووهبه الحياة وحرم إزهاق روح الإنسان والعدوان على حياته ، وجعل القتل من الكبائر بل هو من أكبر للكبائر بعد الشرك بالله .

وقد تكرر التحذير من الزنا في القرآن أكثر من التحذير من القتل ؛ لأن الأول تدفع إليه الشهوة والرغبة ، فتكرر التحذير منه ، أما الإقدام على القتل فلا يوجد إلا لأسباب خاصة ، وقد أباح الدين القتل في ثلاثة مواضع :

١ – القصاص : أي : قتل النفس بالنفس .

٧ - الزاني المحصن ، فعقابه الرحم.

٣ - المرتد الذي ترك دين الإسلام ورجع عنه.

روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود أن رسول الله عليه وسلم قال: « لا يحل دم أمرئ مسلم بشهد أن لاإله الا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة » (<sup>(7)</sup>.

قالإسلام شرع القصاص وجعله حياة للأمة والأفراد فقال سبحانه : وَلَكُمْ فِي ٱلْقِمَاصِ حَبَوْةً ... (البقرة : ١٧٩): لأن الإنسان إذا علم أنه إذا قتل عدوه أو خصمه سيقتل بسبب ذلك : كف عن هذا الاعتداء . ولأن ولى المقتول إذا علم أنه سيرّخذ له بالثأر وستتكفل الدولة بالقصاص: هدأت نفسه وسكنت ثورته ؛ وإلا لاندفع أولياء المقتول في قتال القاتل وأهله في ثورة غضبهم ، والقصاص حياة ، لأن كل فرد يأمن على شخصه ويطمئن إلى عدالة القصاص فينطلق إلى عمله وإنتاجه فإذا الأمة كلها في حياة .

وأما الثيب الزانى: فلأنه جحد بنعمة الله ، وترك زوجته الحلال وانطلق يفسد فى الأرض وينثهك: الأعراض ويعرض النسل للفتل والضياع فاستحق القتل .

وأما المرتد فإنه يقتل ؛ لأنه اختار الإسلام برغبته ودخل في جسم الجماعة المسلمة واطلع على أسرارها فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها وإن بقى خارجها من أول الأمر ما أكرهه أحد على الإسلام، بالكتكل الإسلام بحمايته إن كان من أهل الكتاب ويإجارته وإبلاغه مأمنه إن كان من المشركين ، وليس بعد ذلك سماحة المخالفين في المقيدة .

والحديث النبرى بتمامه تفسير لقوله تعالى : إِلاَّ بِالْحَقِّ ، فقد حدد الحالات الثلاث التي يكون فيها القتل بالحق أي : بالعدل .

قال النسابورى في تفسيره : ثم إنه دلت آية أخرى على حصول سبب رابع وهو قوله : إِلَّمَا جُزَّاؤًا ٱلَّذِينَ يُعَارِبُونَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَسْمُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَلِّواً ... الآية . (المائدة : ٣٧) .

وقد أبدى الفقهاء أسبابا أخرى منها : أن تارك الصلاة يقتل عند الشافعي دون أبي حنيفة وكذا اللائما، ومنها : الساحر إذا قال : قتلت فلانا بسحري ، وجرز بعضهم قتل من يمنم الركاة .

والذين منحوا القتل في هذه الصور قالوا: الأصل حرمة القتل كما بيناه فلا يترك هذا الدليل إلا لمعارض أقرى لا أقل من المساوي وهو النص المتواتر أ<sup>دا</sup>

وَمَن قُولَ مَظْلُرماً فَقَدْ جَمَلْنَا لُولَهِ سُلْطُنَا أَى : ومن قتل بغير حق يوجب قتله ، جعلنا لمن يلى أمره من وارث أو سلطان عند عدم الوارث تسلطا واستيلاء على القاتل بمؤاخذته باحد أمرين : إما القصاص منه وإما الدية لغوله تعالى : كُتِبَ عَلَيكُم آقِهُمَّاصَ فِي آلْقَتْلَى ... لأيّة (البقرة : ١٧٨) . ولقولة عليه السلام يوم الفقح : «من قتل قتيلا فأمله بين خيرتين ، إن أحيوا قتلوا ، وإن أحيوا أخذوا الدية» (<sup>40</sup>)

لَلاَ يُسْرِف فَي الْقَتْلِ أَى : فلا يتجاوز الحد المشروع فيه بأن يقتل اثنين مثلا بإزاء واحد كما كان يقع في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الآباء والإخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل والولى مسلط على دمه بلا مثلة والرسول قد نهي عنها . إِنَّهُ كَانَ نَيْمُورًا. أَي: إِنَّ الله نصر الولى بأنَّ أُوجِب له القصاص وأمر الحكام أن يعينوه على استيفاء حقه ، فلا يبغى ماوراه و لا يطمع في الزيادة على ذلك ، وقد يكون المعنى : أنَّ المقتول ظلما منصور في الدنيا بإيجاب القود له على قاتله ، وفي الأَعرة بتكثير خطاياه وليجاب الذار لقاتله "".

وهذه الآية أول ما نزل من القرآن في شأن القتل ؛ لأنها مكية (١٠٠٠).

# ﴿ وَلَانَقَرَبُواْ مَالَ ٱلْمَيْدِهِ إِلَا بِٱلَّتِي هِى أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغُ ٱشْدَدُ مُواَوْفُوا بِٱلْمَهْدِّ إِنَّ ٱلْمَهْدَ كَاكَمَسْتُولًا ۞ ﴾

#### المفردات :

اليتي.....م، اسم يطلق على من فقد والده صفيرا ويظل الاسم يطلق عليه بعد بلوغه وكان صلى الله عليه وسلم يسمى: يتيم أبى طالب ، واليتامى : جمع يتيم ذكرا كان أم أنثى ، أما الأيتام فحمر للذكران فقط.

اثتي هي أحسن، أي : الطريق التي هي أحسن .

المهسسد: ما تعاهدون عليه غيركم من العباد لتوثيقه وتوكيده.

#### التفسيره

٣٤ - وَلاَ تَشْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَخْسَنُ حَتَّى إِينَّاكُمَ أَشُدَّهُ.

أى: لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالطريق التي هي أحسن الطرق وهي طريق حفظه وتثميره بما يزيد فيه : حتى تستحكم قوة عقله وشبابه وإذ ذلك يمكنه القيام على ماله بما فيه المصلحة .

ولما نزلت هذه الآية المقتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا لا يخالطون اليتامى فى طعام ولا غيره فأنزل الله تعالى : وَيَسْتُلُونَكُ عَنِ ٱلْكِنْدَىٰ قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ عَبْر رَإِن تَخَالِمُوهُمْ فَإِخْرُانُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدُ مِنَ ٱلْمُصْلِح ... (البقرة ٢٠٠). فكانت لهم فيها رخصة فى المخالطة إذا كان الولى صادق الذية فى مخالطة الميتيم لمواساته وتعويضه عن أبيه ورعاية ماله وتثميره .

ونظير هذه الآية قوله تحالى هي سورة النساء : وَآتِتُلُوا ٱلْيَشْدَعَىٰ خَيْرً إِذَا بَلَغُواْ ٱلتَكَاحَ أَإِنَ ءَانَسْتُم مُنْهُمْ وُشْلَا فَآذَفُتُواْ إِلَيْهِمْ أَمُوْ أَنْهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهُمّا إِشْرَاللًا وَبَدَارًا أَن يَكْبُرُواْ وَمن كَانَ غَنِهًا فَلَيْسَتَغْفِفْ وَمَن كَانَ قِيرًا فَلَيْكُولُ بِالْمَعْرِوفِي ... (انساء ١٠). ومدلولها: أنه يجب على الولى أن يختبر اليتيم بالتدريب العملى بعد التدريب النظرى فتطلب منه أن يمسك حساب البيت أو يشترى لوازم الأسرة فإذا بلغ الحلم وآنست فيه الرشد وحسن التصرف : سلمت إليه ماله وقد نهى القرآن عن أكل مال اليتيم ، كما نهى عن تبديده والإنفاق منه بالإسراف والتبذير قبل أن يكبر اليتيم ويسترد ماله .

والوصى على الهتيم له أن يأخذ من مال اليتيم بمقدار ما يبذل له من رعاية وتثمير فإن كان الوصى غنيا : فلا يأخذ شيئًا من مال اليتيم وإن كان فقيرا : أخذ ما يكفيه بالمعروف : إذ كان الوصى يقوم برعاية المال كان يكون محاسبا أو وكيلا أو راعيا فنقدر ما يؤجر به نفسه يأخذ من مال اليتيم .

ولعلنا شاهدنا أن أحسن ما فسر القرآن هو القرآن وإن تناولنا للآية في موضوع اليتامي يحتم علينا أن نحيط بأهداف القرآن الكلية في معالجته للموضوع ، والنظر إلى الفكرة ككل وإلى ما يقصده القرآن كجسم كامل لا يصبح بتر أجزائه .

فإذا ضمت الآيات التى تحدثت عن اليتامى فى القرآن مثل الواردة فى صدر سورة النساء الله وغيرها من السور خرجنا بحقيقة ظاهرة ، وهى أن القرآن لا يمكن أن يكون من عند بشر كمحمد بل هو كلام الله بالخبير بالنفوس فهو ينهى عن أكل مال اليتيم ويأمر بمخالطته بالتى هى أحسن ويرد ماله إليه عند بلوغه سن الربئد كما يتوعد آكل مال اليتيم بالعذاب والسعير ويخوفه من صورة رهيبة ، هى أنه من المحتمل أن يترك أولاده صغارا ويتمنى ألا يتعرضوا للإذلال والامتهان والحرمان ظيرفق بمن تحت يده من اليتامى وليحسن معاملتهم .

#### تفتيد قرية :

يقول بعض الغربيين ومن سار في طريقهم : إن التشريع الإسلامي قد أخذ عن التشريع الروماني وهذه دعوي باطلة لما يأتر, :

- التشريع الروماني مأخوذ عن الألواح الاثني عشر والتشريع الروماني في سوريا وما جاورها نظر إلى
   العرف السائد فدونه وكان يرجع إليه كقانون وأحيانا كان يقضى القضاء بمقتضى العوف بدون
   قانون ، فكيف يؤخذ من تدوين عرف لشريعة نزلت كاملة شاملة .
- ٧ علماء الغرب أنفسهم يعترفون بانفراد القرآن الكريم بالحديث عن اليتيم وإفاضته القول في الوصية به، فالقنانون الإسلامي على فالقانون الإسلامي على النقانون الإسلامي على النقيض من ذلك كله توصية باليتيم وتحذير من أكل ماله بشتى الطرق ولم يجعل للوصي الحق في أخذ شيء من المال إلا أن كان فقيرا فليأكل بالمعروف.

وقد شدد الإسلام فى أمره بحفظ مال اليتيم ، وأمر برعايته وتلمير ماله ، وحرم أكل ماله ظلما وعدوانا، وذلك لأن اليتيم ضعيف عن الذود عنه ، والجماعة الإسلامية مكلفة برعاية اليتيم وماله حتى يبلغ أشده ويرشد ويستطيع أن يدبر ماله وأن يبافع عنه ، وهذه حجة أخرى على المستشرقين إذ يقولون : إن القرآن لم يعن بالممخار فكل تعاليمه موجهة إلى الرجال .

وقد تحدث أبو حامد الغزالى فى كتابه : (إحياء علوم الدين) عن تربية الأطفال وتعويدهم العادات الحسنة وأسرهم بالصلاة ومكارم الأخلاق وتحبيب الإيمان إليهم وغير ذلك مما يعد نموذجا رفيعا لأساليب التربية فى الإسلام .

ومما نلاحظه على الأوامر والنواهى الواردة في هذه السررة أن الأمور التي يكلف كل فرد بصفته الفردية جاء الأمر أو النهى فيها بصيغة المفرد ، أما الأمور التي تناط بالجماعة فقد جاء الأمر أو النهى فيها بصيفة الجمم .

فقى الإحسان إلى الوالدين وإيتاء ذى القربى والمسكين وابن السبيل وعدم التبذير والتوسط فى الإنفاق بين البخل والتوسط فى الإنفاق بين البخل والأمر إلى الأمر أو النهى بصيفة المفاق بين البخل والإسراف ، وفى النهي بصيفة المفرد لما لها من صيفة فردية ، وفى النهي عن قتل الأولاد وعن الزنا وعن قتل النفس ، والأمر برعاية مال الهتم والفاء الكيل والديزان كان الأمر أن النهى بصيفة الجمع لما لها من صفة جماعية .

ومن ثم جاء النهى عن قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن في صيغة الجمع : لتكون الجماعة كلها مسئولة عن البتيم وماله ، وهذا يبرر عناية القرآن باليتيم والضعيف ومسئولية الجماعة الإسلامية عن هزلاء وأمثالهم .

فالمسلمون أشبه بالجسد الواحد أو بالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

ولأن رعاية اليتيم عهد على الجماعة ألجق به الأمر بالوفاء بالعهد إطلاقا فقال سبحانه : وَأُولُواْ بِالْمُهْدِإِنَّ العَهْدُ كَانَ مُشْتُولًا.

أى : أوفوا بما عاهدتم الله عليه من القزام ما كلفكم به وما عاهدتم الناس عليه من العقود التي تتعاملون بها في البيوع والإجارة ونحوها .

قَالَ الرَّجَاج : كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد ، ويدخل في ذلك ما بين العبد وريه ، وما بين العباد بعضهم ويعض . والوفاء به : القيام يحفظه على الوجه الشرعي والقانون العرضي .

إِنَّ الْعَهِّدُ كَانَ مَسْتُولًا. يسأل الله جل جلاله عن الوفاء بالعهد ويحاسب من ينكث به وينقضه .

وقد أكد الإسلام على الوفاء بالعهد وشدد : لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة وقد تكرر الحديث عن الوفاء بالعهد في صور شتى في القرآن وفي الحديث النبوى سراء في ذلك عهد الله وعهد الناس ، عهد الفرد وعهد الجماعة وعهد الدولة ، عهد الحاكم وعهد المحكوم ، ويلغ الإسلام في واقعه التاريخي شأوا بعيدا في الوفاء بالعهود لم تبلغه البشرية إلا في ظل الإسلام .

\* \* \*

# ﴿ وَأُوفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْمُ مَوْنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَٱحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ ﴾

المطردات،

وأوهسوا السكسيسل، أتموه.

القسطاس المستقيم : الميزان السوي .

تسساويسلاد مآلا.

التفسيره

٣٥- وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ...

أى : أتموه إذا كلتم لغيركم ولا تيخسوه ،

وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِمِ . أى : بالميزان السوى بلا اعوجاج ولا خديعة ذَلِكِ عَبْرُ أَى : لكم في معاشكم لإقبال المشترين عليكم ولانتظام أموركم بالعدل ، وإيفاء الحقوق أريابها وَأَحْسَنُ تُأُولِلاً أَى : عاقبة ومآلا ، إذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة .

وكثير من الفقراء الذين اشتهروا بالأماثة والبعد عن الخيانة : أقبلت عليهم الدنيا وجمعوا بين الثروة والفنى وبين مرضاه الله وطاعته .

روى ابن كثير في تفسيره : أن النبي ﷺ قال : «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به : إلا مضافة الله : إلا أبدله الله به في عاجل الدنيا قبل الأخرة ما هو خير له من ذلك» .

وقد شدد القرآن في التحدير من تطفيف الكيل وتوعد فاعله بالعذاب الشديد فقال تعالى : وَيُلُّ لَلْمُطَّفِينَ هِ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوُفُونَ » وَإِذَا كَالُوهُمُّ أَلُ وَزَّنُوهُمْ يُحْسِرُونَ . (المطففين : ١ – ٣).

وذكر النبى ﷺ: «أن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من عدل فى الكيل والتزم الأمانة وابتعد عن الغش» (<sup>(()</sup> كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم «أن التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والمسالحين» <sup>(())</sup>: لأن الشيطان يأتى له من ناحية الكيل والبيع والفش وإغلاء الأسعار . ونظرا لأن الناس جميعا محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء : فقد بالغ الشارع في النهى عن الغش في البيع والشراء وحدّر منه وتوعد فاعله بأشد العقاب : سعيا في إبقاء الأموال لأريابها . قال ﷺ : ومن ششنا فلمس منا» "".

ثم إن الطمع في الكيل والوزن قذارة وصفار في النفس ، وغش وخيانة في التعامل تزعزع بهما الثقة ويتبعهما الكساد ، وتقل بهما البركة في محيط الجماعة فيرتد هذا على الأفراد ، وهم يحسبون أنهم كاسبون بالتطفيف <sup>400</sup> وهركسب ظاهري ووقتى ؛ لأن الكساد في الجماعة يعود على الأفراد بعد حين .

وهذه حقيقة أدركها بعيدو النظر في عالم التجارة فاتبحوها ، ولم يكن الدافع الأخلاقي أو الحافز الديني هو الباعث عليها ، بل مجرد إدراكها في واقم السوق بالتجرية العملية .

والفارق بين من يلتزم إيشاء الكيل والميزان تجارة ومن يلتزمه اعتقاداً ، أن هذا يحقق أهداف ذلك ، ويزيد عليه نظامة القلب والتطلع فى نشاطه العملى إلى آفاق أعلى من الأش ، وأرسع فى تصور الحياة وتذوقها وهكذا يحقق الإسلام دائماً أهداف الحياة العملية وهو ماض فى طريقه إلى أفاقه الوضيئة وآماده البعيدة ومجالاته للرحيبة .

\* \* \*

# ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَتِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﷺ﴾

#### المفردات

و لا تنقضه : أي : لا تتبع من قولك : قفوت فلانا أي : انبعت أثره ومنه قافية الشعر ؛ لأنها تقفو كل بيت ، والقبيلة المشهورة بالقافة : لأنبع يتبعون آثار أقدام الناس ويستدلون بها على أحوالهم في النسب .

#### التفسيره

٣٦- وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...

والمراد: النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم ، أو يعمل بما لا علم به ، وهذه قضية كلية ولكن المقسرين حملوها على صور مخصوصة .

(أ) قال ابن عباس: لا تشهد إلا بما رأت عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك.

(ب) قال قتادة : لا تقل : سمعت ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تر ، ولا علمت ولم تعلم .

- (جـ) وقيل : المراد : النهى عن القول بلا علم بل بالظن والتوهم كما قال تعالى : ٱجَشِيُوا كَثِيرًا مَنَ ٱلظُنَّ إِنَّ بَعْضَ ٱلطَّنَّ إِثْمً . (المجوات : ١٢).
- وفي الحديث «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» وفي سنن أبي داود: (بئس مطية الرجل زعموا).
- ( د ) وقيل: المراد: نهى المشركين عن تقليد أسلافهم فى الإلهيات والنبوات والتحليل والتحريم ؛ اتباعا للموى وتقليدا للآباء يدون تثبت من صوابه أو خطئه كما قال تعالى : إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاةً سَمَيْتُمُوهَا الثُمْ وَخَالَالُكُم مَا أَنزِلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلَطْنِ إِن يَتِّبُهُونَ إِلاَّ ٱلشَّنِ رَمَا يُهَوَى الْأَنْسُ. (النج، ٣٣).
  - هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْم أَشْخُوجُوهُ لَنَّا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظُّنَّ (الأنمام: ١٤٨).
- (هـ) وقيل : القفو هو : البهت وهو في معنى الغيبة ؛ لأنه قول يقال في قفاه أي : هلف ظهره ، ومن ورائه . ومنه الحديث «من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ريخة ( الفيال حتى يأتي بالمخرج » .
- ( و ) أراد النهى عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات بالأكانيب وكانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها في الهجاء (٩٠).

### قال الطبرى :

وأراى الآراء فى ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم مالا علم لك به فترميهم يالباطل وتشهد عليهم بغير الحق فذلك هو القفو ، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ؛ لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه ، وأما قوله : إذّ السَّمْعَ وَاليّهَرُ وَٱلْقُوْادَ كُلُّ أُوْلِيَكَ كَانَ عَنْهُ مُسْئُولًا. فإن معناه : أن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها من أنه سمع أن أبصر أن علم ، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق . ا هـ .

وقريب من ذلك قوله سبحانه : يُوَمَّ تُشْهَدُ عَلَيْهِمُ ٱلْسِنْتُهُمْ وَأَلْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَالُوا يَعْمَلُونَ . (النور: ٢٤) وقد وردت الآثار من القرآن والسنة تحث المؤمن على التثبت في أقواله وأحكامه واستقرائه : حتى يكرن قوله صادقا وحكمه سلهما ورأيه صوابا .

قال تعالى : يَنْأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلطَّنَّ إِنَّ بَعْضَ ٱلطَّنِّ وَالْمَ وَلاَ تَجَسُّواْ وَلاَ يَعْتَب بِعْضُكُم بَعْضًا أَيْحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلُ لَحْمُ أَحِيدٍ مِنَّةً فَكَرَهُمُوهُ وَٱلْقُواْ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهُ وَلَا يَرْجِهِمْ. (المجران: ١٧).

وقال سبحانه : يُنْأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ ابْنَبِا فَتَبِيُّنُواْ ... (الحجرات: ٦) .

وفي الحديث : «أن أفرى الفرى(١٠) أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا» (١٠١).

وفى المنجيع : «من تنظم (۱۲) خلما ؛ كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل» (۱۱).

# ﴿ وَلَا تَتَشِى فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا إِنَّكَ لَنَ تَضْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَى بَنْكُمْ لَلِهَ الْطُولَا

#### المقردات ،

المــــــره، الفخر والكبر.

شن تــخــرة الأرض ، لن تقطم الأرض وإن تجعل فيها خرقا وثقبا باختيالك وشدة وطأتك .

الله المعال طولا (١٠) ، أي : بتمايلك وفشرك وإعجابك بنفسك .

#### التفسد ه

٣٧ - وَلاَ تَمُش فِي ٱلأَرْض مَرَحًا ... الآية

قال اليسابورى : بين الله شعف الأدمى بأنه فى حال انخفاضه لا يقدر على هرق الأرض وفى حال ارتفاعه لا يقدر على الومعول إلى رءوس الجبال فلا يلوق به أن يتكبر ٣٠] .

والإنسان حين ينطق قلبه من الشعور بالنمائق القاهر فوق عباده ؛ تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان أو جمال . ولو تذكر أن ما يه من نعمة فمن الله ، وأنه ضعيف أمام حول الله ؛ لطامن من كبريائه وخفف من خيلائه . ومش على الأرض هونا لا تيها ولا مرحا .

والقرآن هنا يجبه المتطاول المختال المرح ، بضعفه وعجزه وضاّلته فالإنسان بجسمه ضغيل هزيل ، لا يبلغ شيئا من الأجسام الضخمة التي خلقها الله ، إنما هو قوى بقوة الله ، عزيز بعزة الله ، كريم بروحه الذي نضمه الله فيه ؛ ليتصل به ويراقبه ولا ينساء .

ذلك التطامن والتواضع الذي يدعو إليه القرآن يذم المرح والخيلاء أدب مع الله ، وأدب مع الناس ، أدب نفسي وأدب اجتماعي .

ومن ترك هذا الأدب إلى العجب والخيلاء ؛ عامله الله بنقيض قصده ؛ فجعله صغيرا عند الناس ، صغيرا عند الله .

وفي الأفر يقول الله عز وجل : «يا داود ، من تواضع لى هكذا ، رفعته هكذا ، ومن تكبر على هكذا رضعته هكذا » . وما أشبه المتكبر بالرجل فوق النخلة العالية أو الجبل المرتفع يرى الناس صغارا ، وهم يرونه صغيرا. وكان من دعاء السابقين : اللهم ، اجعلني عند نفسي صغيرا وعند الناس كبيرا .

وفي الصحيح: «بينما رجل يسقى فيمن كان قبلكم وعليه بربان يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» <sup>(۱۷)</sup>.

وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به ويداره الأرض.

وفي الحديث: (من تواضع لله؛ رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير، ومن استكبر؛ وضعه الله فهو في نفسه كبير ومند الناس حقير) (١٠٠٠).

\* \* \*

# ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَسَيِّئُهُ عِندَرَيِّكَ مَكُّرُوهَا ﴿ ﴾

التفسيره

٣٨- كُلُّ ذَالِكَ كَانَ سَيِّعُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا .

أى: كل الذي ذكر من الخصال أثناء الأوامر والنواهي ، وهي الخمس والعشرون <sup>٣٨</sup> السالغة كان سيئه وهو ما نهي عنه منها – من الجمل مع الله إلها آخر ، وعبادة غيره ، من التأفف من الوالدين والبخل والتبذير . وقتل الأولاد خشية الإملاق والزنا وقتل النفس وأكل مال البتيم ، وتطفيف الكيل والميزان واتهام الناس بالزور والبهتان والتكبر والخيلاء : مكروها عند ربك أي : مبغوضا عنده لا يرضي عنه .

أما من قرأ سيئة أى : فاحشة فمعناه عنده : كل هذا الذى نهينا عنه ، من قوله : وَلاَ تَقَلُّواْ أَوْلَـٰذَكُمْ خُشِّهَاً إِمَّلَــُونَ , إلى منا فهو سيئة مراخذة عليها مكروها عند الله لا يحبه ولا يرضاه .

وأما من قرأ سيئه على الإضافة فمعناه عنده كل هذا الذي ذكرناه من قوله : وُقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ يُشَدُّواْ إِلَّ إِنَّاهُ . إلى هنا فسيئه أى : فقبيحه مكروه عند الله فيكرن هذا تلخيصا وتذكيرا بمرجع الأمر والنهى وهو كراهية الله للسيئ من تلك الأمور ، وقد سكت عن الحسن المأمور به ؛ لأن النهى عن الشيء هو الخالب فيها (١٠٠) .

قال المهايمي: أما الشرك فلإخلاله بالكمال المطلق الذي لا يتصور مع الشرك ، وأما عبادة الغير فلما فيها من تعظيمه ، المخصوص بذي الكمال المطلق فهو معنى الشرك ، وأما العقوق فلأنه كفران نعمة الأبوين في التربية أحوج ما يكون المرء إليها ، ومنع الحقوق بالبخل تفريط ، والمتبذير والبسط إفراط وهما مذمومان ، والذميم مكروه . والقتل يمنع الحكمة من بلوغها إلى كمالها، والزنا وإتلاف مال اليتيم في معناه، ونقص العهد مخل بنظام العالم وكنا اقتفاء مالا يعلم ، والتكبر من خواص الحق وعادة العلوك كرامة أن يأخذ أحد من خواصه شيئا) (١٠٠٠م.

. . .

# ﴿ ذَلِكَ مِنَاۤ اَوۡ حَنۡ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكُمةِۗ وَلاَ يَتَعَلَّىٰمَٱللّهِ إِنْهَاءَاخَرَ فَنُلْفَى فِيجَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْ حُورًا ﴿ فَهِ ﴾

#### المفردات :

المحكمة ، هي القرآن ، أو الحكمة : معوفة الدق سبحانه ومعرفة الخير للممل به ، فالتوحيد رأس الحكمة . النظرية ، وبحكارم الأخلاق هي الحكمة العملية .

المدحورة المياد من رحمة الله ,

#### التفسير :

٣٩ - ذَالِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ...

أى: هذا الذي أمرنناك به من الأخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الرذائل مما أوحينا إليك من فقه الدين ومعرفة أسراره ومن الحكم في تشريعه . أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن الترراة كلها في خمس عشرة لهة من بني إسرائيل ثم تلا : لاَ تُجَعَّلُ مَعَ ٱللّهِ إِلَنْهَا ءَاخَرُ فَقَقَدُ مَلْمُومًا مُخْذُولًا و وَلَقَحَىٰ رَبُّكَ أُلاٍّ تُعْبُدُرُ إِلاَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّا لِيَاتِ .

فهذه خمس عشرة آية قد اشتملت على خمس وعشرين تكليفا جمعت أصول مكارم الأخلاق ، وأساس الفضائل .

وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَنْهَا ءَاحَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا .

لقد بدأ هذه المجموعة من الأيات الأمر بالتوحيد وَقَضَىٰ رَبُكُ أَلَّ شَبُّهُ أَوْ الْإَيْاهُ. ثم جاء الختام محنرا من الشرك ، داعيا إلى التوحيد فعقيدة التوحيد هى الأساس فى امتثال الأوامر والتواهى وهى رأس الحكمة وهى مبدأ الأمر ومنتهاه .

مَلُومًا تلوم نفسك أي : واقعا في اللوم مَّلْحُورًا مبعدا مطروبا من رحمة الله .

#### ملاحظة :

بدأ هذه المجموعة من الآيات (٢٢ -- ٣٩) بقوله تعالى :

لا تَجْعَلْ مَمَ ٱللَّهِ إِلَيْهَا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَلْمُومًا مَّخْلُولاً. (٢٢) . وَقَعَنَىٰ رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٢٣).

فذكرت عاقبة النثرك في الدنيا وهي أن يقعد المنثرك مذموما مخذولا أي : واقعا في الذم والخذلان والهزيمة .

ثم ذكرت خاتمة الآيات عاقبة المشرك في الآخرة وهي أن يلقى في جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (آبة ٢٩).

أي : ملموما من جهة نفسه ، ومن جهة غيره ومعدا من رحمة الله . وبين البداية والخاتمة ، سعوة إلى مكارم الأخلاق وتحذير من الكبائر والرذائل ، والخطاب هنا إما موجه إلى الإنسان عامة ، أو إلى الرسول خاصة والمراد أمته والكلام من باب قولهم : (إياك أعنى واسمعى عاجارة) .

هدانا الله إلى حكمة القرآن ووفقنا إلى الهدى ومكارم الأخلاق وأمدنا بالنصر والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير.

\* \* 1

# أخلاق القرآن

إن هذه المهادئ والوصايا التى ذكرت في سورة الإسراء في أسلوب حكيم أخاذ تعتبر دستورا أخلاتها للجماعة الإسلامية بل هي شعار إنساني للإنسانية الفاضلة .

وقد كان التمسك بهذه الأخلاق سببا في تماسك الأمة الإسلامية وترابطها وعاملا من عوامل رقيها وانتصارها ، وأحرى بالمسلمين اليوم أن يتمسكوا بهدى القرآن وأخلاق القرآن : ليعود إليهم مجدهم وعزهم بعد أن تعود إليهم أخلاقهم وشيمهم .

سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن .

وإن عناية القرآن بالتربية والفضيلة فاقت كل عناية ، وكان القرآن مأدبة الله أقبل عليها المسلمون فنفقرا أوامر القرآن ، وأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وعملوا بأوامره ، واجتنبوا نواهيه : فصاروا قرآنا متحركا ، وجاء في وصفهم على لسان مارية القبطية التى كتبت للمقوقس تقول له :

(إن هزلاء المسلمين هم العقل الجديد ، وهم النور الجديد . ونديهم أطهر من السحابة البيضاء في اليوم المسائف . وإذا رفعوا السيف رفعوه بقانون ، وإذا وضعوا السيف وضعوه يقانون يفتحون البلاد بأخلاقهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم . وإذا جاء وقت الصلاة : غسلوا أطرافهم ووقفوا في محرابهم يناجون إلها سميعا . محييها ) .

وإن رسالات الأنبياء كلها كانت دعوات هادفة لإرساء معالم الفضيلة والدعوة إلى الأخلاق السامية والسلوك المستقيم قال ﷺ: «إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق» (١٠٠٠). وبين الدين : أن أحب الرجال إلى الله هو السهل الهين الذي يألف ويؤلف وأبغض الرجال إلى الله هو الرجال إلى الله وأقريكم منى منازل الله المائة : أحاستكم إلى وأقريكم منى منازل القيامة : أحاستكم أخلاقا ، الموطئون أكتافا الذين يألفون ويؤافون ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى منازل يرم القيامة : الثرثارون المتشدقون ألمتفيهقون قلنا : يا رسول الله ، هولاء الثرثارون المتشدقون ، فمن هم المتفيهقون تلنا : يا رسول الله ، هولاء الثرثارون المتشدقون ، فمن هم المتفيهقون تلنا : يا رسول الله ، هولاء الثرثارون المتشدقون ، فمن هم

إن أخلاق الإسلام هي أخلاق الفطرة السليمة والنفس المستقيمة ؛ رغبة في الخير ؛ ومعونة للمحتاج، ورحمة بالضعيف ، وعمل إنساني من أجل الجماعة ، وكك الضر والإيثاء عن الناس .

وقد جاء في الحديث :

«المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء واجتنبه».

وقال رجل: يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاوأقلل فيه لعلى أعيه ؛ فقال له النبي ﷺ :

«قل آمنت بالله ثم استقم».

وفي هذا المعنى يقول القرآن الكريم:

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمُّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَعَنَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَئِكَةُ أَلَا تَخَلُواْ وَلَا تَعْزُلُواْ وَٱلْشِرُواْ بِٱلْحِنْدِ ٱلْبِي كُشُمْ تُوعَدُونَ ؞ نَعْنُ أُولِيَّارُكُمْ فِي ٱلْحَيْزُو ٱللَّذِي وَفِي ٱلاَّخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتُونَ ۥ نُؤَلاً مِنْ ظُفُورَ رَّجِيم . (فسلت: ٣٠ - ٣٧)

ولما أتى النبى فلل يسبيا طبيء ، وقلت من بينهم (سفانة ) بنت حاتم الطائى ، وقالت : يا محمد ، إن رأيت أن تفلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء المرب ، فعلت : فإن أبى كان سيد قومه ؛ يفك العانى ، ويقتل الجانى ، ويحفظ الجار ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاء أحد في حاجة فرده خائبا ، أنا بنت حاتم الطائى ؛ فقال محمد عليه السلام : «يا جارية هذه صفات المؤمنين فلو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق :» ثم قال : «الحموا عزيز قوم ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما ضاح بين جهال، وأكرم قومها من أجلها ؛ تحية لها ، فأطلقهم من أسارهم فاستأذنته في الدعاء له فأدن لها ، فقالت :

وأصاب الله ببرك مواقعه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سببا في ردها عليه» . ونهبت سفانة إلى أهيها عدى بن حاتم فقالت له: يا أخى ، ائت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله (تأتيه مقيدا) فإنى رأيت هديا ورأيا ، سيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصالا أعجبتنى: رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصفير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، إنه لنبى فللسابق إليه فضله .

فأصغى عدى إلى رأى أخته ، وقدم على رسول الله ﷺ مسلما ومعه أخته مسلمة أيضا.

إن قوة الإسلام الذاتية هي التي جمعت المسلمين ووحدت كلمتهم ودفعتهم ينشرون دين الله في المشارق والمغارب ، وصدق الله العظيم : إِنَّ هَنْلَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ ٱلْوَمُ وَيَبَشُرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱللَّذِينَ يَعَمَّلُونَ المُسْلَحَنْتُ أَنَّ لَهُمْ أَجُوا كُبِيرًا . (الإسراء: ٩).

\* \* \*

﴿ أَفَا صَفَكُو رَبُّكُم بِالْبَيِنَ وَاتَّغَذَمِنَ الْمَلَيْحَةِ إِنشَا إِلْكُولَنَهُولُونَ فَوَلَا عَظِيمَا ﴿ وَلَقَدْ صَمَّقَنَا فِي هَذَا الْقُرَانِ فَقُلَ عَلَيْهُ وَلَا عَظِيمَا ﴿ وَلَقَدْ صَمَّقَنَا فِي هَذَا الْقُرْمَ إِن لِيكُولُ وَمَا يَنِيدُهُمْ إِلَّا نَفُولًا ۞ قُلْ لَوَكَانَ مَعَهُ وَعِلَيْهُ وَلَى الْفَوْلُونَ إِذَا لَا بَعْفَ إِلَا فَا مَن عَلَى مَا يَعْفُولُونَ فِي اللّهُ عَلَى مَا يَعْفُولُونَ فَلُولُونَ مَن فِي مِنْ وَلِن مِن شَى وَ إِلّا يَسْمَعُ مِنْ اللّهُ عَلَى مَا يَعْفُولُونَ لَا نَفْقَهُونَ لَسَيْمِ عَلَيْمُ وَلَا مَن فَعَهُ وَلَا اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا مَن فَعِينًا وَلِي مَن شَعْده إِلّا يَسْمَعُ وَالْمَعْلُونَ لَا نَفْقَهُ وَنَسْلِيمَ هُمُّ إِنْهُ وَكُلُونَ لَا نَفْقَهُ وَنَسْلِيمَ هُمُّ إِنْهُ وَكُولُونَ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَيْنَ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مِن اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللل

المفردات :

الإصفاء بالشيء، جعله خالصًا له.

صسرهسسا، بينا وكررنا هذا المعنى بوجوه كثيرة.

اسيسدكسرواه ليتدبروا ويتعظوا.

السنسين البعد من الشيء.

استشاءالشيء، طلبه.

السبيان الطريق.

تسبيسج السه ، تنزمه عن النقائص وتقدسه .

تسطستهاون، تفهمون.

#### المعنى الاجمالي:

بعد أن نبه سبحانه إلى خطا من أثبتوا له شريكا ، واتخذوا له ندا ونظيرا أتبع ذلك بالتنديد والتقريع لمن أثبتوا له ولدا ، وأنه قد بلغ من سفاهتهم أن جعلوا البنين لأنفسهم ، وأعطرا لله البنات مع علمهم بأن الله موصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، ثم أتبع ذلك ببيان : أنه قد كرد هذا المعنى في القرآن على وجود كثيرة : لهعتبروا ويكدبروا ولكن ذلك ما زادهم إلا نفورا عن الحق ويعدا عنه .

قل يا محمد لهم: لو كان مع الله ألهة كما يزعمون : لطلبوا إلى ذى العرش سبيلا ؛ للتقرب إليه ، تقدس الله وتعالى عما يقولون علوا كبورا ، تسبح له وتقدسه السماوات السبع والأرض ومن فيهن وما من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ؛ لإخلالكم بالنظر الصحيح أنه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة، غفورا لمن تاب منكم .

#### التفسيره

. ٤ - أَفَأَمْ فَكُمُّ رَبُّكُم بِٱلْبَينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَئِكَةِ إِنَّكًا ...

أى : أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد . وهو خطاب للمشركين الذين قالوا : الملائكة بنات الله . والهمزة للاستفهام الإنكارى .

# قال الزمخشري في الكشاف: والمعنى:

أفخصكم ريكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم الذكور، ولم يجعل فيهم نصبيا لنفسه ، واتخذ أدونهم وهن البنات ، وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم بل تتدونهن وتقتلونهن ، فهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم «فإن العبيد لا يؤثرون بالأجود والأصفى والسادة بالأدنى والأرداء (٠٠٠) .

وخلاصة ذلك: أنهم جملوا الملائكة إناثا ، ثم ادعوا : أنهن بنات الله ثم عبدومن ، فأهطنوا في الأمور الثلاقة غملاً عظيمًا ، ومن ثم قال :

إِنُّكُمْ لَقُولُونَ لَا لاَ عَظِيمًا ، عظيمًا هَى شناعته وبشاعته ، عظيما هَى ضخامة الافتراء فيه ، عظيما فى خروجه عن التصوير والتصديق .

# ١ ٤ - وَلَقَدْ صَرُّفُنَا فِي هَلْذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكُّرُواْ وَمَا يَزِيلُهُمْ إِلَّا لُفُورًا .

أى: كررنا للناس البيان برجوه كثيرة ، وبينا فيه : من كل مثل: لِلْذَكُرُرا أَي : ليتمطوا ويعتبروا فيقفوا على بطلارن ما يقولون – فإن اللكرار يقتضى الإنمان واطمئنان النفس – ولكنهم يزيدون نفورا كاما سمعوا هذا القرآن . نفورا من العقيدة ثلتى جاء بها ، وتغورا من القرآن ذاته خيفة أن يظبهم على عقائدهم الباطلة التي يستمسكون بها .

٢ ٤ - قُل لُوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بْعَلُواْ إِلَىٰ ذِى ٱلْمَرْشِ سَبِيلاً .

أو - كما يقول النحاة - حرف امتناع لامتناع ، فالقضية كلها ممتنعة ، وليس هناك آلهة مع الله - كما يقولون - والآلهة التي يدعونها إن هي إلا خلق من خلق الله سواء كانت نجما أو كوكها ، إنسانا أو حيوانا ، نباتا أو جمادا . وهذه كلها تتجه إلى الشالق حسب ناموس الفطرة الكونية ، وتخضع للإرادة التي تحكمها وتصرفها ، وتجد طريقها إلى الله عن طريق خضوعها لناموسه وتلبيتها لإرادته .

### وذكر الطبرى وابن كثير : أن معنى هذه الآية :

قل لهؤلاء المشركين -- الزاعمين أن شاه شركاء من خلقه ، العابدين معه غيره ؛ ليقربهم إليه ولقي ؛ لو كان الأمر كما تقولون ، وأن معه آلهه تعبد ؛ لتقرب إليه وتشفع لديه ، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ، ويبتقون الزلفى والطاعة لديه ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه ؛ فإن الله لا يحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى غن ذلك على ألسنة جديم رسله وأنبيائه .

٤٣- سُبْحَلْنَهُ وَتَعَلَلَيْ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًا كَبِيرًا .

تنزه الله وتسامى وارتفع عن الوك والشريك تنزها حقيقا به عُلُوًا كُبِيرًا أي: تماظم عن ذلك تعاظماً كبيرا . فإن مثل هذه الفرية والبهتان ، مما يتنزه عنه مقامه الأسمى .

٤٤ - تُستَبِح لَهُ ٱلسَمَاوَاتُ ٱلسَّمْ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنْ وَإِن مِن هَيْءِ إِلاَّ يُستَبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَلَّكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِحَهُمْ إِلَّا يُستَبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَلَّكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِحَهُمْ إِلَّا يُستَبِحُ إِلَّهُ كَانَ حَلِيهَا فَشُورًا.

أى: إن السماوات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات تنزهه وتعظمه عما يقول هؤلاء المشركون ، وتدل بإنقان صنعها على تنزيه الله سبحانه عن كل نقص وأنه لا شريك له ، وما من شيء من المخلوقات في ملكه الواسع إلا ينزهه كذلك مع الثناء ، ولكن الكافرين لا يفهمون هذه الأدلة : لاستيلاء الغظة على تلويهم وكان الله خَلِهاً عليهم ، خُشُورًا لمن تاب ظم يعاجلهم بالعقوبة .

والآية تدل على أن الأشياء كلها تسبح الله وتسجد له ، بعضها بالتسخير ويعضها بالاختيار .

ه وذهب كثيرون إلى أن التسبيع المذكور مجازى ، على طريقة الاستمارة التمثيلية أن التبعية . كنطقت الحال ، فإنه استعير فيه التسبيع للدلالة على وجود فاعل قادر حكيم واعب الوجود منزه عن الولد والشرياء، كما يدل الأثر على مؤثره فجعلت تلك الدلالة الحالية كأنها تنزيه له عما يشالفه (١٠٠٠)، كما قال أبر نواس .

وقى كل شـىء لــه آيــة \_ تــدل على أنـــه الــولحد

#### وجاء في ظللل القرآن :

وأنه لمشهد كونى فريد حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر ، كل حبة وكل ورقة ، كل زهرة وكل غمرة ، كل نبئة وكل شجرة ، كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء ... ومعها سكان السماء .. كلها تسبع للله وتتوجه إليه في علام .

وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حرله مما يراه ومما لا يراه ، وكلما همت يده أن تلمس شيئًا ، وكلما همت رجله أن تطأ شيئًا .. سمعه يسبح الله ، وينبض بالحياة <sup>٢٠٠١</sup>.

وقد أخرج الإمام أحمد وابن مردويه عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنيه: آمركما بسيحان الله ويحمده؛ فإنها مسلاة كل شيء، ويها يرزق كل شيء».

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْمُتْمَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَيَهْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا خِرَهُ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿ وَإِذَا ذَكُونَ رَبَّكَ فِي ٱلْفُرَّهَا وَحَدُمُ وَلَوْا وَقَرَا وَإِذَا ذَكُونَ رَبَّكَ فِي ٱلْفُرَّهَا وَحَدُمُ وَلَوْا فَيَعَلَّمَا وَعَدَمُ وَلَوْا عَلَى اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللللللّهُ اللّهُ اللللل

#### المطردات،

الحجاب والعجب : المنع من الوصول إلى الشيء والعراد : الحاجب ، والمستور : أي : الساتر ، كما جاء عكسه من تحو . ماء دافق : أي : مدفوق .

أن يستسقسهموه، لئلا يفقهوه ويفهموه.

اكسينية . أغطية واحدها: كنان وهو الغطاء الذي يكن فيه الشيء . والكن: ما يحفظ فيه الشيء ، جمعه: . أكتان . يقال: كننت الشيء كتا ، جعلته في كن . و \_ وق \_ رو الصمم والثقل في الأثان المائع من السماع.

المنزعاج.

مس حسودا: أي : مخيول العقل ، فهو كقولهم : إِنْ هُوَ إِلا رَجُلُ مِهِ جِنَّةُ (المؤمنون : ٢٥) .

فق بيا بيواء أي : جاروا عن قصد السبيل .

#### المعنى الإجمالي :

وإذا قرآت أيها النبى القرآن الناطق بدلائل المق ؛ جعلنا بينك وبهن الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء حين إرادة الفتك بك ، حجابا ساترا لك عنهم فلا يرونك ، وجعلنا بمقتضى حكمتنا فى الإضلال والهداية على تلويهم أغطية ؛ كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ، وفى آذائهم مسما ، فلا يسمعونه سماع انتفاع؛ لأنهم أسرفوا فى العناد والمكابرة ، وإذا ذكرت ربك فى القرآن منفودا عن ذكر آلهتهم ، رجعوا على أعقابهم نافرين عن استماعه .

نحن أعلم بالسبب الذي يدعوهم للاستماع إليك ، وهو الاستهزاء بك وبالقرآن ، ونحن أعلم أيضًا إذ هم يتناجون ، إذ يقول الظالمون لغيرهم : إن اتبعتم محمدًا فإنما تتبعون رجلا مسحورا قد ذهب عقله .

انظر كيف ذكروا لك الأشباء فشههوك بالمسحور والكاهن والشاعر، فضلوا بذلك عن الهدى فلا يجدون طريقاً إليه .

#### التفسيره

ه ١، ٣ ٤ - وَإِذَا قَرَأَتَ القُرْعَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ صِحَابًا مُسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةُ أَنْ يَفْقُهُو ةً وَلِمَ عَذَائِهِمْ وَقُرًا وَإِذَا ذَكَرَتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحَدَّهُ وَلَوْا عَلَىٰۤ أَفْدِرِهِمْ فُفُورًا .

كان كبراء قريش يستمعون إلى القرآن ، ولكنهم يجاهدون قلويهم ألا ترق له ، ويمانعون فطرتهم أن تتأثر به فجعل الله بينهم ويين الرسول حجابا خفيا ، وجعل على قلويهم كالأغلفة فلا تفقه القرآن ، وجعل في آذائهم كالمسم فلا تعي ما فيه من توجيه .

وقد روى ابن إسحاق في السيرة: عن محمد بن مسلم بن شهاب عن الزهرى: أنه حدث: أن أبا سفيان بن حرب وأبا جبل بن هشام ، والأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة: ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل في بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تغرقوا ، حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا ، فقال بعضهم لهرموا ، فقر أركم بعض سفهائكم : لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية: عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فياتوا يستمعون له ، حتى أذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الثالثة : أخذ كل رجل مجلسه، فياتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد : لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاء ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بهته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها .

قال الأخفس : وأذا والذى حلفت به . قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال: يا أبا الحكم ، ما رأبُك فيما سمعت من محمد ؟

قال : ماذا سمعت ؟ قال : تنازعنا نحن وينر عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا. حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا: منا نبى يأتيه الرحى من السماء: فعتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ؛ قال : فقام عنه الأعنس وتركه .

فهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن قلويهم فيصدونها ، وتجانبهم إليه نفرسهم فيمانعونها ، فجمل الله 
بينهم وبين الرسول حجابا حفيا لا يظهر للعيرن ولكن تحسه القلوب ، فإذا هم لا يتفعون به ، ولا يهتدون 
بالقرآن الذي يتلوه ، وهكذا كانوا يتناجون بما أصاب قلوبهم من القرآن ، ثم يتأمرون على عدم الاستماع 
إليه ، ثم يقلبهم التأثر به فيعودون، ثم يتناجون من جديد حتى ليتماهدوا على عدم العودة: ليحجزوا أنفسهم 
عن هذا القرآن الموثر الجذاب الذي يخلب القلوب والألباب اذلك أن عقيدة الترحيد التى يدور عليها هذا القرآن 
كانت تهددهم في مكانتهم وفي امتيازاتهم وفي كبريائهم فينغوون منها .

ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التسمع والتأثر ، والكبرياء يمنعهم من التسليم والإذعان ، فيطلقون التهم على الرسول ﷺ يعتذرون بها عن المكابرة والعناه .

٤٧ – نُحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَعِمُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَعِمُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَيَوْعَآ إِذْ يَقُولُ ٱلطَّـلِيُمُونَ إِن تَتَجِمُونَ إِلاَّ رَجُلاً مُسْحُورًا .

أى : نحن أعلم بالوجه الذى يستمعون به وهو الهزء والسخرية والتكذيب حين استماعهم ، وأعلم بما يتناجرن به ويتسارون ، إذْ يُقُولُ ٱلشَّلْمِونَ إِن تَجَعُونَ إِلاَّ رَجُلاً سَّمُّورًا . أى : سحر فجن واختلط كلامه .

وهذه الكلمة ناتها تحمل في ثناياها دليل تأثرهم بالقرآن، فهم يستكثرون في دخيلتهم أن يكون هذا قبل بشر : لأنهم يحسون فيه شيئا غير بشري ، ويحسون دبيبه الخفي في مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر يرجعون إليه هذه الغرابة في قوله وهذا التميز في حديثه ، وهذا التفوق في نظمه ، فحجد إذن لا " ينطق عن نفسه ، إنما ينطق عن السحر يقوة غير قوة البشر ولو أنصفوا لقالوا : إنه من عند الله ، فما يمكن أن يقول هذا إنسان ولا خلق أخر من خلق الله .

# ٨٤- ٱنظُرُ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ ٱلأَمْثَالَ فَصَلُّواْ فَلاَ يَسْتَعِلْعُونَ سَبِيلاً.

أي: تأمل وانظر أيها الرسول كيف مثلوا لك الأمثال وشيهوا لك الأشهاه ، فقالوا : هو مسحور وهو شاعر مجنون ، فحادوا في كل ذلك عن سواء السيل ، ولم يهتدوا لطريق الحق ؛ لضلالهم عنه ويعدهم منه .

أو المعنى: فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن يمكن أن يقبله أحد بل يخبطون بما لا يرتاب في بطلانه أحد ، كالمتحير في أمره لا يدري ماذا يصنع .

\* \* \*

﴿ وَقَالُوْاْ أَوَذَا كُنَّا عِظْمَا وَرُفَنَا أَوَنَا لَمَبْعُونُونَ خَلَقًا جَدِيدًا ﴿ ﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً اَوْحَدِيدًا ﴿ اَوْخَلَقًا مِمَّا يَحَبُرُ فِ صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَنَّ إِفْضَائِهُ فَتَسْنَخِيمُونَ إِلِنَكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُوكَ مَقَ هُوَّقُلْ عَسَىنَ أَن يَكُوك قَرِينًا ﴿ يَوْمَيْدَ عُوكُمْ فَتَسْنَخِيمُونَ إِيكَ مُرَادً عَسَدِهِ وَتَظُنْزُنَ إِن لِبَثْمُ إِلَا قَلِيلَا

#### المفردات

السوهسات، ما تكسر ويلى من كل شيء. ٠

يكبرهن صدوركم: أي: يستبعد قبوله للحياة.

هـ طـ وكسم الى : خلقكم وأوجدكم ، يقال : فطرهم يقطرهم فطرا ، أي : خلقهم .

فسِنْفُنون إليك روسهم أى : فسيحركون رءوسهم ؛ تعجها وسخرية .

فتستجيبون: أي: تجيبون الداعي.

إن اليستسم، أي: ما لبثتم.

### المعنى الإجمالي:

اعلم أن أمهات المسائل التى دار حولها البحث فى الكتاب الكريم هى : الإلهيات والنبوات والبعث والجزاء والقضاء والقدر ، وقد تكلم فيما سلف فى الإلهيات ثم أتبعه بذكر شبهاتهم فى النبوات ، وفندها بما لا مجال للرد عليه ولا لدحضه وتكذيبه ثم نكر في هذه الآيات : شكركهم في المعاد والبعث والجزاء ، ورد عليها بما لو نظر إليه المنصف ؛ لأيقن بصدق ما يقال .

#### التفسيره

٩ ٤ -- وَ لَالُواْ أَوْدَا كُمًّا عَظَامًا وَرُفَانًا أَوِنَّا أَوَنَّا لَمَيْعِ ثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا.

أي: وقال الذين لا يؤمنون باليوم الآخر من المشركين: أنذا كنا عظاما في قبورنا، لم تتحطم ولم تتكسر بعد مماننا، ورفاتا متكسرة مدقوقة ، أثنا لمبعوثون بعد مصيرنا فيها ، وقد بلينا فتكسرت عظامنا ، وتقطعت أوصالنا ؛ علقا جديدا كما كنا قبل العمات.

ومثل الآية قوله تعالى : وَصَرَبَ ثَنَا مَثَلاً وَنَسِى حَلَقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْمِظْنَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ه قُل يُحْيِهَا ٱلَّذِينَ أَنشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلُّ خَلْقِ عَلِيمٌ . (يس ٧٩ ، ٧٩) .

وقد أمر الله رسوله أن يجيبهم ، ويعرفهم قدرة الله على بعثهم بعد مماتهم فقال سبحانه:

٥ ، ٥ ٥ - قُلْ كُونُواْ حِجَارَةُ أَوْ حَلِيدًا مِ أَوْ خَلْقًا مِّمَا يَكُبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ...

والعظام والرفات فيها رائحة البشرية وفيها ذكرى الحياة ، والحديد والحجارة أبعد عن الحياة فيقال لهم : كونوا حجارة أو حديدًا ، أو خلقاً أوغل في البعد عن الحياة من الحجارة والحديد مما يكبر في صدوركم أن تقصيرويه وقد نفخت فيه الحياة : فسيهملكم الله .

وهم لا يملكون أن يكرنوا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر ولكنه قول للتحدى وفيه كذلك ظل التوبيخ والتقريع.

(فهو کلول اللتائل: أتطمع هي وأنا فلان ؟ فيقول له صاحبه : كن ابن من شئت ، كن ابن الوزير فسأطلب مثك حقير) ١٠٠٩.

فَسَيَقُو لُونَ مَن يُعِيدُنَا.

من يردنا إلى الحياة إن كنا رفاتا وعظاما أو خلقا آخر أشد إيغالا في الموت والخمود ؟

قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

أى: الذي يفعل ذلك من القادر المظهم ، الذي خلقكم أول مرة على غير مثال يحتذى ، ولا منهاج معين ينتحى ، وكنتم ترابا لم يشم رائحة الحياة ، فالذي أنشأهم إنشاءً قادر على أن يردهم أحياء ولكنهم لا ينتغمن بهذا القبل ولا يقتنمون به . لإسراء (٥٢ - ٥٥)

فَسَيْنَفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ . سيجركون رءوسهم برفع وخفض استنكارا واستهزاء .

وَيُقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ . أي : متى هذا البعث؟ ومقصدهم من هذا السؤال استبعاد حصوله واستنكاره .

قُلُ عَسَيَّ أَن يَكُونَ قَرِيبًا . أي : فاحذروا ذلك ، فإنه قريب منكم سيأتيكم لا محالة ، وكل آت قريب .

ثم يرسم مشهدا سريعا لذلك اليوم .

٧ ٥- يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَحِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَطْتُونَ إِنْ لَبِشُمْ إِلاَّ قَلِيلاً .

وهو مشيد يصور أولئك المكتبين بالبعث المنكرين له ، وقد قاموا يلبون دعوة الداع ، وألسنتهم تلهج يحد الله ، ليس لهم سوى هذه الكلمة من قول ولا جواب .

وهو جواب عجيب ممن كانوا ينكرون يوم البعث كله وينكرون الله ، فلا يكون لهم جواب إلا أن يقولوا: الحمد لله ، الحمد لله .

ويومئذ تنطوى الحياة الدنيا كما ينطوى الظل:

وتطُّونَ إِنْ لِبُّمْ إِلاَّ قَلِيلاً. أَى: وتظنون حين تقومون من قبوركم أنكم ما أقمتم في دار الدنيا إلا زمنا قليلا. ومثل الآية قوله تعالى: وَيُومُ قُفُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْبِمُ ٱلْمُعْرِمُونَ مَا لَبُواْ فَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُواْ يُؤْكُونَ . (الروم: ٥٥).
قال الحسن: المراد: تقريب وقت البعث ، فكأنك بالدنيا ولم تكن ، وبالأهرة ولم تزل.

\* \* 1

﴿ وَقُل لِعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِي هِى الْحَسَنُ إِنَّ الشَّيْطَنَ يَانَغُ بَيْنَهُمُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَاك لَلْإِنسَنِ عَدُوَّا مُبِينًا ۞ رَبُّكُمْ أَعَلَمُ بِكُرُّ إِن يَشَأْ يَرَّحَمَّكُمُّ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمُ وَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلا۞ وَرَبُّكَ أَعَلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَلْنَ بَعْضَ النَّيْنِيَنَ عَلَى بَعْضٌ وَعَالَيْنَا دَاوُد دَنُورًا۞ ﴾

#### المقردات :

والمرافع الأمر الإفساده. والمرافع المرافع المنافع الأمر الإفساده.

وكسيسسلاء أي: موكولا إليك أمرهم تجبرهم على الإيمان.

زير.
زير.
زير.

المعنى الإجمالي:

قل لعبادي يقولوا الكلمة التي هي أحسن ، وعليهم أن يجادلوا مخالفيهم باللين ، ولا يقلطوا لهم في القول ، ولا يشتموهم ولا يسبوهم ، فإن الكلمة الطيبة تجذب التقوس وتميل بها إلى الاقتناع .

إن الشيطان يدخل بينهم فيهيج فيهم المراء والشر، وريما أفضى ذلك إلى عنادهم وازدياد فسادهم إن الشيطان دائما عدو للإنسان بين العداوة ، فلا تصارحوهم بأنهم من أهل النار فإن ذلك يهيجهم على الشر، ثم ذكر من الكلمة الطيبة أن يقول لهم: ريكم العليم بكم إن شاء عذيكم وإن شاء رحمكم، ولا يصرح بأنهم من أهل النار فإن ذلك مما يهيج الشر مع أن الخاتمة مجهولة لا يطمها إلا الله سبحانه، ثم بين لرسوله أنه لا يقسر الناس على الإسلام فما عليه إلا البلاغ والإنذار، والله هو العليم بمن في السماوات والأرض، فيختار لنبوته من يشاء ممن يراه أهلا لذلك، وأولئك الأنبياء ليسوا سواء في مراتب الفضل والكمال وأفضلهم محمد ﷺ وأمته.

#### التفسده

٣ ٥ - وَقُل لَّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...

أى: وقل لعبادي يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم مع خصومهم من المشركين وغيرهم: الكلام الأحسن للاقفاع، معر البعد عن الشتم والسب والأدى .

ونظير الآية قوله تعالى : أَدْعُ إِلَيْ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ... (النمل: ١٢٥) ثم علل ذلك بقوله:

إِنَّ ٱلنَّيْظُانُ بُنْزَغُ يُنْهُمْ . أي : بين الفريقين جميعا : فيزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود (١٠٠٩).

ومن ثم نهى رسول الله ﷺ أن يشير الرجل إلى أهيه المسلم بحديدة : فإن الشيطان ينزغ فى بده فريما أمسابه بها . روى أهمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: ورلا يشيرن أهدكم إلى أهيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزغ فى يده فيقع فى حقرة من النار» (٩٠٠٠ .

إِنَّ ٱلشَّيْطَلْنَ كَانَ لِلإِلسَلْنِ عَلُّوا مُّبِيتًا .

يتلمس سقطات فمه ، وعثرات لسانه ، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطم عليه الطريق ، وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته . ثم نُسر التي هي أحسن بما عليهم التصغة بقوله :

و ٥- رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأَ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأَ يُعَلَّبُكُمْ ...

أي : ربكم أيها القوم هو العليم بكم ، إن يشأ رحمتكم ؛ بتوفيقكم للإيمان والعمل الصنالح ؛ يرحمكم ، وإن يشأ يعنبكم ؛ بأن يخذلكم عن الإيمان : فتعرقوا على شرككم .

وفي هذا إيماء إلى أنه لا ينبغى للمؤمنين أن يحتقروا المشركين ، ولا أن يقطعوا بأنهم من أهل النار ويعيروهم بذلك ، فإن العاقبة مجهولة ، ولا يعلم الغيب إلا الله – إلى أن ذلك مما يساعد على توليد الضغائن في النفوس ، بلا فائدة ولا داخ يدعو إليها ثم وجه خطابه إلى أعظم الخلق : ليكون من دونه أسوة له فقال:

وُمَا أَرْسَلْنَكَ مَلَهِمْ وَكِيلاً . أي : وما أرسلناك أيها الرسول حفيظا ورقيبا ، تقسر الناس على ما يرضى الله ، إنما أرسلناك بشيرا ونذيرا ، فدارهم ولا تفلط عليهم ، ومر أصحابك بذلك فإن ذلك هو الذي يؤثر في القلوب ويستهوى الأفئدة .

ه ٥- وَرَبُّكَ أَعْلُمُ بِمَن فِي ٱلسَّمْنُوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَصَّلْنَا بَمْعَنَ ٱلنَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَعَاتَبَنَا دَاوُدَ زَبُورًا .

أى: فلا يغفى عليه شيء فيهما ، وعلمه يشمل من في السماوات والأرض من ملائكة ورسل وإنس وجن وكاثنات لا يعلم إلا الله ما هي ؟ وما قدرها ؟ وما درجتها ؟.

وبهذا العلم المطلق بحقائق الشلائق ؛ فضل الله بعض النبيين على بعض .

وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي آلسَّمَنْوَاتِ وَآلأَرْضِ.

وَ لَقَدْ فَطَّلْنَا يَعْضَ ٱلنَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ . بالمعجزات وكثرة التابعين ، (وفيه رد على أهل مكة في إنكارهم أن يكون يتيم أبي طالب مفضلا على الخلائق ونبيا دون صناديد قريش وأكابرهم) (١٠٠٠ .

وفى معنى الآية قوله تعالى : تِلْكَ آلَرُسُلُ فَسَّلْنَا يَفَسَهُمْ عَلَىٰ يَفَضِي مِّهُم مِّن كَلَمَ آللُهُ وَرَفَعَ يَفْضَهُمْ دَرَجَسْتِ... (البقرة : ٢٥٣) .

هَاللهُ أعلم بمن في السماوات والأرض وأحوالهم ، فأتى موسى الثوراة وكلمه ، وعيسى الإنجيل ، وباود الزبور ، فضلهم بما أتاهم على غيرهم . وقد آتى محمدا القرآن ففضله به على الأنبيام كافة . ونجد في كتب العقائد: أن أولى العزم من الرسل خمسة هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
عليهم السلام وقد فضل الله مؤلاء الخمسة على بقية الأنبياء : لجهادهم وصبرهم ويلائهم في سبيل دعوة
 الحق والخير وأفضل هزلاء الخمسة محمد ﷺ ثم إبراهيم فموسى فعيسى عليهم السلام .

وَ وَالْيَنَا دَاوُدَ زَابِرًا . وهو نموذج من عطاء الله لأحد أنبيائه ، ومن مظاهر التفضيل أيضا ؛ إذ كانت الكتب أيقي من الخوارق المادية التي يراها الناس في ظرف معين من الزمان .

وقد خمس الله داود بالذكر للإشارة إلى أن داود عليه السلام لم يكن في نشأته الأولى معن يظن أنه يبلغ ما بلغ في الحكمة والملك ، وقد اختصه الله بهما وميزه الله على أهل عصره وإذ كان ذلك اختصاصا ريانيا : فلا غرابة أن يختص سبحانه من العرب من علم أنه أرجمهم عقلا ، وأكملهم فضلا ؛ لختم نبوته ، وهداية بريته بنهاجه وشرعته .

\* \* \*

#### المقردات :

الايمملكون، لا يستطيعون.

كشيف الضير: إزالته أو تحويله عنكم إلى غيركم.

الــوسمهمامة ؛ القرب بالطاعة والعبادة .

مستحستوراء يجذره ويحترس منه كل أحد.

السكستساب، اللوح المحفوظ.

الأيـــــات، هي ما اقترحته قريش من جعل الصفا ذهبا .

مسبهسسرة: بيئة جعلتهم ذوى بصائر.

فظلمواهها، فكفروا بها وجحدوا.

إن ربك أحاط بالناس؛ هم في قبضته .

السسرايسساء هي ما عاينه ﷺ ليلة أسرى به من العجائب.

الشجرة الملعوقة؛ هي شجرة الزقوم .

الطعاد المان تجاوز الحدقى الفجور والضلال.

#### المعنى الإجمالي:

هذه الآيات عود على بدء في تسفيه آراء المشركين ، الذين كانوا يعبدون الملائكة والجن والمسيح وعزيرا : إذ رد عليهم بأن من تدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ؛ ليتقربوا إليه ، فيرجون رحمته ويضافون عنابه . ثم بين أن قري الكافرين صائرة إما إلى الفناء والهلاك بعذاب الاستئصال ، وإما بعذاب دون ذلك من قتل كبرائها وتسليط المسلمين عليهم بالسبى واغتنام الأموال وأخذ الجزية ثم أردف نلك ببيان : أن ما منعه من إرسال الآيات التى طلب مثلها الأولون كقولهم : أن أُولِّن لَكَ حَيْن تُفْجُرُ ثُكَامِن آلاً رُّس يَتْلُوعاً ... الآيات إلا أنه لو جاء بها ولم يؤمنوا ؛ لأصابهم عذاب الاستئصال كما أصاب من قبلهم ، أو لم ينظروا إلى ما أصاب ثمود حين كذبوا بأيات ربهم وعقروا الناقة ؟! ثم قفى على ذلك بأن الله حافظه من قومه ، وأنه سينصره ويؤيده ، ثم أتبع ذلك ، فإن أمر الإسراء كان فتنة للناس وامتحانا لإيمانهم .

## التفسير،

٥٧٠٥٦- ُ قُلِ آدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مَّن مُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلشَّرِّ عَنكُمْ وَلاَ يَخْوِيلاً ۚ أُو لَئِلِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَعُونَ بِأَنِّي رَبِّهِمُ ٱلْوَسِلَةَ أَلَيْمِ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتُهُ وَيَعْلُونَ عَلَىٰهَ إِنَّ عَلَىٰهِ وَبِلَّا كَانَ مَحْذُورًا.

أى : قل لهؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله من خلقه : ادعوا من زعمتموهم أريابا وآلهة من دونه،

عند فسر ينزل بكم ، وانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم ، أو تحويله عنكم إلى غيركم ، فقدعونهم : آلهة ؟ أي: فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه ، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم .

وروى الطبرى: (۱٬۰۰۰ عن ابن عباس : أن الآية عنى بها قوم مشركون ، كانوا يعبدون المسيح وعزيرا والملائكة ، ويعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأخبرهم الله تعالى : أن هؤلاء عبيده يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه بالأعمال .

فما أجدركم أن تتوجهوا إلى الله ، كما يتوجه إليه من تدعونهم: آلهة من دونه وهم عباد لله ، يبتغون رضاه. وفي قوله تعالى: وَيُرْجُونُ رُحْمَتُهُ وَيُخَالُونُ مُفَارَّهُ، إشارة إلى أن العبادة لا تتم إلا بالرجاء والخوف . فبالرجاء تكثر الطاعات ، وبالخوف تقل السيئات . وقوله تعالى : مَخَلُّورًا أي : يبتغي أن يحذر منه ، ويخاف من طوله .

٥٥ - وَإِن مِّن قَرْيُةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْم ٱلْقِيَامَةِ أَوْ مُعَدَّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَالِكَ فِي ٱلْكِتَلْبِ مَسْطُورًا.

أخير الله : جأنه حتم وقضى ، أنه ما من قرية يتمرد أهلها على نبيهم ، إلا ويبيدهم ، أو ينزل بهم من العذاب شديده : وذلك لذنويهم ، وخطيفاتهم ، وعدم استجابتهم لنبيهم .

كَانَ ذَالِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مُسْفُورًا . أي : كان ذلك مثبتا في علم الله أو في اللوح المحفوظ.

عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب، فقال : ما أكتب ؟ قال : اكتب المقدر وما هو كائن إلى يوم القيامة، ""، أهرجه الترمذي .

ولد كانت الخوارق تصاحب الرسالات: لتصديق الرسل وتخويف الناس من عاقبة التكذيب وهي الهلاك بالحذاب، فاقترحت قريش على النبي ﷺ أن يريهم بعض الأيات والمعجزات فأجابهم الله بقوله:

٩٥ – وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ أَن كُلَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ ...

أى: أنه تمالى لو أظهر تلك المعجزات القاهرة ثم لم يؤمنوا بها بل بقوا مصرين على كفرهم:

لاستحقوا عذاب الاستئصال كما هى سنتنا فى الأمم السابقة كعاد وثمود، وقد قضى الله ألا يستأصل كغار.
هذه الأمة؛ لأن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن.

ولأن الله شاء أن تكون معجزة الإسلام هى القرآن وهو كتاب يرسم منهجا كاملا للحياة ويضاطب الفكر والقلب ويبقى مفتوحا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به إلى يوم القيامة ، أما الخوارق المادية فهى تخاطب جيلا واحداء من الناس ، وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل . والعلاصة : أنه ما منحنا من إرسال الآيات التى سألوها إلا تكنيب الأولين بمثلها ، فإن أرسلناها وكنب هزلاء بها : عوجلوا ولم يمهلوا .

روى الإمام أحمد (١٠٠ عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة النبى ﷺ أن يجعل لهم الصفا نهبا ، وأن ينحى الجبال عنهم فيزرعوا . فقيل له : إن شئت أن نستأنى بهم ؛ لعلنا نجتبى منهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم .

قال : بل نستاني بهم هانزل الله : وَمَا مَتَعَنَا أَنْ لُرْسِلُ بِٱلاَيَّاتِ إِلاَّ أَنْ كُلْبَ بِهَا ٱلأَوْلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلثَالَةَ، مُهُمِرَةً ...

وَءَاتَيْنَا لَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَطَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بٱلآيَلتِ إِلاَّ تَحْرِيفًا .

أى : وقد سألت ثمود من قبل قومك : الآيات فأتيناها ما سألت ، وجعلنا لها الناقة حجة واضمة ، دللة على وحدانية من خلقها ، فكفروا بها ، ومنعوها شربها وقتلوها ، فأبادهم الله وانتقم منهم .

وما كانت الآبات إلا إنذارا وتخويفا بحتمية الهلاك بعد مجيء الآبات.

هذه الثجارب البشرية ، اقتضت أن تجىء الرسالة الأخيرة غير مصحوية بالخوارق ؛ لأنها رسالة الأجيال المقبلة جميعها ، لا رسالة جيل واحد يراها ، ولأنها رسالة الرشد البشرى ، تضاطب مدارك الإنسان جبلا بعد جيل ، وتحترم إدراكه الذي تتميز به بشريته ، والذي من أجله كرمه الله على كثير من خلقه .

أما الخوارق التى وقعت للرسول ﷺ وأولها : خارقة الإسراء والمعراج ، فلم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة إنما جعلت فتنة للناس وابتلاء .

٩ - وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنْ رَبُّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَمَلُنَا ٱلرُّبَيْ ٱلْبَيْ أَرْيَسْكَ إِلاْ فِئْنَةً لَلنَّاسِ وَٱلشَّبَعَرَةَ ٱلْمَلْمُونَة فِي اللَّهِ عَلَيْنَا وَلَمْتُولِهُ فَي اللَّهِ عَلَيْنَا كَبِيرًا .
 آلْفُرْمَانِ وَلُمْتُولُهُمْ فَمَا يَزِيلُكُمْ إِلاَّ مُلْكِينًا كَبِيرًا .

وَإِذْ قُلْنَا لَئِنَ إِنَّا رَبِّكَ أَخَاطَ بِالتَّاسِ. أي: علما ، قلا يخفى عليه شيء من كفرهم وتكذيبهم ، ومنه ما جرى منهم إثر الرئيا والإخبار بالشجرة الملعونة ، من الجحود والهزه واللغر. ثم قال سبحانه :

وَمَا جَعَلْنَا ٱلْوَعْيَا ٱلْتِي َ أَلْيَصْلَ إِلاَ فِشَةً لَلْنَاسِ. قال الأكثرون: يعنى: ما رأه النبى ﷺ ليلة الإسراء من الآيات، فلما ذكرها النبى ﷺ للناس؛ أنكر بعضهم ذلك وكذبوا ، كما ثبت بعضهم وازداد يقينا . ومن ثم كانت الرئيا التي أراها الله لعبده في تلك الليلة شِنَةً لُنَّاسٍ ، وإبتلاء لإيمانهم . وقد استدل القائلون بأن الإسراء والمعراج كانا مناما ، بهذه الآبة على صحة ما ذهبوا إليه .

رذهب القائلون بأنهما كانا في اليقظة إلى أن المراد بهذه الرؤيا رؤيا رآما في وقعة بدر؛ لقوله : إِذْ يُرِيكُهُم ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً . وقيل : بل هي رؤيا عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة .

وروى الطبرى عن الحسن في الآية هذه ، قال : أسرى به عشاء إلى بيت المقدس ، فصلى فيه وأراه الله ما أراه من الآيات ، ثم أصبح بمكة فأخبرهم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ، فقالوا له : يا محمد ، ما شأنك ؟! أمسيت فيه ثم أصبحت فينا تخبرنا : أنك أتيت بيت المقدس ، فعجبوا من ذلك حتى ارتد بعضهم عن الإسلام.

وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس: أنها رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء ، وهو قول سعيد بن جبير ومسروق وقتادة . وجاء في اللغة : الرؤيا بمعنى : الرؤية مطلقا. وهو معنى حقيقي لما وقيل: إنها حقيقة في رؤيا المنام ورؤيا اليقظة ليلا. وقد ذكر السهيلي أنه ورد في كلام العرب بهذا المعني تقول : رأيته رؤيا كقرية وقريس.

وقيل: إن إطلاق الرؤيا على الإسراء مجاز؛ لوقوعها ليلا أو لسرعتها (١١٤).

وَالسُّجَرَةُ ٱلْمُلُّورَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ . أي : وما جعلنا الشجرة العلعرنة في القرآن إلا فتنة للناس ، فإنهم حين سمعه إ: إنَّ شَجَرَتَ ٱلرَّقُوم و طُعَامُ ٱلرَّفِيم ؛ لختلفوا ؛ فقوم ازدادوا إيمانا ، وقوم ازدادوا كفرا ، كأبي جهل إذ قال: إن ابن أبي كبشة - يعني: النبي ﷺ - توعدكم بالنار، ثم يزعم أنها تنبت شجرة ، وتعلمون أن النار تحاق الشجر، وقال عبد الله بن الزيعرى: إن محمدا يخوفنا بالزقوم، وما الزقوم إلا التمر والزيد، فتزقموا منه، وجعل يأكل من هذا بهذا . أي : تمرا بزيد .

وقد فات هؤلاء أن في الدنيا أشياء كثيرة لا تحرقها النار، فهناك نوع من الحرير يسمى بالحرير المسترى ، لا تؤثر فيه النار ، بل هو يزداد إذا لامسها نظافة ومن ثم يلبسه رجال المطافئ .

وكم في الأرض من عجائب وكم في العوالم الأخرى من مثلها ، فالأرض مملوءة نارا ، وما خلص من النار إلا قشرتها التي نعيش عليها وما من شجر أو حجر إلا وفيه نار ، والماء نفسه مادة نارية نحو  $\frac{\Lambda}{2}$  منه أكسجين وهو مادة تشتعل سريعاء والتسم أدروجين.

وقوله تعالى: وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتُ . أي : صيارت نارا من قولك : سجرت التنور إذا أشطته .

والخلاصة : أن هؤلاء المشركين فتنوا بالرؤيا ، وفتنوا بالشجرة . وقد وصفت هذه الشجرة بكونها ملعونة ولا ذنب لها ، للعن الكفار الذين يأكلونها ؛ توسعا في الاستعمال وهو كثير في كلام العرب. وَنَحُولُهُمْ لَمَا يَزِيلُهُمْ إِلَّا طُغُينًا كَبِيرًا . أي : ونخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا تماديا في الطفيان والضلال . وما زادتهم خارقة الإسراء ولا زادهم التخويف بشجرة الزقوم إلا طفيانا كبيرا.

إن الله لم يقدر إهلاكهم بعذاب من عنده . ومن ثم لم يرسل إليهم بخارقة . فقد اقتضت إرادته أن يهلك المكذبين بالخوارق .

أما قريش فقد أمهلت ولم ترُخذ بالإيادة كقرم نوح وهود وصالح وشعيب .. ومن المكنبين من آمن بعد ذلك ، وكان من جند الإسلام الصادقين . ومنهم من أنجب المرّمنين الصادقين .

وظل القرآن – معجزة الإسلام – كتابا مفتوحا لجيل محمد ﷺ وللأجيال بعده ، فآمن به من لم يشهد. الرسول وعصره وصحابته ، عندما قرأ القرآن أو صاحب من قرأه .

وسيبقى القرآن كتابا مفتوحا للأجيال ، يهتدى به من هم بعد فى ضمير الغيب ، وقد يكون منهم من هو أشر إيمانا وأسلخ عملا ، وأنقم للإسلام من كثير سبقوه .

\* \* \*

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَيْكَ هَلَهُ اللّهُ وَالْآدَمُ فَسَجَدُواْ إِلّاَ إِلْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيسَنَا ۞ قَالَ أَرَءَيْكَ هَلَا اللّهِ كَرَّمْتَ عَلَى لَيْنَ أَخَرْتِنِ إِلَى يَوْمِ الْفِينَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَا قَلِيلًا ۞ قَالَ آذَهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَمُ جَزَا وَكُمْ جَزَاءً مُوْفُولًا ۞ وَأَسْتَفْرِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبٌ عَلَيْهِم بِخَلْكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْرِلِ وَالْأَوْلَكِ وَعِدْهُمْ وَمَايَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَا غُرُورًا ۞ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِ مُسْلَطَنَ وَكَفُر مِرَيِكَ وَكِيدُ ۞ ﴾

# المطردات ،

أرايستك، أي: أخبرني.

هذا الذي كرمت على : أهذا الذي كرمته على . قاله احتقارا واستصغارا لشأنه .

لاحست شكرة من قولهم : حتك الدابة واحتنكها ؛ إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به ، كأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه . نه...... به أي : امض لشأنك فقد خليتك وما سولت لك نفسك .

مستوهب وواه أي : مكملا لا يدخر مذه شيره .

استخف.

بعب الله عمية الله عمية الله .

واجماب مشهوم ، أى: منح عليهم من الجلبة وهى المنباح ، يقال : أجلب على العدو إجلابا : إذا جمع عليه الخيول . ويخيلك ودجلك ، أي: : بأعه انك من راكب و رابط .

المستفصيرور و تزيين الباطل بما يظن أنه حق .

البوكسيسل والصافظ والرقيب الذي يكلون إليه أمورهم

#### تمهيده

لما نازع القوم رسول الله صلى وعاندوه واقترحوا عليه الاقتراحات الباطلة لأمرين هما الكبر والحسد:

أما الكبر: فلأن تكبرهم كان يمنعهم من الانتياد وأما الحمد: فلأنهم كانوا يحسدونه على ما أتاه الله من النبوة: فيين سيحانه أن هذا الكبر والحمد هما اللذان حملا إبليس على الغروج على الإيمان والدهول في الكفر. التشسب

٩ ٧ - وَإِذْ قُلْنَا لِلْمُلَكِكَةِ ٱسْجُثُواْ لِآذُمْ فَسَجَثُواْ .. الآرق

وَإِذْ قَلْنَا لِلْمَلَئِكَةُ حِينَ خَلَفَنَا آبَاكَ آدِم وَهُ صَلَنَاهِ : آسْجُدُواْ الْآفَةِ : قَصِية وتكريما ؛ فَسَجُدُواْ إِلَّا إِلْلِيسَ قَالَ وَأَشْجُذُ لَمُرْ خَلَقْتَ طُيَّا إِنَّالٍ.

وهي سورة من قال إبليس: قَالَ أَنَا حَيْزٌ مُنْهُ عَلَقْتِي مِن نَّارٍ وَحَلَقْتُهُ مِن طِينٍ. (س: ٧٦).

## قال المعطيب الشربيني : |

فكفر بنسبته أينا إلى الجور متفيلا أنه أنضل من آدم - عليه السلام - من حيث إن الفروع ترجع إلى الأصول، وأن النار إلتي هي أصله أكرم من الطين الذي هو أصل آدم، وذهب عنه أن الطين أنفع من النار، وعلى تقدير النزل فالجواهر كلها من جنس واحد، والله تعالى هو الذي أوجدها من العدم، يقضل بعضها على بعض بما يحدث فيها من الأعراض، وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في ست سور، وهي : البقرة، على والأعراف، والمحجن إهدة السورة ، والكهام، وطه . والكلام المستقصى فيها قد ورد في سورة البقرة، ولمل هذه القصة إنما كرزت و تسلية النبي ﷺ : فإنه كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه ، فكأنه تعالى يؤلى : ألا ترى أن أول الأنبياء هو آدم - عليه السلام - ثم إنه كان في محنة شديدة من إبليس .

وأن الكبر والحسد كل منهما بلية عظيمة ومحنة عظيمة للخلق (١٠٠٠).

# ٧ ٢- قَالَ أَزْ مَلِيَّكَ ٥١٧ هَلْكَا ٱلَّذِي كُرُّمْتَ عَلَى ...

أى: الخيريني عن هذا الذي كرمته على ، بأن أمرتنى بالسجود له ، لم كرمته على ؟! أو المعنى : أخبرنى أهذا الذي كرمته على ؟!

# لَمِنْ أَعْرُمَن إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لأَحْتِيكُنَّ ١٠١١ ذُرَّيْتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً .

أى: لأعمنهم وأهلكنهم بالإغراء إلا المخلصين . ولأستولين عليهم استيلاء من جعل في حنك الدابة الأسفل حيلا يقويها به فلا تأبى عليه .

#### وجاء في تفسير الخطيب:

فإن قيل : كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم ؟ أجيب : بأوجه :

الأول : أنه سمع الملائكة يقولون : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فعرف هذه الأحوال .

الثانى: أن وسوس إلى آدم ولم يجد له عزما ، فقال : الظاهر أن أولاده يكونون مثله في ضعف العزم (١٠٠٠). الثالث: أنه عرف أنه مركب من قوة بهيمية شهوية ، وقوة وهمية شيطانية ، وقوة عقلية ملكية ، وقوة

٣٣ - قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآ أَكُمْ جَزَآهُ مُوْفُورًا.

اذهب فحاول محاولتك ، اذهب مأذونا في إغوائهم : فهم مزودون بالعقل والإرادة ، يملكون أن يتبعوك أن يعرضوا عنك ، فَمَن تَجِعَكَ مِنْهُمْ ، مغلبا جانب الغواية في نفسه على جانب الهداية ، معرضا عن تداء الرحمان إلى نداء الشيطان ، غافلا عن آيات الله في الكون ، وآيات الله المصاحبة للرسالات ؛ فَإِنْ جَهَنّمَ جَرَّاؤُكُمْ أنت وتابعوك جَرَّاءً مُؤفَّورًا في : جزاء مكملا لا ينقص لكم منه شيء بما تستحقون من سيئ الأعمال، وما دنستم به أنفسكم من قبيح الأفعال .

# ٤ ٦- وَٱستَفْرِرْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِسَوْلِكَ وَرَجِلِكَ ...

وهو تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول ، فهى المعركة المباخبة ، يستخدم فيها الصوت فيزعج الخصوم ، ويخرجهم من مراكزهم الحصيينة ، أن يستدرجهم للفح المنصوب والمكيدة البديدة ، فإذا استدرجوا لُخَاتِهم الخِيل وأجابات بهم الرجال. قال التيسابورى : وعن ابن عباس : كال راكب وراجل في معصية الله فهو من غيل أيليس وجنوده . وقبل يدمل يحتمل أن يكون الإبليس جند من الشياطين بعضها راكب ويعضها راجل» (٢٣٠) والأقرب أن هذا كلام ورد. تمثيلا فقد يقال للرجل المجد في الأمر جئتنا بخيلك ورجلك .

قال المراغى: ليس للشيطان غيل ولا رجالة ، وإنما يراد بهما: الأنباع والأعوان من غير ملاحظة: لكون بعضهم ماشيا وبعضهم راكبا ٢٠٠٥.

وقال الزمخشرى في الكشاف: مثان حاله في تسلطه على من يفويه، بمغوار أوقع على قوم، فصوت بهم صوتا يستغزهم من أساكنهم ، ويقلقهم عن مراكزهم ، وأجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة.

وَ شَارِخُهُمْ فِي ٱلْأَكْرَالِهِ؛ بحثهم على كسبها من غير السبل المشروعة وإنفاقها في غير الطرق التي أباحها الدين، ويشمل ذلك الريا والفضب والسرقة، وسائر المعاملات الفاسدة.

وقال الحسن: مرهم أن يكسبوها من خبيث ، وينفقوها في حرام .

وَآلَاَوْأَلْكِ أَن : بالتفاخر والتكاثر بهم ، وتضليلهم بصيغهم بغير صيغة الدين ، أو تربيتهم لا كما ينبغى ؛ حتى ينشلوا غير راشدين ولا مؤدبين ولا متدينين بدين السق ٢٠٠٥ .

وإجمال القول فيه : إن كل مولود وادته أنثى عصمى الله فيه ، وإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه ، أن بالزنا بأمه ، أو بوأده ، أو بقتله ، أن غير ذلك ؛ فقد شارك إبليس فهه .

وَعِنْهُمْ وَمَا يَعِشُهُمُ آلشَّيْطُانُ إِلَّا غُرُورًا. كالرعد بالإفلات من العقوبة والقصاص. والوعد بالغنى من الأسباب الحرام والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل الملتوبة والأساليب الخسيسة.

ولعل أشد الرعود إغراء: الرعد بالعفر ، والمفقرة بعد الذنب والخطيئة ، وهى الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب ، التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعمية والمكابرة ، فيتلطف حيننذ إلى تلك النفوس المتحرجة ، ويزين لها الخطيئة ، وهو يلوح لها بسعة الرحمة الإلهية ، وشمول العفو والمغفرة .

وذهب القاشاني إلى : أن الآية تشير إلى انقسام الناس مع الشيطان إلى أصناف ، فقال : تمكن الشيطان من إغواء العباد على أقسام : لأن الاستعدادات متفاوتة ، فمن كان ضعيف الاستعداد استفزه . أي: استخفه بصوته ، يكفيه وسوسة وهمس بل هاجس ولمة ، ومن كان قوى الاستعداد ، فإن أخلص استعداده عن شرائب الصفات الإنسانية ، أو أخلصه لله تعالى عن شوائب الغيرية ، غليس إلى إغوائه سبيل كما قال سبحانه : إِنَّ عِبَادِي فِسَ لَكُ عَلَهِمْ مُنْظَلَقْ ، وإلا فإن كان منفعسا في الشواغل الخسيسة غارزا رأسه في الأمرر الدنيوية ، شاركه في أمواله وأولاده ، بأن يعرضه على إشراكهم بالله في المحبة ، بحبهم كحب الله، ويسول له التمتع بهم ، والتكاثر والتفاخر بوجودهم ، ويمنيه الأماني الكاذبة ، ويزين عليه الأمال الفارغة، وإن لم ينغمس ، فإن كان عالما بصبيرا بحيله : أجلب عليه بخيله ، ويجله ، أي : مكر به بأنواع الحيل ، وكاده بصنوف الفتن ، وأنتى له في تحصيل أنواع الحطام ، والمائذ ، بأنها من جملة مصالح المعاش ، وغره بالعلم وحمله على الإعجاب ، وأمثال ذلك ؛ حتى يصير ممن أضله الله على علم ، وإن لم يكن عالما بل عابدا منكسا ، أغواه بالرعد والتمنية ، وغره بالطاعة والتزكية أيسر ما يكون (\*\*\*).

٥٠- إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَلْنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً.

فمتى اتصل القلب بالله ، واتجه إليه بالمبادة . متى ارتبط بالعروة الوثقى ، التى لا انفصام لها . مثى - يقظ مى روحه الثفضة العلوية ، فأشرقت وأنارت ؛ فلا سلطان حينئذ الشيطان على ذلك القلب المومسول . بالله، وهذا الروح المشرق بنور الإيمان . رَكُفَّىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً بِعمسم وينصر ويبطل كيد الشيطان .

وانطلق الشيطان ينفذ وعيده، ويستذل عبيده، ولكنه لا يجرؤ على عباد الرحمان، فما له عليهم من سلطان.

ذلك ما يبيته الشيطان للناس من شر وأذى ، ثم يوجد فى الناس من يتبعون هذا الشيطان ويستمعون إليه ، ويعرضون عن نداء الله لهم وهدايته . والله رحيم بهم يعينهم ويهديهم ، ويستجيب لهم فى مواقف الشدة والضيق ، ويرشدهم إلى الاستمادة بالله من الشيطان الرجيم ، والحذر من كيده وعداوته (۲۲۰)

\* \* \*

#### المطردات :

ي زجي: يسوق ويجرى.

المستقصطك السفينة وهذا اللفظ يكون مفردا وحمعا

التبيت شواء الطلبول

مسن فقساسه و من رزقه .

المسرفي البحرد خوف الغرق.

شسسسل، غاب عن ذكركم، وضاع عن فكركم كل من تعيدونهم.

يسخسف يقلب فيجعل عالى الأرض سافلها.

حساسيسا: ريما حاصية أي: ترمي بالمصياء وهي المصا.

لإبعيدكم فيدتارة الهري، أي : يقوى دواعيكم لركوب البحر مرة أخرى .

قسامسطسا: يقصف بمعنى: يكسركل ما مربه.

الستسيسيسة : الناصر والمعين ، (حملته على فرس) : أي : أعطيته إياها ؛ ليركبها .

# المعنى الإجمالي:

بعد أن نكر في الآية السابقة: أنه هو الحافظ الكالئ العبد المرّمن من غراية إبليس، فقى على ذلك بذكر بعض نصه تمالية إبليس، فقى على ذلك بذكر بعض نصه تمالي في البحر على الإنسان: فهو الذي يجرى له الفلك في البحر؛ لتنقل له أرزاقه وأقواته من المسافات البعيدة، لكنه مع هذا هو كفور النعمة، إذا مسه الضر دعا ربه، وإذ أمن أعرض عنه وعبد الأمسنام والأوثان، فهل يأمن أن يخسف به الأرض، أو يرسل عليه حاصبا من الربح في البر، أو قاصفا من الربح في المرتب في البر، أو قاصفا من الربح في المرتب له المحدود في المبادة ويخبت له كنام تلك المنام المتنابعة عليه ؟

#### التفسيره

٣٦- زُلُكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَصْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا .

ربكم الذي يجرى لكم السفن في البحر: لتسهيل نقل أقواتكم وحاجاتكم ، من إتلهم إلى آخر ، من أقصى المعمورة إلى أبداها ، وانطلبوا الربح بالتجارة والحصول على ما ليس عندكم من محصولات الأمم، ولتنتقلوا من قطر إلى قطر : ابتغاء الرزق أو السياحة ورؤية مظاهر الكون : إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا : حيث سهل لكم أسباب ذلك . ٧٧- وَإِذَا مَسْكُمُ ٱلصُّرُ فِي ٱلْبَحْرِ صَلْ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجْلُكُمْ إِلَى ٱلْبَوْ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلإِنسَانُ كَفُورًا

والسياق يعرض هذا المشهد : مشهد الفلك في البحر نموذجا للحظات الشدة والحرج ؛ لأن الشعور: بقدرة الله في الخضم أقوى وأشد حساسية ، حيث تصبح الفلك نقطة من الخشب أو المعدن تنافهة في الخضم. تتقادفها الأمواج والتيارات ، والناس متشبئون بهذه النقطة على كف اللرحمان .

إنه مشهد يحس به من كابده ، ويحس بالقلوب الخافقة الواجفة ، المتعلقة بكل هزة وكل رجفة في الفطات كالريشة في مهب القلوب المعربات المحيط الجبارة ، التي تبدو في بعض اللحظات كالريشة في مهب الرياح على تبدو في بعض اللحظات كالريشة في مهب الرياح على تبدو الموج الجبار !

والتعبير يلمس القلوب لمسة قوية ، وهو يشعر الناس أن يد الله تزجي لهم الفلك في البحر ليبتغوا من فضله.

ثم ينتقل بهم من الإزجاء الرقى للاضطراب العقى ، حين ينسى الركب فى الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة ، وكل سند وكل مجير إلا الله ، فيتجهون إليه وحده فى لحظة الخطر ، لا يدعون أحدا سواه صَلُّ مُن تَذَخُونَ إِلَّا إِيَّاهُ .

وخلاصة ذلك : أنكم إذا مسكم الضر ؛ دعوتم الله منيبين إليه ، مخلصين له الدين .

وهذه الآية مما يستدل بها على الرجوح إلى القطرة الصحيحة . وقد استدل لكثير من الأصول بها ، كما يعلم ذلك من كلام الأثمة في مسائل شتى . كمسألة وجود الشالق وعلوه ، والمعاد وغيرهـا (١٠٠٠).

فَلَمَّا نَجَّنكُمْ – من الغرق – إِلَى آثَرَ أَغْرَضْتُمْ . أى: من عجيب أمركم أنكم حين دعوتموه وأغائكم ، وأجاب دعاءكم ونجاكم من الهول ، أعرضتم وعدتم إلى ما كنتم عليه ، فنسيتم لحظة الشدة ، وتقانفتكم الأهواء ، وجرفتكم الشهوات ، وجعدتم فضل الله عليكم وَكَانَ آلْإِنسَلْنُ كُفُورًا أي : وكانت سجية الإنسان ولمبيعته ، أن ينسى النعم ويجعدها إلا من عصم الله .

و خلاصة ما سلف: أنكم حين الشدائد تجأرون طالبين رحمته وحين الرخاء تعرضون عنه.

وهنا يستجيش السياق وجدان المخاطبين ، بتصوير الفطر الذي تركوه في البحر وهو يلاحقهم في البر، أو رفعم يعودون إليه في البحر ؛ ليشعروا أن الأمن والقرار لايكونان إلا في جوار الله وحماه ، لا في البحر ولا في البر، لا في الموجة الرخية والربح المواتية ، ولا في الملجؤ الحصين ، والمنزل المربح .

٩٩،٧٨ - اَلْأَمْسِتُمُ أَن يَخْسِف بِكُمْ جَانِب آلبَرُ أَوْ يُوْسِلَ عَلَيْكُمْ خَاصِبًا ثُمُّ لاَ تَجِلُواْ لَكُمْ رَكِيلاً . أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُصِدْكُمْ فِيهِ تَارَةً أَخْرَىٰ قَيْرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مَن آلزيج فَيْغُوقَكُم بِمَا كَفَرْشٍ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعًا . إن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة . إنهم في قبضته في البركما هم في قبضته في البحرة في البحرة في الله المحرد ، فكيف يأمنون أن ينسف بهم جانب البر بزازال أو بركان ، أو يغيرهما من الأسباب المحرد ، فكيف يأمنون أن ينسف بهم جانب البر بزازال أو بركان ، أو يغيرهما من الأسباب المحرد ، فقال المحرد المحرد ، فقال المحرد المحرد ، فقال المحرد المحرد المحرد ، فقال المحرد الم

أم كيف يأمنون أن يردهم الله إلى البحر فيرسل عليهم ريحا قاصفة ، تقصف الصوار وتحطم السفن، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم ؛ فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم .

ألا إنها النظلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا . ثم يأسنوا أخذه وكيده . وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسونه بعد النجاة . كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله ١٩٣١.

وقد كرم الله الإنسان على كلير من خلقه ؛ كرمه بخلقته على تلك الهيئة ، بهذه الفطرة التي تجمع بين العلين والنفضة ، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان .

وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته ، والتي استأمل بها الخلافة في الأرض ، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ ، ويركب فيها ويحلل ، رويلغ بها للكمال المقدر للحياة .

وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض ، وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك .

وكرمه بذنك الاستقبال الفغم الذي استقبله به الرجود ، ويذلك المركب الذي تسجد فيه الملائكة ، ويعلن فيه المالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان !

وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من المال الأعلى البائي في الأرض ، وهو القرآن .

٧ - وَلَقَدْ كُرُشًا بَنِي عَادَمُ وَ حَمَلُتُ لَهُمْ فِي آلْبُرُ وَٱلْبِحْرِ وَرَوْقَت نُهُم مِنْ ٱلطَّلِيَّتِ وَقَطَلْتُ لَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مَمَّنْ عَلَقَنا
 ١٠ ا - وَلَقَدْ كُرُشًا بَنِي عَادَمُ وَ حَمَلُتُ لَهُمْ فِي آلْبُرُ وَٱلْبِحْرِ وَرَوْقَت نُهُم مِنْ ٱلطَّلِيَّاتِ وَقَطَلْتُ لِهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مَمَّنْ عَلَقَنا
 ١٠ الله على ا

قال اليسابورى: وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها منها: تعلم الكتابة؛ فهها يقدر الإنسان على إبداع العلوم التي استنبطها هو أو غيره في الدفائر، فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس، محفوظة عن الانطماس: آقراً زُرِّتُكُ ٱلاَّكُرُهُ و آلَيْقِ عَلَّمُ بِالْقَلْمَ. (العلق: ٣، ٤).

ومنها : الصورة الحسنة : وَصُوْرُكُم أَلْحَسَنَ صُوْرَكُمْ ، ومنها : القامة المعتملة : لَقَدْ خَلَقُنَا ٱلإِرْسَانُ في أَخْسَن تَقْوِمِهِ ، ومنها : أن كل شيء يأكل يفيه إلا ابن آدم . يحكى عن الرشيد: أنه حضر إليه طعام فأحضرت الملاعق وعنده أبو يوسف ، فقال له: جاء في تفسير 
جدك ابن عباس: أن هذا التكريم هر أنه جعل لهم أصابع يأكلون بها ؛ فرد الملاعق وأكل بأصابعه ، ومنها: 
ما قال الضحاك : أنه النطق والتمييز فإن الإنسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات، 
ويدخل الأخرس في هذا الوصف لأنه يعرف بالإشارة أو الكتابة، ويخرج للببغاء ونحوه ؛ لأنه لا يقدر على 
تعريف جميع الأحرال على الكمال ، ومنها : تسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم فالأرض كالأم 
الماضنة : وبنها خلفناكم وفيها لعبدكم وهي لهم فرش ومهاد، والماء ينتفعون به في الشرب والزراعة 
والعمارة، وماء البحر ينتفع به في التجارة واستفراج الحلى منه ، والهواء مادة الحياة ولولا هبوب الرياح؛ 
لاستولى النتن على المعمورة ، والنار ينتفع بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك ، وانتفاعهم 
بالمركبات المعدنية والحيوانية ظاهر ، وبالجعلة فهذا العالم بأسره كقرية معمورة والإنسان فيه كالرئيس 
الشخيره والملك المطاح فأى تكريم يكون أزيد من هذا (١٩٠٥)

وَرَزُوْتُنَا يُهُمْ مُنَّ الْطُيَّنَاتِ . والإنسان ينسى ما رزقه الله من الطبيات بطول الألفة ، فلا يذكر الكلير من هذه الطبيات التى رزقها إلا حين يحرم منها ، فعندئذ يعرف قيمة ما يستمتع به ، ولكنه سرعان ما يعود فينسى.. هذه الشمس ، هذا الهواء ، هذا الماء ، هذه الصحة ، هذه القدرة على الحركة ، هذه الحواس ، هذا العقال العريض الذي استخلف فيه ، وفيه من الطبيات ما لا يحصيه .

وَفَحَّلَتُهُمْ عَلَىٰ كَبِيرٍ مُمَّنَ خَلَقُنَا تَفْضِيلاً . أي : فضلناهم على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير تفضيلا عظيما .

ومن التكريم : أن يكون الإنسان قيما على نفسه ، معتملاً تبعة لتجاهه وعمله ، فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنسانا . وهي حرية الاتجاه وفردية التبعة ، ويها استخلف في دار العمل ، فمن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله في دار الحساب (٢٠٠٠) . ﴿ يَوْمَ نَدُعُواْ كُلُّ أَنَّاسٍ بِإِمَنِدِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ وُبِينِينِو عَفَّا وَلَتَهِكَ يَقَرُهُ وَنَ كِتَبْهُ مُولَا يُظْلَمُونَ فَتِيلا ۞ وَمَن كَات فِي هَنِوَ: أَعْمَى فَهُوفِ ٱلْآخِرَ وَاَعْمَى وَإِنَا لَأَشَخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلاَ أَن تَبْنَنْكَ لَقَدْيكِ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْنَا فِيلا وَإِذَا لَأَذَقَنْكَ ضِعْفَ ٱلْحَيْوَةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِثُمُّ لَا يَحَدُّلُ كَتَنَا نَصِيلاً ۞ وَإِذَا لَا لَأَذَقَنْكَ ضِعْفَ ٱلْحَيْوةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِثُمُّ لَا يَعْدُلُكُ عَلَيْنَا نَصِيلاً ۞ وَإِن كَادُواْ لِنَسْتَفِرُّونِكَ مِنْ الْأَرْضِ لِيُخْرِيحُكُ مِنْها ۖ وَإِذَا لَا يَلْبَدُونَ عِلْمَاكُ مِن رُسُلِنَا وَلَا كَيْلِا مُونِ عِلْمَاكُ مِن وُسُلِنَا وَلَا يَعْدَلِكُ مِنْ عَلَى الْمَعْلِدِ ﴾ إِلَّا قَلِيلًا ۞ شُنَةً مَن قَدْ أَرْسَانَا فَالْكَ مِن رُسُلِنَا وَلَا لَا يَلْبَدُونَ عِلْمَاكُ الْمَالِمَ

#### المقردات :

ب إمسام سهسم ، بمن انتموا به من ينى آدم فى الدين وقيل: يكتابهم أن دينهم، وقيل: بكتاب أعمالهم.

المستقب تسميس ، الخيط المستطيل فى شق النواة ، ويه يضرب المثل فى الشيء الحقير التافه ، ومثله:

المستقب تسميس ، والقطير

أهــــــم عن حجة الله وبيناته .

وإن كادوا ليشتنونك ، إن مخففة من إن ، وكادوا أي : أوشكوا - ليفتنونك - أي : ليوقعونك في بلية ؟ يصرفك عما أو هر البك .

شعف الحياة وضعف الممات: أي: ضعف عذاب الدنيا وضعف عزاب الآخرة

تمسيني سيراء أي: معينا يدفع عنك العذاب.

السيسست فسزونك؛ أي: ليزعجونك بمعاداتهم

لايلبشون خالاطك، أي: لا يبتون بعدك

ت حروب الاء أي: تغييرات.

# المعنى الإجمالي :

" يوم ندعو كل قوم بإمامهم الذي يأتمون به من دين أو زعيم ، أو ندعو كل إنسان بكتاب أعماله ، فالسعداء بأخذون كتابهم بيميتهم والأشقياء الذين عموا عن طريق الهدى فى الدنيا : يبعثون على حالتهم من العمى والضلال ، بل هم فى الآخرة أشد عمى ، وأبعد عن سبيل الغير . وقد أرشك مزلاء الكافرون أن يوقعوك ؛ لتنصرف عن الذي أرحينا إليك ؛ لتختلق علينا غيره ، وإذا لاتخذيك خليلاً .

وقد شمك لطفنا ، فصرفناك عن الاستجابة لهم ، وثبتناك على الحق ، ولولا ذلك لأوشكت أن تعيل إلى استجابتهم : طمعا في أن يكمل إيمانهم يوما إذا دخلوا في أوائل الإسلام، ولو ركنت إليهم : لجمعنا عليك ضعف عناب الدنيا وضعف عناب الأخرة ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا .

. ولقد حاول كفار مكة وكادوا أن يزعجوك بعداوتهم ومكرهم ؛ ليضرجوك من مكة ، وإذا فعلوا فلا يلبثون بعدك إلا تقيلا ثم يهلكهم الله ، لقد جرت سنتنا بأن الأمم التى تلجأ رسلها إلى الخروج من أرضها، لابد أن يصيبها الريال والنكال .

## التفسير،

٧١ - يَوْمَ لَدْعُواْ كُلُّ أَنَاسِ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُولِيَ كِتَابَةُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـآئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَنْبَهُمْ وَلاَ يُطْلَمُونَ لَتِيلًا .

يُومُ نَدَعُوا كُلُّ أَنَّاسٍ بِإِسْمِهِمْ . أى : بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين ، أو كتاب أو دين ؛ فيقال: يا أتباع فلان ، يا أهل دين كنا وكتاب كذا ، وقيل : بكتاب أعمالهم ، فيقال : يا أصحاب كتاب الخير ، ويا أصحاب كتاب الشر ا

ورجح ابن كثير – رحمه الله – القول بأن الإمام هو كتاب الأعمال ؛ لقوله تعالى : وَكُلُّ شَيْءَ أَحْمَيْتُ هُ فِي إِنَّامٍ مُّسِن . (يس: ١٢) .

وقال سهحانه : وَتَوَىٰ كُلُ أُمَّةٍ جَالِيَّةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُلتَّى ٓ إِلَىٰ كِيَنْهِمَ الْفَيْمُ تُحَوِّرُوْنَ مَا كُشُمُّ تَعْمَلُونَ ﴿ هَـٰلَمَا كِسَنِّنَا يَعِلِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِلَّا كُنَّا لَسُتَسِحُ مَا كُشُمْ تَعْمَلُونَ (الجائية: ٧٤، ٢٨) .

وما رجِمه ابن كثير هو الصواب ؛ لأنّ القرآن ينسر بعضه بعضا ، وأول ما ينبغي الاهتمام به في معانى الآيات هو الرجوع إلى نظائرها .

فَمَنْ أُولِيَ كِسَبَةُ يَمِيهِ فَأُولَاتِكَ يَقُرُهُونَ كِتَبَهُم . أي : فمن أعطى كتاب عمله بيمينه فأولتك يقرءون كتابهم مبتهجين فرحين بما فيه من العمل الصالح وَلاَ يُظْلُمُونَ فَيِلاً أي : ولا ينقصون شيئا من أجور أعمالهم، ولو قدر الفتيل ، وهو ما في شق النواة ، أو ما تفتله بين أصبعيك ، أو هو أدنى شيء ، فإن الفتيل مثل في القلة كقوله تعالى :

وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيُّنَا . (مريم: ٦٠) .

وقد ثبت فى علم الكمياء أن وزن الذرات التى تدخل فى كل جسم بنسب معينة ، فلو أن ذرة واحد فى عنصر من العناصر الداخلة فى تركيب أى جسم من النبات أو الحيوان أو الجماد ، نقصت عن النسبة المقدرة لتكوينه ؛ لم يتكون ذلك المخلوق .

وخالق الدنيا هو خالق الأخرة ، فالطّلم مستحيل هناك كما استحال هنا فى نظم الطبيعة ، فما أجل قدرة الله وما أعظم حكمته فى خلقه ا<sup>( ۱70</sup> )

# ٧٧- وَمَن كَانَ فِي هَللهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَصَلُّ سَبِيلًا .

أى : ومن كان في دار الدنيا أعمى القلب لا يبصر سبل الرشد ، ولا يتأمل حجج الله وبيناته التي وضعها في محصيفة الكرن وأمر بالتأمل فيها ؛ فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة وأضل سبيلا منه في الدنيا ؛ لأن الررح الباقي بعد الموت هو الروح الذي كان في هذه الصياة الدنيا وقد خرج من الجسم وكأنه ولد منه كما تلد المرأة الصبيى ، وكما يثمر النفل الثمرة ، والأشجار والفواكه ، وما الثمر والفواكه إلا ما كان من طباع الشجرة ، فهكذا اللوح الباقي هو هذا الرح نفسه قد خرج بجميع صفاته وأخلاقه وأعماله ، فهو ينظر إلى نفسه وينفر أو ينشرح بحسب ما يرى ، وما الثمر إلا بحسب الشجر ، فإذا كان هناك ساهيا لاهيا ، فهناك يكون أكثر سهوا ولهوا ، وأبعد مدى في الضلال ؛ لأن آلات العلم والعمل قد عطات وبقى فيه مناقبه ومثاله ولا قدرة على الزمادة في الأولى ولا الذقص في الثانية .

## وفمي ظلال القرآن :

هذا مشهد يصور الخلائق محشورة وكل جماعة تنادى بعنوانها ، باسم المنهج الذي اتبعته ، أو الرسل الذي اقتدت به أو الإمام الذي انتحت به في الحياة الدنيا ، تنادى ليسلم لها كتاب عملها وجزائها في الدار الأخرة ، فمن أوتى كتابه بيمينه ؛ فهو فرح بكتابه يقرية ويتملاه ، ويوفي أجره لا ينقض منه شيئا واو قدر الخيط الذي يتوسط النواة ، ومن عمى في الدنيا عن دلائل الهدى : فهو في الأخرة أعمى عن طريق الخير وأشد ضلالا ، وجزاؤه معروف ، ولكن السياق يرسمه في المشهد المزدحم الهائل ، أعمى ضالا يتخبط لا بحد من يهديه ولا ما يهتدى به ، ويدعه كذلك لا يقرر في شأنه أمرا ؛ لأن مشهد المعى والضلال ؛ في ذلك الموقف المعميدية هو وحده جزاء مرهوب ، يؤثر في القلوب ! ٩٠٠٠.

٧٤،٧٣ – رَإِن كَادُواْ كَيْفْتُونَكَ عَنِ ٱللَّذِيَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قِفْتُوىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لِأَنْخَذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ كِنْتَذِكَ لَقَدْ كِينَةً تُوَنِّىُ إِنْهُمِهُ شَيْئًا فِلِيلًا .

إخبار عن تأييده تعالى رسوله ، صلوات الله عليه وسلامه ، وتثبيته وعصمته ، وتولى أمره وحفظه.

- فإن المشركين ، لكارة تفننهم في ضروب الأذى ، وشدة تعنتهم وقوة شكيمتهم ، كادوا أن يفتنوه ، ولكن عناية الله وحفظه ، هو الذي ثبت قدمه في مثل مقامه ، في الدعوة إلى الله الذي لا يثبت فيه أحد غيره .

وقد روى: أن تقيفا قالوا: لا نؤمن حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب، لا ننحنى فى الصلارة. ولا نكسر أصنامنا بأيدينا ، وأن تمثّعنا باللات سنة من غير أن نعيدها ، فإن خشيت أن يقـول العـرب: لم أعطيتهم ما لم تعطنا ؟ فقل: الله أمرنى بذلك .

وروى : أن قريشا قالوا : لا ندعك يا محمد أن تستلم الحجر الأسود حتى تمس آلهتنا . وقالوا أيضا : نزمن بك إن تمس آلهتنا .

## قال الإمام الطبوى :

يجرز أن تكون الفتنة ما ذكر وأن تكون غير نلك ، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع الفئر أي ذلك كان . فالأصرب الإيمان بظاهره ؛ حتى يأتى ما يجب التسليم له ببيان ما عنى بذلك منه .

#### وفي ظلال القرآن:

يعدد السياق محاولات المشركين مع الرسول ﷺ وأولها محاولة فتنته عما أوحى الله إليه؛ ليفتري عليه غيره وهو المعادق الأمين .

لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى .. منها : مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد باللهتهم وما كان عليه آباؤهم .. ومنها : طلب بعض الكبراء أن يجمل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء ..

والنص يشير إلى مذه المحاولات ولا يقصلها ؛ ليذكر فضل الله على الرسول في تثبيته على الصق ، وعصبته من الفتنة ، ولو تغلى عنه تثبيت الله وعصبته ؛ لركن إليهم فاتخره خليلا (١٠٠٠)

وَلَوْلَا أَن لَبُقِتُكَ لَقَدْ كِدتُ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ هَيُّنَا قَلِيلاً.

أى: ولولا تثبيتنا إياك وعصمتك عما دعوك إليه لقاريت أن تميل إلى ما يريدون .

وخلاصة ذلك : أنك كنت على أهية الركون إليهم ، لا لضعف منك ، بل لشدة ميالفتهم في التحيل والخداع ، ولكن عنايتنا بك منعتك أن تقرب من الركون ، فضلا عن أن تركن إليهم .

وعن قتادة : لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ : «اللهم ، لا تكلني إلى نفسى طرفة عين» .

٥٧ - إذا لَّاذَالناكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا لَعِيدًا.

أى: ولو ركنت إلى فتنة المشركين؛ لأنقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، أى: ضاعفنا له العذاب في الدنيا والأخرة (والضّعف) عبارة عن أن يضم إلى الشيء مثله والسبب في تضعيف العذاب أن الذنب من العظيم يكون عقابة أعظم ، ومن ثم يعاقب العلماء على زلاتهم من عقاب العامة ؛ لأن الناس تتبع العلماء وتقتدى بهم ، ومن ثم قال القاتل: يـا معشر العلماء يـا ملح البلـد من يصلح الملح إذا الملح فسد

وقد جاء في الأثر: «من سن سنة سيئة؛ فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

ثُمَّ لاَ تُجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا.

يعنى: لو أنقناك العناب لم تجد أحدا يدفعه عنك أو يخلصك منه.

#### تبيهات :

الأولى: قال النيسابورى: اعلم أن القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المحصية لا يدل على الإقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن في عصمة النبي ﷺ، وقيه أنه لا عصمة من المعاصى إلا بتوفيق الله وتثبيته على المق الساق .

ألهاني : قال في التفسير الكبير : حاصل الكلام أنك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون إليه همك ؛ لاستحققت تضميف العذاب عليك في الدنيا والأخرة ولمسار عذابك مثل عذاب المشرك في الدنيا ومثل عذابه في الأخرة (<sup>070</sup>).

العالث: قال القفال: من المعلوم أن المعتركين كانوا يسعون في إبطال أمر رسول الله ﷺ باقصى ما يقدون عليه ، فتارة كانوا يقولون: إن عبدت الهبتنا عبدنا إليك: ؛ فانزل الله تعالى: قُلْ يَنْلَيُهَا الْتَكْوَرُونَ وَ إِلَّ أَعْيُدُ مَا تَعْيَلُونَ. (الكامر: ١٠ / ) . وقوله : وَقُواْ أَنْ تَلْعِنْ فَهَدُونَدَ. (القام: ١٠ ) . وهرضوا: عليه الأحوال الكثيرة والنساء الجميلة : ليترك ادعام النبوة فانزل الله تعالى : وَلاَ تَمُمُنُّ عُتَيْلُكَ إِلَىٰ مَا مُتَعْلَدُ مِنْ اللهِ عَلَيْهُمْ فِيوْرِوْنَ مَلْكَ عُرْدُواْ أَنْقُلُ اللهِ تعالى : وَلاَ تَمُمُنُّ عُتِيلُكَ إِلَىٰ مَا مَنْ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ تعالى : وَلاَ تَمُمُنُّ عُتِيلُكَ إِلَىٰ مَا مَنْ اللهِ عَلَيْهُ فِيوْرِوْنَ مُلكَ عُرْدُواْ أَنْقُلْ اللهِ عَلَيْهُ فِيوْرِوْنَ مِنْ اللهِ عَلَيْهُ فِيوْرِوْنَ وَلاَ تَمُنْ لِللهِ اللهِ عَلَيْهُ فِيوْرِوْنَ مِنْ أَنْ لِللهِ اللهِ عَلَيْهُ فِيوْرِوْنَ مِنْ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهُ فِيوْرِوْنَ مُلكَ عُرِدُونَ أَنْقُ لِللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ال

ودعوه إلى طرد المؤمنين عن نفسه فأنزل الله تعالى قوله : وَلاَ تَعْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونُ رَبُّهُم ... (الأنمام: ٥٠) اسم.

فيجور أن تكون هذه الآيات نزات في هذا الباب ، وذلك أنهم قصدرا أن يفتنره عن دينه وأن يريلوه عن منهجه ، فبين تعالى أنه يثبته على الدين القويم والمنهج المستقيم ، وعلى هذا الطريق ، فلا حاجة في تفسير الآيات ، إلى شيء من تلك الروايات ، والله أعلم (٢٠٠٠)

٧٦ – زَإِن كَادُواْ لَيَسْتَغِزُّونَكَ مِنَ ٱلأَرْضَ لِيُحْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَعُونَ خِلَنْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا .

أى: ولقد حارل كفار مكة أن يزعجوك ريستفغوك بعداوتهم ومكرهم ، فعندما عجر المشركون عن ا استدراج الرسول ﷺ إلى هذه الفتنة حاولوا استفزازه ؛ ليخرجوه من أرض مكة – ولكن الله أوحى إليه : أن يخرج مهاجرا ؛ لما سبق في علمه من عدم إهلاك قريش بالإبادة . ولى أخرجوا الرسول ﷺ عنوة وقسرا ؛ لحل بهم الهلاك وَإِذَا لَّا يَلْبُعُونَ خِلَنْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا.

قال الطبرى: ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا حتى أهلكهم بعذاب عاجل (١٣٠٠).

قال الطبرى: واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله ﷺ: ليخرجوه من الأرض، م وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها فقال بعضهم: الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله ﷺ من ذلك الههود، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها: العنينة (١٣٥).

#### وقال النيسابوري:

وروى عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قويه منهم ، وقالوا : يا أبا القاسم ، إن الأنبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة ، وكانت مهاجر إبراهيم فلو خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك ، وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا هوف الروم فإن كنت رسول الله قالله مانعك منه عمد مسكر رسول الله ﷺ على أميال من الحدينة أو بذى الحليفة : حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام ؛ لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت الآية فرجع ، وعلى هذا القول تكون هذه الآية مدنية ١٩٠١٠

وقال قتادة ومجاهد : بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا ، والأرض أرض مكة ، وعلى هذا تكون هذه الآية مكية » (۵۰۰).

ونحن نرجح أن الآية مكية ، ونرى أن الرواية التي أوردها النيسابوري عن ابن عباس تثير في النفس بعض التساؤل ؟

فكيف يعسكر الرسول على أميال من المدينة عازما على الخروج إلى الشام؟

وهل بلغت به السذاجة أن يترك قاعدة الإسلام فى المدينة ويذهب مختارا إلى الشام من أجل كيد اليهود رحيلهم؟

ونحن لا ننكر قدرة اليهود على الدس والخداع.

ولا نستبعد أن يميل النبي إلى حديثهم برهة أو لحظة ، ثم لا يلبث أن ينكشف أمامه الأمر.

أما أن يصل الأمر إلى حد الخروج من المدينة والحزم على السفر إلى الشام فهذا ما نستبعده ؛ لما عرف واشتهر من صدق فراسة الرسول ، وبعد نظره ورجاحة عقله وسلامة تفكيره ،

وقد رجح الطبري – شيخ المفسرين – أن الآية مكية لا مدنية ، فبعد أن روى الطبري عدة روايات منها ما يقيد أن الآية مكية ، ومنها ما يقيد أن الآية مدنية عقب على هذه الروايات بقوله : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول قتادة ومجاهد (أى: بأن الآية مكية) وذلك أن قوله وإلاَّ كَاذُواْ لَيَسْمُغُوُّ فِلْكَ مِنْ الْأَرْضِ فَى سياق خير الله عز وجل عن قريش وذكره إيامم ولم يجر لليهورد قبل ذلك ذكر أنسسة في اللهورد قبل ذلك ذكر أنسسة في اللهورد قبل ذكر أنسسة غيره (١١٠٠)

ثم إن تاريخ الدعرة الإسلامية ، ونصوص القرآن الكريم تفيد : أن المسلمين كانوا مستضعفين في مكة ، معرضين للعذاب والمصادرة .

وهذا الوضع يغرى الرسول بالخروج والمهاجرة ، أما وضعهم في المدينة فقد كان مستقرا نسبيا ؛ إذ تَّحَى الرسول بين المهاجرين والأنصار ووضع أساس الدولة الجديدة ، وقاد غزوات تاجمة ، وعاد معاهدات لحسن الجوار مع جيراته من اللهود .

كل هذا يرجح أن القوم الذين هموا بإغراجه هم قريش وأن الأرض التي كاد أن يخرج منها هي مكة.

وهي سورة الأنفال (وهي مدنية نزات سنة ٢ هجرية) يقول القرآن: وَآذَكُرُواْ إِذْ أَلَمُ قَالِلَّ مُّسَعَثَمُونَ في آلاَّرْض رَحَالُونَ أَن يُتَحَقَّقُكُمُ آثَاسُ قَتَارَكُمْ وَأَلْدَكُمْ بِمَصْرِهِ وَرَوْقَكُمْ مُنَ ٱلطَّيْتُ لَعَلَكُمُ تَشْكُرُونَ . (الانتان ١٠٧٠.

وقد قال المفسرون : إن هذه الآية تشير إلى ضعف المسلمين وقلتهم في مكة ، وإلى عزتهم وقوتهم بالمدينة . هصموصا بعد النصر المبين الذي أحرزيه في غزوة بدر الكبرى .

٧٧ - سُنَّةُ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تُحِدُ لِسُنْتِنَا تَحْوِيلاً .

يقول سبحانه: لو أحرجيك لم يلهثوا خلافك إلا قليلا ولأهلكناهم بعثاب من عندنا. هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم وكذبوهم ، فكل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم؛ سنة الله أن يهلكهم .

وَلا تَجِدُ لِسُنِّتَا تَحْوِيلاً أي: إن ما أجرى به العادة لا يتسنى لأحد سواه أن يغيره ولا أن يحوله .

وقد ذكر الطبرى أن الله أمهل أهل مكة قليلا حتى أخذهم بالعذاب يوم بدر (١١٢).

## وقال ابن كثير:

الجزء الخامس عشر

وقد وقع العذاب لأهل مكة ، فانه 養 لم يكن بين هجرته من بين أظهرهم ، بعدما اشتد أذاهم له الاستة و وضف ، حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميماد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم ، وأظفره بهم ، ونقل أسرافهم ، وسبى سراتهم ولهذا قال تعالى : شُنَّةُ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا أَى : هكنا عادتنا في الذين كغروا برسلنا وأدوهم ، يخرج الرسول من بين أظهرهم ويأتيهم العذاب ، ولولا أنه 幾 رسول الرحمة : لجامهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به ، كما قال تعالى : ومًا كان آللَّهُ يُتَعَلِّهُمْ وَأَنتَ فِيهم ... (الأنفال: ٣٢).

﴿ أَقِيرِ الْصَّلَوْةَ لِدُلُولِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ الَّتِلِ وَقُرْعَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْمَانَ الْفَجْرِ الْآنَ مَشْمُودَا ﴿ وَمِنَ الْتَهْ وَمِنَ الْتَلَمْسِ إِلَى عَسَقِ الْتَلِلُ وَقُرْعَانَ الْفَجْرِ الْآنَ مَقَامًا مَعْمُودَا ﴿ وَمِنَ الْتَلِيمُ وَمَنَ الْتَلَمْسُ الْمَلْنَا فَكَ مَعَنَ أَن يَبْعَثُكَ رَبُّكُ مَقَامًا مَعْمُودَا ﴿ وَهُ وَاجْعَلَ لِمِن الدِّنكَ سُلطَنَا اللَّهُ وَالْمَعْلِ اللَّهُ اللَّهُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

#### المقردات :

دــــون الشـــم، ( والها عن دائرة نصف النهار ، وقيل: لغروبها ، يقال: داكت الشمس تدلك دلوكا ، أي : ذالت ساعة الزوال .

إلى غسسق السلسيسل؛ أي: إلى ظلمته، وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة.

وقسرآن السفسجسر، أي: وقت صلاة الصبح ، سميت الصلاة قرآنا؛ لأنه ركنها.

كـــان مشــهــودا؛ أي: تشهده الملائكة .

فستسهسج ه يسه وأي : فاترك الهجود فيه لتصلى ، كالتحنث : ترك الحنث ، والتأثم ترك الإثم .

مستسائسا مسعسم وذاء مقام الشفاعة العظمي يوم القيامة .

أدخلتي مدخل صدق ، أي : أدخلتي في القبر إدخالا مرضيا . مدخل اسم المكان من أدخل .

وأخرجتنى مخرج سنق ، أى : وأخرجتى منه عند البعث اخراجيا محقوقا بالكرامة ، وقيل : العراد : إنخاله المدينة وإخراجه منها آمنا شر المشركين وقيل : إنخاله فهما حمله من أعباء الرسالة ، وإخراجه منها مؤديا حقها وقيل : إنخاله في كل ما يلابسه من مكان وأمر ، وإخراجه منه .

سلطائهانصيرا؛ أي: برهانا ناصراً على الخصوم.

زهـ ..... ق : أي : زال واضمحل . من زهق روحه يزهق ؛ إذا خرج .

وتبأي يسجسانسيسه: أي: لوي عطفه عن الطاعة وولاها ظهره.

شك المدى والضلال ،

يستسقد وسباء أي: شديد اليأس والقنوط من رجمة الله.

اهسدي سبيسيلا ، أي : أسد طريقا ، وأقوم منهجا .

#### المعنى الإجمالي:

بعد أن ذكر كيد الكفار واستفزازهم ارسوله ﷺ : ليضرجوه من أرضه ، وسلاه بما سلاه به ؛ أمره بالإقبال على ربه بعبادته : لينصره عليهم ، ولا يبائى بسعيهم ولا يلتقت إليهم ، فإنه سيصانه يدفع مكرهم وشرهم ، ويجعل يده فوق أيديهم ودينه عالها على أديانهم ، ثم وعده بما يغبطه عليه الخلق أجمعون من المقام المحمود ، ثم بين أن ما أنزل عليه من كتاب ربه ، فيه الشفاء اللقاوب من الأدواء النفسية والأمراض الاعتقادية ، كما أنه يزيد الكافرين خسارة وضالالا ؛ لأنه كلما نزلت عليه آية : لزدادوا بها كفرا وعتوا .

#### التفسيره

٧٨ - أَقِم ٱلصَّلَوْةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ عَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْعَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْعَانَ ٱلْفَجْر كَانَ مَشْهُودًا .

أَقِمْ ٱلْصَّلَوْةَ لِتُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ هُسَقِ ٱلْبَاوِ ... دلوك الشمس معناه : زوالها عن كبد السداء ، وقيل : دلوك الشمس هو : غرويها.

قال ابن تيمية : الدلوك : الزوال عند أكثر السلف وهو المنواب.

وقال ابن جرير الطّبرى : احتلف أمل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدارك الشمس ، فقال بمضهم هو وقت غروبها والمسلاة التي أمر بإقامتها حينقذ : صلاة المغرب .

وقال آخرون : دلوك الشمس : ميلها للزوال ، والمسلاة التي أمر رسول الله 義 بإقامتها عند دلوكها الظهر. وقد نقل الطبري في تفسيره أدلة كل فريق ، ثم قال :

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى بقوله : أقم العملاة لدلوك الشمس صلاة الظهر وذلك أن الدلوك في كلام العرب : الميل بقال منه : دلك فلان إلى كذا إذا مال إليه (١٠٠٠).

إِلَىٰ خَسَقِ ٱلَّيْلِ وغسق الليل هو إقباله وينوه بظلامه كما قال الشاعر: آب هذا الليل إذ غسقا.

وتكون المبلاة التى أمر ﷺ بإقامتها هى صلاة المغرب وقال بعضهم : إِلَىٰ ضَـَـَلِ ٱلبَّلِي: صلاة العصر، وهو رأى شعيف مراون .

قال الطبرى في تفسيره:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الصلاة التي أمر النبي ﷺ بإقامتها عند غسق اللهل هي صلاة المغرب دون غيرها : لأن غسق اللهل هو ما وصفناه من إقبال اللهل وظلامه وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس ، فأما صلاة العصر فإنها مما تقام من ابتداء دلوك الشمس إلى غسق اللهل لا عند غسق اللهل اللها،

وَقُرْءَانَ اللهُ الْفُجْرِ أَى : صلاة الصبح سميت : قرآنا ؛ لأنه ركنا ، كما سميت : ركوعا وسجودا فهو من تسمية الكل ياسم جزئه المهم .

إِنْ فُرِعَانَ أَلْفَجْرِ كَانَ مُشْهُودًا أَى: يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء ، فهو في أخر ديوان الليل وأول ديوان النهار ، أو يشهده الكثير من المصلين في الحادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة أو يشاهد الإنسان فيه عجائب صنع الله في إدبار الليل وإقبال النهار ، وانتشار الضوء ودبيب المركة والحياة .

## وجاء في تفسير النيسابوري :

قال أهل التحقيق : إذا شرع في الصلاة الصبح في أول وقتها شاهد في أثنائها انقلاب العالم من الظلمة التي هي نظير الموت إلى الضياء الذي هو نظير الحياة فإنه يقيء عقله من هذه المالة إلى عجيب صنع المدبر للأنفس والأفاق فيزداد بصيرة وإيقانا ومعرفة وإيمانا وتنفتح عليه أبواب المكاشفة والمشاهدة .

وإذا كان هذا المعنى في الجماعات الكليرة ؛ صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتعابلة المتعاكسة أضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورا ويهاء فيتصل أن يكون قوله : مُشْهُودًا إشارة إلى هذه الأحوال والعشاهدة ، ولا ريب أنه إذا شرع في الصلاة أول انتباهه من النوم ، قبل أن يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة ، من الأمور الدنيوية الدنية كان أولى ؛ فإن الأنبياء ما بعثوا إلا الإزالة مثل هذه الأمراض عن النفوس (140).

#### تىيھات :

 ١ - معنى إقامة الصلاة: أداؤها كاملة الأركان ، مع حضور القلب في مناجاة الرب ، والخشية منه في السر والعلن ، وفي حديث البخاري : «اعيد الله كأنك تراه قان لم تكن تراه فإنه يراك» ١٠١٧.

والصلاة لب العبادة ؛ لما فيها من مناجاة الخالق ، والتبتل إليه والقيام والركوع والسجود بين يديه، فهى راحة المؤمن وقرة عينه كما ورد في الحديث : «وجعات قرة عيني في الصلاقة ١٠٠١).

- ٢ قال النسفى: أَقِيم الصَّلَوْة لِلنُولِيُ الشَّمْسِ. أي: لزوالها وعلى هذا فالآية جامعة للمطوات الخمس، أو.
   لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر. إلى غَمَق اللَّل من الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (١٩٩).
- ٣ قال النيسابرري: ذهب كثير من المفسرين كابن قتيبة ، وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس أن دلوك
   الشمس هو: غروبها وعلى هذا لا تشل الآية صلاتي الظهر والعصر.

وأكثر الصحابة والتابعين على أن دلوك الشمس: زوالها عن كبد السماه ويؤيده ما روى أنه ﷺ قال: أتانى جبريل لدلوك الشمس حبن زالت الشمس فصلى بى الظهر، قالوا: واشتقاقه من الدلك؛ لأن الإنسان يدلك عينيه؛ إذ ينظر إليها وهى في كبد السماء وحمل كلام الله على ما هو أكثر فائدة أولى واللام بمعنى: الوقت أو للتطليل أي: أقم المناذة في هذا الوقت أو لأجل دخول هذا الوقت "

٤ - برجح بعض المفسرين أن الآية جامعة للصلوات الخمس ومواقيتها ، فدلوك الشمس بمعنى : زوالها عن كبد السماء يتناول الظهر والعصر تناولا واحدا وغسق الليل بمعنى : إقباله يتناول المغرب والعشاء تناولا واحدا ، وقرآن المغريشين إلى صلاة مفردة لا تجمع ولا تقصر وهى صلاة الصبح.

قيل: مذا يقتضى أن يكرن الدلوك مشتركا بين الظهر والمصر. والغسق مشتركا بين المغرب والمشاه. فيدل على جواز الجمع مطلقا بين الأولين ، وكذا بين الأخيرين . فالجواب : هو كذلك بعذر السفر أو المطر ونحوها . وأما في غيرها فلا. وذلك لما بينته السنة من فعل كل واحدة في الوقت الخاص بها ، إلا بعذر (١٠٠٠)

# قال الحافظ ابن كثير :

قد بونت السنة عن رسول الله ﷺ تواترا من أفعاله وأقواله ، تفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه .

وعن أبن سيرين: أنه يجوز الجمع من غير خوف ولا مرض لحاجة ما لم يتخذ عادة واختار ابن المنذر وجماعة جواز الجمع في الحضر من غير خوف ولا مطر.

وقد ربرى الشيخان (\*\*\*) وغيرهما عن ابن عباس قال : صلى النبي ﷺ بالمدينة سبعا وثمانيا : الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء .

ومن رواية لمسلم: صلى الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا من غير خوف ولا سقر ، وكثير من الرواة حملوا ذلك على ليلة مطيرة . والشاهر أن مستند من جوز الجمع فى الحضر مطلقا هذه الآية مع أقر ابن عباس ٢٠٠٩ المتقدم .  م رجع صاحب الطلال: أن كل ما ورد في هذه الآية وما يعدها مختص بالرسول ﷺ – وأن أوقات الصلاة المكتوبة ثابقة بالسنة القولية والعملية. وأن هذه الآية لا تشير إلى أوقات الصلاة (١٠٠٠).

ونرى أن هذه الآية تشير إلى أوقات الصلاة بصفة عامة وأن الخطاب فيها للرسول ﷺ يتناول أمنه أيضا.

أما تحديد الأوقات تحديدا قاطعا يتناول بدايتها ونهايتها فقد تكفلت به السنة العملية والقولية.

أما الأمر بالتهجد في الآية القادمة فهو خاص بالرسول ﷺ.

ولذلك قال القرآن : نَافِلَةٌ لُكُ يقول : نفلا لك عن فرائضك التي فرضتها. عليك ، فقد كان قيام الليل فريضة عليه ﷺ ومو لغيره تطوع (١٠٠٠).

٧٩- وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةَ لِّكَ عَسَىَّ أَنْ يَيْعَفُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مُّحْمُودًا .

وَمِنْ أَلْبُلِ لَهُهُمَّذُ بِهِ أَى : واسهر يعمض الليل وتهجد الله الله على الله به به اللها ويادة على المصاوات المضووضة . المملوات المضووضة .

تُعْلِلَةً لَنْكَ أَى: أَنْهَا عَهَادَةَ وَالْدَةَ لَكَ عَلَى الْمِبْلُواتَ الْخَمْسَ مَخْصُومِينَةً بِكَ وَحَدك دونَ الأَمَةَ ، فَهَى فريضة عليك ومندوية في حق أمتك .

مَسَىّ أَنْ يُتَطَلِّى رُبُّكُ مَثَامًا مُحْمُودًا . أى : افعل هذا الذي أمرتك به ؛ ننقيمك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه كل الملائق وشالقهم تبارك وتحالى .

#### قال الطبرى:

وعسى من الله واجية وإنما وجه قول أمل الطم عسى من الله واجبة أن الله لا يدع أن يقعل بعباده ما أطبعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إباه ٢٠٠٧.

مُقَامًا مُحْمُودًا . أي : يحمده القائم فيه وكل من رآه عرفه ، وهو مطلق في كل ما يجلب المعد من أنواح الكرامات ، والمشهور أنه مقام الشفاعة العظمى ؛ للفصل بين الخلائق الذي يحمده فيه الأولون والأخرون ، كما وردت به الأغبار الصحيحة (٩٠٠).

#### قال النيسابوري :

والأولى أن يخمس ذلك المقام المحمود بالشفامة : لأن الحمد إنما يكون بإزام إنمام، ولا إنمام للنبي على أمته في الآخرة إلا إنعام الشفاعة ، أو لا إنعام أجل منها : لأن السعى في تخليص الغير من العقاب أهم من السعى في إيممال الثواب ، ويؤيده رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ : «وهو المقام للذي أشفع فيه لأمتي» ««».

وقال الطبرى:

«اختلف أمل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر آمل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه · يُقِيِّ ومِم القيامة للشفاعة للناس : ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة في ذلك اليوم» (٣٠٠) .

أخرج النسائي والحاكم وجماعة عن حذينة رضى الله عنه قال: يجمع الله الناس في صعيد واحد، يسمعهم الداعى وينقذهم البصر ، حفاة عراة كما خلقوا ، قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى : يا محمد ، فيقول : «لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، ويك وإليك ، لا ملجاً ولا منجى منك إلا إليك ، تباركت وتماليت ، سبحانك رب البيت، فهذا هو المقام المحمود الذى ذكره الله .

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة : أن الزحام إذا اشتد يوم القيامة ، ألهم الناس أن الشفاعة الأنبياء، فيذهب الناس أبي الشفاعة للأنبياء، فيذهب الناس إليهم ، فيقول كل نبى : نفسى نفسى ! اذهبرا إلى غيرى ، حتى يذهبوا إلى النبي على فيستشفهون به عند الله تعالى ؛ ليريحهم من هول الموقف ، فيقول الرسول : أنا لها أنا لها اثم يذهب تحت ساق العرش فيسجد ، ثم يلهمه الله تعالى من الثناء عليه والحمد له ما هو له أهل ، ثم يقول له الله عز وجل: أرضع ، والشفاء . وسل تعط ، فذلك هو المقام المحمود الذي قال له الله : (١٠٠ حَسَنَ أَنْ يَسْتَطُكُ رَبُّكُ مَكُانًا . مُعْمَرُ وَا

وروى البخارى عن جابر بن عبدالله: أن رسول ش 夢 قال: من قال حين يسمع النداء: \*\*\* واللهم ، ربّ. هذه الدعوة التامة ، والما لاء القائمة ، آن محمدا الوسيلة والقضيلة ، « ابعثه المقام المحمود الذي وعدته ؛ . حاسر لي شفاعتي: \*\*\*

• ٨- وَقُل رَّبَّ أَدْعِلْنِي مُدْحَلَ مِدْقِ وَأَخْرِجْنِي مُحْرَجَ مِدْقِ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَكنّا تُعِيرًا .

وَقُل رُبِّ أَدْطِلْي مُلْحَلَ مِبِدْقِ. أي: مدخلا حسنا مرضيا بلا آفة وَأَخْرِ جْيَى مُغْرَجَ مِبْدُقِ. أي: مخرجا مرضيا من غير أفة العبل إلى النفس ولا الضلال بعد الهدى.

و خلاصة ذلك : أنطلني إنشالا مرضيا كإنشالي للمدينة مهاجرا وإنشالي مكة فاتحا ، وإنشالي في القبر حين الموت ، وأخرجني إخراجا محفوفا بالكرامة والرضا ، كإخراجي من مكة مهاجرا وإخراجي من القبر للبعث .

#### قال اليسابوري :

والأولى أن يقال: إنه عام في كل ما يدهل فيه ويلابسه ثم يتركه من أمر ومكان، وقبل: أراد: إنشاله مكة ظاهراً عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين، وقبل: إدخاله الغار وإخراجه منه سالما، وقبل: وَ أَجْعَلُ لِّي مِن لَّذُنكَ سُلَطُكَا تُعْمِرًا . أي : حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفتي ، أو ملكا وعزا ناصرا للإسلام وذويه .

وهذا دعاء يعلمه الله لنبيه ؛ ليدعوه ولتنظم أمنه كيف تدعو الله وفيم تنجه إليه دعاء بصدق المدخل وصدق المخرج ، كناية عن صدق الرحلة كلها ، يدلها وختامها ، أولها وآخرها وما بين الأول والآخر (١٠١١)

١ ٨- وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبُنْطِلُ إِنَّ ٱلْبُنْظِلَ كَانَ زَهُوقًا .

وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ. أي : الإسلام وَزَهَقَ ٱلبَّاطِلُ أي : الضمحل الشر من زهقت ؛ نفسه إذا خرجت .

أمره الله أن يقول ذلك: استبشارًا ؛ بقرب الظفر والنصر وترهيبا للمشركين!

إِنَّ ٱلْبُلْطِلَ كَانَ زَهُوقًا . أَى : مضمحلا غير ثابت في كل وقت .

تلك حقيقة لدنية يقررها القرآن بصيغة التركيد . وإن بدا النظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة ، فالباطل ينتفع وينفش ؛ لأنه باطل لا يطمئن إلى حقيقة ، ومن ثم يحاول أن يموه على العين ، وأن يبدو عظيما كبيرا ضخما راسخا ، ولكنه هش سريع العطب ، كشعلة الهشيم ، ترتفع فى الفضاء عاليا ثم تغيو سريعا وتستحيل إلى رماد ، بينما الجمرة الذاكية تدفئ وتنفع وتبقى ، وكالزبد يطفو على الماء ولكنه يذهب جفاء ويبقى الماء .

إِنَّ الْبُثَطِلُ كَانَ زَهُولًا ، ومن وراثه الشيطان ومن وراثه السلطان . ولكن وعد الله أُهدق وسلطان الله أقوى وما من مؤمن ذاق طعم الإيمان ، إلا وذاق معه حلاوة الوعد ، وصدق العهد ، ومن أوفى يعهده من الله؟! ومن أصدق من الله حديثا ؟! (١٠٠٠)

# تنبيسة :

#### قال القاسمي :

سياق هذه الآيات مع ما سبقها أعنى : قوله تعالى : وَإِنْ كَافُواْ لَيُسْتَطِرُّوْلُكُ مِنَ الْأَرْضِ يدل على أَن . نزولها فى أوقات الاعتمام للهجرة إلى المدينة ، ومبارحة مكة وأنه تعالى أمر نبيه بأن يبتهل إليه فى تيسير هجرته وإخراجه من بلده ، وأن يجعل له حماية من لدنه تعز جانبه وتعصمه ممن يرومه يسوم . وأسلوب التنزيل العزيز في مثل هذا الدعاء هو إرادة الخبر بحصول الددعو ، ومشيئة الله بوقوعه عن قرب . وإذلك عقبه بقوله : وُقُلُ جُمَّةَ الْحُقُّ وَرُهُقَ ٱلْبُلْطِلُ ؛ إعلاما بأن الأمر قد تم ، والغرج جاء ودحر الباطل ورجع إلى أصله ، وهو العسم ٣٠٠٠.

أخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النهى هجمكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلاثماثة وستون صنما ، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد» ((() فهى رواية للطبرانى والبيهقى عن ابن عبأس: أنه هجا جاء ومعه قضيب فجعل يهوى به إلى كل صنم فيها فيخر لوجهه فيقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاء حتى مر عليها كلها.

قال في الأكليل: فيه استحباب تلاوة هذه الآية عند إزالة المنكر.

٨٧ - وَنُنزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ .

قال الفخر الرازى : ولفظه مِنَ هذا ليست للتبعيض بل هي للجنس ، كقوله تعالى : فَأَجْتُبُواْ ٱلرَّحْسُ مِنَ آقِاؤُكُــُـنِ

والمعنى: وننزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء ، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين (١٦٠).

واشتلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على قولين:

الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها ، وذهاب الريب وكشف الفطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه.

الثاني : أنه شفاء من الأمراض الظاهرة ، بالرقى والتعوذ ونحو ذلك ، والتبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأدواء والأسقام ، يدل عليه ما روى عن النبي ﷺ أنه قال في فاتحة الكتاب : «رصا يدريك أنها رقيقا» (٢٠٠٠

ولا مانع من حمل الثقاء على معنيين من باب عموم المجاز أو من باب حمل المشترك على معنييه (١٠٠٠) } رُحُمُةً اللَّهُ مُسِدَّرً

#### قال ابن كثير:

أي: يذهب أمراض القلوب ، من شك ، ونفاق ، وشرك، وزيخ ، وميل ، فالقرآن يشفي من ذلك كله ، وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان ، والحكمة ، وطلب الخير ، والرغبة فيه <sup>001</sup>.

## وقال القنوجي :

وُحَمَّةٌ لَّقَبُوْمِينَ: لما فيه من العلوم النافعة المشتملة على ما فيه حسلاح الدنها والدين، ولما في تلاوته وتدبره من الأجور العظيم ، الذي يكون سبيا لرحمة الله سبحانه ، ومقفرته ورضوانه (<sup>٢٧٧)</sup> .

#### وقال الطبرى:

وَرَحْمَةٌ لِلْمُثْنِينِ ؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه ، فيدخلهم بذلك الجنة وينجيهم من عذابه ، فهو لهم رحمة ونعمة من الله أنعم بها عليهم.

وَلَا يُزِيدُ ٱلطَّلِهِينَ إِلَّا حُسَارًا ؛ لأن البدن غير النقى كلما غذوته : زبته شراء فلا يزال سماح القرآن يزيد المشركين غيظا وحققاء ويدعوهم ذلك إلى لرتكاب الأعمال القبيحة """.

خالطالمين قد ظلموا أنفسهم ، وأعرضوا عن الهدى ، وكلما سمعوا القرآن ؛ ازدادوا بغيا وعنادا وكبرا قال تعالى : وَجَحَدُواْ بِهَا وَآسَتَهُمُتُهُمُّ أَلْفُسُهُمْ ظُلُمًا ؛ خُلُوًّا .. (الندل: ١٤) .

وجزاء عنادهم ويفيهم ، طبع الله على قلويهم ، وهم فى النتيا محرومون من هدى القرآن ، فهم خاسرون . وفى الآخرة معذبون بكفرهم ولجاجهم فى الطفيان ، فهم خاسرون .

قال تمالى : قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ وَمَثُواْ هُدُى وَهِفَاءٌ وَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى أُوْلَامِكَ "يُفافؤنَ مِن شَكَانِ بَعِيد . (هسلت: ٤٤) .

وقال سيسانه : وَإِذَا مَا أَنوِلَتْ سُورَةً فَيَعْهُم مِّن يَقُولُ أَيْتُكُمْ وَاقَدُهُ هَلِهِ لِمِسْنَا فَأَقَّ اللَّهِنَ ءَامَتُوا فَوَادَتُهُمْ لِمِسْنَا وَهُمْ مَسْتَشِيرُونَ هِ وَأَمَّا اللَّهِنَ فِي قُلُوبِهِم مُرْحَنَ فَوَادَتُهُمْ وَجُسَّ إِلَيْ وَجُسِهِمْ وَمَاثُواْ وَهُمْ خَلِيرُونَ . (التديد : ۲۷۰، ۲۷۰)

قال قتادة : في قوله تمالي : وَلَنُوَّلُ مِنَ ٱلْقَرْءَاتِ مَا هُوْ هِفَآ هُ وَرَّحَمُةٌ إِذَا سمعه المؤمن : انتفع به وحفظه ووعاه وَلَا يَقِيدُ ٱلطَّلْطِيونَ إِلَّا حَسَارًا . أَي: لا يُنتفعون به ، ولا يحفظونه ولا يعونه ، فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين . اهـ .

#### ثنيها

 ١ - في تفسير الفخر الرازي تفصيل مسهب لهذه الآية خلاصته : أن القرآن شفاء من الأمراض الربحانية وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية .

٢ – قال الإمام ابن القيم في (زاد المعاد) في بحث الأدوية والأغذية المفردة التي جاءت على لسانه
 في حرف القاف (قرآن): قال الله تعالى: وَنَتْزُلُ مِنْ ٱلْقُرْءَاتِ مَا فَرْ هِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لَّنُوْفِيهِنَ . والمسجيح أنْ مِنْ

ههنا لبيان الجنس، لا التبعيض، وقال تعالى: يُنالُّهُا الْأَسُ فَلَا جَايُكُمُ مُوّعِفُةٌ مِنْ رَبُكُمْ وَهِفَاءٌ لَمَا فِي الْمُلُورِ:
فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية . وأدواء الدنيا والآخرة ، وما كل أحد يؤمل ولا
يوفق للاستشفاء به ، وإذا أحسن الطيل التداوى به ووضعه على دائه ، بصدق وإيمان وقبول تام لواعتقاد
جازم ، واستيفاء شروطه ؛ لم يقاومه الداء أبدا . وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء ، الذي لو أنزل
على الجبال لصدعها ، أو على الأرض لقطعها ؟! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان ، إلا وفي القرآن
سبيل للدلالة على دوائه ، وسببه والحمية منه ، لمن رزقه الله فهما في كتابه .. وقد علم أن الأرواح متى
قويت ، وقويت النفس والطبيعة ؛ تعاونا على دفع الداء وقهره .

وقد أسهب ابن القيم أيضًا في كتاب (إغاثة اللهفان) في بيان تضمن القرآن لأدوية القلب ، وعلاجه من جميع أمراضه .

٨٣- وَإِذَا أَنْهُمْنَا عَلَى ٱلإِنسَلْنِ أَعْرَضَ وَنَشَا بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشُّرُّ كَانَ يَثُوسًا

وً إِذَا أَنْعُمُنَا عَلَى ٱلْإِنسَسْرِ أَخَرَّضَ وَتَنَا بِحَالِيهِ أَى : وإذا أنعمنا على الإنسان بمال وعافية ، وللم ولصر وفعل ما يويد أعرض عن طاعتنا ويعد عن طريقنا .

والتعمة تطفى وتبطر ما لم يذكر الإنسان واهبها هيحمد ويشكر <sup>(٣٣)</sup>.وفسر الطبرى النعمة هنا: بالنجاة من الشدة.

يقول تعالى ذكره : «وإذا أنصنا على الإنسان فنجيناه من كرب ما هو فيه فى البحر ، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك ، بعصوف فى الربح عليه ، إلى البر وغير ذلك من نعمنا ، أعرض عن ذكرنا ، وقد كان بنا مستفيثا دون كل أحد سوانا فى حال الشدة التى كان فيها — ونأى بجانبه — يقول ويحد منا بجانبه يعنى : بنفسه ، كأن لم يدهنا إلى ضر مسه قبل ذلك» (\*\*\*).

قال تعالى : هُوَ ٱلَّذِي يُسَرَّدُهُ فِي ٱلْبَرُ وَٱلْبَعْرِ حَتَّى إِذَا كُسُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَىٰ بِهِم جَاءَمُهَا وِيعَ عَامِيفٌ وَجَاءَهُمُ ٱلْعَرْجُ مِن كُلُّ مَكَانِ وَظُوّا ٱلْهُمْ أَجِعَدْ بِهِمْ ٱلْقَلُ مُعْلِمِينَ لَهُ ٱللَّهُ مُعْلِمِينَ لَهُ ٱللَّهُ مُعْلِمِينَ لَهُ ٱللَّهُ مُعْلِمِينَ لَهُ ٱللَّهُ مُعْلِمِنَ لَهُ ٱللَّهُ مُعْلِمِينَ لَهُ ٱللَّهُ مُعْلِمِنَ لَهُ اللَّهُ مُعْلِمُ إِلَيْهُ وَلَمُونَا مِن خلاجِهِ فَتَكُونَ مِنْ ٱلطَّلِيرِينَ وَ فَلَمَا أَمِجَلُهُمْ إِذَا هُمْ يَعْلُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِعُشِرِ ٱلْحَقْ.. (دونت : ۲۲،۲۷).

وقال سبحانه ؛ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٌّ مَّسَّهُ ... (يونس: ١٧) .

وقيال سيجانه : فَلَمَّا نَجْلَكُمْ إِلَى ٱلْبِرَّ أَغْرَضْتُمْ ... (الإسراء: ١٧).

وَإِذَا مَسَّهُ ٱلنَّدُّو كَانَ يُتُوسًا . أي : وإذا أصابته الجوائح وانتابته النوائب ؛ كان ينوسا قنوطا من حصول الخير بعد ذلك .

## قال النيسابوري :

وَإِذَا مَسُهُ ٱلشُّرُ من مرض أو فقر كَانَ يُتُوسًا شديد اليأس من روح الله والحاصل أنه إن فاز بالمطلوب الدنيوى ، وظفر بالمقصود الدنى ، نسى المنعم الحقيقى . وإن فاته شىء من ذلك ، استولى عليه الأسف حتى كاد يتلف أو يدنف ، وكلتا المخصلتين مذمومة ، ولا مقتضى لهما إلا العجز والعليش وكل بقدر (٣٠٠) ونحو الآية قوله تعالى : وَيُنْ أَذُقُنَا ٱلإنسَسْنَ مِثَا رَحْمَةً ثُمِّ تَزْعَنَهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُكُوسٌ كُفُوزٌ . (مود: ١٩).

# ٨- قُلْ كُلِّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً.

قُلْ كُلِّ يَقْمَلُ عَلَيْ هَاكِلُهِ أَي: قل: إن كلا من الشاكر والكافر يعمل على طريقته ، وحاله في الهدى والضلال ، وما طبع عليه من الخير والشر ، من قولهم : (طريق نو شواكل) ، وهي الطرق التي تتشعب منه، لتشاكلها ، أي : تشابهها في الشكل ، فسميت عادة المره بها ؛ لأنها تشاكل حاله .

فَرُاكُمُ أَغْلَمُ مِنْ فُو أَهْنَىٰ سُبِيلاً. أى: فريكم أعلم من كل واحد، يمن منكم أوضح طريقا، واتباعاً للحق، فيرتيه أجره موفورا، ومن هو أضل سبيلا فيعاقبه يما يستحق: لأنه يعلم ما طبع عليه للناس في أصل الخلقة، وما استعدوا له، وغيره يعلم أمورهم بالتجرية وفي هذه الآية تهديد هفي بعاقبة العمل والاتجاه؛ ليأخذ الإنسان حذره، ويحاول أن يسلك سبيل الهدى ويجد طريقه إلى الله.

\* \* \*

# ﴿ وَيَسْنَلُونَكَ عَنِ الرُّوحَ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَصْرِ رَقِي وَمَاۤ أُوتِيتُ مِينَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيهُ لا ۖ ﴾

تمهید ،

في المراد من الروح في هذه الآية ثلاثة آراء:

الأول : القرآن ، وقد سمى القرآن روحا : لأنه أحيا الأمة الإسلامية ويعث فيها العزة والكرامة ، وجمعها على المودة والألفة ، وأمدها بمقومات البقاء والنصر ، قال تعالى :

وَكَلَا لِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مَّنْ أَمْرِنَا ... (الشورى: ٢٥).

وقال سبحانه : يُنزَّلُ ٱلْمَلَتِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ .. (النحل : ٢) .

الثاني : جبريل عليه السلام ، وهو قول الحسن وقتادة ، وقد سمى جبريل بالروح فى مواضع عدة من القرآن كقوله تمالى : نَزَلَ بُهِ ٱلرُّرِثُ ٱلأَبْرِنُ مَ عَلَىٰ قَلْبُكَ \_ (الشعراء : ١٩٣ . ١٩٤).

وقال سبحانه : فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحْنَا ... (مريم: ١٧) . وهو روح القدس .

الله تعالى : قُلُ نَزَّلَهُ رُوحُ آلْقُدُسِ... (النعل: ١٠٢) .

#### التفسيره

٥٥ - وَيُسْعَلُونَكَ عَن ٱلرُّوحُ ...

وَيُسْتَلُونَكَ عَن ٱلرُّوحُ الذي به البدن ، أقديم هو أم حادث ؟

قُلُ اَلَّوُ حُمِّ مِنْ أَمْرِ رَبِّي. الأمر واحد الأمور أي : الروح شأن من شئونه تعالى ، حدث بتكوينه وإبداعه من غير مادة ، وقد استأثر بعلمه ، لا يعلمه إلا هو ؛ لأنكم لا تعلمون إلا ما تراه حواسكم وتتصرف فيه عقولكم، ولا تعلمون من المادة إلا بعض أرصافها كالألوان والحركات لليصر ، والأصوات للسمع ، والطعوم للذوق ، والمشمومات للشم ، والحرارة والبرودة للمس ، فلا يتسنى لكم إدراك ما هر غير مادى كالروح

# وللعلماء في حقيقة الروح أقوال كثيرة ، أولاها الاعتبار قولان :

١- إن الروح جسد نهراني ، حي متحرك من العالم العلوي ، مخالف يطبعه لهذا الجسم المحسوس ، سار فيه
سريان الماء في الورد ، والذهن في الزيتون ، والنار في الفحم ، لا يقبل التبدل والتفرق والتعزق ، يفيد
 الجسم المحسوس الحياة وتوابعها ، ما دام صالحا لقبرل الفيض وعدم حدوث ما يمنع السريان ،
 والأحدث الموت ، واختار هذا الرأي الرازي ، وإنن القيم في كتاب الروح .

٢ – إنه ليس بجسم ولا جسماني ، متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصوف ، وإلى هذا ذهب حجة الإسلام
 الفزائر ، ، والراغب الأصفهاني .

وَمَا أُوتِيْمُ مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً. هو علم المحسوسات ، فعلومنا ومعارفنا النظرية طريق حصولها الحواس، وذلك شيء نزر قليل بالنسبة إلى علم الله تعالى والراسخين في العلم ، وقد روى الطبرى : أن هذه الآية نزلت بمحكة ، فلما عاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا: يا محمد الم يبلغنا أنك تقول: وما أوتينا من العلم إلا قليلا أفعنيتنا أم قومك قال : هكلا قد عنيت ، قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا القوراة ، وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله ﷺ : همي في علم الله قليل ، وقد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتم» فأنزل الله : وَلَوْ آلَهُا في الدُّورُ مَن مِن شَعِرَةٍ أَلْقَارَ مُورِكُمُ مَنْ عَلْم سَعْمَةً أَيْضُورً مُنْ اللهَ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ

وأورد الطبرى رواية أخرى ، تفيد : أن هذه الآية ذرات بالمدينة ، حين سأله اليهود عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ، فأنزل الله تعالى : وَيُسْتَلُونَكُ عَنِ ٱلرُّوحُ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرٍ رَقَّى وَمَا أُولِيتُم مُن آلِهِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً – يعنى : اليهود ، والراجع أن هذه الآية مدنية لا مكية ، وأن السؤال فيها جاء من اليهود .

وقد دِّهِب فريق إلى أن المخاطب بهذه الآية هم اليهود دون غيرهم.

وهناك من يرى أن الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ وإلى الناس أجمعين قال الطبرى: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطابا لمن خوطب به ، والمراد: جميع الخلق : لأن علم كل أحد سرى الله وأن كثر في علم الله قليل ، وإنما معنى الكلام: وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير معا يعلم الله ١١٠٠).

#### ، ملاحظات:

- ١ مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر سلف الأمة وأثمة السنة، أن الروح عين قائمة بنفسها
   تذارق البدن، وتنعم وتعذب، ايست هى البدن، ولا جزما من أجزائه.
- ٢ -- قال أبو المحالى : إن الروح أجسام لطيفه ، مشابكة للأجسام المحسوسة ، أجرى الله العادة بحياة
   الأجساد ما استمرت مشابكتها لها ، فإذا فارقتها تعقب الموت الحياة في استمرار العادة (١٧٠٥).
  - ٣ -- كتب بعض المنقبين عن مباحث العصرين في الروح فقال:

إن نظرية الروحيين التى يستدلون عليها فى أوريا بالحس فى هذه الأيام ، هى أن للإنسان روحا هبطت عليه من الملا الأعلى . لا يصل العقل إلى إدراك كنهها ، وأنها متصلة بهذا الجسد الطينى ، بواسطة هبكل لطيف شذاف على شكل الجسد تعاما . ولكنه ليس من طبيعته ولا محكوما بقوانيته ، وأنه كغلاف للسر الإلهى المسمى: روحا . ولعل فى هذا ما يشبه قول الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه عن الروح: (هى صورة كالجسد) ويقولون: إن الروح وغلافها هذا يخرجان من الجسد عند حصول الموت للشخص، إلى عالم غير هذا العالم، ولكنهما لا ينفصلان عنه كل الانفصال، بل أرواح الموتى منتشرة حولنا فى كل جهة ، ولكنا لا نراها بأعيننا: لعدم استعداد أعينتا لذلك ، كما أنها ليست مستعدة لرؤية أشعة (رونتجن) مع أنها موجودة كما تدل عليه الألة التي صنعها لها . وقد دخات تطبيقاتها فى علم الطب وأفادت العلم الطبيعى فائدة كبرى. ولكن يوجد أشخاص فيهم استعداد خاص . به يرون الأرواح رائحة غادية وعن أيمانهم وعن شمائلهم رؤية محقيقية (۱۳۰).

\* \* \*

﴿ وَلَهِن شِنْنَا لَنَذْهَبَنَ بِالَّذِي أَوَحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَعِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّئِكَ أِنْ فَضْلَمُ مَا كَنْكَ كَيِراً ۞ قُل أَين اَجْمَعَ عَلَ الإِنسُ وَالْجِنُ عَلَّ أَنْ يَأْتُواْ بِعِشْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لِمَا أَوْنَ بِيشْلِهِ وَلَوْكَاتَ بَعْضُهُمْ لِمَعْضِ ظَهِبرا ۞ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِ مَثْلِ فَأَيْنَ اكْثُرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۞ ﴾

### المفرداتء

وكهالا ؛ أي : مئتزما استرداده بعد الذهاب به ، كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يتوكل عليه .

طلهيسوا: أي : معينا في تحقيق ما يتوغونه من الإتيان بمثله .

صرفتا : كررنا ورددنا بوجوه مختلفة .

كسفورا، جحودا، وهو مِن مصادر كقر.

## المعنى الإجمالي :

لوشاء الله لأنهب القرآن من المعدور والسطور ، ومحاه من صدر الرسول ؛ ولكنه أبقاه في الصدور رحمة منه وقضلا ، وفي هذا تحذير عظيم للهداة والعلماء ، وهم غير معصومين من الفتنة ، بأن يباعد بينهم وبين هدى الدين ، يمظاهرتهم للرؤساء والعامة ، وتركهم العمل به انباعا الأموائهم ، واستبقاء لودهم ، وحفظا لزعامتهم بين الناس .

ثم ذكر : أن القرآن وحى يوحى فلا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله وإن كان بعضهم لبعض معيدًا، وقد اشتدل على الحكم والأحكام ، والآداب التي يحتاج إليها البشر في معاشهم ومعادهم ، وكثير من الداس جعدوا فضله عتوا وكبرا .

#### لتفسب

٨٦ - وَلَيْن هِنْنَا لَنَلْهَبَنَّ بِٱلَّذِي (١٨٠ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .

أي: والله لئن شئنا لنمحون القرآن من الصدور والمصاحف ، ولا نترك له أثرا ، وتصيرن كما كنت لا تبرى ما الكتاب ولا الإيمان .

ثُمُّ لا تُوبدُ لَكَ بِهِ عَلَيًّا وَكِيلاً. أي: لا تجد ناصرا ينصرك فيحول بيننا وبين ما نريد بك ، ولا قيما لك يبننا من فعل ذلك .

٨٧- إِلاَّ رَحْمَةُ مِّن رِّبِّكَ إِنَّ فَصْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبيرًا .

إِلَّا رَحْمَةً مِّن زَّبُّكَ أَى : لكن رحمة من ربك تركه ولم يذهب به ، وفي هذا امتنان من الله ببقاء الفرآن.

قال الرازى : أنه تعالى امتن على جميع العلماء بنوعين من المنة ، أحمدهما : تسهيل ذلك العلم عليهم، فالهما : إبقاء حفظه .

إِنَّ فَضَلَةٌ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ، إذ أرسلك للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل عليك الكتاب ، وأبقاه في حفظك ومصاحفك وفي حفظك المقام المحمود. ومصاحفك وفي حفظ أتباعك ومصاحفهم، وصيرك سيد ولد آدم وختم بك النبيين ، وأعطاك المقام المحمود. قال الزمخشرى :

وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظًا ، بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه ، فعلى كل ذى علم ألا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما ، وهما منة الله عليه بحفظه العلم ورسوشه فى صدره، ومنته عليه فى بقاء المحفوظ .

٨٨- قُل ثِّينِ ّ آبَحَنَمَتِ ٱلإنسُ وَٱلحِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰلَذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ يَعْشَهُمْ لِيَعْضِ رَا .

أى: قل لهم متحديا: والله لتن لجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسوله بلاغة ، وإحاملة وحسن معنى وتصرفًا ، وأحكاما ومنهجا كاملا ونحو ذلك ، لا يأتون بمثله ولو تعاونوا وتظاهروا فإن هذا غير ميسور لهم .

فهذا القرآن ليس ألفاظًا وعبارات ، يحاول الإنس والجن أن يحاكرها ، إنما هو كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصنعوه .

هو كالروح من أمر الله لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل، وإن أدركوا بعض أوصافه وغصائصه وآثاره.

والقرآن بعد نلك منهج حياة كامل ، منهج ملحوظ فيه نواميس الفطرة التى تعرف النفس البشية ، في كل ظوولها وأطوالها : ومن ثم فهو يعالج في كل أطوالها وأحوالها ، والتى تعرف الجماعات الإنسانية في كل ظروفها وأطوالها : ومن ثم فهو يعالج النفس المفردة ، ويعالج الجماعة المتشابكة ، بالقوانين الملائمة للفطرة ، المتغلغلة في وشائجها ، ودروبها ومنحنياتها الكثيرة ، يعالجها علاجا متكاملا متناسق الخطوات في كل جانب ، في الوقت الواحد ، فلا يغيب عن حسابه اعتمال من الاحتمالات الكثيرة ولا علابسة من الملابسات المتعارضة ، في حياة الفرد وحياة الجماعة ؛ لأن مشرع هذه القوانين هو العليم بالغمارة في كل أحوالها وملابساتها المتشابكة .

أما النظم البشرية فهى متأثرة بقصور الإنسان وملابسات حياته ، ومن ثم فهى تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات ، فى الوقت الواحد ، وقد تعالج ظاهرة فردية أو لجتماعية بدواء يؤدى بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد .

إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه ، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع مفهج كمفهجه يحيط بما يحيط به (٩٨٠) .

# ٨٩ - وَلَقَدُ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَلْفَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَعَلِي...

أى : ولقد رددنا القول فيه بوجوه مختلفة ، وكررنا الآيات والعبر ، والترغيب والترهيب ، والأوامر والنواهى ، وأقاصيص الأولين ، والجنة والنار : ليدبروا آياته ، ويتعظوا بها .

قمن الناس من ينفعه الوعد ، ومنهم من ينجع معه الوعيد ومنهم من يستهويه قصص الأولين ، ومنهم من يلفت نظره وصف الكرن ، وعرض مشاهده وآيات الله فيه ، ومنهم من يأسره الحديث عن دشائق النفس ، وأحاسيسها ومواقفها في السراء والضراء ، وقد نوع القرآن آياته ؛ فمنها : ما اشتمل على الأحكام ، وبيان الحلال والحرام ، ومنها : ما عنى بأخبار الأمم السابقة ، وجزاء المكذبين وثواب العاملين ، ومنها : ما عنى بوصف مشاهد الكرن، وحقائق الوجود، ومنها: ما عنى بسلوك الأفراد والجماعات، ومنها: ما حث على الفضائل ودعا إليها وحذر من الرذائل ، وتوعد من فعلها .

ويذلك أمنذ القرآن على النفس البشرية كل سبيل ، ووضع أمامها أدلة الإيمان ، وحقائق الإسلام ، واستثار في الإنسان نوازع الفطرة ، رنتيع أفكار المنكرين الجاحدين بالتفنيد ، حتى ألقوا سلاحهم وأظهروا عجزهم ، وقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله ، أو بسورة واحدة فعجزوا ولزمهم العجز إلى يوم الدين .

فَأَيْنَ أُكُثِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا . أي : فأبى أكثر الناس إلا الجحود والإنكار ، والثبات على الكفر ، والإعراض عن الحق . ولما تم الإقناع بالحجة ، وقطعت أاستنهم وأقحموا ولم يجدوا وسيلة للرد ؛ أرادوا العراوغة باقتراح الآيات وطلبوا من ذلك سنة أنواع ذكرها سيحانه بقوله :

\* \* \*

﴿ وَقَالُواْ لَنَ نُوْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَلْنَامِنَ ٱلْأَرْضِ مَلْبُوعًا ۞ أَوْتَكُونَ لَكَجَنَّدُ مِن نِّخِيلِ وَعِنَبِ فَنُفَجِّرَ ٱلْأَنْهِلَ خِلَلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْتُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَكُمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْتَأْنِي بَاللَّهِ وَٱلْمَلَتِ كَنِ فَيِيدًا ١٠٠٠ أَوْيَكُونَ لَكَ يَلِتُ مِن رُخُوفٍ أَوْتَرَقَ فِي السَّمَآءِ وَلَن نُوْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَاكِنَابًا نَفَّرُوُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبّ كُنتُ إِلَّابَشَرَا رَّسُولًا اللهُ وَمَامَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَئ إِلَّا أَن قَالُوا أَبِعَتَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا ۞ قُل لَوْكَاتَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَيْكَةٌ يُمَشُّونَ مُعْلَمَ بِنِينَ لَفَزَّلْنا عَلَيْهِ مِنْ ٱلسَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۞ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَيَنْكَمُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خِيرًا بَصِيرًا ۞ وَمَن يَهْدِاللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْ تَدُّومَن يُعْلِلْ فَلَنْ يَجِدَلُهُمْ أَوْلِيكَةَ مِن دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ مِنْ ٱلْقِيكُمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَيُكُمَّا وَصُمَّا مَّأُونِهُمْ جَهَنَمُ الْحُلَمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا اللهِ خَزَآ وَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايَنِلِنَا وَقَالُوٓا أَهِ ذَا كُنَّا عِظَنَمَا وَرُفَنَا أَهِ نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا 🕲 🐞 أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضَ قَادِرُّ عَلَى أَن يَعْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَآرَبَ فِيهِ فَأَبِي ٱلظَّلِيلُمُونَ إِلَّا كُفُورًا ١٠ قُل لَوْ أَنتُمْ تَمْلِ كُونَ خَزَآ بِنَ رَحْمَةِ رَبِّ إِذَا لَأَمَّس كُمُّمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ قَتُورًا ١٠٠٠

المقردات ،

تفجر النامُ الأرضينيوما؛ أي : حتى تفرج لنا من الأرض عينا لا ينضب ماؤها . يقال : فجر الماء وفجره أي: أنبعه من الأرض .

<sup>-</sup> المرضية: أي: بستانا تستن أشجاره ما تحتها من الأرضي.

المستعمر المنا ومعنى . عقطها ، جمع كسفة ، كقطع وقطعة ، لفظا ومعنى .

سيسين رُحُسيسوه، أي : من ذهب وأصل الزخرف لغة الزينة وأجملها ما كان بالذهب

تـــرقـــي، أي: تمعد.

سسني حسان ريسيء أي : أنزمهه تنزيها أن يتحكم عليه إلى هذا العد .

م طسم شد مین د آی: ساکنین مقیمین فیها.

أولــــــــاء؛ أي: تصراء جمع ولي.

ونصحف وسوقهم إلى الحرب.

وب كرس ، بكما أي : وخرسا جمع أبكم يقال : بكم ، يبكم ، بكما أي : خرس .

وسيسمسساء أي: طرشا جمع أصم يقال: صم ، يصم ، صمما أي: طرش .

مسسساواهسسم: أي: محل إقامتهم . يقال : أوى ، يأوى ، أويا أي : أقام .

ك يق وراء أي: جحودًا للحق.

عشيية الإنشاق، أي: خوف الفقر.

## المعنى الإجمالي:

بعد أن أقام سبحانه الدليل على إعجاز القرآن ولزمتهم الحجة وغلبوا على أمرهم : أخذوا يراوغون ويقترحون الآيات ويتعثرون في أنيال الحيرة ، فطابوا آية من آيات ست ، فإن جاءهم بآية منها : آمنوا به وصدقوا برسالته : فأمره الله بأن يرد عليهم بأن اقتراح الآيات ليس من وظيفة الرسل وإنما وظيفتهم البلاغ للناس . ثم حكى عنهم شبهة أخرى وهى استبعادهم أن يرسل الله رسولا من البشر، فأجابهم: بأن أهل الأرض لو كانوا ملائكة: لوجب أن تكون رسلهم من الملائكة: لأن الجنس أميل إلى جنسه.

ثم سلى رسوله ﷺ على ما يلاقى من قومه . بأن الهداية والإيمان بيد الله ، ولا قدرة للنبى على شيء من ذلك ، ومن يضلل الله فلا هادى له . وسيلقى المكذبون جزاءهم فى نار جهنم بما كسبت أيديهم ودسوا به أنفسهم من الكفر والفجور والمعاصى وإنكار البحث والحساب .

وهم يعلمون أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يعيدهم مرة أهرى، ثم أمر الارسول أن يقول لهم : لو كنتم تملكون خزائن رزق ربى ؛ لبخلتم خشية النقو ؛ لأن الإنسان مطبوع على شدة الحرص والبخل ، والله هو الفنى الجواد ، يمنح ما شاء لمن شاء ، وينزل المعجزات ما شاء لا ما شاء الناس وهو في ذلك كله حكيم عليم .

#### سبب نزول الآيات ،

روى الطبرى بإسناده (۱۹۰۰) عن ابن عباس: أن نقرا من قريش اجتمعوا بعد غروب الشعس عند الكعبة ,
وطلبوا رسول للله ﷺ فجاههم فقالوا له: يا محمد ، إن كنت جرّت بهذا الحديث – يعنون القرآن – تطلب به
مالا : جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد الشرف ؛ سويناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا؛
ماكناك علينا ، وإن كان هذا الذى بك رئيا من الجن ، تراه قد غلب عليك لا تستطيع ربه ؛ بذلنا لك أموالا في
طلب الطب حتى نبرتك منه – وكانوا يسمون التابع من الجن : رئيا – فقال رسول الله ﷺ : «ما بى من شيء
ماء تقولون ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرني أن أكون بشيرًا وينديرًا ، فبلغتكم رسالة
حتى يحكم الله بينى وبينكم، فقالوا : يا محمد ، فإن كنت صادقاً فيما تقول : فسل لنا ربك الذى بمثك ،
عني يحكم الله بينى وبينكم، فقالوا : يا محمد ، فإن كنت صادقاً فيما تقول : فسل لنا ربك الذى بمثك ،
والعراق، ويبعث لنا من مضى من أبائنا وليكن منهم قصى بن كلاب ، فإنه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم
عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك ؛ صدقناك ، ثم قالوا : فإن لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث
ملكا يصدقك ، واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة ، تعينك على محاشك . فقال :
«ما بعثت بهذا» ، قالوا : فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، فإن ربك إن شاء فعل ، كما تقول ، وقالوا :

وقول عبد الله بن أبى أمية — وهو ابن عاتكة ، عمة الرسول — : لا أومن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى السماء ترقى فيه وإنا ننظر إليك حتى تأتيها ، فتأتى بنسخة منشورة معك وينقر من الملائكة يشهدون لك بما تقول. هَانَصرف رسول الله ﷺ عنهم حزينا ؛ لما رأى من تباعدهم عن الهدى فأنزل الله عز وجل ؛ تسلية له " ﷺ وَ قَالُوا لُن رُسُّونَ لُك ... الآية ١٨٠٠ \_

#### التفسيره

ملاب كفار مكة أن يظهر لهم معجزة خارقة للعادة كعليل على صدق نبوته وحددوا له آية من ست وها: لى ذى:

٩٠ - وَقَالُواْ لَن تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْيُوعًا .

أى: قال رؤساء مكة كعتبة بن ربيعة، وشبية بن ربيعة، وأبى سقيان، والنضر بن الحارث قول العبوت والمحجوج المتحير: لن نصدقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا تدفق الماء أو تقور، وذلك سهل العبوت على الله عنها الله إلى ما يطلبون، ولكن الله علم أنهم لا يهتدون كما قال: إِنْ ٱللَّبِينَ خَمَّتُ عَلَيْمَا مُكَالِّمَةُ مُكُلِّ مَانِةً حَتَّى يُرُوزُ ٱلْقَدَابُ ٱلْأَلِيمَ (بِرِيس: ٢٥، ٧٥).

وقال سبحانه : وَلَوْ أَلْنَا تَزَلُقَ إِلَيْهِمُ الْعَلَائِكَةَ وَكُلَّمُهُمُ الْعَوْتَى وَحَشْرَنَا عَلَيْهِمُ كُلُّ هَيْءٍ فَكُلُّ مَا كَامُوا لِيُطْيِعُوا . (الانعام: ۱۱۱)

٩١ - أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِّن تُعِيلِ وَعِنَبِ تَشْفَجَّرَ ٱلْأَنْهَارَ عِلَالَهَا تَفْجِيرًا.

أي: أو يكون لك بستان فيه نخيل وعنب تتفجر الأنهار خلاله تفجيرا لسقيه.

٩٧ – أَوْ تُسْقِطْ آلسَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ...

تقول العرب: جاءنا بثريد كسف أي : قطع من الخبز : أي : أن تسقط علينا جرم السماء إسقاطا مماثلا لما زعمت هي قولك : أزّ تُسْبِقطْ طُهُهُمْ كُشُفًا مُنْ السُّمَّاء (سيا : ٩) .

و محلاصة ذلك : أن تسقط السماء علينا متقطعة قطعا قطعا ، ونحق الآية قوله : وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمُ إِن كَانَ هَذَا هُوَ ٱلنَّقِّ مِنْ عِندِكُ فَأَمْشِرُ عَلَيْنَا حِجَارَةً مَن ٱلسَّمَاء ... (الأنتال: ٣٤) .

وكذلك طلب قوم شعيب منه فقالوا : فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسُفًا مِّنَ ٱلسَّمَا وَإِن كُنتَ مِنَ ٱلمَسْدِيقِينَ . (الشعراء: ١٨٧). أَوْ تَأْتِي بَاللَّهِ وَٱلْمَسْدِيْكِهَ قِيهِا؟ .

أى: أن تأتى بالله وبالملائكة نقابلهم معاينة ومواجهة ، ونحو الآية ما حكاه القرآن عنهم: وَقَالَ ٱللَّيْنَ لا يُرْجُونَ إِلَيْهَا مَنَ لَهُ لا أَوْلَ عَلَيْهَ الْمُلْقِكِمَةُ أَوْ رَكِحُانَكُ ... (الفردان: ٢١).

٩٣- أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخُرُكٍ ...

أي: أو يكون لك بيت من ذهب روى ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما.

أَوْ تَرَفَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ وَكَنْ تُقِينَ لِرُقِلِكَ حَتَىٰ تُعَزِّلُ عَلَيّا كِسُبُّ الْقَرُوُّهُ . أي : أو تصعد في سلم إلى السماء ونحن ننظر إليك ، ولن نصدقك من أجل رقيك وحده ، بل لابد أن تنزل علينا كتابا نقروه بالفتنا على نهج كلامنا وفيه تصديقك .

قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلُ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا . أي : قل لهم متعجبا من مقترحاتهم ، ومنزها ربك من أن يقترح عليه أحد ، أو يشاركه في القدرة : ما أنا إلا كساتر الرسل ، وليس للرسل أن يأتوا إلا بما يظهره الله على أيديهم بحسب ما تقتضيه المصلحة ، من غير تفويض إليهم فيه ، ولا تحكم منهم عليه .

وخلاصة ذلك : سبحانه أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء ، إن شاء أجابكم إلى ما سألتم ، وإن شاء لم يجبكم ، وما أنا إلا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربى وأنصع لكم ، وقد فطت ذلك ، وأمركم فيما سألتم إلى الله عز وجل .

#### نېپه:

قال القاسمي : (۱۸۵)

لا يخفى ما فى اقتراح هذه الآيات من الجهل الكبير بسنة الله فى خلقه، ويحكمته وجلاله وبيان ذلك- كما فى كتاب (لسان الصدق) - أن ما اقترحته قريش (منه) ما أرادوا به مصلحتهم دون مصلحة العباد، مما يخالف حكمة الله المقتضية : لإخلاء بعض البقاع من العيون النابعة ، والأنهار الجارية، والجنان الناضرة ، دون بعض ، وإرساء الجبال الشم فى موضع دون آخر ، لمصالح يعلمها هو - جلت عظمته - ولا يعلمها الخلق ، فليس مقترحهم هذا من العجز فى شيء . مع أن مثله لا تثبت به النبوة .

فإننا نعلم أن أناسا قد استنبطوا العيون وغرسوا الجنان من النخيل والأعناب ، وتمتوا الجبال ولم يكونوا أنبياء .

ومنه : ما يناقض إرادة الله سبحانه وهو قولهم : أَوْ تُسْقِطُ ٱلسَّمَاءُ كُمَّا وَعُمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا فإن إنزال السماء قطعا مقتض لهلاك العالم بحدافيره ، والله يريد إيقاءه إلى أجل معلوم .

ومنه : ما هو مستحيل في نفسه غير ممكن وقوعه أصلا وهر قولهم : أَنْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَٱلْمَسْلِكِيَّةِ لَهِيلً الإتيان بالله والملائكة حتى يشاهدهم المشركون أن غيرهم ، مما لا يمكن أن يكون ، فلا يجوز طالبه ، وليس أ من أنواع المعجز. ومنه : ما لا يصلح للانبياء ولى حصل لم يكن معجزا وهو قولهم : أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيَّتَ مِّنْ زُحُرُفٍ . فإن هذا غير صالح للانبياء ، وليس بمعجز ؛ لحصول مثله عند أشباه فرعون .

ومده : ما وعدها بعدم إيمانهم به لو حصل ، وهو قولهم : أَوْ تَرَقَىٰ فِي ٱلسَّمَاءِ وَأَن تُؤْمِنَ لِرُقِتُك حَيْ عَلِيَّا كِمَنْهُا تَقْرُونُمْ ... (١٠٠)

ظم يكن شيء مما اقترحوه في الآيات معجزا . وإنما هي أمور مستحيلة في نفسها أو لأمر آغر؛ اقترحوها تكبرا وتعنتا وجهلا . على أنهم بعد تلك الأقوال كلها قال قاتل منهم : وإيم الله الو فعلت ذلك؛ لظننت أني لا أمدتك .

فكان الأولى في جوابهم عما اقترحوه ، هو قول الرسول لهم : سُبَعَانَ رُبِّي قُلُ كُنتَ إِلَّا يَشَرُا رُسُولًا . أي: تنزه ربى عن فعل ما اقترحتموه من المحال وما يناقض حكمته . وما أنا إلا بشر رسول على أن أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم . وقد أتيتكم بما يدل على صدق رسالتي مما أوحاه إلى وذلك ما تحديثكم بالإتيان بعثله أن بسورة مثله في الهداية والإصلاح (١٩٥٠).

# 46 - وَمَا مَنْعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَامَعُمُ ٱلْهُدَىٰۤ إِلَّا أَن قَالُواْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رُسُولًا.

وَمَا مَنَعَ آلْتَاسُ. أَى: الذين حكى تعنتهم ، وهم مشركى قريش ، من الإيمان بك حين مجمء الوحى المعقودات ، التى تستدعى الإيمان بنبوتك ويما أنزل عليك من الكتاب إلا قولهم : أبعث الله بشرا السولا ؟! إنكارا منهم أن يكون الرسول من جنس البشر ، واعتقادا منهم بأن الله لو بعث رسولا إلى المطلق؛ لوجب أن يكون من الملاكة ونحو الآية قوله تعالى : أكّانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْجَبًا إِلَى رَجُل مَتْهُمْ أَنْ أَنادٍ آثَاسُ وَكَالًى المُعَلِيّةِ وَلَا يَعْدُ رَبُهمْ .. (ووت، ؟)

والآيات في ذلك كثيرة . ثم نبه تعالى على لطفه ورحمته بعباده ، وأنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم : ليفقهوا عنه ويفهدوا منه ، ويمكنهم مشاطبته ومكالمته حتى لو كانت الأرض مستقرا لملائكته ، لكانت رسلهم منهم : جريا على قضية الحكمة فقال سبحانه :

# ٥٩ - قُل أَوْ كَانَ فِي ٱلأَرْضِ مَلَكَ عِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَعِينَ لَثَوْلُنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَلكًا رُسُولًا.

أى - لو وجد فى الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشى الإنس مُفْعَشِّسُ أَى : ساكنين فى الأرض مقيمين فيها حتى يمكن الاجتماع بهم وتتلقى الشرائع منهم : لَتَرُثُنَا عَلَيْهِم مَنْ ٱلسَّمَاةِ مَلْكَا رُسُولًا, أَى مَن جنسهم ؛ ليعلمهم الخير ويهديهم إلى الرشد ولكن طبيعة الملك لا تصلح للاجتماع بالبشر، فلا يسهل

عليهم التخاطب والتفاهم معهم : لبعد ما بين الملك وبينهم ، ومن ثم لم نبعث ملائكة إليهم ، بل بعثناً خواص البشر: لأن الله وهيهم نفوسًا زكية ، وأبدهم بأرواح قدسية ، وجعل لهم ناحية ملكية : يها يستطيعون أن يتلقوا من الملائكة ، وناحية بشرية : بها يبلغون رسالات ربهم إلى عباده .

وقد نبه سبحانه إلى عظيم هذه الحكمة وجليل تلك النعمة بقوله:

لَّقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِئِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ. (آل عمران: ١٦٤).

وقوله : لَّقَدْ جَآءَكُمُ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ . (التوية : ١٢٨) .

وقوله : كَمَا أَوْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً شَكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَائِنَا وَيُوَكِّمُكُمْ وَيُعَلَّمُكُمْ ٱلكِثَّـابُ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ . (الهورة : ١٥٥) .

وإجمال القول فى ذلك : إنه لو جعل الرسل ملائكة : لما استطاع الناس التخاطب معهم ، ولما تدكنوا من الفهم منهم ، فلزم أن يجعلوا بشرا ؛ حتى يستطيعوا أداء الرسالة ، كما قال سبحانه : وَلُوَ جَعَلْنُكُ مَلَكًا لَوَعَلَنُهُ رُجُلاً وَلَلْبَسًا عَلَيْهِم مُّا يُلْسُونُ . (الأنعام : ٩) .

وقد ثبت أن جبريل عليه السلام جاء فى صورة بحية الكلبى مرارا عدة ، فقد صح أن اعرابيا جاء وعليه وعثاء السفر فسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان ، فأجابه عليه السلام بما أجابه ثم انصرف ، ولم يعرفه أحد من الصحابة رضوان الله عليهم فقال عليه السلام : «هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم» .

ثم أجابهم سبحانه بجواب آخر يقوله :

٩٠- قُلْ كَفَيْ بِٱللَّهِ شَهِيدًا آيني وَيَنْكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَعِبِيرًا .

قُلُ كُفَى إِللَّهِ مُهِيدًا يَنِى وَيَتَكُم أَى : على أنى بلغت ما أرسات به إليكم وأنكم كذبتم وعائدتم ، وقرر للفضر الرازى فى تفسيره : أن المعنى بالشهادة هو الشهادة على رسالته عليه المسلاة والسلام بإعجاز القرآن. أى : كفى بما أكرمنى به تعالى من هذا المحجز شاهدا على صدقى ، ومن شهد تعالى على صدقه ؛ فهو صادق ، فقولكم — معشر المشركين — بعد هذا ، يجب أن يكون الرسول ملكا تحكم فاسد . ا هـ .

إِنَّهُ كَانَ بِعِبَافِهِ عَهِيزًا بَعَهِيزًا . أي : أنه محيط بأحوال عياده الظاهر منها والباطن ، وأعلم بمن يستحق الإحسان والرعاية ، ومن هو أهل للشقاء والضلال . و هي هذا إيماء إلى أن ما دعاهم إلى إنكار نبوته ﷺ إلا المسد، وحب الرياسة والتكبر عن قبول الحق، كما أن فيه تسلية له ﷺ على ما يلقاه من الإصرار والعناد، والإمعان في إيذائه .

٩٧ - وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهَنَّدِ وَمَن يُعْلِلْ قَلْنَ نَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَّاءَ مِن دُونِهِ وَنَحَشُّرُهُمْ يَوْمَ ٱلْمَيْسَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عَمْنًا وَبُكُمَّا وَمُشَاءً الْأَوْالُمُ جَهَيَّهُمُ كُلِّمًا عَبَت وَذَلتُهُمْ سَعِيرًا .

من يهده الله إلى طريق الرشاد : لحسن استعداده فهو المهتدى ، ومن يضلله ؛ لفساد طبعه ، وسوء اختياره وركويه رأسه فى الغواية والعصيان كهؤلاء المعاندين ؛ فلن تجد لهم أنصارا يهدونهم ويحفظونهم من قهر الله سبحانه .

### قال في ظلال القرآن:

ولقد جعل الله للهدى والضائل سننا ، وترك الناس لهذه السنن يسيرون وفقها، ويتعرضون لعواقبها. ومن هذه السنن : أن الإنسان مهياً للهدى والضلال ، وفق ما يحاوله لنفسه من السير في طريق الهدى أو طريق الضلال ، هالذي يستحق هداية الله بمحاولته واتجاهه : يهديه الله ، وهذا هو المهتدى حقا ؛ لأنه اتبح هدى الله . والذين يستحقون الضلال بالإمراض عن دلائل الهدى وآياته ؛ لا يعصمهم أحد من عذاب الله (۱۰۰۰).

لَّلَنَ تُوتَدُ لَهُمْ أُولِيَّا مَن دُولِهِ وَلَحُسُرُهُمْ يُومُ الْقَبْسُمَةَ عَلَى وَجُوهِمْ . أَى: يسحبون عليها كقوله سبحانه: 
يُزْمَ يُسْحَبُونَ فِي آثالِ طَنَى وَجُوهِمْ .. (القدر: ٤٤) . والرجه أكرم شيء في الإنسان فهو مجمع المحاسن وفيه 
أمم المواس كالعين والأذن والذوق والشم ومن شأن الإنسان أن يدافع عن وجهه وأن يحميه بيده فإذا اشتد 
هول القيامة تحمل الكافر عذاب النار بوجهه ؛ لأنه يلقى في جهنم مغلولة يداه إلى عنقه فلا يستطيع أن 
يدفع عن وجهه المذاب قال تعالى: ألَّمَن يَتَّى يَتَّى يَرْجَهِهُ سُوءً آلَهُذَابِ يَوْمُ الْقَبْسُاءَ .. (الزم: ٢٤).

وقال في ظلال القرآن: ونحشرهم يوم القيامة في صورة مهينة يتكفأون على وجوههم -

وقال القاشاني: أي: ناكسي الرءوس لانجذابهم إلى الجهة السفلية.

عُمِّيًا وُبُكِمًّا وُصِّمًّا . أَى : مطموسين محرومين من جوارحهم التى تهديهم فى هذا النحام ؛ جزاء ما عطلوا هذه الجوارح فى الدنيا عن إدراك دلائل الهدى .

روى البخارى ومسلم : عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قيل : يا رسول الله ، كيف يمشى الناس على وجوههم ؟ قال : «الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشههم على وجوههم» (سه)

وروى الترمذي : أن الناس يكونون ثلاثة أصناف في الحشر : مشاة ، وركبانا ، وعلى وجوههم (١٠٨٠)

وإنا نرى فى الدنيا من الحيوان ما هو طائر ومنه ما هو ماش ، ومنه ما هو زاحف ، كالحيات وهوام الأرض . والقسم الأخير من الأقسام الثلاثة فى الحديث أقرب إلى هيئة الزواحف بحيث يبقى الرجه فى الأرض وتحيط به زوائد كالأرجل الحيوانية ، وهو يهيم على وجهه .

والخلاصة: أنهم يبعثون في أقبح صورة وأشنع منظر وقد جمع الله لهم بين عمى البصر، وعدم النطق، وعدم السمع ، مع كرنهم مسحوبين على وجوههم، كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في إهانته وتعذيبه.

### فائدة :

## جاء في تفسير الخطيب ما يأتي:

وأما قوله تمانى : غُمِّهَا وَبُكِمًّا وَصُمًّا . ققد استشكله شخص على ابن عباس فقال : أليس قد قال تعالى: وَرَعَا ٱلْمُخْرِمُونَ آثَانَ ... (الكهف : ٣٠) . وقال تعالى : سَعِفُواْ لَهَا لَغَيُّقًا وَلَهِرًا . (الفرقان : ٢٧) وقال تعالى: كَفُرَّا هُنَالِكَ ثُهُورًا . (الفرقان : ٣٠) وقال تعالى: يَوْمَ ثَلَي كُلُّ تُفْسِرُ تَصَدْلِلُ عَن لَفْسِهَا ... (النط : ٢١١) وقال تعالى حكاية عن الكفار : وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا ثُمَّا مُشْرِكِينَ (١٠٠ فقيت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال تعالى: هذا : غُنْهًا وُبُكُمًّا وَضُمًّا ؟ أَجَابِ ابن عباس وتلامنته عله من وجوه :

الأول: قال ابن عباس: عُمَّيًا لا يرون شيئا يسرهم صُمًّا لا يسمعون شيئا يسرهم بُكُمًّا لا ينطقون بحجة.

الثاني : قال : في رواية عماء خُفيًّا عن النظر أي : عما جمله الله تعالى لأولياته وَبُكَّمًا عن مضاطبة الله تعالى ومخاطبة الملائكة المقربين صُمَّا عن ثناء الله تعالى عليهم .

الغالث : قال مقاتل : إنه حين يقال لهم : لخسئوا فيها ولا تكلمون : يصيرون عميا ، يكما ، صما أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون .

الرابع: أنهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا أن يطالعوا كتبهم ولا أن يسمعوا لإلزام حجة الله تعالى عليهم إلا أنهم إذا أهذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم الله تعالى عميا ، يكما ، مسما ، قال الفخر الرازى: والجواب الأول أولى ؛ لأن الآيات السابقة تدل على أنهم في النار يبصرون ويصبحون (٢٠٠).

# مَّأُوا هُمْ جَهَنَّمُ كُلُّمَا خَيْتُ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا.

خَبَتْ أَى: سكن لهيبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم زِدَّنْهُمْ سَّعِرًا أَى: توقدا . بأن تبدل جلودهم ولحومهم ، فتعود ملتهية مستعرة .

قال الزمخشري:

كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء ، جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم، تأكلها وتغنيها، ثم يعيدها ، لا يزالون على الإفناء والإعادة ؛ ليزيد ذلك في تحسرهم على تكنيبهم البعث، ولأنه أسخل في الانتقام من الجاحد .

٩٨- ذَالِكَ جَزَازُهُم بِأَنَّهُمْ كَفُرُواْ بِعَايَاتِهَا وَقَالُواْ أَعِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَانُنَا أَعِنَّا لَمَهْمُونُونَ خَلْقًا جَدِيدًا .

أى: هذا العذاب جزاؤهم ؛ لأنهم استنكروا البعث واستبعدوا وقوعه وقالوا: أبعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك وقد تلف لحمنا ويقينا عظاما بل رقت عظامنا فصارت رفاتا تعاد مرة أخرى ؟ استذكارا منهم وتحجبا من أن يحصل ذلك .

٩٩- أَوَلَمْ يُرَوْا أَنَّ آللَّهُ ٱللَّهِ تَلْدِى خَلَقَ ٱلسَّمَنُواتِ وَٱلأَرْضَ قَادِرٌ عَلَيْ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ...

أى: ألم يعلموا ويتدبروا أن الذى خلق السماوات والأرض ابتداعا على غير مثال سابق، وأتامهما بقدرته – قادر على أن يخلق أمثالهم من الخلق مرة أخرى ، وكيف لا يقدر على إعادتهم والإعادة أهون من والابتداء .

وَجَهُلُ لَهُمْ أَجَلًا لاَّرْنَبَ فِيهِ . أَى: وجعل لإعادتهم وقيامهم من قيورهم أجلا مضروبا ومدة مقدرة لابد من انقضائها ، لا يعلمها إلا هو كما قال سبحانه : وَمَا نُوَحُمُوهُ إِلاَّ لأَجَلِ مُقْلُوهِ ، (مود: ١٠٤) .

وخلاصة ذلك: قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السماوات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس، وإعادتهم إلى الحياة بالبعث، وقد جعل لميقات إعادتهم أجلاوهـويـوم القيامة الذي لا شك فيه فلا وجه لإنكاره.

فَأَتِي ٱلمُظْلِلِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا.

أى: بعد قيام الحجة عليهم ووضوح الدليل أمامهم ، أبوا إلا جحودا وتماديا في باطلهم وضلالهم ، فكان جزارتهم عادلا بعد منطق الدلالات ومنطق المشاهدات ووضوح الآيات .

. . ١ - قُل لُوْ أَلْتُمْ تَمْلِكُونَ خَوْآلِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذَا لأَمْسَكُتُمْ خَشْيَةَ ٱلإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلإِنسَانُ تَقُورًا .

المراد من الإنفاق مناً: الفقر ، يقال : أنفق فلان إذا افتقر ، وقال أبو عبيدة : أنفق ، وأملق ، وأعدم ، وأصيرم، بمحنى : أي : قل لهم أيها الرسل : إنكم لو تملكون التصرف في خزائن الله ؛ لأمسكتم خشهة الفقر : أي : خشية \* أن تزول وتذهب مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبدا . و كَانَ آلْإِنسَانُ قُتُورًا . أي : بخيلا شحيحا ، والقتر ، والإقتار ، والتقتير : هو التقصير في الإنفاق.

قال البيسابوري:

وهذا الخبر لا ينافى ما قد يوجد فى الناس معن هو كريم جواد: لأن اللام فى الإنسان للجنس أى: 
هذا الجنس من شأنه الشع ، إذا كان باقيا على طبعه ؛ لأنه خاق محتاجا إلى ضرورات المسكن والعلبس 
والمطعوم والمنكوح ، ولا يد له فى تحصيل هذه الأشياء من المال ، فيه تندفع حاجاته وتتم الأمور المتوقفة 
على التعاون ، فلا جرم يحب المال ويمسكه لأيام الضرورة والفاقة ، ومن الناس من يحب المال محبة ذاتية 
لا عرضية ، فإذا الأصل فى الإنسان هو البحل . والجود منه إنما هو أمر تكلفى أو عرضى ؛ طلبا للثناء أن 
النواب . وقيل : المراد بهذا ، الإنسان المعهود السابق، معن قالوا : لن نؤمن لك ؛ حتى تفجر لنا من الأرض 
ينبوعا .. فبين الله تعالى : أنهم لو ملكوا خزائن الأرض ؛ لبخلو بها (١٠٠٠).

### وقال ابن كثير:

ُ إِنْ اللهُ تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه ، فإن البخل والجزع والهلع صفة له ، كما شال تعالى : إِنَّ الإِنسَدْنَ خُلِقَ هَلُوعًا ه إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ه وَإِذَا مَسُهُ ٱلْخَيْرُ مَتُوعًا ه إِلاَ ٱلْمُصَلِّنَ. (المعارج: ١٩- ٢٢)

رشبيه بهذه الآيات قوله سيحانه:

أَمْ نَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا . (النساء: ٥٣) .

أى: لو أن لهم نصيبا فى ملك الله: لما أعطوا أحدا شيئًا ولا مقدار نقير ، وقد جاء فى المسحيحين: «يد الله ملأى لا يفيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يفض ما فى يعينه» (١٠١) .

# وجاء في تفسير الخطيب ما يأتي :

فإن قيل: قد يوجد في جنس الإنسان من هو جواد كريم ؛ أجيب من وجوه :

الأول : أن الأصل في الإنسان البخل ؛ لأنه خلق محتاجا والمحتاج لابد وأن يحبس ما به يدفع الحاجة ، وأن يمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود به لأسباب من الخارج ، فثبت أن الأصل في الإنسان البخل .

ألناني : أن الإنسان إنما يبدئل : لطلب الثناء والحمد ، وليخرج من عهدة الواجب ، فهو في الحقيقة ما أنفق إلا - ليأخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل .

الثالث: أن المواد بهذا الإنسان المعهود السابق، وهم الذين قالوا: أن تُؤينَ لَكَ حَتَّىٰ تَشْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْهُوعَا (١٩٠١).

﴿ وَلَقَدْ ءَالْيَنَا مُوسَىٰ لِقِسْمَ ءَايَنَ بَيِنَتُ فَسْقُ لِبَيْ إِسْرَةِ مِلْ إِذْ جَاءَ هُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّ لَأَظُنْكَ يَنْمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَدُولاَ إِلَا رَبُّ السّمَوَتِ وَآلاَ رَضِ بَصَابِم وَإِنِّ لَأَظُنُّكَ يَنِفِرْعَوْنُ مَشْبُورًا ﴿ فَالَا يَسْتَغِزُهُم مِنَ الْأَرْضَ فَأَغْرَفْنُهُ وَمَن مَعَهُ جَمِيمًا ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَيْ إِسْرَة بِلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاهَ وَعَدُ الْكَنْخِرَةِ جَنْنا بِكُرُلْفِيفًا ﴿ ﴾

#### المقردات:

بيتات: أي: واضحات.

مستحبوراء أي: مخبول العقل.

بمسائسر: أي: حججا وبينات تبصرك صدقي، واحدها: بصيرة أي: مبصرة بينة.

مشيورا ، أي : مصروفًا عن الفير ، من قولهم: ما أثبرك عن هذا؟ أي : ما صرفك ؟ ويجوز أن يكون بمعني: هالكا ، من قولهم: تُبُر ؛ يثبر ؛ ثبررا ، أي : هلك .

اليستفزهم: أي: أن يستخفهم ويخرجهم من أرض مصر بالقتل أو النفي والمراد: موسى وقومه .

## المعنى الإجمالي :

بعد أن ذكر فيما سلف ما اقترحوه من الآيات وأبان لهم أن الرسل ليس من شأنهم أن يقترحوا على الله شيئا ؛ الله شيئا ؛ الله شيئا ؛ الله شيئا ؛ الله شيئا ، ولم تُجْر فرعون وقومه شيئا ؛ فأخذ عزيز مقتدر ، فلا فائدة لكم فيما اقترحتموه من الآيات ، وكفاكم الآيات العلمية التي أنزلها على عبده ورسوله مجمد ﷺ ، فإن لم تؤمنوا بعد ظهور تلك اللحجج ؛ أملككم كما أملك فرعون بالغرق ، وفي ذلك تسلية لرسوله بذكر ما جرى اموسى مع فرعون وما جوزى به فرعون وقومه .

#### التفسيره

١ . ١ - وَ لَقَدْ عَالَيْنَا مُوسَىٰ بِسْعَ عَالِلْتِ بَيْنَاتٍ ...

أى: ولقد أعطينا موسى تسع آيات واضدات الدلالة على صحة نبوته وصدقه ، حين أوسل إلى فرعون وقومه فلم يؤمنوا بها ، كما قال تعالى : فَآسَتَكُبُرُواْ وَكَاتُواْ قَوْمًا مُّجُورِيِنَ . (يونس : ٢٥) وقال : وَجَعَلُواْ بِهَا وَآسَتَهَنَتُهَا أَنْفُسُهُمْ قُلْمًا وَخُلُوًا ... (الندل: ١٤). وقد ذكر سبحانه في كتابه العزيز ست عشرة معجزة لموسى عليه السلام.

تتمثل فيما يأتى:

١ – انقلاب العصاحية .

٢ - تلقف الحية حبالهم وعصيهم على كثرتها.

٣ -- اليد البيضاء .

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ – الطوفان ، والجراد ، والقمل والضفادع والدم (١٩٠٠).

٩ - شق البحر (١٩١٥).

• ١ - انفلاق الحجر في قوله : فَقُلْنَا ٱشْرِب بَعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱلَّنْنَا عَشْرَةَ عَيْنَا ... (البقرة : ٦٠) ١٩٣١.

١١- إظلال الجبل في قوله : وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةً ... (الأعراف : ١٧١) .

١٢ - إنزال المن والسلوى عليه وعلى قومه (١٩٨).

١٤،١٣ – للجدب، ونقص الثمرات في قوله : وَلَقَدْ أَعَنْنَا عَالَ قِرْعُونَ بِالنَّبِينَ وَتَقْصِ مِّنَ ٱلْفُرَاتِ لَعَلَهُمْ يَلَكُوونَ. (الأعراف: ٣٠٠)

٥ ١ -- الطمس على أموالهم من الحنطة والدقيق والأطعمة (١٩١١).

 ١٣ - إزالة العقدة من لسان موسى ، أي : أذهب الله العجمة عن لسانه وهمار فصيحا ، وقد اختلفوا في المراد من هذه الآيات التسع .

جاء في تنسير النيسابوري وابن جرير الطبري من طرق عدة عن ابن عباس: أن الآيات التسع هن: العصاء والبدر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والحجر، والبحر، والطور الذي نتقه على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (١٠٠٠).

وقيل: المراد بالأبنات: الأحكام فقد أخرج الإمام أحمد والبيهقى والطبراني والنسائي وابن ماجة: أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: انطاق بنا إلى هذا النبي فنسأله ، فأنياه ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى: وُلَقَدْ وَالْتَهَا مُسْرَيْسَعُ وَالْتَهْتِ بِنَّنْتِ ... فقال عليه المسلاة والسلام: «لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تسرقوا ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تعشوا ببرىء إلى ذي سلمان؛ ليقتله ولا تقذوا محصنة ، وأنتم يا يهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت، فقيلا يده ورجله وقالا : نشهد أنك نبي قال : فما يمنعكما أن تسلما ؟ قالا : إن داود دعا ألا يزال من ذريته نبى ، وإنا نخاف أن اتبعناك أن تقتلنا يهود .

قال الإمام فخر الدين الرازى : هو أجود ما قيل في الآيات للتسع . وقال الشهاب الخفاجي : وهذا هو التفسير الذي عليه المعول في الآية .

وأرى أن عد الأحكام من الآيات البينات فيه بعد ؛ لأن كل رسالة سماوية تشتمل على أحكام وآداب.

فلماذا خص الله موسى بتسم آيات ؟

الراجح أنها معجزات أيد الله بها موسى ، وقد أيد الله موسى بأكثر من تسع آيات ، فعد يعض المفسرين جانبا منها وترك يعضم جانبا آخر .

إلا أن تفصيص المدد بالذكر لا يقدح فى الزيادة عليه مكذا قال الأصوايين: ولكن الذرق يأبى ألا يكون للتخصيص غائدة والذى يدور فى خلدى أن سبب التخصيص هو أن مرجع معجزاته إلى تسعة أنواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا فإنهما نرع واحد (١٠٠٠ والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم يمكن أن تكون آية واحدة تشمل ألوانا من العذاب عذب الله بها أهل مصر، ليفكروا جديا فى صدق رسالة مرسى.

فَسَكُلُ بَنِي إِسْرَاقِيلَ . والخطاب فيه للنبي ﷺ والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والإيقان : لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقرى وأثبت والمسئولون هم مؤمنو بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وأصحابه .

إِذْ جَمَآءَهُمْ ٣٠٨ لَقَالَ لَهُ لِرْعَوْنُ إِنِّي لِأَظْنُكَ يَنْمُوسَىٰ مَسْحُورًا ٣٠٨.

أى: فذهب موسى إلى قرعون وأظهر آياته ودعاه للإيمان بالله ولإرسال بني إسرائيل معه، فقال له فرعون: إنى لأظنك يا موسى مخلط العقل، ومن ثم ادعيت ما ادعيت، مما لا يقول مثله كامل العقل حصيف الرأى، وهذا كقوله: إذّ رَسُولَكُمْ ٱلْلِيَّ أَرْسِلَ إِلْكُمْ أَمْجُونٌ، (الشعراء: ٧٧).

٧ • ١ - قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا آ أَوْلَ هَـ لَوُلاَء إِلا وَبُ ٱلسَّمَاق اتِ وَالْأَرْضِ مَصَاعِرَ اس وَإِلَى الْأَكْنَاكَ يَنفِر عُونَ مَعْورًا.

أى : قال موسى لفرعون : لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع (۳۰) إلا رب السماوات والأرضى ؛ لأنه هو الذي يقدر عليها وهي واضمات تبصرك بصدقى ، وإني لأظنك يا فرعون مصروفا عن الخير مطبوعا على النشر ، أو هالكا إذا لم ترجم عن عنادك (۳۰).

٣ • ١ - فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِرْهُم مِّنَ ٱلأَرْضِ فَأَغْرَقْنَهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا .

هَأَراك فرعرن أَن يُسْتَقِرُهُم مُنَ ٱلْأَرْضِ. أَى: يفزعهم ويزعجهم بما يحملهم على حفة الهرب فرقا منه . أو يغنيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال ، والضعير لموسى وقومه ، وآلأَرْض: أَرض مصر أو الأرض التي أذن لهم بالمسير إليها وسكناها وهي فلسطين وقوله تعالى: فَأَغْرُقْتُهُ وَمُنْ مُفَاجِّعِهُا أَي: فحاق به مكره: لأنه تعقبهم بجنريه بعد ما أذن لهم بالسفر من مصر إلى فلسطين ؛ ليرجعهم إلى عبرديته ؛ فدمره الله تعالى وجنوده بالإغراق .

٤ - ١ - وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَ ۚ عِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ حِتْنَا بِكُمْ لَفِيفًا .

وَقُلْنَا مِنْ بَعْهِمِ ، أَى : من بعد إغراق فرعون لِنِي إِسْرَاعِيلُ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ وهى أرض كنعان بلد أبيهم إسرائيل التي وعدوا بها فَإِذَا جَاءَ وَعُلُهُ الْآخِرَةِ أَى : قيام الساعة ؛ حِنْنَا بِكُمْ لَفِيفًا . أَى : جمعا مختلطا أنتم وعدركم. ثم يحكم بينكم ويينكم ويهنين سعداوكم من أشقيائكم .

+ + +

﴿ وَيِالْمَقِ أَنزَلَنهُ وَيِالْمَقِ نَزَلُ وَمَا أَرْسَلْنك إِلَّا مُبَشَّرُا وَيَلْدِيلْ ﴿ وَقُرْءَانَا فَوَقَنهُ لِلقَرْآهُ عَلَى النَّيْ الْمَنْ الْوَيْدَ الْوَثُوا الْمِلْمُ مِن فَيلِهِ وَالْمَا الْمَنْ مِن اللَّهِ وَالْمُوالِمِ الْلَّالَةِ وَالْمُوالِمِ اللَّهِ الْمَا عَلَيْهِمْ فَيْوَلُونَ اللَّهِ مَن اللَّهِ الْمُواللَّهِ الْمُواللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ الْمُلْكِ اللَّهُ ا

### المفردات،

المستسحمينية ، هو الثنايت الذي لا يزول ، والقرآن مشتمل على كثير من ذلك كدلائل التوجيد وتعظيم الملائكة ونبوة الأنبياء وإثبات البعث والقيامة .

في وقيل: فرقنا فيه الحق مفرقا على حسب الحوادث. وقيل: فرقنا فيه الحق من الهاطل.

<u> مسلم ميكث</u> : أي : على مهل . وقرئ على مكث بفتح الميم ، وكلاهما بمعنى التؤدة والتأني .

السمخمسرور، السقوط بسرعة.

الأذق .... الله وأحدها ذقن: وهو مجتمع اللحيين.

ادعو الله أو ادعوا الرحمان: أي : سموه بهذين الاسمين .

لِماتشمواظهاالأسماوالمسئور: ما زائدة ، والمعنى : ادعوا الله أن ادعوا الرحمان أي : هذين الاسمين تدعون فله أحسن الأسماء والحسن، مذنت الأحسن.

ولا تسخسافت بسهما ، عفت الرجل بقراءته : إذا لم يبينها برفع الصوت ، وتخافت القوم : تسأروا فيما ببينهم. المعنى الإجمالي :

في ختام السورة وضعت الآيات سعو القرآن وجلالة قدره ، ويبنت : أنه هو الثابت الذى لا يزول ، وأنه نزل مفرقا ؛ ليسهل حفظه ، ولتثبت أحكامه وأسراره ، ثم هونت الآيات من شأن المعاندين وويختهم واحتفرتهم ، ويهنت : أن كفرهم لا ينقص من قيمة القرآن ، فسيان إيمانهم به وعدم إيمانهم ، فإن الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب كانوا لا يتمالكون أنفسهم إذا سمعوا القرآن أن يخروا نشا ساجدين ، يغمرهم التأثر والبكاء .

ثم أردهت الآيات ببيان أنكم إن ناديتم الله أن الرحمان فالأمر سواء ، وأمرت الرسول أن يتوسط في صلاته بين الجهر والخفوت وختمت السورة كما بنأت بحمد الله وتقرير وحنانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة إلى الولى والتصير ، وهو العلى الكبير ، فيلخص الختام محور السورة الذي دارت عليه والذي بدأت به ثم ختمت به .

## التضبيره

٥٠ - وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُهَلَّرًا وَنَلِيرًا .

أنزلنا هذا القرآن تأمر فيه بالعدل والإنصاف ، والأخلاق الحميدة والأمور المستحسنة ، وننهى فيه " عن الظلم والأفعال الذمهمة .

#### قال بعض المقسرين:

الحق هو الثابت ، كما أن الباطل هو الزاهق ، ولا ريب أن هذا الكتاب يطتمل على دلائل التوحيد ، وصفات ذي الجلال والإكرام ، وعلى تعظيم الملائكة ، وإقرار النبوات ، وإثبات المعاد، وعلى أصول الأديان والمثل ، التي لا يتطرق إليها النسخ والتبديل ، وكل هذه الأمور تدل على المعنى المذكور : لأنها مما تبقى ببقاء الدهور (٢٠٠٠).

وَ بِالْحَقِّ مُزِلُ؛ فالحق مادته والحق غايته ، ومن الحق قوامه ، وبالحق امتدامه ، الحق الأصيل الثابت في ناموس الوجود ، والذي خلق الله السماوات والأرض قائمين به ، والقرآن مرتبط بناموس الوجود كله ، يشير إليه ويدل عليه وهو طرف منه ، فالحق سداه ولحمته ، والحق مادته وغايته (\*\*) قال تعالى : لا بَأْلِيهِ آثَمْ عُولًا مِنْ يُسْ فَنُهُ وَلا مِنْ خُلُهِ ... (فعلت : ١٤) . وَمَا أَوْسَلُنَكُ إِلَّا مُبَشِّرًا وَلَقِيرًا. مَا أَرسَلناك يا محمد إلا مبشرا بالجنة لمن أطاعنا واستجاب لأمرنا ففعل المأمورات واجتنب المنهيات — ومنذرا بالذار لمن عصانا وأعرض عن هدينا وحالف أمرنا ونهينا.

٩ • ١- وَقُوْءَانَا فَرَقْتَلَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى آتَنَاسَ عَلَىٰ مُكُثْ وَنَزَّلْتُهُ تَنزِيلاً ...

وَقُرْءَانًا ٢٠٠٧ فَرَقْسَلهُ أَي : جعلنا نزوله مفرقا منجما ، وقرئ : فرقناه بالتشديد ٢٠٠٠ .

قال ابن عباس: لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله وآخره عشرون سنه (٢١١).

ثِقْرَأَهُ عَلَى آلنَّاسِ عَلَيْ مُكُثِّرٍ . أي : على مهل وتؤده وتثبت ، فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم .

وَنُرِّ أَثُكُ أَثْرِيلاً . أَى : على حسب المصالح والحوادث ، فقد كان القرآن كتاب الحياة يعالج أخطاها، ويقوم عوجها ، ويجيب على أسئلة السائلين ، ويرد على شبه المضائفين ، وإذا تتبعنا أسباب نزول القرآن؛ ظهرت الحكمة واضحة ، في تفريق القرآن ونزوله نجوما ؛ لأن النفوس إذا وقعت في مشكلة ؛ تشوفت إلى أيات تطلها ، وتأخير الآيات إلى وقت الحاجة ؛ يجعل النفوس تتعلق بها وتتذكر قصتها كلما قرأتها .

فمشروعية التيمم ، وحد اللعان ، وحد اللقنف ، وحد الزنا ، وتحريم الشمر ، وتحريم التخلف عن الجهاد، وتحريم التبني ، وكنير من الأحكام المشابهة ، كانت قضايا ومشاكل في المجتمع تحتاج إلى حل وبيان فكانت آبات القرآن تنزل إثر كل مشكلة توضع حكمها ، وتبين حلها .

ففى كُتِّب الصحاح: أن المسلمين تأخروا فى بعض الغزوات: ليبحثوا عن عقد للسيدة عائشة، ولم يكن معهم ماء: فنزلت آية التهم .

وأن رجلا اتهم زوجته بالزنا ؛ فنزلت آية اللعان .

واتهم بعض الناس السيدة عائشة بالزنا مع صفوان ابن المعطل ؛ فنزل حد القذف.

وسكر بعض المسلمين وأساء للأخرين ؛ فنزل تحريم الخمر.

وتخلف ثلاثة من المسلمين عن غزوة تبوك ؛ فنزلت سورة التوية تفضح المنافقين وتلوم المتخلفين.

وكان التبنى معروفا فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ثم حرم القرآن التبنى وأمر الله رسوله أن يتزوج مطلقة ابنه المتبنى ، ليشرع بنفسه للناس إبطال هذه العادة . وهكذا نجد أن نزول للقرآن مفرقا في عشرين سنة كان فرصة مناسبة : ليشرع الأحكام، ويبين الحدود، ويوضح الحلال والحرام ، وكان الصحابة يتسابقون إلى العمل بالآيات قبل أن يحفظهما ، فطبقها القرآن سلوكا وهديا ، وتعبدا وعملا ، مم عنايتهم به قراءة وحفظا .

أخرج البنهقى فى الشعب عن عمر رضى الله عنه أنه قال : تعلمها القرآن خمس آيات ، غمس آيات ، فإن جبريل عليه السلام كان ينزل خمسا خمسا ، وكذلك أخرج ابن عساكر عن أبى سعيد الخدرى ، والمراد : أن الغالب كذلك : فقد صح أنه نزل بأكثر من ذلك ويأقل منه .

١٠٧ - قُلْ عَامِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنْ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْمِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُظَنّى عَلَيْهِمْ يَنحِرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجّمًا .

أى : قل لهوّلاه الضالين القائلين لك : لَنْ تُوْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَشْعَرُ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَتَبُوعًا : آمنوا بهذا القرآن أو لا تؤمنوا به ، فإن إيمانكم به لن يزيد في هزائن رحمة الله ، ولا ترككم الإيمان به ينقص ذلك .

قال النيسابورى: وهو أمر وعيد وتهديد وخذلان.

## وفي ظلال القرآن :

أمر الله رسوله أن يجبه القوم بهذا المعق، ويدح لهم أن يختاروا طريقهم . إن شاموا آمنوا بالقرآن وإن شاءوا لم يؤمنوا ، وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم ، ويضع أمام أنظارهم نموتجا من تلقى الذين أوتوا العلم من قبله ، من اليهود والنممارى المؤمنين لهذا القرآن ، لعل لهم فيه قدوة وأسوة وهم الأميون الذين لم يؤتوا علما ولا كتابا ٣٠٩ .

٧ - ١ - ١ - ٩ - إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْمِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلأَفْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ سُبْحَدُنَ رَبَّنَا إِنَّ كَانَ وَ هَذَا ثِنَا لَمُفْعُدُ لا .

أى: وإن تكفروا به فإن الذين أونوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أمل الكتابين إذا يتلئ عليهم هذا القرآن يخررن تعظيما له وتكريمًا ٣٠٠٠ . ويسجدون لله شكرا وحمدا على إنجاز وعده ويقولون في سجودهم: تنزه ريفا عن خلف الوعد . إنه كان وعده مأتيا .

والخلاصة : أنكم إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم ، وفيه تسلية للرسول ، وازدراء لشأنهم .

قال الزمخشري:

أمر بالأعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم ، وألا يكترث بهم وبإيمانهم ويامتناعهم منه .
وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية وشرك ، فإن خيرا منهم وأفضل ، وهم
العلماء الذين قرءوا للكتب وعلموا ما الوحى وما الشرائع ، قد آمنوا به وصدقوه ، وثبت عندهم أنه النبي
العربي ، الموعود في كتبهم ، فإذا تتلي عليهم خروا سجنا ، وسبحوا الله تعظيما لأمره ، ولإنجاز ما وعد في
الكتب المنزلة ، ويُشَّر به من بعثه محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه ، وهو المراد بالوعد في قوله : إِن كَانُ وَقُدُ

٩ . ٩ - وَيَعِرُّونَ للأَذْقَانِ يَيْكُونَ وَيَزِيلُهُمْ خُشُوعًا .

ويقد مؤلاء الذين أوثرا العلم على الوجوء سجدا ، باكين من خوف الله ، ويزيدهم ما في القرآن من المرات من المرات من المواعظ والعبر خشوعا ومضوعا لأمر الله وطاعته .

إنه مشهد مصور لحالة شعورية غامرة ، يرسم تأثير هذا القرآن في القلوب المتفتحة لاستقبال فيضه: المارفة بطنيعته وقيمته بسبب ما أوتيت من العلم قبله (٢٠٠).

قَالَ النسلي : وممنى الخرور للذقن : السقرط على الوجه كما خمن الذقن ، لأن أقرب الأشهاء من وجهه إلى الأرش عند السجود الذقن .

وفي حاشية ألجمل : فالخرور الأول للسجود ، والأخر لشدة البكاء . أو الأول : في حالة سماح القرآن أو قرامته ، والثاني : في سائر المالات (١٠٠٠ أو المراد : أن السجود يتكرر منهم في حالات متعددة ؛ خشوعا بلك واعترافا بفضله .

#### لنبية :

#### قَالَ الْقاسمي:

دل نعت هؤلاء ومدههم بخرورهم باكين ؛ على استحباب اليكاء والتخشع ، قإن كل ما حمد فيه من المنعوت والصفات التى وصف الله تعالى بها من أحبه من عباده ، يلزم الاتصاف بها ، كما أن ما ذم منها من مقته منهم ، يجب لجتنابه ٣٧ .

وقد ذكر الإمام الغزالى في (الإحيام): أن من آباب التلاوة البكاء. قال: البكاء مستحب مع القراءة. قال نابكاء مستحب مع القراءة. قال رسول الله ﷺ: «الثلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» (١٠٠٠ وقال ابن عباس رضى الله عنهما: إذا قرآت سجدة سبحان؛ فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم؛ فليبك قلبه ، وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضار اللجزن، أن يتأمل ما فيه من

اللهديد والوعيد ، والوائيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أرامره وزواجره ، فيحزن لا محالة ويبكى . فإن لم يحضره ؛ حزن ويكاء ، كما يحضر أرباب الللوب الصافية ، فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائف .

وروى الترمذى عن ابن عباس : قال : سمعت رسل الله ﷺ بقى : «عينان لا تعسهما النار ، عين بكت من غشية الله تمالى ، وعين بالت تحرس في سبيل الله تعالي» (٢٠٠٠).

وأغرج مسلم والنسائى عن أبى هريرة قال : قال رسول اش ﷺ : لا يلج النار رجل يكى من خشية ولله حتى يعود اللبن فى للضرع ، ولا اجتمع على عيد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم» (۳۰۰) .

١١٠ – قُلِ آدَعُوا ٱللَّهُ أَوْ آدَعُوا ٱلرَّحْمَدَنَ أَيَّا مَا تَدَعُواْ فَلَهُ ٱلاَسْمَاءُ ٱلْخُسْتَنَ وَلاَ تَعَهَّوْ بِصَائِبِكَ وَلاَ تُعَافِئَ بِهَا وَ آيَتِنَ يَيْنَ ذَلِكَ مُسِيدً .

قل لهولاه المشركين: سموا الله باسم الله ، أو اسم الرحمان ، فأى اسم تسعرته فهر حسن ، وهو تعالى له الأسماء الحسني ولا شبهة لكم من أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى ، وإذا قرأت القرآن في معلاتك، هاذ ترقع صوتك به ؛ لئلا يسمع المشركون فيسبونك ويؤذونك ، ولا تسر به فلا يسمع المؤمنون ، وكن وسطا في قراءتك

قال الطبرى والنسابورى والنسفى: عن ابن عباس: أن أبا جهل سمع النبى يقول: يا الله يا رحمان، فقال: إن محمدا ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلها آخر. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إنك لتقل ذكر الرحمان، وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم؛ فنزلت الله.

# و في تفسير القاسمي :

قُلِ أَدْعُواْ ٱللَّهُ أَوِ آذَهُواْ ٱلرَّحْمَانَ. رد لما أنكره المشركين من تسعية الرحمان ، وإذن بتسعيته بذلك ، أي: سموه بهذا الاسم أو بهذا و (أو) للتخيير . أَبّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى أَى: أَيُّ عَذِين الاسعين سعيتم وذكرتم فهر حسن . وقد وضع موضعه قوله : فَلْهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى؛ للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه، إذ حسن جميح أسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين ، فأقهم فيه دليل الجواب مقامه وهو أبلغ . ومعنى كونها أحسن الأسماء : أنها مستقلة بمعانى الحمد والتقديس والتعظيم (٣٠٠) وهذه الآية كقوله تمالى: وَلِلْهِ ٱلأَسْمَاءُ الْمُسْمَاءُ الْمُسْمَاءُ الْمُعْوِلِيةِ الرَّحْولِية ، (الأحراف : ١٨٠) . وقد روى الطبرى بإسناده: عن أبى هريرة: عن النبى ﷺ قال: وإن شه تسعا وتسعين اسمًا كلهن في القرآن من أحصاهن: دخل الجنةة. ومعناه: من عرف معانيها وآمن بها وقيل: معناه: من أحصاها بحسن الرعاية لها وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها (<sup>(777)</sup> وقد وردت أسماء الله الحسنى كاملة في الحديث الذي رواه الترمذي في الجامع المسحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه، ووردت في تفسير الجلالين، ثم شرحت معانى هذه الأسماء شرحا مستقيضا في حاشية الجمل على الجلالين ((771)).

# وَلاَ نَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلاَ تُخَافِتُ بِهَا وَٱلْتَعْ بَيْنَ ذَالِكَ سَبِيلاً .

أمر الله رسوله ﷺ أن يتوسط في صلاته بين الجهر والخفوت ؛ لما كانوا يقابلون به صلاته من استهزاء وإيذاء ، أو من نفور وابتعاد ، ولعل الأمر كذلك ؛ لأن التوسط بين الجهر والخفاء أليق بالوقوف في حضرة الله .

وروى: أن الرسول ﷺ طاف باللهل على دور الصحابة ، فكان أبو يكر يضفى صوته ، وكان عمر يوفع وسلام ، أناجى ربى وقد علم حاجتى ، وسأل النبى ﷺ أبا بكر أن يرفع صوته قلهلا ، وسأل النبى ﷺ أبا بكر أن يرفع صوته قلهلا ، ولا وأمر عمر أن يخفض صوته قلهلا ؛ فنزات الآية على حسب ذلك ، وقيل : معناه : ولا تجهر بصلاتك كلها ، ولا تضافت بها كلها، وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتضافت بصلاة النهار ، وعن عائشة وأبى هريرة ومجاهد : أن الصلاة هنا : الدعاء . وقد يروى هذا مرفوعا قال الحسن : لا يراثى بعلانيتها ولا يسريرتها استال ...

١١١ - وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَشْجِدْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكَ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلدُّلُّ وَكَبَّرهُ وَكَمْيرًا .

وقل: الحمد والشكر لله الذي لم يتخذ ولدا ؛ لعدم حاجته إليه ، ولم يكن له شريك في الملك ؛ لأنه وحده منشئه ، ولم يكن له ناصر بعطيه عزة من ذل لحقه ، وعظم ربك تعظيما يليق به .

## وقد وصف سبحانه نفسه بثلاث صفات :

١ – أنه لم يتخذ ولدا، فإن من يتخذ الوك يمسك جميع النعم لوك، ولأن الوك يقوم مقام الواله بعد انقضاء أجله بوك ويقوم مقام الواله بعد انقضاء أجله بفثائه – تنزه ربنا عن ذلك – ومن كان كذلك لم يستمع الإنمام في كل الحالات فلا يستحق الحمد على الإملاق.

وهي هذا رد على اليهود الذين قالوا : عزير ابن الله ، والنصاري الذين قالوا : المسيح ابن الله ، تعالى 
الله عما يقراونه علوا كبيرا .

٢ - أنه ليس له شريك في الملك ، إذ لو كان له ذلك لم يعرف أيهما المستحق للحمد والشكر ، ولكان عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ، ولم يكن منفرها بالملك والسلطان .

٣ - أنه لم يكن له ولى من الذل أي : لم يوال أحدا من أجل مذلة به يدفعها بموالاته .

والخلاصة: أنه ليس له ولد يحبس نعمه عليه ، وليس له شريك يوقف أعماله في الملك ، ولا ناصر يدفع العدو المذل له ، وإذا تنزم رينا عن ذلك : فقد أمن الناس نضوب موارده ، وأصبحت أبوابه مفتحة لكل قاصد ، فلتفترف أيها العبد من مناهله ، ولتعلم أنه لا يحابيك لأجل أهاك ولا نسلك ولا دينك ، ولو كنت ابن نبى من الأنبياء أو عظيم من العظماء ٢٠٠٥ .

وَ كَبُرهُ تُكُورًا أَى: وعظم ريك أيها الرسول بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل ، وأطعه فيما أمرك به ونهاك عنه .

قال الإمام فخر الدين الرازى: تكبير الله تعالى وتنزيهه يكون:

١ - بتكبيره في ذاته ؛ باعتقاد أنه واجب الوجود لذاته ، وأنه غني عن كل موجود .

٢ – بتكبيره في صفاته ؛ باعتقاد أنه مستحق لكل صفات الكمال متنزه عن صفات النقص .

٣ - بتكبيره في أفعاله ؛ فتعتقد أنه لا يجرى شيء في ملكه إلا وفق حكمته وإرادته .

ع - بتكبيره في أحكامه : بأن تعتقد أنه ملك مطاح ، له الأمر والنهي ، والرفع والخفض ، وأنه لا اعتراض
 لأحد عليه في شيء من أحكامه ، يعز من يشاء ويذل من يشاء .

تكبيره في أسمائه ؛ فلا يذكر إلا بأسمائه الحسنى ولا يوصف إلا بصفات الجلال والإكرام .

أخبرج عبد الترازق عن عبد الكريم بن أبي أمية قال: كان رسول ش 義 إذا أفسع الغلام من بني عبد المطلب؛ علمه هذه الآية (١٣٠٠). عبد المطلب؛ علمه هذه الآية (١٣٠٠).

وروى الطبرى بإسناده عن القرظى: أنه كان يقول فى هذه الآية آلْمَهُدُ لِلْهِ آلْدِي مُرْجَعِدُ لَلْفَا ... قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتنفذ الله ولذا ، وقالت العرب: لبيك لبيك ، لا شريك ك ، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله ؛ لذل الله ، فأنزل الله : وَقُلْ إِلْمُحَمَّدُ لِلْهِ ٱلْقَي وَلَمْ يَكُن لُهُ شَرِيكُ فِي ٱلْمُلْكُ وَلَمْ يَكُن لُهُ وَلِيُّ مُنَ ٱللَّهُ وَكُرَّهُ أنت يا محمد على ما يقولون تَكُسُرًا ١٣٠٩. وروى الإمام أحمد في مسنده عن ماذ الجهني: أن رسول الله ﷺ كان يقول : «آية العز : أَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يُتَجِدُ وَلَمْا وَلَمْ يَكُنْ لُهُ ضَرِيكُ فِي ٱلْمُلُكُ وَلَمْ يَكُن لُهُ وَلِي مَن ٱللِّنُ وَكَبْرِوًا».

# وقال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية :

قل يا محمد: الحمد لله الذي لم يتخذ وادا فيكون مربوبا لا ربًّا؛ لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد ، ولم يكن له شريك في الملك ؛ فيكون عاجزا ذا صاجة إلى معونة غيره ضعيفا ، ولا يكون إلها من يكون محتاجا إلى معين ، ولم يكن له ولى من الذل ، يقول : ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به ؛ لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره فذليل مهين ، ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج إلى ناصر ؛ إلها يطاع، وكبره تكبيرا وعظمة تعظيما يليق به سبحانه (٣٠٠).

والمدد لله الذي بنعمته تتم المسالحات ، والشكر لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم ، إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه ، اللهم ، لجعله عملا خالصا لوجهك وتقبله منا إنك أنت السميع اليصير ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

\* \* \*



### دروس من سورة الكهف

#### سورة مكية

المشهور بين الطماء أن سورة الكهف مكية كلها ، وأنها من السور التي نزلت جملة وإحدة كما جاء في الخبر الذي أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس عن النبي ﷺ إذ يقول : «نزلت سورة الكهف جملة».

وقد روى ذلك أيضًا عن بعض المحابة ، واختاره الداني ، ومشى عليه أكثر أهل التفسير والمتكلمين في علرم القرآن رهناك روايات أخرى تخالف هذا المشهور فتقرر أن السورة مكية إلا بعض آياتها ، فإنه مدنى .

وفى المصحف الفؤادى المطبوع بمصر ، سورة الكهف مكية إلاّ آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية ١٠١ فمدنية ، وآياتها ١٩٠ نزلت بمد الغاشية .

وقال الفيروزبادى: السورة مكية بالاتفاق وفيها إحدى عشرة آية مختلف فيها بين مكيتها ومدنيتها. وهى الآيات: ٣٢، ٢٢، ٣٧، ٣٢، ٣٥، ٨٠، ٨٥، ٨٨، ٨٥، ٩٨، ٩٧، ٥٣، ١٣٣

وينبشى أن يعلم أن كليرا مما ذكر أنه مدنى تضمنته سورة مكية ، أو مكى تضمنته سورة مدنية ، هو موضع خلاف بين العلماء ؛ لاختلاف الرواية فيه ، أو لانبناء المكم فيه على اجتهاد واستنباط من القائل به وفى ذلك يقول ابن الحصار فيما نقله عنه السيوطى فى الإتقان : كل نوع من المكى والمدنى منه آيات. مستئناة ، إلا أن من الناس من اعتمد فى الاستئناء على الاجتهاد بون النقل "".

## القصص في سورة الكهف

القصص هو العنصر الغالب في هذه السررة ، ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف ويعدها قصة أصحاب الكهف ويعدها قصة أصحاب للجنتين ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس . وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح . وفي نهايتها قصة ذي القرنين . ويستغرق هذا القصم معظم آيات السورة فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية ، ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق على القصص أو تعقيب عليه .

ويلتلى هذا القصص حول فكرة أساسية للقرآن وهي إثبات أن البعث حق وأن المؤمن يكافأ بحسن الجزاء ، وأن الكافريلقي جزاء عنته وكفره في الدنيا أو الآخرة .

### قصة أصحاب الكهف

فى قصة أصحاب الكهف يتجلى صدق الإيمان وقرة العقيدة والإعراض عن كل ما ينافيها إعراضا عمل عن كل ما ينافيها إعراضا عمليا صداراً من كل ما ينافيها إعراضا عمليا صدارما ، لا تردد فيه ولا موارية ، فتية رأوا قومهم فى الضلال يعمهون ، وفى ظلمات الشرك يتخبطون، لا حجة لهم ولا سلمان على ما يزعمون ، وأحسوا فى أنفسهم غيرة على الحق لم يستطيعوا معها أن يبقوا في هذه البيئة الضالة بأجسامهم ، وأو خالفوها بظويهم ، فتركوا أوطانهم وتركوا مصالحهم واعترالها قومهم وأهليهم ، وخرجوا فارين متجنبين الشطط وأهل الشطط ، وأثروا كهفا يأوون إليه فى فجرة منه ، لا يراهم فيه وحشتهم إلا كلههم .

ذلك هو مغزى القصة الخلقي ، وفيه ما فيه من إرشاد وإيصاء وتمجيد لأخلاق الشرف والرجولة والثبات على العقيدة والتضمية في سبيلها .

أما المعنى العام الذي تتلاقى فيه القصة مع غرض السورة فهو إثبات قدرة الله على مخالفة السنن التي ألفها الناس وطنوا أنها مستعمية عليه جل شأنه ، أن تبدل أو تحول كما هي مستعصية على كل . مطاوق، وشتان بين قدرة الخالق والمخلوقين ، وهذا ما تشير إليه القصة في ثناياها إذ يقول الله عز رجل:

وَكُذَا لِكَ أَغْفَرْنَا عَلَيْهِم لِيُعْلَمُواْ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقَّ وَأَنْ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا ... (الكهف: ٢١).

# قصة موسى والخضر

أما قصنة موسى وفتاه والعبد المسالح فلبابها ومغزاها هو إثبات قصور الخلق مهما سعث عقولهم ، وكثرت علومهم أمام إحاطة الله وعلم الله . وهكذا ترتبط – فى سياق السورة – قصة موسى والعبد الممالح، بقصة أصحاب الكهف فى ترك الغيب فله الذى يدبر الأمر بحكمته ، وفق علمه الشامل الذى يقصر عنه البشر الواقفون رواء الأستار ، لا يكشف فهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار .

لقد وقف موسى خطيبا في بني إسرائيل فأجاد وأبدع في خطبته ، فقال له أحد المستمعين : ما أفصحك با نهى الله ! هل في الأرض من هو أكثر علما منك ؟ قال موسى : لا ، فأخبره الله: أن في الأرض من هو أكثر علما منه ، فقال موسى : يا رب ، دلني عليه ! حتى أنهب إليه فأتعلم منه .

وضرب موسى لنا مثلا رائعا فى الرحلة : أطلب العلم ، وتحمل الصعاب والمشتقات بهمة الرجال وعزيمة الأيمال . سار موسى مع تابع له هو يوشع بن نون ومعهما حوت في مكتل ، ويلغ مجمع البحرين : بحر الروم ويحر القلزم . أي : البحر الأبيض والبحر الأحمر ، أن أنه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر.

وفى المكان الذى أراد الله أن يلتقى فيه نبى بنى إسرائيل بعده الصالع ، فقد موسى حوته وعاد: ليبحث عنه فرجد رجلا نحيل الجسم ، غائر العينين ، عليه دلائل الصلاح والتقوى ، فسلم عليه موسى ، وتلطف معه فى القول وأبدى رغبته فى اتباعه؛ ليتطم منه العلم ، فاشترط الخضر على موسى: الصبر والتريث فقال موسى: سَعَمِلْنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَّ أَعْسِي لَكَ أُمْرًا . (الكهف: ١٦٩).

وانطلق موسى مع الخضر في سفينة جيدة ، وفي غفلة من أهلها أخذ الخضر لوحين من خشب السفينة فخلعهما، فذكره موسى بأن هذا ظلم ونساد، فالتفت الخضر إليه وقال: أَلْمَ أَقُلُ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبَّرًا. (الكهف: ٢٢). فاعتذر موسى بالنسهان ووعد أن يرافقه مع الصبر والسكوت .

وسار الرجلان ثم قتل الخضر غلاما بريئا في عمر الزهر فاحتج موسى ، وذكره الخضر بالشرط فسكد .

وفى الجولة الثالثة : دخل الرجلان قرية وكان الجوح قد اشتد بهما قطلها من أهلها طعاما فأبوا إطعامهما ورأى الغضر جدارا متداعيا أوشك أن يقع فطلب من موسى مساعدته حتى بناه وأتم بناءه واعترض موسى على هذا العمل : لأن أهل القرية لا يستحقون مثل هذا المعروف : فهم بخلاء لؤماء ، فينبغى أن يأخذ الخضر أجرا على بناء الجدار لهم ، وافترق الزجلان يعد أن سمع موسى من الخضر سبب هذه الأعمال:

أما السفينة : فكانت ملكا لجماعة من المساكين يمتمدون عليها في كسب الرزق ووراءهم ملك ظالم يستولى على كل سفينة صالحة للعمل غصبا فخرق الخضر السفينة : ليراها الملك عاطبة فيتركها : ليستفيد بها أهلها ، فهو عمل مراّم في الظاهر ولكنه مفيد في الحقيقة والواقم .

وأما الغلام: فقد كان مفسدا وسيشب على الفساد والإنساد وكان أبواه مؤمنين فأراد الله أن يقبض الغلام إلى جواره وأن يعرض والديه بنتا صالحة تزوجت نبيا وأنجبت نبيا .

وأما الجدار: فكان ملكا لغلامين يتيمين تخدرا من رجل مسالح كريم ، وكان تحت الجدار كنز من المال ولو سقط الجدار؛ لتومد الكنز فأراد الله أن يقام الجدار ويجدد؛ حتى ببلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما حلالا طيبا لهما .. ثم قال الخضر: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَالِكُ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع غَلْيَهِ مَبْرًا، (الكيف: ١٨).

وقد يتساءل الإنسان عن عمل الخضر عليه السلام ، وهل هو مشروع على الإطلاق ، وهل يجوز لعن : علم في حادثة – ما – مثل ما علمه العبد الممالح من حقيقة الأمر فيها أن يضالف الشاهر ؟ وقد اهتم بعض المفسرين بترديد أمثال هذه الأسئلة والمناقشات والإجابة عنها وتخريج ما يحتاج منها إلى تخريج ، كأن الأمر أمر أحكام تشريعية أو بيان لموضوعات خلافية . والواقع أنه لم يقصد بهذه القصة إلا الإقفاع بأن الإنسان مهما اتسع عقله وسعت مداركه وعلا منصيه ، محدود في علمه ، وأن كثيرا من الأمور يخفى عليه ، وأن لله عبادا قد يخصهم بنوع من العلم لا يبذله لجميع الناس ، ولا يستقيم حال الدنيا على بذله لجميع الناس .

#### قصة ذي القرنين

تلك قصة عبد مكن الله له في الأرض وسفر له العلم والقوة والآلات والمواصلات وآتاه من كل شيء سببا . وقد استغل هذه الإمكانيات في عمل مثمر نافع يعم نفعه ويبقى أثره وقد تحرك ذو القرنين إلى المغرب غازيا فاتحا ، محاريا مجاهدا وسال النصر في ركايه حتى انتهى إلى عين اختلط ماؤها وطينها فتراءى له أن الشمس تغرب فيها وتختفي وراءها وظن أنه ليس وراء هذه العين مكان للغزر ولا سبهل للجهاد، ولكنه رأى عندها قومًا هاله كفرهم ، وكبر عليه ظلمهم وفسادهم فخيره الله بين قتالهم أو إمهالهم ودعوتهم للعدل والإيمان فاختار إمهالهم وقام فيهم مدة ضرب على يد الظائم ونصر المظلوم وأخذ بيد الضعيف ، وأقام صرح العدل ، ونشر لواء الإصلاح وقد وضم لهم دسترر الحكم العادل فقال :

أَنَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ تَعَلَّبُهُ ثَمْ يُرَكُ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيَعَلَبُهُ عَلَيْ تُكُوّا هِ وَأَنَّا مَنْ عَامَنَ وَعَمِلَ صَدْلِكَ فَلَهُ جَرَّاءً ٱلْحَسْنَىٰ وَسَتُعُولُ ثُهُ مِنْ أَمْوِنا فَمِنَّا . (الكهف ٤٨٠ ـ ٨٨) .

وقد عاد أو القرنين إلى الشرق فسار غازيا مجاهدا حتى انتهى إلى غاية العمران في الأرضى وهناك وجد أقواما تطلع الشمس عليهم ، ولكن ليس لهم بيوت تسترهم ، أن أشجار تظلهم ولعلهم كانوا على حال من الفرضى وبحسيب من الجهل .. فبسط حكمه عليهم ونفذ فيهم بستون العدل ومكافأة المحسن ومعاقبة المسىء الذي سبق ذكره ، ثم تركهم إلى الشمال غازيا مجاهدا مظفرا منصورا ، حتى انتهى إلى بلاد بين جبلين يسكنها أقوام لا تكاد تعرف لفاتهم ، أن يفهم في الحديث مرماهم ، ولكنهم قد جاوروا يأجوج ومأجوج ، وهم قوم مفسدون في الأرض ، وأوزاع من الخلق ضالون مضلون .

وقد لجاً الأقوام إلى ذى القرنين ؛ ليحول بينهم وبين المفسدين وشرطوا على أنفسهم تولا ينفعونه إليه، وأموالا يضعونها بين يديه ولكن ذا القرنين أجابهم إلى طلبهم ورد عطامهم وقال لهم :

مَا مَكُّنَّى فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ... (الكهف: ٩٥).

ثم طلب إليهم أن يعينوه على ما يغمل فحشدوا له الحديد والنحاس، والخشب والقحم، فوضع بين الجبلين قطع الحديد وحاطها بالفحم والخشب، ثم أوقد النار، وأفرغ عليه ذائب النحاس، واستوى كل ذلك بين الجبلين سدا منيما قائما، ما استطاعت يأجرج ومأجرج أن تظهره؛ لملاسته، أو تنقبه؛ لمتانته، وأراح الله منهم شعبا كان يشكر من أذلهم، ويألم من عدوانهم.

ونظر ذو القرنين إلى العمل الضحم الذى قام به ، فلم يأخذه البطن والغرور ولكنه ذكر الله فشكره ، ورد إليه العمل المسالح الذى وفقه إليه وتبرأ من قوته إلى قوة الله ، وأعلن عقيدته فى البعث والحسش وإيمانه بأن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة ، فتعود الأرض سطحا أجردا مستويا وهكذا تختم هذه القصة بتأكيد قدرة الله على البحث .

قَالَ هَلَـٰذَا رَحْمَةً مِّن رِّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا . (الكهف: ٩٨) .

ويذلك تنتهى قصة ذى القرنين ، النموذج الطيب للحاكم الصنائع يمكنه الله فى الأرض ، وييسر له الأسباب ، فيمتاج الأرض شوقا وغريا ، ولكنه لا يتجبر ولا يتكدر ، ولا يطفى ولا يتبطر ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادى ، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان ، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق ولا يسخر أهلها فى أغراضه وأطماعه . إنما ينشر العدل فى كل مكان يحل به ، ويساعد المتخلفين ، ويدرا عندوان دون مقابل ، ويستخدم القوة التى يسرها الله في التعمير والإصلاح ودفع العدوان وإحقاق العقدة . ثم يرجع كل خير بصفه الله على يديه إلى رحمة الله وفضله ، ولا ينسى وهو فى إبان سطوته قدرة الله وجبروته وأنه راجع إلى الشاعة .

#### أهداف سورة الكهف

نزلت سورة الكهف بمكة في وقت اشتدت فيه حملة القرآن على المنكرين المكتبين بيوم الدين ، وقد نزلت قبلها سورة الفاشية وهي سورة تبدأ وتنتهى بحديث الساعة ، وإياب الناس جميعا إلى الله ؛ ليحاسبهم على ما قدموا .

ونزل بعد سورة الكهف سورة النحل وعدة سور تحدثت عن البعث والجزاء وأثبتت وحدانية الله وقدرته وذكرت علويته للمكنبين وأخذه على يد الطالمين .

لقد كان كفار مكة ينكرون البعث ، ويستبعدون وقوعه في عناد وإصرار ، فتكفل القرآن بمناتشتهم وتفنيد أرائهم ، وأثبت قدرة الله على البعث والجزاء ، وقدم الأدلة على هذه القضية ، وساق في سورة الكهف عددا من الحجج والبراهين على حقيقتها مبرزا ذلك في صورة واضعة قد اكتملت فيها عناصر اللوة والروعة والإفحام . فالمحور الموضوعي لسورة الكهف هو تصحيح العقيدة ، وتأكيد قدرة الله على البعث والجزاء ، وتصحيح العفاهيم الخاملة .

## و تستطيع أن تجمل مظاهر ذلك فيما يأتي:

بدأت السورة بقوله تعالى: " الْحَمَدُ إِلَّهِ الَّذِينَ أَنزِلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِيلْبِ وَلَمْ يَبْعَلَ أَنْ فَي اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى عَبْدِهِ الْكِيلِينَ فِي أَبْدًا وَلَيْهَ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلْمَا عَلَى اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلْمَ اللّهِ عَلَى الللّ

وهي تتحدث في هذا البدء عن الدار الآخرة وما فيها من بأس شديد يصيب أقواما ، وأجر حسن يغوز به أقوام آخرون .

ىىھتىت بىقىلە تىمالىيى : قُالْ إِنْمَا آنَا بَشُرْ مُطْلَكُمْ يُوخَرْ إِلَىٰيَ الْمَنَا اِلسَّهُكُمْ وَاللَّهُ وَاحِدُّ فَعَن كَانَ يَرْجُواْ اِللَّاءَ زَابُهِ كَانْهُمْتَرَا حَمَدُا صَدْلِهُمَّا وَلاَ يُشْرِكُ بِعِبَادَةٍ رَبِّهُ أَحْدًا . (التعلق 100).

وهي تتحدث في هذا الفتام عن الدار الآخرة أيضا وعمن يرجو لقاء ربه ، وما يجب عليه أثرا لهذا الرجاء والإيمان من عمل صنالح ، وتوحيد لله لا يخالطه إشراك .

وهكنا يتلاقى أول السررة وآخرها : أولها يتحدث عن الأخرة بطريق التقوير لها ، ويبان مهمة القرآن في إنبات ما يكون فيها من الجزاء إنذارا وتبشيرا ، وأخيرها يتحدث عن هذه المقيقة التي تركزت وتقررت ويحاكم الناس إليها في الإيمان والعمل الممالح . ومما يلاحظ أن آيات البدء قد ذكر فيها أمر الذين ؛ قَالُواْ اتَّجَفَ اللَّهُ وَلَكَا ، من إنذارهم ويبان كذبهم وتخليمهم وجهلهم على الله ، وذلك هو قول الذين يشركون بالله ، ويعتقدون ما ينافى وحدانيته وتنزيه، وأن آية الفتام قررت أَمَّا إلَّـهُكُمْ إِللَّهُ وَاحِدُ أَنَّ على من يؤمن به ، ويرجو لقاءه ألا يشرك بعبادته أحدا، فتطابق الأول والآخر في إثبات الوحدانية والتنزيه لله جل وعلا ، كما تطابقا في أمر البحث والدار الأخرة .

### ٢ – أما في أثناء السورة وما بين بدئها وختامها ، فقد جاء أمر البعث عدة مرات :

(أ) جاء في مقدمة قصة أصحاب الكهف التي سافها الله حقيقة من حقائق التاريخ الواقعية ، دليلا على قدرته ، وتنظيرا لها يذكره الكافرون من أمر البعث والنشور: أَمْ حَبِّتَ أَنْ أَصْحَلْبَ ٱلْكَهْفِرِ وَالرَّهِمِ كَالُواْ مِنْ وَالرَّيْقِ عَجْلًا . (الكهف: ١) . وفي تنايا هذه القصة : وَكُذَا لِكُ أَغُونًا عَلَيْهِمْ لِيَعْلُمُواْ أَنْ وَعَدْ اللّهِ عَلَيْهِمْ كَالُوهُمْ لِيَعْلُمُواْ أَنْ وَعُدْ اللّهِ عَلَى وَأَنْ السَّاعَة لاَ رُبِّ إِلَهَا ... (الكهف: ٢١) .

فهى تقرر: أن أمصحاب الكهك آية من آيات الله ، وأنهم مع غراية أمرهم لا يعدون فى جانب القدرة الإلهية عجبا ، فإنما هم فتية آمنوا بريهم ، وأووا إلى الكهف فرارا بعقيدتهم ، فضرب الله على آذاتهم فيه مدة من الزمن ثم بعثهم ، وإذن فالله قادر على أن يضرب على آذان الناس جميعا فى هذه الدار بالموت ، كما يضرب على آذاتهم بالنوم ، ثم يبمثهم إلى الدار الآخرة كما بعث هؤلاء الفتية ، وما ذلكم على الله بعزيز، ولا هو فى قدرته بعجيب ، وتقرر أن العبرة من بمثهم والإعثار عليهم هى أن يعلم الذاس أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها .

(ب) وجاء أمر البعث مرة ثانية في عده السورة حين قررت أن الحق من الله ، وأن كل امرئ مغير في الإيمان أن الكفر: وَقُلِ آلْمَقُ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءً فَلُوْمِن وَمَن شَاءً فَلْيَكُفُرْ فهناك دار أخرى غير هذه الدار يحاسب فيها كل امرئ ، ويجزى بما يستحقه : إِنَّا أَخْتَذُنَا لِلْظُّلْلِمِنَ لَارًا أَخَاطَ بِهِمْ سُرَاوقَهَا . (الكهف: ٢٥)

وللذين آمنوا وعملوا المسالحات: جُنْتُكُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْبِهِمُ ٱلْأَنْهَلُرُ ... (الكهك: ٢١).

(جـ) وجاء أمر البعث في المثل الذي ضريه الله للناس عن صاحب الجنتين وزميله ، وما كان من إنكاره قدرة الله ، وشكه في الساعة ، ونصب صناحيه له ، وتبرته منه ، وأن الله قد أحال الجنتين صعيدا زلقا، وحيننذ تنبه الكافر فقال : يَنْلَيْتِي لَمُ أَشْرِكُ مِرْتِيّ أَحْدًا . (الكهف: ٢٤).

- (د) وجاء أمر البعث بعد هذا في المثل الذي ضريه الله بالحياة الدنيا ، يكون فيها نبات وزينة ثم يصبح ذلك كله مشهدا تثروه الرياح ، وتنتهى الدنيا وما فيها ، قد عقب الله على هذا المثل بذكر المجال وسيرها ، والأرض ويروزها ، والحشر وشموله ، والعرض على الله ، ووضع الكتاب ، وإشفاق المجردهين مما فيه ، وقولهم : يُعرَّ يُثنّا مَالرهُ لَمَا الْكِيْدِ الْاَيْعَادِرُ صَهِرَةً وَلاَّ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَدُهُ وَوَجُدُوا مَا عَبِلُوا حَامِيرًا وَلاَ يَعْدُرُ مَا عَبِيرًا وَلاَ كَبِيرًا وَلاَ تَعْدِرُهُ وَلاَ كَبِيرًا إِلاَّ أَحْصَدُهُمُ وَوَجُدُوا مَا عَبِلُوا حَامِيرًا وَلاَ يَعْدُورُ مَا عَبِيرًا وَلاَ تَعْدِرًا وَلاَ يَظْهُمُ رَبِّكُ أَحَدًا . (تكهد : ٤٩) .
- (ه.) وجاء في السورة أيضًا إشارة إلى قصة آدم وإبليس، حيث طالب الله من الثاني أن يسجد الأول فأيمي، فتقررت بينهما العداوة منذ نلك الهوم إلى آبد الدهر. وحذر الله أبناء آدم من أن يتخذوا الشهطان وذريته أولياء من دونه ، مع هذه العداوة المتاصلة ، ثم ذكر لهم أمرا من أمور الأخرة بعد مذا التحذير من اتضاد الأولياء أو الشركاء صحيث ينادي الشركاء فلا يجيبون ، ويستجار بهم فلا يجبرون ، وتبرز الجميم فيراها المجرمون ويظنون أنهم مواقعوها ، ولا يجدون عنها مصرفا. وفي هذا الأصلوب جمع بين المبدإ والمعاد ، ووضع لقضية الخاق والهحث مقترنتين بين يدى المقل؛ ليدرك الإنسان أنه منذ أول نشأته هدف لعدو مبين يحاول إضلاله ولقته عن الطريق المستقيم جسدا له وانتقاما منه ، وأن أعطر هذا الإضلال هو الوصول إلى حد اللقة بالعدر المبين ، واتخاذه وليا من دون الله يترء أمره وينصرهواه ، وأن هذا العدو المخاتل سيكون أمره يوم الجزاء والشائر الشركاء ، يزينون الكفر والعصيان ما داموا في الدنيا . حتى إذا جاء أمر الله : أعلنوا

براءتهم ممن اتبعوهم وضلوا بسبيهم:

كُمُعَلِ ٱللَّيْطَانِ إِذْ قَالَ للإسَـلْنِ ٱلْكُمُّ لَلْمًا كَفَرَ قَالَ إِنَّى بَرِيَّةَ مُنْكَ إِنِّى آخَافُ عَـلِجَيَّهُمَا ٱلْهُمَا فِي اللَّهِ حَسِلِقِينَ فِيهَا وَذَ لِلكَ جَزَا ٱلظَّلِمِينَ . (العشر: ١٧٠١٦).

(و) وجاء في هذه السورة أيضًا – مما يتصل ببراهين البعث – قصة موسى ، وفتاه ، والعبد المسالح. "وهي قصة عظيمة حافلة بالفوائد والمعانى الجليلة . وفيها يساق الحديث على نحو يشعر معه كل سامع شعورا قويا بأن شه علما فوق علم الناس ، وتصريفا المكون على سنن منها ما هو معروف ومنها ما هو خمير وإذا آمن الناس بهذا والممأنوا إليه ؛ ثم يعد هناك مجال للحجب من أمر الساعة. قما هي إلا تغيير يحدثه خالق الكون ومالك ناميته . فإذا السنن المعروفة تحل محلها سنن أهرى ، ومن قدر على إنشاء السنن قدر على تغييرها . ويهذا يؤمن كل عاقل بصدق ما أخبر به المعصوم من كل أمر يبدر أمام العقول عجيبا . وهو في قدرة الله غير عجيب .

- (ز) جاءت السورة أيضًا بعد هذه القصة بقصة أخرى عن عبد مكن الله له في الأرض وآتاه من كل جاءت السورة أيضًا بعد هذه القصة بقصة أخرى عن عبد مكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببا، حيث سخر له العلم والقوة وأسبابا أخرى كثيرة ، ذلك هو : «ذو القرنين» وقد لجأ إليه قوم ؛ ليحول بينهم وبين المفسدين ، فأنجدهم وأعانهم وجعل الله عمله في ذلك رحمة للناس يبقى ما بقيت هذه الحياة ، فإذا جاء وعد الله ضماعت السدود والحوائل وأصبحت دكا ، وترك الناس مضطربين يموج بعضهم في بعض ، ثم ينفخ في الصور فيجمعون جميعا ، وتعرض يومئذ الكافرين جهنم عرضا ، فيبصرون وقد كانت أعينهم من قبل في غطاء ، ويسمعون وقد كانت أذانهم من قبل في عملاء ، ويسمعون وما فيها وتنظمت إليه في براعة وقوة ، مذكرة به ، منذرة ما هنالك من الأهوال والشدائد .
- (ح) ثم تأخذ السورة بعد ذلك في تهديد الكافرين الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، وتبين ما أعد لهم، وترازن هؤلاء جميعا بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وما أعد لهم ، ويأتى ختامها بعد إثبات القدرة والعظمة بله وأن كلماته لا تنفد ولو كتبت بماء البحار والمراد: آياته في الكون وتصريفه وأثار قدرته فتذكر رسالة الرسول وأنها عن وحى من هذا الخالق القادر الواحد ، وتتوجه بعد ذلك إلى جميع الناس بصيغة من صيغ العموم ، هي لفظ وان فتول:

فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيْغُمَلْ عَمَلاً صَلْلِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبّهِ أَخَذًا . (الكهف: ١١٠).

بهذا يتجلى للناظر فى السرية أنها منتظمة النسق ، مطرية السياق ، واضمة الغرض ، قوية الأسلوب. متماسكة فى أولها وأعرها وأثنائها ، يجول فيها معنى ولحد تلتقى عليه الآيات والأمثال والقصم والوعد والوعيد والتذكير والبيان . ولذلك يقول الله عز وجل فى آية من آياتها : وَلَقَدْ صَرَّاتًا فِي هَـُلَمُا ٱلْفُرَ عَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مُثْلِ وَكُانَ ٱلْإِسْلَانُ أَكُّرَ صَّيْءٍ جَمَلًا . (الكهف : 20) .

#### فضل سورة الكهف

سورة الكهف سورة القصص الهادف ، المشتدل على سمو العقيدة ، وقضل الإيمان ، وإكرام الله للمتقين ؛ فأهل الكهف شباب رفضوا عبادة الأوثان ، وأصروا على الثبات على الإيمان ، وذهبوا إلى كهف تحصنوا به من ظلم الملك الكافر ؛ فأرسل الله عليهم النوم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، ثم بعثهم في عهد ملك مؤمن ، أكرمهم وسجل كفاحهم ؛ وقصة موسى والخضر فيها جهاد رسول كريم ، في طلب العلم والتواضع في طلبه ؛ وفيها بيان لسعة علم الله وعظهم حكمته .

وقصة ذى القرنين ، فيها بيان لجهود رجل صالح ، أعطاه الله الأسباب والقوة ، والجند والأنباع ، فسار في جنوده جهة الغرب ، وجهة الشرق ، وفي كل مكان يصل إليه ، يرسى معالم الحق والعدل والخير.

ويتدود المؤمنون قراءة سورة الكهف يوم الجمعة : رغبة في الثواب والتقرب إلى الله تعالى : أهرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: أنه قال : «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة : أضاء له النور ما بينه وبين الجمعةين» (٣٣٠).

وقد وردت الأحاديث الذبوية الشريفة فى فضل سورة الكيف ، والآيات العشر التى فى أول سورة الكيف ، والآيات العشر الذى فى آخرها ، وأنها عصمة من الدَّجال .

عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصم من النَّجال» (٣٦) رواه مسلم وأبو داود والذسائى والترمذي .

وقال الإمام أحمد : عن أبى الدرداء : عن الذبي ﷺ قال : «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف؛ : عُصم من تَنتَة النَّجِالِ» (\*\*\*) ورواه مسلم أيضًا والنسائي .

ولَهرج النسائي في سننه : عن ثويان : عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف؛ فإنها عصمة له من الدُّجال» (١٣٠).

# بســـــــالْغَزَالَحَكِ

﴿ اَلْمَهُ لِيَّوَالَّذِي اَنْزَلَ طَلَ عَبْدِهِ الْكِنْبَ وَلَهُ يَعْمَلُ لَهُ عِنَمَا لَلَ فَيَمَا لِلْمُنْذِرَ بَأْسَا شَدِيدًا مِن لَدُنْهُ وَبَيْشِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَسْمَلُونَ الصَّلِحَدِ أَنَّ لَهُمَّ اَجْرًا حَسَنَا ۞ مَن كِثْنَهُ فِيهِ أَبْدَا ۞ وَمُنذِرَ الَّذِينَ عَالُوا الْفَصَدَ اللَّهُ وَلَذَا ۞ مَا لَمُم بِهِ مِنْ عِلْم وَلا لِآبَا بِهِمْ كَذَرَتْ كَلَمَ الْمُعْرِينِ اللَّهُ مِن أَفْوَهِهِ مَنْ اللَّهُ وَلِدَا اللَّهُ وَلَدَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّلُولُونَ اللَّهُ الْمُعْلَى اللَّهُ الْمُعْلِقُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْلُولُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُلْكُونُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونُ اللَّهُ الْمُلْلُلُولُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُنْ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونُ الْمُؤْمِلُونَ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونُ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونُ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمُ الْمُؤْمِلُولُونُ الْمُؤْمِلُولُونُ الْمُؤْمِلُونُ اللَّهُ

#### المفردات :

عسوها العوج: الميل والانحراف عن الاستقامة ، فلا خلل في لفظة القرآن ولا في معناه .

قسيسما، مستقيما معتدلا، لا ميل فيه ولا زيغ، وعوجًا وقيمًا حالان من الكتاب.

بأساشديدا؛ عقوبة عاجلة في الدنيا، وآجلة في الأخرى.

مسن لسنطسه؛ من عند الله .

كهرت كلمة، بضم الباء ، أى : كبرت كلمتهم هذه وعَظُمت ، وهذا أسلوب في الكلام ، يدل على التعجب والاستغراب مما حدث ؛ من قول أو فعل .

باخع تقسك ، أي : مهلك نفسك بحُرْتك عليهم .

على آثارهم: أي : من بعد تولُّيهم عن الإيمان ، وتباعدهم عنه .

بهذا الحديث؛ أي : بهذا القرآن .

الأسسسة؛ المبالغة في الحزن والغضب.

مسمسيساناه ترابا

جــــرز) ، لا نبات فيه .

التفسيره

١ - ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِينَ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلِ لَّهُ عِوجًا.

حمد الله تمالى نفسه ؛ فهو أهل الحمد والثناء والتعظيم والإجلال ؛ فقد أنزل كتابه العزيز على رسوله محمدا ﷺ ؛ وهر أعظم نعمة أنعمها على أهل الأرض ؛ إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وجعله كتابا مستقيماً لا عوج فيه ولا زيغ ؛ بل يهدى إلى صراط مستقيم ، واضحًا بينا جليا ، فيه أخبار السابقين ، وبه أحكام وآداب ، وقصص وأمثال ، ويه سنن الكون ونظام الحياة ، وتشريع للعبادات والمعاملات ، وطريق إلى سمادة الدنيا والأخرة .

٣ - قَيَّمًا لَّيْدِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لُدُنْهُ وَيُنشّرَ ٱلْمُؤْمِدِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّلِحَدتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا.

مستقيماً لا امتلاف فيه ولا تفاوت ؛ بل بعضه يصدَّق بعضًا ، ريعضه يشهد لبعض ، ومن وظيفة القرآن ، إنذار الكافرين ، وتخويفهم من العذاب والنكال ، في الدنيا والآخرة .

أما وظيفة القرآن بالنسبة للعرّمنين ، الذين يعملون الأعمال المسالحة : فيبشرهم بأن لهم الجزاء . . الحسن في الدنيا ، والثواب الجزيل في الجنة ، التي وعدما الله للمتقين .

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَانتُواْ وَعَهِلُواْ ٱلصَّلِحَتْ إِنَّا لاَ تُعْبِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا. ( الكهذه : ۲۰ )

٣ - مُنكِينَ فِيهِ أَبْدًا.

أي: هالدين في الجنة خلودًا أبديًّا، لا زوال له ولا انقضاء.

\$ - وَيُعَلِّرُ ٱللَّذِينَ قَالُواْ ٱلَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا .

· أي : ويخرُف ويحدّر من بين هوّلاء الكافرين ، من قالوا هذه للمقالة الشّنعاء : إن الله اتخذ ولدا ، وهوّلاء ثلاث طوانف :

١ – المشركون الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

٣ - اليهود القائلون : عزير ابن الله .

٣ -- النصاري القائلون: المسيح ابن الله.

وإنما خص هؤلاء مع دخولهم في الإنذار السابق؛ لفظاعة حالهم، وشناعة كفرهم وضلالهم.

ه - مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمِ وَلاَ لاَبَالِهِمْ ...

أى: ليس لهم على هذا القول دليل علمى أو عقلى ، بل هو قول يقولونه جزافاً ؛ بدون ترو أو تبصُّر ، يقادون فيه الآباء تقليدا أعمى ، وليس لدى الآباء برهان أو حجة ؛ فتاهوا جميعا في بيداء الجهالة والضلالة.

كُبُرَتْ كُلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَ هِهِمْ.

أى: عظمت تك المقالة الشنيعة ، كلمة قبيحة ما أشنعها وأفظمها ! هرجت من أفواه أولئك المفترين، وهي في شاية الفساد والبطلان .

إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَلِبًا . أي : ما يقولون إلا افتراء بماطلا ، بعيدًا عن الحق والواقع .

٢ - فَلَعَلُّكَ بَلْجِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى عَالرهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَلْذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا.

تأتى هذه الآية تسلية للرسول 義善 عن إعراض قومه عن الهدى، مع حرصه على هدايتهم ، والقرآن يرجِّهه بأنك رسول مبلغ عن الله : ليس عليك هداهم إن عليك إلا البلاغ : فلا تهلك نفسك حزنًا وحسرة بسبب تولِّيهم عن الهدى ، وعدم إيمانهم بالقرآن الكريم .

## قال المراغي :

أي: إنك قد اشتد وجدك عليهم ، ويلفت حالاً من الأسى والحسرة : صرت فيها أشبه بحال من يحدُّث نفسه : أن يبخعها أسى وحسرة عليهم ، وما كان من حقك أن تفعل ذلك : إن عليك إلا البال ﴿ (١٣٠٠)

وإذا تتبعنا آيات القرآن الكريم الواردة في هذا الموضوع : وجدنا الرسول الأمين حريصا غاية الحرص على هداية قومه ، وهم يتفلّتون من الهدى ، وينطلقون إلى الضلال ، في سرعة الفراش الذي يتهافت على النار ، قال تعالى : فَلَكُرْ إِنَّمَا آلَتُ مُذَكِّرٌ هِ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُعَيْظِرٍ ، (الغاشية : ۲۲,۲۱) .

وقال تعالى: فَلاَ تَلْعَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ... (فاطر: ٨).

وقال تعالى : لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَلْكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ... (البقرة : ٢٧٢) .

٧ - إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زِينَةٌ لُّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً.

أى : جعلنا ما عليها من زخارف ورياش ومتاع ونعب وفضة وغيرها : من حيوان ونبات ومعادن ، زينة لها ولأهلها ؛ لتختبر الناس فى حياتهم الدنها ؛ فمنهم : من يلتزم بهدى الله ؛ فيجمع المال من حقه ، وينفقه فى مصارفه العادلة ، ويطيع الله ويبتعد عن ما نهى عنه ؛ فهذا ناجح فى الاختبار ، وهو أهل لسعادة الدنها والأخرة ، ومنهم : من تغرّه الدنيا ويختار العاجلة ويهمل الأجلة ؛ فيرسب فى الاغتبار .

وقد بين القرآن الكريم : أن افله علق الحياة والموت ؛ لابتلاء الناس ولفتهارهم : قال تعالى : تَبْسُرُكُ آلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُرَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ه آلَّذِي خَلَقَ ٱلْمُؤْتَ وَٱلْحَرَاةِ لِيَلُوكُمُ أَيْكُمُ أَخْسَنُ عَمَلاً وَهُو ٱلْغَرِيزُ ٱلْمُؤُونُ. (الدلك : ٧ ، ٢)

وجميع ما على وجه الأرض من مال وجاه وسلطان ، وشباب وقوّة وفقوة : هي مادة ذلك الاختبار ، وهذا مفهوم هذه الآية : إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةُ لَهُما لِتَبْلُوهُمْ أَيْهُمْ أَحْسَنُ عَمُلاً .

ررى البشارى: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة ، والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون» (٣٠٠).

وقال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم ، ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ؛ قيل : وما زهرة الدنيا ؟ قال : بركات الأرضريه .

وروى البخارى : أن عمر كان يقول : اللهم ، إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا ، اللهم ، إنى أسألك أن ننفقه هي مقه ٣٠٠) .

# ٨ - وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُّزًا.

يحشر الناس يوم القيامة على أرض مستوية ، صمّاء لا نبات فيها ولا ماء . والأرض الآن تنزين بالزراعة ، والنبات والأشجار ، والأنهار ، والنبات الأخضر ، وسائر فنون الزينة ، وعند نهاية الحياة تبدّل الأرضُ غير الأرض والسماوات ويفنى الإنسان والحيوان والنبات وتنتهى الدنيا بكل ما فيها ، ثم يكون البعث والحشر والجزاء ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار .

قال تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَنْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلْلْلِ وَٱلْإِكْرَامِ . (الرحس: ٢٦ ، ٢٧).

وقال تعالى: وَيَسْتَلُولَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلُ يُسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا و ثِيَلْزُهَا قَاعًا صَفْصَفًا و لا تُرَكَافِهَا عِوَجًا وَلاَ أَشًا. (طه: ۲۰۰ – ۱۰۷) وقد وربت الآية السابعة والثامنة : تسلية للرسول ﷺ ، وكأنه قيل : لا تحزن فهناك في الآخرة جزاء عامل للأشيار والأشرار.

#### قال القرطبي :

الآية وردت: التسلية النبي صلى الله والمعنى: لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها، فإنا إنما جعلنا ذلك امتمانا والمعتبي المتهانا والمعتبين المتعلمين والمتبارًا الأهلها، فمنهم من يتدبر ويؤمن، ومنهم من يكفر، ثم إن يوم القيامة بين أيديهم، فلا يعظمنُ عليك كفرهم: فإنا سنجازيهم.

### قصة أصحاب الكهف

تغيد كتب التفسير: أن ملكا جبارًا يسمّى: بقيانوس؛ ظهر على بلدة من بالاد الروم تدعى: «طرطوس»، وعد رُمن عيسى عليه السلام.

وكان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام ، ويقتل كل مؤمن لا يستجيب لدعوته الضالة ، حتى عظمت الفتنة على أمل الإيمان ، فلما رأى الفتية ذلك ؛ حزنوا حزنا شديدا ويلغ خبرهم الملك ، فيعث في طلبهم ، وهندهم بالقتل ؛ إن لم يعبدوا الأصنام ، ويذبحوا للطواغيت ، فوقفوا في وجهه وأظهروا إيمانهم وقالوا : رُبُّتًا رَبُّ السَّمَنُو لَا وَالْأَرْضِ لَنَ لِلْمُوَا مِن دُونِهِ إِلَيْهَا . (الكهف : ١٤).

قأمهلهم الملك يوباً ؛ ليراجعوا أنفسهم ، ويثوبوا إلى رشدهم ، فهريوا ليلا ، ومرّوا براع معه كلب 
فتيمهم ، فلما كان الصباح أروا إلى الكهف وتبعهم الملك وجنده ، فلما وصطوا إلى الكهف هاب الرجال 
وفرّعوا من الدخول عليهم ، فقال الملك : سدُّوا عليهم باب الغار ؛ حتى يموتوا فيه جوبّا وعطشًا ، وألقى الله 
وفرّعوا من الدخول عليهم ، فقال الملك : سدُّوا عليهم باب الغار ؛ حتى يموتوا فيه جوبّا وعطشًا ، وألقى الله 
على ألما الكهف الذوم فيقوا نائمين – وهم لا يدرون – فلائمائة وتسع سنين ، ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم 
الماحم ويما أر بعض يوم ، وشعروا بالجوع فأرسلوا واحدا منهم يسمِّى : (تمليفًا) ؛ ليشترى لهم الطعام 
ونصحوه بالتخفى والحدر ، واشترى تمليفا الطعام ، ولما نفع النقود للبائع أخذ يقلب فيها ويقول : من أين 
حصلت على هذه النقود ؟! واجتمع الناس وأخذوا ينظرون لتلك النقود ويتعجبون ، ثم قالوا : من أنت يا فتي 
لملك وجدت كنزًا ؟ فقال : لا والله ما وجدت كنزا إنها دراهم قومى ، قالوا : إنها من عهد بعيد ، ومن زمن 
الملك دقيانوس ، قال : وما فعل دقيانوس ؟ قالوا : مات من قرون عديدة ، قال : والله ما يصدقنى أحد بما 
أمراه ! لقد كنًا فتية وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان : فهريفا منه عشية أمس فأرينا إلى الكهف ، فأرسلنى 
أمره إلى الملك ، وكان مؤمنا صالحًا ، فنطوا الملك في جنوده إلى الكهف ، وشاهد الفتية يصلُون ، ولما 
أمره إلى الملك ، وكان مؤمنا صالحًا ، فنطو الملك في جنوده إلى الكهف ، وشاهد الفتية يصلُون ، ولما

انتهوا من صلاتهم ؛ عانقهم الملك ، وأهبرهم أنه رجل مؤمن ، وأن يقيانوس قد ملك من زمن يعيد ، وسمع . كلامهم وقصتهم ، وعرف أن الله يعثهم ؛ ليكون أمرهم آية للناس (٣٠٠) .

ثم ألقى الله عليهم النوم وقبض أرواحهم ، فقال الناس : لَتَتَعِلْنَ عَلَيْهِم مُّسْجِدًا . (الكيف: ٢١) .

\* \* \*

#### إجمال القرآن لقصة أهل الكهف

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّفِيمِكَانُواْ مِنْ اَلِنَيْنَا عَجَسُّا ۞ إِذَ أَوَى الْفِسْيَة إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبِّنَا عَائِنَا مِن الدُّنَكَ رَحْةً وَهِيَعْ أَنَا مِنْ أَمْرِفَا رَشَكَ ا ۞ فَضَرَيْتَا عَلَى اَلْفَهُمْ إِنْفَالُواْ مَنَا عَلَى اللَّهِ فِي سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَهُمْ لِنَعْلَمَ أَنَّ الْمُرْبَيْنِ أَحْسَى لِمَالِسَمُواْ أَمْدًا ۞ ﴾

#### المفردات :

أم ، حرف يدل على الانتقال من كلام إلى آخر.

السكسهسة والفار في الجبل .

السرقسيسم؛ اوح حجري رقمت فيه أسمارُهم.

إذ أوى الفتية ، أوى إلى المكان : اتخذه مأرى ومكانا له ، والفتية : وإحدهم : فتى وهو الشاب الحدث ، وقد كانوا من أبناء أشراف الروم وعظمائهم ، لهم أطواق وشارات من الذهب .

رشــــناه هداية إلى العاريق الموصُّل للمطاوب.

شربنا على واللهم؛ ألقينا عليها حجابا يمنع السماع ، والمراد : أنمناهم نومة لا تنبههم الأصوات الموقظة . -

مسسمه اه أي: ذوات عدد والمراد: التكثير؛ لأن القليل لا يحتاج إلى العدّ غالبا.

يسعششاهم وأيقظناهم وأثرناهم من تومهم.

المحرِّه عِنْ ؛ أي : الفريقين أدقُّ إحصاء للمدة التي ناموها في الكهف .

أحمسي، أضبط لأوقات ليثهم.

أمسسينه و مدة لها حد وغاية .

التطسيره

٩ - أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَلْبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَلْتِنَا عَجَبًا.

أى: لا تظنن يا محمد أن قصة أصحاب الكهف والرقيم ، هى أعجب آياتنا وأغريها في الدلالة على القدرة؛ ` فإن في خلق السماوات والأرض ، وتسخير الشمس والقمر ، وغير ذلك من الأيات المبثوثة في صفحات الكون ما يفوق قصة أصحاب الكهف .

قال مجاهد: أحسبت أنهم كانوا أعجب آياتنا ؟ قد كان في آياتنا ما هو أعجب (١٣١٠).

١- إِذْ أَوَى ٱلْفِيْلَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَا عَائِنَا مِن لَّذُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا .

أى: اذكر حين لجأ الشبان إلى الغار في الجبل؛ فرارا بدينهم وعقيدتهم ، وقالوا: رينا ، أعطنا من خزائن رحمتك الخاصة: مغفرة ورزقا ، وأصلح لنا أمرنا كله ولجعلنا من الراشدين .

كما جاء في الحديث «وما قضيت لنا من قضاء ؛ قاجعل عاقبته رشيا، (١٤١٠).

وفي المسند: عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم ، أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الأهرة، ٢٠٠٦).

١ ٩ - فَطَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَلَدًا .

أى: ألقينا على آذائهم حجابا يمنعهم السماع ، وأنمناهم نومًا لا ينبهم فيه مختلف الأصوات في . الكهف ، سنين كثيرة معدودة .

٧ ١- لُمُّ يَعَشَلُهُمْ لِتَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْيَيْنِ أَحْمَىٰ لِمَا لَيَقُواْ أَمَدًا.

أى: ثم أيقظناهم من رقدتهم: لنعلم أى الطائفتين المتنازعتين فى مدة لبثهم ، أضبط فى الإحصاء والعرامدة هذا الليث فى الكهف .

وتغيد الآية ، أنه كان هناك فريقان يتجادلان في شأنهم ، ثم لبثرا في الكهف ، فيعثوا : ليتبين أيُ الغريقين أدق إحصاءً ، وليعرفوا ما صنع الله يهم من حفظ أبدانهم ، فيزدادوا يقينا بكمال قدرته تمالي وعلمه ؛ ويستبصروا في أمر البعث ، ويكون ذلك الحفّا لمؤمني زمانهم ، وآية بينة لكفارهم . دلك هو ملخص القصة لفتية آمنوا بالله ، وفرّوا بإيمانهم إلى كهف مظلم ، فأكرمهم الله في جواره عددًا من السنين ، ثم بعثهم من رقدتهم : ليذكر الناس بعجائب القدرة ، وليعلموا أن قدرة الله لا حدود لها ، وأن قدرته في خلق هذا الكون ، وحفظ نظامه وتوازنه ، أكمل وأجمل من الذي فعله مع أصحاب الكهف .

\* \* \*

### تفصيل قصة أصحاب الكهف

#### المقرداتء

السناء الفير العظيم.

بسالسحسق، بالصدق.

ريسط نا: شدينا وقرينا ، وريط الله على قلبه ، أي : قرَّى عزيمته .

قـــامـــوا، وقفرا بين يدى ملكهم الجبار دقيانوس.

ا أي: معبودًا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا.

اتخذوامن دونه آلهة ، أي : نحتوا أصناما وعبدوها .

السلطان البين: الحجة الظاهرة.

استرث تموهم ، اجتنبتموهم ، والاعتزال والتعزّل : تجنب الشيء بالبدن أو بالقلب .

شأووا إلى الكهف؛ أي: التجنوا إليه.

يستشسر لسكه ، يبسط اكم .

مسرهسقسا: ما يرتفق وينتفع به.

تسقسرهسهم، تعدل عنهم وتتركهم ولا تقريهم.

فمسمجم التماء النهار، ولا في أخره . .

أي-ق اظارا متيقظين ؛ لتفتح عيونهم وتقلبهم .

رقـــــود، نيام والمدهم: راقد.

باسطادراعينه، مانُهما.

السومسيسد، فتاء الكهف.

السيسرهياء الخوف يملأ المجرر

التطسير،

١٣- نُحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ...

أى: نحن وحدنا يا محمد نقص عليك خبرهم العجيب؛ بالصدق دون زيادة ولا نقصان.

إِنَّهُمْ فِيْنَةٌ ءَامَنُواْ بِرَاتِهِمْ وَزِدْنَسْهُمْ هُدَّى .

أى : إنهم شباب أخلصوا العبادة لخالقهم : وأسلموا وجوههم لبارتهم ، وآمنوا بالله تعالى إيمانا عميدًا : فزادهم الله إيمانا على إيمانهم ، وهداية على هدايتهم .

ونحو الآية قوله تعالى: وَٱللَّذِينَ آهَتَدُوا زَادَهُمْ هُدِّي وَوَاتَنْهُمْ تَقُواهُمْ . (محمد: ١٧).

قال ابن كثير:

ذكر الله تعالى: أنهم كانوا فتية ، أى: شبابًا وهم أقبل للحق من الشيرخ ، الذين عنوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شبابًا ، وأمًّا المشايخ من قريش ، فعامتُهم بقوا على دينهم ، ولم يدخل في الإسلام منهم إلا القليل .

١٤ - وَرَبَطْنَا عَلَمْ قَلْوِيهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَكَّا رَبُّ ٱلسَّمَنُواتِ وَآلَاؤهم ِ أَن مُدْعُواْ مِن فويدٍ إِلمَائهَا لَقَلَ قَلْنَا إِذًا
 ٢. حَمَائاً

أى: ألهمناهم قوة العزيمة وصدق الإيمان ، وثبات اليقين ، حين وقفوا أمام الملك الطالم دقيانوس فى ثبات وصدق ، ولم يستجيبوا لدعوته لهم إلى عبادة الأوثان ، بل أعلنوا إيمانهم بالله وحده لا شريك له، وقالوا: رُثّارَ رُبُّ ٱلسَّمَالُ التِ وَٱلْأَرْضِ هو وحده خالق السماوات والأرض والكون كله : فينبغى أن نتوجه إليه وحده بالعبادة .

لَن نَّلْمُواْ مِن دُونِهِ إِلَـّلْهَا . أي : لن تميد من دون رب السماوات والأرض إلها ، لا على طريق الاستقلال، ولا على سبيل الاشتراك : إذ لا رب غيره ولا معبود سواه .

لُّقَدُ قُلْنَا إِذًا شَعَلُعًا .

أى: إذا دعونا غير الله ، وعبدنا الأرثان أو الأصنام أو غيرها ؛ لقد أبعدنا عن الحق ، وتجاوزنا الصواب.

# قال الآلوسي :

إنهم أشاروا بالجملة الأولى وهي : رُأْتًا رَبُّ ٱلسَّمَاوَ اتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَى توحيد الربوبية .

وأشاروا بالجملة الثانية : لَن تُدْعُواْ مِن دُولِهِ إِلَّهَا إلى توحيد الألوهية . ا هـ.

فهم يعبدون الله وحده سبحانه رب السمارات والأرض ولا يعبدون مع الله آلهة أخرى من الأوثان.

وعبدة الأمسنام كانوا يرمنون بوجود الله ، وكانوا مع ذلك يعبدون آلهة أخرى يتقربون بعبادتها إلى الله ، وهو انحراف في العقيدة .

وقد حكى القرآن عنهم قوله : وَلَيْنِ سَأَلْهُمْ مِنْ خَلَقَ ٱلسُّمَانُو 'تَوَ وَٱلْأَوْسَ لِتُقُولُنُّ ٱللَّهُ ... (لقمان : ٢٥ . الزمر : ٢٨) . وقدله سبحانه حكاية عنهم : مَا نَعْبُلُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّونَا إِلَيْ ٱللَّهُ وَأَهْنَ ... (الزمر : ٣) . وكان أهل الجاهلية يقولون في تلبيتهم للحج : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك.

ه ١ - هَنَاؤُلَاءِ قَوْمُنَا ٱلْتَحَدُّواْ مِن دُولِهِ عَالِهَةٌ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم مِسْلُطَانِ بَيْن ...

إن هزلاه الفتية لم يكتفوا بإعلان إيمانهم بالله ، وتنزيهه عن كل شريك ؛ وتأكيد ذلك بأن عبادة غير الله شطط رغلو

بل امتد إيمانهم وصدق عزيمتهم إلى انتقاد قومهم ، الذين بلغ بهم السفه والجهل ، أنهم أشركوا مع الله غيره ؛ فعيدوا أصناما من دون الله : هلا أتى هؤلاء السفهاء بحجة ظاهرة تؤيد دعواهم ؛ بأن هذه الأصنام تصلح آلهة ، لا شك آنهم لن يستطيعوا ذلك .

#### قال الزمخشري :

وقوله : أَوْلاً يَأْتُونَ عَلَهُم بِسُلَطَنِي بِيْنِ تِبكيت ؛ لأن الإتيان بالسلطان على صحة عبادة الأوثان محال، وهو دليل على فساد التقليد ، وأنه لايدُ في الدِّين من حجة ؛ حتى يصح ويثبت.

فَمَنْ أَطْلُمُ مُمَّرٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَلِبًا . أي : لا أَطْلَم ممن افترى على الله الكذب ونسب إليه الشريك تعالى الله عن ذلك علمًا كبيراً .

وتلمح من الأيات الموقف الصادق لهوّلاء الفتية ؛ في ثباتهم على الحق ، وانتقاد الباطل .

لقد تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر ، ولا حياة لهم في هذا الوسط ؛ إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها ، وهم لا يطيقون كذلك أن يداروا القوم ، ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة ، والأرجح أن أمرهم قد كُنف فلا سبيل لهم إلا أن يغرَّوا بدينهم إلى الله ، وأن يختاروا الكهف على زينة السياة .

١٩ - وَإِذْ آعَتَرْ لَتُمُوهُمْ وَمَا يَشِدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأُورًا إِلَى ٱلْكَهْمِ يَنشَرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مَّن رَحْمَتِهِ وَيُهَيَّعَ لَكُم مِّن أَمْرِكُم مُرْفَقًا

أى: وإذ فارقتموهم وخالفتموهم في عباتهم غير الله؛ فقارقوهُم بأبدائكم ، واتركوا ما أنتم فيه من مال ومتاح ورياش ، وانتقلوا إلى الكهف حيث تتمكنون من عبادة الله وحده .

لقد آثروا الهدى والإيمان ، وتركوا كلُّ مظاهر الترف ، والمتعة الدنيوية ، ورحلوا إلى كهف مظلم ، وهناك أخلصوا العبادة شه وحده ، وتوكلوا حق التوكل على الله ؛ فأواهم الله وأسبل عليهم لطفه ورحمته ، وأمدهم بما يرتفقون به وينتفعون به وصدق الله العظيم إذ يقول : وَمَن يَثِقَ ٱللَّهُ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا . وَيُرْزَقُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْسِبُ وَمَن يَتُوكُلُ عَلَى ٱللَّهِ لَهُوَ حَسُهُمْ: إِنَّ ٱللَّهُ بَلْلِغُ أَمْرِهِ فَلَدَ جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُلُ هُـرُهِ قَلْدُوا . (السلام: ٢٠٣).

لَحْرج الطبراني وابن المنذر: عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيًّا إلا وهو شاب، وقرأ: قَالُواْ سَمِلْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يَقَالُ لَهُ إِزَرْهِمِهُمُ (الأنبياء: ١٠).

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ . . (الكهف: ٦٠) .

إِنَّهُمْ فِتْنَةً . . . (الكهف: ١٣) .

١٧ - وَتَوَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تُوْرَوْرَ عَن كَهْفِهِمْ ذَات ٱلْبَينِ وَإِذَا عَوَيَت تَقْرِطُهُمْ ذَات ٱلشَّمَالِ وَهُمْ فِي
 ١٥ - وَتَوَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تُوْرَوْرَ عَن كَهْفِهِمْ ذَات ٱلْبَينِ وَإِذَا عَوَيْتُ عَلَيْ مَنْهُمْ ذَات ٱلشَّمَالِ وَهُمْ فِي

تعرض الآية مظهرًا من مظاهر فضل الله على هؤلاء الفتية : فالشمس عند طلوعها تتحرف عنهم ؛ حتى لا تحرفهم بحرها ، وعند غروب الشمس أيضا ؛ تتركهم منحرفة عنهم إلى جهة الشمال .

والغرض: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ، ولا عند غرويها ؛ كرامة من الله ؛ لثلا تؤذيهم بحرّها.

وُهُمْ فِي فَجُرُةٍ مَنَّهُ . أي : هم في متسع من الكهف ، وفي وسطه ، بحيث لا تصيبهم الشمس لا في ابتداء النهار ولا في آخره ، ولكن يُسمع بدخول الهواء والنسيم لهم ، ويقلبهم الله: حتى لا تنال الأرض من جسومهم.

روى الطبري عن ابن عباس: لو أن الشمس تطلع عليهم، لأحرقتهم، ولو أنهم لا يقلبون؛ لأكلتهم الأرض.

وللمفسرين في تأويل هذه الآية اتجاهان :

. أولهما : أن باب ذلك الكهف كان مقتوحا إلى جانب الشمال : فإذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف، وإذا غريت كانت على شماله: فضوء الشمس ما كان يصل إلى داخل الكهف ، وكان الهواء الطيب والنسيم المرافق يصل .

ثانيهما : أن الشمس إذا طلعت ، منع الله ضوءها من الوقوع عليهم ، وكذا القول في حال غروبها ، وكان ذلك كرامة عظيمة : هُصِن الله بها أصحاب الكهف .

فأصحاب الرأى الأول: يرجعون عدم وصول الشمس إليهم؛ لأسباب طبيعية؛ تجعل الشمس لا تصل إليهم.

وأصحاب الرأى الثاني : يرجعون الأمر إلى فضل الله وإكرامه لهولاء الفتية ؛ فالله تعالى بقدرته متع ضوء الشعس من الوصول إليهم : خرقًا للعادة على سبيل التكريم لهم .

ذَالِكَ مِنْ عَالَيْتِ ٱللَّهِ ...

أى: هذا التونيق لهرّلاء الفتية فى اللجوه إلى الكهف ، وإكرام الله لهم بحجب الشمس عنهم عند طلوعها وعند غروبها : كل ذلك من آياته الكثيرة الميثوثة فى الكرن ، والدالة على كمال قدرة الله تعالى : وعلى أن الله تعالى يكرم أمله .

مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَادِ ...

أى: من يوفقه الله للهدى؛ فهو المهتدى حقا ، مثل فتية أهل الكهف؛ هداهم الله إلى الإيمان ، وألهمهم الممواب والعزوف عن عبادة الأوثان ، وهداهم إلى هذا الغار ، وأكرمهم بفضله .

وَمَن يُطْبِلُ فَلَن تَوِثَدُ أَهُ وَلِهُا مُرْجِدًا . أى : من يُصله الله عن الطريق المستقيم ، لسوء استعداده ، فلن تجد له خليلا ، ولا حليفا يرشده ؛ لأن التوفيق والخذلان بيد الله تعالى .

قال تعالى : مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهُمَّدِي وَمَن يُعْبَلِلْ فَأُولَـ يَعِكُ هُمُ ٱلْحَـُسِرُونَ . (الأعراف: ١٧٨).

وقال سيحانه وتعالى : مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْمَدِ وَمَن يُطْلِلْ فَلَن تُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُولِهِ ... (الإسراء: ٩٧).

١٨ - وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلسَّمَالِ ...

أى: وتظنهم أيها المخاطب ، لو قدَّر لك أن تراهم ؛ أيقاظًا منتبهين ، والحال أنهم نيام .

وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشَّمَالِ.

أى: ويقلبهم الله من جانب إلى جانب؛ لئلا تأكل الأرض أجسامهم، وعدد مرأت التقليب لا يعلمه إلا الله تعالى، وما أورده المفسرون في ذلك لم يثبت عن طريق النقل الصحيح.

رجاء في تفسير ابن كثير: قال بعض السلف: يقلبون في العام مرتين . 1 هـ .

وَكَلَّهُم بَسْسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَعُلِثتَ مِنْهُمْ رُعْيًا .

أى : وكلبهم ملق يديه على الأرض ، مبسوطتين غير مقبوضتين بفناء الكهف قريبا من بـاب الكهف؛ كأنه يحرسهم وألقى الله عليهم المـهابـة . ولى شاهدتهم وهم على تلك الحالة : لفررت منهم هاريا ؛ رعبا منهم ، وذلك لما أليسهم الله من الهيبة ؛ فرزيتهم تغير الرعب ، إذ يراهم الناظر نياما كالأيفاظ ؛ عيونهم مفتوحة ، ينقلبون ولا يستيقظون ، وتلك عناية إلهية : لثلا يدنو منهم أحد ، ولا تمسهم يد لامس : حتى يبلغ الكتاب أجله ؛ لما فى ذلك من المكمة البالغة والرحمة الواسعة ""ا .

#### مكنان الكهف

للمفسرين في تعيين مكان الكهف أقوال؛ فقيل: هو قريب من إيلياء (بيت المقدس) ببلاد الشام ، وقال ابن إسحاق : عند نينزى ببلاد الموصل ، وقيل : ببلاد الروم ولم يقم إلى الأن دليل على شيء من ذلك ، ولو كان لقا في معرفة ذلك فائدة دينية ؛ لأرشدنا الله إلى معرفته : كما قال ﷺ : «ما تركت شيئا يقربكم من البنة ، ويباعدكم عن النار إلا وقد أعلمتكمه ١٠٠٠.

\* \* \*

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَهُمْ لِيَسَاءَ أُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَابِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لِيَثْمُ قَالُواْ لِيثْنَا فَ يَوْمَا اَوْيَعَنَ يَوْمُ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ مِمَا لَمِثْمُ قَالُواْ مَثْمُ مَ هَلِوهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ ال

#### المقردات ا

ب عث المام ، أيقظناهم صديحة أبدانهم . الميث المام ، أقمتم ورقدتم . الــــورق؛ الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة.

أرُك ...... أجود وأطيب.

وليستسلسط ف، يتكلف اللطف في المعاملة ؛ كي لا تقع خصومة تجرّ إلى معرفته .

ولا يعلمن .

إن يظهروا عليكم ، إن علموا بمكانكم .

أصشرنا صنيهم؛ أطلعنا عليهم الناس.

السكامك، يرم القيامة حين يبعث الله الخلائق جميعا للحساب.

الستستانع، التخاصم.

الدَّيْنَ عَلَيْواعِلَى أَمْرِهِمِ: رؤساء البلد ؛ لأنهم هم الذين لهم الرأى في مثل هذا .

المسمسحد، معبد المؤمنين من تلك الأمة ، وكانوا نصارى على المشهور .

المسرِّجسم، القول بالظن.

السب في سيه، ما غاب عن الإنسان ، والمراد هذا : القول بالظن والتخمين .

السممسراء؛ المحاجة فيما فيه مرية وتردد.

مسراة ظساهسرًا ، سهلا هيذا .

ولا تستخت فيهم؛ لا تطلب الفتيا منهم ، ففيما قصه الله عليك بشأنهم ما يكفيك .

#### التفسير:

١٩ - وَكَذَالِكَ بَعَثَنَاهُمْ لِيَعَسَاءَلُواْ يَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كُمْ لَبُشُمْ قَالُواْ فَشَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْم ...

أي: كما أرقدنا هزلاء الفتية في الكهف، وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان ، وثيابهم من المغن على مرّ الأيام ؛ بعثناهم صميحة أبدانهم ، وأشعارهم وأبشارهم ؛ لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئًا ، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين .

ولهذا تساءلوا بينهم : كُمَّ لَبِعُمْ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم.

قَانُواْ لِيُنَّا يُوْمًا أَوْ بَعْضَ يُوْم . قدروا مدة مكتهم في الغار نيامًا بيوم ، أو بجزء من اليوم ؛ فقد كان دخولهم الغار في أول النهار ، واستيقاظهم كان في آخر النهار ؛ فظنوا أن مكتهم في الغار كان مدة محدودة بين أول النهار وآخره .

قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِكُمْ.

أى: قالت فئة أخرى : الموضوع فيه تردد رحيرة ... بسبب إحساسهم بكثرة النوم ... فاتركرا حسم هذا الموضوع ، والله أعلم بالمدة التي مكتناها تاتمين في الغار .

فَآيْعَتُواْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَلْدِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ.

أحسُّوا بشدة الجرع : فقالوا : أرسلوا ولحدًا منا ، ومعه هذه القضة التى أحضرناها معنا إلى مدينة طرسوس التي خرجنا منها .

فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقِ مِّنَّهُ .

أى : فليبصر أي الأطعمة أجرد وأحسن وأحلُّ فليأتكم بمقدار منه.

وَلْيَتَلَطُّفُ وَلا يُشْعِرَنُّ بِكُمْ أَحَدًا .

أى: رايتريق فى نخوله المدينة ، وليذهب متخفيا فى رفق وسهولة ، ولا يجادل أحدًا ولا يختلف معه: حتى لا يظهر أمرنا وحتى لا يعلم الناس بمكاننا .

• ٧- إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكَمْ فِي مِلْيِهِمْ وَأَن تُفْلِحُواْ إِذَا أَبَدًا .

تشير الآية إلى حديث الفتية مع بعض ، وهم في حالة من الخوف والحذر ؛ خشية أن يعلم دقيانوس وأعوانه بمكانهم.

وإذا علم هؤلاء الكفار بمكانهم ؛ فالمتبع واحد من أمرين :

١ – القتل رميا بالحجارة .

٢ - أن يرجع الفتية إلى دين قومهم الوثنى ، ويعودوا إلى عبادة الأصنام .

وَكُن تُفْلِحُواْ إِذًا أَيْدًا.

أى : إذا عدتم إلى دينهم ، وتركتم الإيمان بالله ؛ فلن تفوزوا بخير أبدا .

ويظهر من هذا التناجى حرص الفتية على إيمانهم ، والتواصى بالحيطة والحذر ، والثبات على الإيمان ، وعدم العودة إلى الكفر . وقريب من هذا المعنى ، ما ورد في الحديث الذي رواه البخاري : أن رسول الله ﷺ قال :

«ثلاث من كنَّ فهه : وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرم لا يحبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقتف في التار» (٣٠٠) .

٧١ - وَكَذَا لِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقَّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا ...

جاء في تفسير ابن كثير:

أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة.

فجعل الله تعالى مذه القصة ، لهؤلاء الفتية . وأطلع الناس على أمرها ؛ ليشاهدوا بأعينهم ، أن القادر على بعث هؤلاء الفتية بعد ثلاثماثة سنة وتسع ، بعد أن حفظت أجسامهم ، ويقيت على ما كانت عليه من الطراوة والشباب ، ثم رجعت بعدئذ تلك المشاعر والحواس إلى حالها ، وأطلقت النفوس من عقالها ، وأرسلت إلى تدبير أبدانها .

فاشه القادر على إحياء أصحاب الكهف ؛ قادر على بعث الموتى ، وإحياء من فى القبور للمشر والحساب والجزاء .

إِذْ يَتَسَاوَهُونَ بَيْتُهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُواْ آثِنُواْ عَلَيْهِم بُنْيِنَا رَبُهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَال ٱللِينَ غَلَيُوم مُشجِدًا .

لقد كانوا يتنازهون في أمر القيامة ، فمن مثبت لها ومن منكر ؛ فجعل الله إطلاعهم على قصة أهل الكهف حجة للمؤمنين ، ودليلاً علم المنكرين .

فَقَالُواْ ٱلنُّواْ عَلَيْهِم لِنَيْكَ اللَّهُمَّ أَعْلَمُ بِهِمْ .

أي : قال بعض الناس : ابنوا على باب كهفهم بنيانا ؛ ليكون علما عليهم .

رُنُهُم أَغَلُمُ فِهِمْ اللهُ أعلم بحالهم وشأنهم ، وهذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام الفريق الأول ، الذى رغب في بناية بنبان على باب الكهف ، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى ؛ فهو سبحانه أعلم من الجميع بحال أصحاب الكهف .

فَالَ ٱللَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَى أَمْرِهِمْ تَنتَحِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا.

أى: قال الفريق الآخر وهم الأكثرية الغالبة ، أصحاب الكلمة النافذة : لَتَتْخِذُنَّ عَلَيْهِم مُسْجِئًا. أي: معيدًا يُصلُّى فيه الناس ، ويتعيدون ؛ تبركا بهؤلاء الفتية .

#### التحدير من اتخاذ القبر مسجدا

حارب الإسلام الوثنية والسجود لغير الله ، وخلص عقيدة المسلم من السجود تغير الله ، أو الاعتقاد بأن غير الله ينفع أو يضرّ . وفى الحديث الشريف : وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو لجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ...» """.

وقد ذكر الطماء أن التفاذ القبور مساجد ، منهى عنه أشد النهى ؛ حتى ذكر ابن حجر فى كتابه (الزواجر) : أنه من الكبائر .

# قال الآلوسي في تفسيره:

واستدل بالآية على جواز البناء على قبور للصلحاء ، واتخاذ مسجد عليها ، وجواز المبلاة في ذلك . وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي ، في حواشيه على البيضاوي ، وهو قول باطل عاطل ، فاسد كاسد .

فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: · دلمن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج» (٢٠١٠).

«لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ...» (٢٠٠٠).

وروى أحمد والشيخان والنسائى : أن رسول الله ﷺ قال : «إن أولنك ، إذا كان فههم الرجل المسالح فمات : بنوا على قبره مسجدًا أو صوَّروا فيه تلك الصور ، أولنك شرار الخلق يوم القيامة» (١٣٠٠)

وروى أحمد والطبراني وإن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد» (١١١).

وقد علق الشيخ أحمد مصمافي المراغي في تفسير المراغي على هذه الآثار بقوله:

إلى غير ذلك من الآثار الصحيحة ؛ فلهمتبر المسلمون بهذه الأخبار ، التى لا مرية في صحتها ، وليقلعوا عما هم عليه: من ثقفاذ المساجد في أضرحة الأولياء والصالحين، والتبرك بها، والتمسح بأعتابها، وليقلموا أنها وثنية مقنمة .

وعود إلى عبادة الأوثان والأصنام على صور مختلفة ... إلخ (٢٠١١).

ولعل الشيخ أحمد المراغى قد بالغ في دعوته ، وتحمّس أكثر مما ينبغي ، وأرى أننا بحاجة إلى دعوة المسلمين بالحسني ، إلى هدى دينهم وسنة نبيهم .

وهذا الأمر يسير فيه الناس على طريقين مختلفين:

فريق يبيح التوسل والوسيلة وزيارة مقابر الصالحين ، والدعاء عندها ، ويستشهد بآيات وأحاديث وآثار تؤيده .

وفريق يُحرُّم زيارة المساجد، التي فهها أضرحة للأولهاء والمسالحين، ويحرم التبرك بها والتمسع، ويعتبره ولتنهّ مقنعة كما شاهدنا .

#### وجهة نظر :

أرى أن هناك أولويات ؛ ينبغى أن يتلاقى عليها المسلمون ، مثل : الوحدة ، والجماعة ، والتعاطف ، والتعاون ، ثم يبحث الموضوح في إنصاف .

يمعنى: أن تعلَّم المسلمين آداب الزيارة المساجد التى فيها أغسرحة الصالحين ، فيزار المسجد وتُصلَّى تحية المسجد ، ثم يزار القبر فى أدب ، وإيمان بالله ، واعتقاد أن صاحب القبر بشر ؛ انتقل إلى جوار الله ، وأن الدعاء يكرن لله ، وأن الله هو النافع الضار ، وأن أحدًا لا ينفع أن يضر إلا بإذن الله ؛ فنحن جميعًا ندعو الله همو مِنَّا في هذه الأماكن الطاهرة .

ومن شاء ألا يزور هذه المساجد، بُعدا عن شبهة الوثنية ؛ فله ذلك ونحترم وجهة نظره.

ومن شاء أن يزور هذه المساجد فله ذلك : مع تأكيد طلبنا للزائرين أن روح الإسلام تأمر بإخلاص المبادة لله ، والتوجّه الكامل إليه ، والهقين الجازم بأن الله وحده هو المقصود في العبادة والدعاء .

ونرى أخيرًا أن الله تعالى يقبل من كل طرف من الطرفين حسن نيته وصدق توجهه .

ويهذا نقرب بين المسلمين ، ونحدً من غلواء المتطرفين ، وسنجد أن أسباب التوافق بين المسلمين أكثر. يكثير من أسباب الشلاف والنزاع .

ومثل هذا القول ينطبق على كثير من الأمور التي تثار بين الشيعة والسنة ، والأباضية ، والوهابية ، والسنيّة ، والطرق الصوفية ، وغيرها .

حيث يتملك كل فريق بطرف من الموضوع ، ويبالغ في دعواه : أنه وحده صاحب الحق المطلقُ ؛ ويذلك يتم التخاصم والتنازع . ولو تأملنا ؛ لوجدنا رحمة الله تتسع للجميع ، وأن أولويات ديننا تدعونا إلى ؛ ازورم الوحدة ، والتماسك : عملا بقول علمائنا : نتعاون جميعا على ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اعتلفنا فعه .

وهي تاريخ رسول الله ﷺ ، وحياة الصحابة ، نماذج لتعدد وجهات النظر ، والتيسير ، وعدم إخراج المسلم من الملّة .

فالنبي 義 عندما قال: ومن كان يرُمن باش واليوم الآخر؛ فلا يصلين العصر إلاَّ في بني قريظة، السام من المسلمين: من تمسك بلفظ الحديث ، ومنهم : قال : العراد : أسرعوا إلى بني قريظة ، وصلَّى في الطريق، وأقر النبي الغريقين .

ومثل ذلك من صلى بالتيمم ثم وجد الماء ، منهم : من أعاد الوضوء والصلاة ، ومنهم : من قال : صليت ولا أعيد: وقال الرسول ﷺ للثاني : «صحت صلاتك ولا إعادة عليك» وقال للأوّل : «لك الأجرُ مرتين». وفي الحديث الصحيح : «يسروا ولا تُسّروا ويشروا ولا تنفروا» (\*\*\*).

وقد حث القرآن الكريم على استخدام العقل والفكر والرأى ، ومدح الذين يستخدمون عقولهم وفكرهم، وحذر القرآن من التقليد الأعمى بدون تبصر أو روية ، والأدلة الشرعية عندنا تعتبد على القرآن وهو كليُّ الشريعة وأصل أصولها ، وعلى السنة المطهرة وهي المصدر الثاني للتشريع ، وعلى الاجتهاد ويشمل القياس والاستحسان وعمل الصحابة والعرف . والمقصود من الاجتهاد : بدل الفقهه الجهد في استثمار حكم شرعي لواقعة جديدة لم يرد بها نص ؛ والمجتهد يبذل جهده في تلمس الحكم الشرعي المناسب للواقعة وإذا أصاب؛

وقد تعدن المجتهدين من أثمة الفقه الإسلامي ، وكان بينهم التقدير والاحترام ، ومن كلامهم اختلاف الرأى لا يقسد للود قضية .

والقرآن حافل بعرض وجهة النظر الأخرى ومناقشتها بكل تقدير وقد علَّمنا أدب النقاش والجدال .

قَالَ تعالى: وَلاَ تُحَلِّدُ أَواْ أَهْلَ ٱلْكِتَلْبِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... (العنكبوت: ٢٤).

وقال سيحانه : وَقُولُواْ لِلنَّاسِ خُسْبًّا ... (البقرة : ٨٣).

أتمنى أن يسود بين الأمة الإسلامية روح التفاهم والتقدير ، وتقديم الأولويات ، والتماس العفر للآخرين ، وتقديم الأهم على المهم . إن أعداء الإسلام يتريصون بنا الدوائر ، ويحرّكون هذه العصبيات ؛ رغبة في تفتيت الجهود ، وتحريك الضغائن ، والقرآن طلب منا أن نفوّت عليهم أغراضهم ، وأن نعتصم بحيل الله وكتابه . نجد ذلك في الآيات ١٠٠ – ١٠٠ من سورة آل عمران ، وفي كثير من الآيات التي تحثنا على عدم الاختلاف وعلى عدم التنازح.

قال تعالى : وَأَطِيعُواْ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ تَنْزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَلَلْهَبَ رِيحُكُمْ ... (الأنفال: ٤٦).

وروى البخارى : في صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : «لا تحاسدوا ، ولا تحاقدوا ، ولا تباغضوا ، وكرنوا عباد الله إخوانا : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره» (۱۳۰).

إن المسلمين في أمسٌ الحاجة إلى جمع الكلمة ، ووحدة الصفوف ، والتلاقى على الثوابت وهى كثيرة، واحترام وجهة النظر الأخرى ، واستخدام الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، والله ولى التوفيق .

٧٧ - سَيَقُولُونَ فَلَنَدُّ وَالِعُهُمْ كَلَيُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلَيْهُمْ رَجْمًا بِٱلْفَسِدِ وَيَقُولُونَ سَبَعَةٌ وَقَامِنْهُمْ كَلَيْهُمْ قُل رِثِينَ أَهْلُمُ بِعِلْتِهِمْ مُا يَقْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ...

أي : سيختلف الناس في عدَّة أصحاب الكهف — أيها الرسول الكريم — فمن الناس من سيقول : إن . عدتهم ثلاثة ، رايعهم كلهم ، ومتهم من يقول : إنهم خمسة ، سادسهم كلههم .

رَجُهُنَّا بِٱلْهَيْهِ . أي : قذهًا بالظن ، من غير يقين ولا علم ؛ كمن يرمى إلى مكان لا يعرفه .

وجاء في التفسير الوسيط للدكتور / محمد سيد طنطاوي :

أى: يرمون رميا بالخير الفاتب عنهم ، والذى لا اطلاع لهم على حقيقته ، شأنهم فى ذلك شأن من ً يرمى بالحجارة التى لا تصبيب المرمى المقصود.

وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَقَامِنُهُمْ كَلَّبُهُمْ .

أي : ويقول البعض : إنهم سبعة ، والثامن هو الكلب.

قُل رَّأَي أَعْلَمُ بِعِدْتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ.

أى: قل أيها الرسول لمن خاضوا في عدة أصحاب الكهف: إن الله عز وجل أتسر على معرفة عددهم، وأعلم؛ فهو علام الغيوب: قمن الأولى تقويض الأمر إليه في مثل هذه الأمور للتي لا يقين عندنا فيها . مَّا يَعْلَنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ . أي : ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس .

روى فنادة : عن ابن عباس أنه قال : أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل ، وكانوا سبعة سوى الكلب . ونلاحظ أنه لم يرد في الأحاديث المسعيحة عن النبي ﷺ شيء في ذلك .

لكن المفسرين الاحظوا ، أن الله تعالى عقّب على الرأى الأول والثانى ، بقوله : رجما بالغيب ، وسكت عن التعقيب على الرأى الثالث ؛ مما يدل على أن أصحابه قالوا ذلك عن تثبت وتعقل ويقين .

لَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِزَاءً ظَلهِرًا .

فلا تجادل في شأن أصحاب الكهف أحدًا من الخائضين فيه ؛ إلا جِدالاً سَهِلاً لَيِنَا بِالتِّي مِي أُحَسَر. وُلاَ تَسْتُفْ فِيهِم مُنْهُمْ أَخُلًا .

أى : لا تستلت النصارى أو اليهود أوغيرهم فى شأنهم : فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم من غير استناد إلى دليل قاطع ، ولا نص صريح .

وقد جاءك ربك بالحق الذي لا مرية فيه ؛ فهو الحاكم المقدّم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال السابقة.

والمقصود من القصة : هو العظة والاعتبار، وبيان : قدرة الله، ومعرفة أن البعث حاصل لا محالة ، وهذا لا يترقف على عدد معين ، والأية حافلة بمكارم الأخلاق ، وأدب المناقشة .

\* \* \*

# ﴿ وَلَا نَقُولَنَ لِشَاعَهُ ۚ إِنِي فَاعِلُّ ذَلِكَ عَدًا ۞ إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَبَّكَ إِذَانَسِيتَ وَقُلْعَسَىٰٓ أَن يَهْدِيتِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَلَارَشُدًا ۞﴾

#### تمهيده

روى: أن الآبتين نزلتا حينما سألت قريش رسول الله ﷺ: أن يجيبهم عن ثلاثة أسئلة:

١ - أصحاب الكهف، ٢ - ذو القرنين. ٣ - الروح.

فقال : غَنَا أَجِيبِكم ، ونسى أَن يقول : إن شاء الله ؛ فأبطأ عليه الرحى خمسة عشر يرمًا فشق عليه ذلك، وقالت قريش : إن إله محمد ويُمه وقلام ، وقد ردَّ عنه الله تعالى في سورة للضحى .

1.427

٣ ٢ ، ٢ ٢ - وَ لاَ تَقُولُنَّ لِشَاعُ إِنِّي فَاعِلٌ ذَالِكَ غَدًا . إِلاَّ أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ ...

أى: لا تقولن أيها الرسول لشيء: إنى سأفعل ذلك غدًا ؛ إلاَّ أن تقول : إن شاء الله ؛ ذلك أنه ربما مات المرء قبل مجيء الفد، أو ربما عاقه عائق عن فعله .

# جاء في تفسير الظلال ما يأتي :

إن كل حركة وكل نفس من آنفس الحى ، مرهون بإرادة الله ، وسجف الغيب مسبل يحجب ما وراء اللحظة الماضرة ، وعين الإنسان لا تمتد إلى ما وراء الستر المسدل ، وعقله مهما علم قاصر كليل ، فلا يقل إنسان: إنى فاعل ذلك غدا ، وغدًا في غيب الله .

وليس معنى هذا: أن يقعد الإنسان ، لا يفكر في أمر المستقبل ولا يدبرُ له ، وأن يعيش يوما بيوم ، ولحظة بلحظة ، وألا يصل ماضي حياته بحاضره وقابله .. كلاً ، ولكن معناه : أن يحسب حساب الفيب ، وحساب المشهئة التي تدبُره ، وأن يعزم ما يعزم ، ويستدين بمشيئة الله على ما يعزم ، ويستشعر أنُّ يد الله فوق يده ، فلا يستبعد أن يكين لله تدبير غير تدبيره ، فإن وفقه الله إلى ما اعتزم : فيها ونعمت ، وإن جرت مشيئة الله يغير ما دبرً ؛ لم يحرن ولم يبأس ؛ لأن الأمر لله أولا وأهيرا (١٠٠٠).

ويهذه المناسبة نتمنى أن يلتفت كل من يقدِّر تقديرًا ، أن يذكر محمدولاً للقمح أو الذرة أن القطن أن الهترول في قادم الأيام ؛ أن يذكر المشيئة ؛ فيقول : سيكون عائد البترول كذا ألف برميل في العام إن شاء الله، ومحصول القمح أن الذرة أن القطن كذا إن شاء الله ، وعدد الخريجين من المعاهد العليا و الكليات النظرية أن العملية كذا إن شاء الله .

فهذا التعليم والترجيه للأفراد والجماعات والأمم ، وهو في صلب العقيدة ، ويترتب عليه اليقين الجازم ؛ بأن يد القدرة الإلهية فوق قدرتنا ، ولها الكلمة النافذة في حياة الأفراد والجماعات والأمم .

وأن الله تعالى يغيّر ولا يتغيّر ، وهو سبحانه يضع ويرفع ويعز ويذل ، قال تعالى : قُلِ ٱللَّهُمُ مَلِكَ ٱلْمُلْكِ أَوْلِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَعَرِعُ ٱلْمُلْكَ مِمْن تَشَاءُ وَتَعِرُّ مَن تَشَاءُ وَتَلِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْحَيْرُ إِلَّكَ عَلَىٰ كُلُّ شَيْرُ قَلِيلٌ . (ال عمران : ٢٩).

ويقول سبحانه : كُلُّ يَوْمِ هُوَ فِي شَأْنَدٍ . (قرصن : ٢٩) .

وفي الطمير: شئون يبديها ولا يبتديها ؛ يشفى مريضا ، ويمرض سليما ، ويعافى مبتلىّ ، ويبتلى معافى ، ويمرّ تليلا ، ويذل عزيزا ، ويغير ولا يتغير . ونحن ينبغي عندما نقول: سنعمل كذا، أو سنترك كذا أو سنقعل كذا ؛ نريطها بالمشيئة فنقول: (إن شاء الله).

والمعنى: إذا أراد الله أن يتم ذلك فسيتم بمشيئته هو وإرادته ؛ فأمره غالب ومشيئته نافذة ، ومعونته للعباد نعمة ويركة ، وهو القائل : إِنَّمَا آمُرُهُ إِذَّا آرَادُ شَيَّا أَن يَقُولُ لَهُ كُن يَبَكُونُ ، فَسُهُ حَن ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلكُوتُ كُلُّ . هُنْءٍ وَالْكِهِ تُرْبَعُونَ . (يس: ٢٨،٨٣) .

وَآذْكُر رُبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْلِين رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَلْذَا رَشَدًا.

أى : إذا نسبت أن تقول: إن شاه الله ، ثم تذكرت ؛ فقلها لتبقى نفسك مستشعرة عظمة الله، وقال عكرمة: رَادُكُرُ رُبُّكُ إِذَا نُسِبَتَ ، إذا غضبيت .

وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن هذه الفقرة من الآية مرتبطة بما قبلها.

والمعنى: إنك إن قلت: سأمعل غنا كذا ، ونسيت أن تقول: إن شاء الله ، ثم تذكرت بعد ذلك ؛ فقل: إن شاء الله. أي: اذكر ريك معلقا على مشهلته ما تقول إنك سقمله غنًا ؛ إذا ذكرت بعد النسيان .

و دهب بعض المفسرين إلى أن هذه الفقرة مستقلة عما قبلها ، ولا تعلق لها بما قبلها ، ويكون المعنى: إذا نسبت ذكر ربك لأى سبب من الأسباب ، ثم عاد إليك ذهنك وصفاؤك ؛ فاشتغل بالتسبيح والاستغفار ؛ لأن ذك الله متفاء و دراء .

قال تعالى : وَٱللَّهُ كِيهِنَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱللَّهُ كِرَاتِ أَعَدُّ ٱللَّهُ لَهُم مُغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا . (الأحزاب: ٣٠) .

وقال سيحانه : قَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَآشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكَفُّرُونِ . (البقرة : ١٥٢) .

وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِين رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَلْذَا رَشَدًا.

أي : لعل الله أن يوفقني ويرشدني إلى ما هو أصلح من أمر ديني ودنياي .

ثم بين سبحانه ما أجمل من قوله : فَضَرَبُّنَا عَلَيْ ءَاذَاتِهِمُّ فِي ٱلْكُهْفِ سِينَ عَنَدًا ؛ فقال :

﴿ وَلَيِنُواْ فِي كَهْفِهِ مِّ ثَلَثَ مِأْتُوْسِنِينِ وَأَذْدَادُ وَأَيْسَعًا ۞ قُلِ اَللَّهُ أَعَلَمُ بِمَالِيثُوَّ لَهُ غَيْبُ السَّمَنُوْسِةِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْبِيهِ وَأَسْمِعٌ مَالَهُ م مِّن دُونِيهِ مِن وَلِيَ وَكَايْشِرِكُ فِي حُكْمِيهِ ۚ أَحَدًا ۞ ﴾

#### التفسيره

٥٧- وَلَبُواْ فِي كَهْفِهِمْ لَلَكْتَ مَأْلَةِ سِنِينَ وَٱزْدادُواْ تِسْعًا .

أى: أن أمنحاب الكهف مكثوا نائمين فى الكهف مدة طويلة هى ٣٠٩ سنة بالتاريخ الهجرى وهى · تساوى ثلاثمانة سنة بالتاريخ الميلادى أو الشمسى .

وقد كانت عناية الله معهم ، حيث أرسل عليهم النرم وأرسل لهم الضوء والهواء ، وحجب عفهم حرارة الشمس عند شروقها وغرويها ، وألقى عليهم المهابة ، وحفظ الكلب معهم بفناء الكهف ، ومنع الناس من أن تعبث يهم .

وهذا البيان من الرسول النبى الأمن ﷺ مجزة أيضًا ؛ فهو لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يطلع على كتب السابقين ؛ فمن أين له معرفة أن كل مائة سنة شمسية ؛ تزيد ثلاث سنين قمرية ، وكل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تزيد سنة قمرية ، وكل سنة شمسية تزيد نحو أحد عشر يوما على السنة القمرية ؛ لا شك أنه قد اعلمه الطيف الضبير، يما أوحاء إليه ، وهداء لأقرب من هذا رشدا.

وقد حفل القرآن ببيان نظام الكون وتكامله ، وأثر الشمس في تصناعد البخار ، وسير السحاب ، ونزول المطر ، وإنبات النبات ، وغناء الإنسان والحيوان ، والله سبحانه هو الذي سخر الشمس والقمر والليل والنهار، وأرسل الرسل لهداية الإنسان ، وأتم الله علينا النعم المادية والمعنوية . وَإِنْ تَعَلَّواْ نِعْمَتُ اللَّهِ لاَ تُحْمُوها ... (إبرامهم : ٢٤)

# ٧٦ - قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِعُواْ لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَنُوَ اتِ وَٱلأَرْضِ ...

إن الله أعلم بمدة لبثهم في الكهف على وجه اليقين ؛ وكانت هناك أقوال لليهود. والنصارى وغيرهم حول المدة التي مكثها هزلاء الفتية في الكهف ، وفي عددهم ، فكأن الحق سيحانه يقول :

ما أخبرتك يا محمد ، هو فصل الخطاب في موضوعهم ، وقد أعلمتك به ، وما أخبرتك به هو الحق المحصيح ، الذي لا يحوم حوله شك : فلا تلتفت إلى غيره من أقوال الخائضين في أمر هزّلاء الفتية : فإن الله هر الأعلم بحقيقة ذلك .

لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ.

أى: هو سبحانه المختص يعلم الغيب وهو علاًم الغيوب: فلا يخفى عليه علم شيء في الأرض والسماء، وقد أخبرك السميع العليم ، بالخبر القاطم في شأنهم .

أَيْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ أَي : إِنه ليصير بهم ، سميع لهم .

قَالَ ابن جرير : وذلك هي معنى الميالغة هي المدح ؛ كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه ! وتأويل الكلام : ما أبصد الله لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموم ، ولا يخقى عليه من ذلك شيء !

وقال قنادة : أَيْعِيرُ بِهِ وَأَسْعِعْ ؛ فلا أحد أيصر من الله ولا أسمع.

مَا لَهُم مِّن دُولِهِ مِن وَلِيٌّ وَلا يُشْرِكُ فِي خُكْمِهِ أَحَدًا .

أى: ليس لأهل السماوات ولا لأهل الأرض ولا لغيرهما نصير ينصرهم أو ولى يلى أمرهم ، غيرالله تعالى هو الذي له للملق والأمر ، لا معقب لمكمه ، وليس له وزير ولا نصير ، ولا شريك ولا مشير، تحالى وتقدّس .

#### العبرو العظات

من العبر والعظات التي تؤخذ من قمنة أصحاب الكهف ما يأتي:

- . ١ إثبات مندق الرسول ﷺ فيما يبلغ عن ربّه عز رجل؛ فقد بلّغ عن الله عز وجل قصتهم وعددهم وصدق مكتوم، وصدق الله تعالى إذ يقول : تُعَرُّ تُقُصُّ عَلَيْكَ نَبَّامُ بِالْحَقِّ ... (الكيف: ١٣) .
- 7 ساق القرآن الكريم القصة مجملة ، ثم ساقها مقصلة ، وفي هذا أدب للدعاة والهداة والمرشدين ، في
   الاستفادة بأسلوب الإجمال ثم التقصيل .
- ٣ بيان: أن الإيمان إنا استقر في القلوب هان كل شيء في سبيله: فهؤلاء الفتية آثروا الغرار بدينهم،
   ولجترا إلى ربهم راغبين في مثوبته وهدايته: فأكرمهم الله ورعاهم.
- ٤ أن يد الله مع المتقين ، ومعونته مع الصادقين ، فقد برأ هؤلاء الفتية من عبادة الأولمان ، وأثروا الكهف على على المياهم على المياهم الله برعايته ، وأرسل عليهم النوم مدة طويلة ، وحفظ أجسامهم من البلى ، وأرسل عليهم المهابة فلم يعتد عليهم معتد ، وحفظهم من حرارة الشمس ، ويعتهم في عهد ملك صالح ، احتقى بهم واكرمهم .

- ٥ -- التواصى بالحق والصبر ، يؤدى إلى النجاح والفلاح : فهولاء الفتية لجتمعوا على الحق ، ووقفوا في
   وجه الباطل ؛ فاستحقوا معونة الله ، ويركته ، وتوفيقه .
- ٣ أن مباشرة الأسباب المشروعة لا تنافى التوكل على الله ؛ فهولاء الفتية عندما خرجوا من ديارهم ، أخذوا بعض النقود ، ويعد يعثهم من رقادهم ؛ أرسلوا واحدا منهم ؛ ليشترى لهم طعاما ؛ وأمروه بأخذ الحيطة والحذر .

هكذا العقلاء لا يمنعهم توكلهم على الله تعالى ؛ من أخذ الحيطة والحذر في كل شئونهم التي تستدعى ذلك.

٧ - إقامة أوضع الأدلة على أن البعث حق ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ، الذي بعث الراقدين من نومهم بعد
 مثات السنين ، قادر على إحياء الموتى يوم القيامة .

\* \* \*

﴿ وَآثَلُ مَاۤ أُرْحِى إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَيِّكَ لَامُبَدِلَ لِكَلِمَنِدِهِ وَلَن يَحَدَمِن دُونِهِ مَلْتَحَدُالْ وَآصَرُ فَلَا اللّهُ وَأَلْفَاهُمُ وَأَلْفَاهُ وَمُونِهُ وَمُعَلَّمُ مُلْتَحَدُلُوا اللّهُ الْفَاهُ مِنْ أَغْفَلْنا قَلْبُهُ عَن فَرُكِ الْوَلْقَلْمَ مَن أَغْفَلْنا قَلْبُهُ عَن فَرُكِنا وَاتّبَعَ هُونُهُ وَكَاتُ أَمُّرُهُ وُفُولًا فَي وَقُلِ الْحَقُّ مِن تَيْكُمْ فَمَ سَلَمَ فَلْيَكُمُ وَمُن وَمَن شَآءَ فَلْيَكُمُ وَهُولِ الْحَقُّ مِن تَيْكُمْ فَمَ سَلَمَ فَلْيُكُمُ وَمُن وَمَن شَآءَ فَلْيَكُمُ وَمُن اللّهُ وَمُن اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَعَلَيْكُ مُنْ مَن اللّهُ وَمُن وَمَن سَلَمَ فَلْيكُمُ وَاللّهُ اللّهُ المُعْلِيدِينَ فَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ مُلْمَ جَنَكُ عَلْمُ وَاللّهُ اللّهُ وَعَلَيْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

#### المفردات :

لا مسيسال ، لا مفدّ .

الكلماته الأحكامة ، فلا يستطيع أحد نسخ أحكام ما جاء في كتابه .

مطبة صحداء أي : ملجأ تعدل إليه إذا ألمَّت بك ملمَّة .

واصب رنفسك، احبسها وثبّتها.

بالشفداة والعشى، أى: في خُرَفَى النهار، وخصهما بالذكر؛ لأنهما محل الفظة، وفيهما يشتغل الناس. بأمور دنياهم.

ولا تعدعيناك عنهم؛ لا تصرف عيناك عنهم إلى أيناء الدنيا ، والمراد : لا تحتثرهم ، وتصرف النظر إلى غيرهم لر ثنائة منظرهم .

تريد زينة العياة الدنياء تطلب مجالسة من لم يكن مثلهم من الأغنياء ، وأصحاب الثراء .

أَمْ مِعْلَمْ مُا قَالِمِهُ ؛ جِعَلْنَاهُ غَافَلًا .

فيربط من أمر الدين.

أعستسيدا، أعددنا وهيأذا.

البحد المعادن كالرصاص والذيت ، أو ما أذيب من المعادن كالرصاص والنجاس .

يشبوي البوجبوه، ينضمها إذا قُدُّم ؛ ليُشرب لشدَّة حرَّه . \_

مسرت شهدا، متكأ.

جــــنـــات صـــدن، جنات إقـامة واستقرار ، يقال : عدن بالمكان ؛ إذا قام به واستقر ، ومنه المغين ؛ لاستقرار الحداهد فنه .

أســـــاور؛ واحدها: سوار وهو ما يحيط بالمعمم.

اسبت بيسرق، ما غلظ منه وهو رومي معرّب.

الأرائست سبك؛ وإحيما: أريكة – سرير عليه دُولة (ناموسية).

## تمهید :

بعد أن ذكر سبحانه قصص أهل الكهف، أمره جل شأنه بالمواظبة على دراسته وتلاوته ، وألا يكترث بقول القائلين له : اثنت بقرآن غير هذا أن ببله .

ثم ذكر ما يلحق الكافرين من العذاب يوم القيامة ، وما ينال المتقين من الثواب والتكريم .

(الأنعام: ١١٥)

اتفسب

٧٧ - وَٱتَّلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَحِدَ مِن دُولِهِ مُلْتَحَدًا.

أسياب النزول:

تفيد كتب التفسير: أن هذه الآيات إلى قصة موسى والخضر؛ نزلت في أسراف قريش؛ حين طلبوا من الذبي هي أن يجلس معهم وحده ، ولا يجالسهم مع ضعفاء أصحابه : كبلال ، وعمار ، وابن مسعود ، وليفرد أولئك بمجلس على حدة : فنهاه الله عن ذلك ، وأمره أن يكثر من تلاوة القرآن ، وأن يجعل باب تعليم الرسالة والدعوة الإسلامية ، مفتوحًا للجميع على السواء في جميع الأوقات للفقراء والأغنياء ، وهذا مبدأ سام في المساواة بين الناس ؛ فالإيمان يجمع بين الجميع ، وأكرم الناس عند الله أتقامم (١٠٠٠).

وَٱتَّلُ مَا أُوحِيَ إِنَّكَ مِن كِعَابِ رَبُّكَ .

أى : اقرأ يا محمد ما أوحاه إليك ربك من آيات الذكر الحكيم : لاَ مُبَلَثَلَ لِكُلِمُتِيمِ . أَى : لا يقدر أحد في الكرن أن يبدُل أن يعير كلام الله ؛ فقد تكفل الله بحفظ مذا الكتاب ؛ قال تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَرِّلْنَا اللَّكُرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَنْهُونَ مَ (الحجر: ٩) ، وقال تعالى : وَنَحْتَ كَلِمَتْ رَبَّكَ رَبِيعًا لَحَنْهُونَ ، (الحجر: ٩) ، وقال تعالى : وَنَحْتَ كَلِمَتْ رَبَّكَ رَبِيعًا

وَكُن تُجِدُ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا .

أى: ان تجد ملجاً أو حصنًا للنجاة ؛ غير الله تعالى أبدًا.

قال ابن جرير الطبرى:

يقول: إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك؛ فإنه لا ملجاً لك من الله ؛ كما قال تعالى: يَتَأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّهُمَّ ٱلْإِنْ إِلَيْكَ مِن زَلِّكَ وَإِن ثُمِّ تَفَعَلُ فَعَا بَلْفَتَ رِسَاتَهُ ... (المائدة: ٧٧) .

٧٨ - وَآصْرِ نَفْسَكَ مَعَ ٱللَّذِينَ يَدْعُونَ رَبُّهُم بِٱلْفَدَاقِ وَٱلْعَشِي ُ يُرِيدُونَ وَجَهُهُ. وَلاَ تَعَدُ عَتَاكَ عَنْهُمْ تُويدُ وَيَنَهُ آلْحَيْلَةِ ٱلدُّنَا وَلَا قُطِعْ مَنْ أَغْلُمُنَا قَلْبُهُ عَن ذِكْرِنَا وَآتَتِهَ مَوَدِئُهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَلُوْتًا .

اقد جاء الإسلام: ليسوّى بين الناس أمام الله ، فالخلق كلهم عيال الله ، يتفاضلون عنده بالتقوى ، ويدركون ثوابه بالعمل الممالح ، وكان كفار قريش وأغنياؤها ، يطلبون من النبى أن يطرد الفقراء عن مجلسه، أو يجعل للأغنياء مجلساً خاصا بهم ، فإذا دخل هؤلاء الأغنياء في الإسلام ؛ دخل خلفهم خلق كثير من الأتباع لهم ، وكأن النبي ﷺ حدَّث نفسه ، بالاستجابة لهذا العرض ، أو فكر فيه . قنزل القرآن الكريم ؛ يحثه على رفض هذا العرض ؛ فالإسلام دين الرحدة والجماعة ، وإذا ندل الإيمان في القلب : أحبّ المؤمن ربّه ، وأحبّ إخوانه المؤمنين ، وهانت عليه مظاهر الحياة ، والإسلام لا يحرّم الغنى ولا المال ولا الجاه : ما دام صاحبها يقدّم أوامر الله وواجباته ؛ ولكن الإسلام يحرّم أن يكون المال والجاء ، هما الهدف من هذه الحياة : لأنهما في وضعهما الصحيح وسيلة إلى مرضاة الله ، والهدف الأساسي هن مرضاة الله وطاعته .

وَآصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱللَّذِينَ يَدْعُونَ رَبُّهُم بِٱلْغَدَوْةِ وَٱلْعَشِيُّ يُرِيدُونَ وَجُهَّهُم .

يقول القرآن للرسول ﷺ : صاحب رجالس هرّلاء المؤمنين ، الذين أعلمىوا أنفسهم شه ، وتوجهوا إليه بالدعاء في الصباح والمساء .

وَلاَ لَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُريدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنِيَا .

لا تتحول عنهم ، ولا تنصرف عنهم ، ولا يتحول اهتمامك عنهم إلى مظاهر الحياة التي يستمتع بها الأغنياء ، أصحاب زينة الحياة الدنيا .

قال ابن عباس: لا تجاوزهم إلى غيرهم ؛ تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة .

وَ لَا تُعلِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا .

أى: لا تطع كلام الذين سألوك : طرد المؤمنين ؛ فقلويهم غافلة عن ذكر الله و قد شُغلوا عن الدين وعبادة ريهم بالدنيا .

وَ ٱلْبَعَ هَوَ لَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ وَقُولًا .

لقد اتبعوا أمواءهم ، أمواء الجاملية ؛ فالناس عندهم قسمان :

قسم: غنى قوى نو سلطان ورجاهه، وهؤلاء يحكمون ويفكّرون ويملكون، وهم أهل الوجاهه والسيادة. وقسم : فقير ضائم ، لا يجوز أن يفكّر ولا أن يجلس مم الأغنياء .

فلما جاء الإسلام : رفض هذا المنطق ، ويين : أن الناس أمام الله سواء : يتفاضلون عنده بالتقوى ويدركون ثوابه بالعمل الصالح .

> . وَكَكَانَ أَمْرُهُ، لُوُطًا . أي : كان أمره ضياعا ، وهلاكا ، ودمارًا .

قال ابن جرير الطبرى:

وَكَانَ أَمْرُهُ وَ فُرُطًا .

معناه : وكان أمر هذا الذي أغظنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر واحتقار أمل الإيمان ، سرفا قد تجارز حدّه ؛ فضيّم بذلك الحق وهلك .

#### من هدى السنة

ربى الشيخان عن سهيل بن سعد الساعدى قال: مرَّ رجل على الذبيَ ﷺ فقال لرجل عنده جالس:

هما رأيك في هذا؟» فقال رجل من أشرف الناس: هذا والله حرى إن خطب أن يزدَّج ، وإن شفع أن يشفّع ؛

فسكت رسول الله ﷺ ، ثم مر رجل آخر من فقراء المسلمين فقال رسول الله ﷺ للرجل: «ما رأيك في هذا؟»
قال: يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين . هذا والله حرى إن خطب ألا يزدَّج ، وإن شفع ألا يشفع ،

وإن قال ألا يسمم لقوله . فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من مل والأرض من مثل هذا» (\*\*\*).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ، لا يريدون بذلك إلا وجهه : إلا ذاداهم منار من السماء : أن قوموا مغفورًا لكم ؛ قد بدُلت سيئاتكم حسنات» (٢٠٠٠)

٧٩ - وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكُفُو ...

أي: قل يا محمد للناس: هذا الذي جثتكم به من ريكم ، هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ، قمن شاء أن يؤمن به ، ويدخل في غمار المؤمنين ؛ قليفعل ، ومن شاء أن يكفر به ؛ وينبذه وراء ظهره ؛ فأمره إلى الله ولست بطارد للمؤمنين من أجل أهوائكم .

قال ابن كثير : فَمَن شَـّاءَ فَلَيُوْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكَفُرْ . هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ؛ ولهذا قال : .

إِنَّا أَعْمَلْنَا لِلطَّلْلِمِينَ نَارًا أَخَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...

فالله تعالى لا تنفعه طاعة الطائع ، أو إيمان المؤمن ، ولا تضره معصية العاصى ، ولا كفر الكافر ، ولكن هذا الكافر الذي أنف من الحق ، واستكبر عن الدخول في الإسلام ظلما وعدوانا ، قد أعد الله له نارًا مرُجِجة ، بحبط به لهيبها من كل جانب ، كما يحيط السرادق بمن حل فيه ، فلا مخلص منه ولا ملجأ إلى غيره .

وقال ابن كثير:

أَحَاطَ بِهِمْ شُرَادِلُهُا ... أي: سورها ، كإحاطة السوار بالمعصم .

أخرج أحمد والترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره : من أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله إن قال : «لسرادق النار أربعة جبر كذافة كل جبار مسافة أربعين سنة».

# وقال ابن عباس :

أَخَاطَ بِهِمْ شُرَادِقُهَا ... قال : حائط من نار (٢٦١).

وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوة.

والمهل: ماه جهنم أسود منتن غليظ حار ، ولهذا قال : يُشْوِى ٱلْوَجُّوةَ . أَى : من حرّه إذا أراد الكافر أن يشريه ، وقرّبه من وجهه : شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه ،

وأخرج أحمد والترمذي : أنّ رسول الله ﷺ قال : «ماء المهل كمكر الزيت : فإذا قريه إليه سقطت فروة يجهه فيه» (٢٠٠٠) .

بنُسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتُ مُرْتَفَقًا .

أى : بنس هذا للشراب ، وما أقبحه : فهو لا يطفئ عَلُه ، ولا يسكُن حرارة الغوّاد ؛ بل يزيد فيها إلى أقصى غابة ، وما أسوأ هذه النّار منزلا ومقبلا يرتفق به أهل النار !

قال تعالى : إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . (الفرتان : ٦٦) .

• ٣- إِنَّ ٱلَّذِينَ وَامْتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً.

لما ذكر تعالى حال الأشقياء ، أعقبه بذكر حال السعداء ، على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب ، أي : إذا لا نضيع تواب من أحسن عمله وأخلص فيه ؛ بل نزيده وننميه .

وهذه الآية يستشهد بها الدعاة والعلماء ، الراغبون في رقى الأمة وتقدمها ؛ فإن نتقدم إلا إذا أتقن كل إنسان عمله : الفلاِّح ، والمسانع ، والمهندس ، والطبيب ، والمعلم ، والموظف ، والإدارى ، وسائر أقراد الأمة: إذا أتقنوا عملهم ؛ نجحوا كأفراد ، وكأمة عاملة ، وتأهيوا لنيل ثوابهم في الدنيا والأحرة .

أمًّا ثوابهم في الدنيا فهو القوة والتغوق ، وأما ثوابهم في الآخرة فهو الجنة وتعيمها ، وقد بين القرآن أنه إن نعم العاملين في الحملة فقال : ٣١- أَوْ لَآئِكَ لَهُمْ جَنَّتْ عَدْنِ تَجْرى مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ ...

أى: هم في جنات إقامة ، تجرى من تحت غرفهم ومنازلهم أنهار الجنة .

يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ...

أى: يحاوّن في الجنة بأساور الذهب، وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما: عن أبي هريرة : أن النبي الله عن أبي هريرة أن النبي الله عن المؤمن خيث يبلغ الوضوء» (١٦٠).

وتغيد آيات القرآن الأخرى: أن المؤمن يتمتع بثلاثة أساور ، واحدة: من فضة ، والثانية: من لؤاؤ، والثالثة: من ذهب .

شال تعالى : وَحُلُواْ أَسَاوِرَ مِن فِعَشَةٍ ... (الإنسان : ٢١) .

وقال تعالى : وَلُؤَلُوا وَلِهَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . (الدي : ٢٣) .

وفي الآية التي نفسُّرها : يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن فَعَبٍ ...

وَيَلْبُسُونَ ثِيَابًا مُحَشَّرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ .

أى : ويلبسون رقيق الحرير وهو السندس ، وغليظه مما نُسج من سلوك الذهب ، وهذا لباس المترفين في الدنيا ، ومنتهى ما يكون لأمل النعيم .

واعتير اللون الأخضر؛ لأنه أرفق بالأبصار، ومن ثم جعله الله لون النبات والأشجار، وجعل لون السماء الزرقة؛ لأنه نافع لأبصار الحيوان أيضا.

وقد قالوا: ثلاثة يذهبن الحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن!

مُتَّكِيْنِ فِيهَا عَلَى ٱلأَرْآئِكَ ...

أى: يتكثرن فيها على سرر مزدانة بالستور ، وفي هذا دليل على منتهى الراحة والنعيم ، كما يكون ذلك في

نِعْمَ ٱلنُّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًّا.

أى: نعمت الجنة لهم جزاء وفاقا على جميل أعمالهم ، وحسنت منزلا ومقيلا .

ونحد الآية قوله تعالى: أَوْ لَنِهَكَ يُجْزُونَ ٱلْفُرْفَةَ بِمَا صَبُروا وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةٌ وَسَلَسًا شُسُتُمَاً وَمُقَامًا . (الديمان: ٧٧,٧٠)

# قصة صاحب الحنتين

## المقرداتء

السج ن البستان، سميت بذلك: لاجتنان أرضها ، واستتارها بظال الشجر، وكل مادة (ج ن ن) تفيد:
الخفاء والاستتار؛ كالجنين، والجنّ، والمجنون؛ لاستتار عقله، وجنّ اللبن؛ أظام إلى نحو ذلك.

أعـــــــــاب، كروم منوعة .

وحفقناهما بنخل، أى: جعلنا النخل محيطا بهما ، مطبقا بجانبيهما ، يقال: حفّه القرم أى: طافوا به ، ومنه قوله: حَالَّينَ مِنْ حُولْرِ الْعَرْف... (الزمر: ٧٥) . وحفقته بهم: إذا جعلتهم حافين حوله .

أكسلسها: ثمرها.

الم تنقص.

فيسمسور أنواع من الفواكه والثمار،

العسيساحياء المصاحب لك.

ي عب اوره؛ يجادله ويراجعه ويشاصمه.

المرابع المدم والحشم والأعوان.

تبسيد: تفنى وتهلك.

قرد متحققة.

مستسقسلسياء مرجعا وعاقبة.

س\_\_\_\_والله وكملك إنسانا .

السسولاء مألا.

مباشده ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

حسياتامن السماء؛ آفة أو صاعقة تدمرها.

صحصيصناه ترابا.

زاسسقسسا، تزلق عليها القدم ولا تثبت ، والعراد : أن تصبح الحديقة ترايا أملسا لا تثبت فيه قدم ، جرداء لا نبات فيها ولا ماء .

غـــــورا، غائرا في الأرض غائصا فيها.

طسطسها عملا وحركة لردُّه.

وأحبيط بشمره، أهلكت أمواله ، يقال: أحاط به العدر، إذا استولى عليه وغلبه ، ثم استعمل في كل إهلاك.

مُساويسة : ساقطة مهشمة محطمة ، يقال : خوت الدار ، وخويت ، خيا ، وخويا : تهدمت وخلت من أهلها. السميسوش: وأحدها : عرش ، وهي الأعمدة التي توضع عليها الكروم .

مستسسرا ، ممتنعا بقرة من انتقاء الله .

محقباء عاقبة.

### تمهيده

كانت الآيات السابقة جوابا للكافرين ، الذين طلبوا أن يكون لهم مجلسًا هاصًا بهم ؛ حتى لا يختلطوا مم نقراء المسلمين ، وهذا المثل ضربه الله لرجلين أحدهما : كافر غنى ، والثاني : مؤمن فقير .

وقد اغتر الغذي بماله ، وأنكر قيام الساعة ، وظن أن بستانه ان يهلك أبدًا ، وذكرُّه المؤمن بالله وياليوم الآخر ، وخرِّفه عاقبة الخرور ظم يتمط: ثم كانت العاقبة هلاك بستان الغني ، وندمه .

و في النهاية بيان : قدرة الله وعظمته ؛ فهر يرفع ويخفض ويغنى ويفقر ، ثم بيان : أن الدنيا متغيرة وهانية ، والأخرة خير وأبقى . وكل هذه دروس تفيد أغنياء قريش ؛ إذا أنصترا لها بقلويهم وأشدتهم .

### التفسيره

٣٧- وَٱطْرِبْ لَهُم مُقَلاً رَّجُلُيْن جَعَلْنا لأَحَلِهِمَا جَنْتَيْن مِنْ أَغْتَلْبٍ وَحَقَفْتَهُمَا يِتَحْلُ وَجَعَلْنا يَنْهُمَا زَرَّعًا .

أى: اذكريا محمد لهؤلاء الكفار، الذين طلبوا منك أن تطرد الفقراء عن مجلسك هذا المثل.

### قال المفسروت:

هما أخوان من بني إسرائيل أحدهما : مرّمن ، والآهر : كافر ، ورثا مالا عن أبيهما ؛ فاشترى الكافر بماله حديقتين ، وأنفق المرّمن ماله في مرضاة الله : حتى نفد ماله فعيّره الكافر بفقره : فأهلك الله مال الكافر ، وضرب هذا مثلا للمرّمن الذي يعمل بطاعة الله ، والكافر الذي أبطرته النعمة .

وسواء أصحت هذه الرواية أم لم تصمع ً؛ فإن ضرب المثل لا يترقف على صحتها ، والقمَّة هنا نعوذج للعظة والاعتبار ، والتحدير من إغراء المال .

جَعَلْنَا لأَحْدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَلِي وَحَفَفْتَالْهُمَا بِنَحْلِ وَجَعَلْنَا يُيْنَهُمَا زُرْعًا.

فهذا الغنى الكافر ؛ كان يملك بستانين من شجر العنب مثمرين بأنواع العنب اللذيذ ، وقد وسع الله على صاحب البستانين بأنواع التوسعة ، فأرضه جمعت القوت والفواكه ، وهى متواصلة متشابكة ؛ فلها منظر ورواء حسن ، ووضع أنيق يخلب اللب ؛ بجماله ويهجته إذا امتلأ منه البصر ، وعلى حافة البستانين أشجار النخيل ، تطوف حولهما في سياج يطوف حول الأرض ، وتتوسط الأرض الزروع والثمار ، وتتفجر بينها الأنهار .

٣٣- كِلْمَا ٱلْجَنْمَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مَّنَّهُ شَيُّنًا ...

أي: كل واحدة من الحديقتين أخرجت ثمرها ؛ يانمًا في غاية الجودة والطيب ، ولم تنقص منه شيئًا: في سائر الأعوام ، على خلاف ما يعهد في الكروم والأشجار؛ من أنها تكثر غلتها أعواما؛ وتقل أعواما أخرى. وَ فَحُرُّنًا حَلَلُهُمَا لَهُ ال

وشققنا وسط الجنتين نهرًا كبيرًا ؛ تتفرع منه عدة جداول ؛ ليدوم سقيهما ، ويزيد بهاؤهما ، وتكثر غلتهما .

\$ ٣- وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ...

أي: أنواع أخرى من الثمار، وذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالثمر: أموال أخرى غير الجنتين: من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك .

وقد قرآ ابن عامر وحمزة والكسائي (ثُمَّر) بضم الثاء والميم ، وهو جمع ثمار ، أي : أموال كثيرة ثمُّرها بما لدخره من غلات الجنتين ، ومن تجارات أهري .

وخلاصة ذلك : أن الله أنعم عليه بخيرات الدنيا صامتها وناطقها ، وكانت له مزارع يستخدم فيها أعوانه وأتباعه ، ولا يستعصى عليه شيء من مسرات الدنيا ومباهجها ، ولذاتها ونعيمها .

فَقَالَ لِصَلْحِيهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَأَنَّا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَغَرُّ نَفَرًا .

أى: قال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن ، وهو يحاوره ويجائله ويفتضر عليه بالمال والثمار والأتباع والخدم: أنا أكثر منك مالا كما ترى من جناتى وزروعى المختلفة ، وأعز عشيرة ورهطا وأتباعا ، فكل هؤلاء الأتباع يقومون بمساعدتى عدد الحاجة ، وينفرون معى عند الخصومة .

٣٥- وَدَخَلَ جَنَّتُهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَاۤ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰ اللهِ أَبَدًا.

لقد استولى عليه الغرور ، والأمل الكاذب ؛ فسار مع صاحبه إلى يستانه ، ثم تكام فى عنجهية وخيلاء، ونسى قدرة الله الخالق الرازق المنعم ، وتكلم بكلام المعجب بنفسه وماله . فقال لأخيه مشيرًا إلى البساتين والأشجار ، والأعناب والثمار والأنهار : ما أظن أن تفنى هذه الجنة أيدًا ولا تخرب . إن طول الحرص ، وحبُّ المال ، ونسيان الآخرة يغرى صاحبه بالأمل ، فيتلن أن هذا المال وهذه -الساتين لن تبلك وان تقفر أبدا.

# قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

وترى أكثر الأغنياء من المسلمين ، وإن لم يطلقوا بمثل هذا السنتهم فإن السنة أحوالهم ناطقة ، منادبة علمه .

# ٣٦ - وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ فَاتِمَةً وَلَين رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنُّ خَيْرًا مِّنهَا مُنقَلًّا.

ثم أزداد غرورا وكفرًا ؛ فأذكر القيامة والبعث ؛ من شدة حبه للدنيا والمال والجنان والمتع العاجلة ؛ فقال : ما أظن القيامة كائنة وحاصلة ، فليس هناك بعث ولا حشر ولا جزاء . ويدل أن يشكر ربه ويحمده ، ويؤدى حق الله في ماله ، كفر بالله ويالقيامة والبعث والجزاء ، ثم قال ؛

# وَلَئِن رُّدِدتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَحِدَنَّ خَيْرًا مِّنهَا مُنقَلَهَا .

أى: ولئن كان هناك بعث على سبيل الفرض والاحتمال ؛ فسوف يكون نصيبى فى الأهرة أفضل وأهسن مُقَلِّبًا أي : مرجعا وماًلا ؛ لأنفى فى الدنيا أحسن وأغنى وأكرم ؛ فكما أعطاني ربِّي ذلك فى الدنيا فسوف يعطينى مثله فى الآخرة ؛ لكرامتى عليه ، ونحو الآية قوله تعالى حكاية عن الكافر ؛ وَقَفِن رُّمِعْتُ إِلَّى رُبِّيَ إِنَّ لِي عِينَهُ لَلْخُسْتُنْ ... (فصلت : ٥٠) .

وهكذا نجد أن هذا الكافر لحقه الخسار من تفكيره الخطل ، حيث ظن أن جنته لن تغنى ، وظن أن القيامة لن تقوم ، وظن أن الآخرة تقاس على الدنيا ، فمن كان غنيا في الدنيا ، كان ممتازًا في الآخرة .

وهنا يرشده أخوه ، إلى القيم الحقيقية في الدنيا والآخرة ، ويبين له : أن الله هو صاحب الغضل ، والنعمة والمنة ، وأن واجبنا أن نعترف لله بالخاق والإيجاد من العدم ، والتفضل بالنعم .

٣٧ - قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ وَ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقْكَ مِن ثُرَّابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً.

هنا يقف الأخ المؤمن مذكّراً أخاه بالله تعالى ، الذي خلق آدم من تراب؛ وهو أب البشرية ، ثم خلق الناس من صلبه من منيّ يمني : وهذا يجعل الإنسان متواضعا متذكرًا عظمة الخالق .

والاستفهام في الآية أَكَفُرتَ للتربيخ والتقريع ، أي: أتجحد من خلق آدم من تراب ، ثم خلق دريته من نسله ، ثم سواك رجلا كاملا بقدرته ، ويحتمل الكلام وجها آخر لمعنى : خَلَقْكُ مِن تُرَابِ ؛ إذ غذاه والديك من " النبات والحيوان ، وغذاء النبات من التراب والماء ، وغذاء الحيوان من النبات ، ثم يصير هذا الغذاء يما يتحول بعضه إلى نطقة يكون منها خلقك بشرا سويا على أتم حال فهذا الذى خلقك على هذه الحال قادر على أن يخلقك مرة أخرى .

والخلاصة: أن الله أوجدك من العدم ، وهو قادر على أن يعيدك إلى الحياة مرة أخرى بعد الموت.

٣٨- لُكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أَشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا .

أى: لكن أننا أقول: هو الله ربّى وخالقى ، أوّمن به وأثق بوجوده وقدرته ، وأن بيده الخلق والأمر.

وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا .

أي: لا أشرك مم الله غيره ، فهو المعبود وحده لا شريك له ، ثم زاد في نصيحته فقال:

٣٩ - وَلَوْلَا إِذْ دَحَلْتَ جَنَّفَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لاَ قُوْهَ إِلَّا بِٱللَّهِ ...

أى: هألا حين دخلت جنتك أو حديقتك ، وأعجبت بما فيها من أشجار وثمار ، وظلال وثمار ؛ قلت : هذا من فضل الله ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

# جاء في مختصر تفسير ابن كثير :

قال بعض السلف: من أعجبه شىء من حاله أو ماله فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة، وقد روى فيه حديث مرفوع عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت» (الله أخرجه الحافظ أبو يعلى .

وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى : أن رسول الله ﷺ قال له : وآلا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، (٣٠٠) .

فالمؤمن يرشد آخاه الكافر، إلى التواضع والإيمان ، واليقين بأن النعمة جميعها من الله ، ويرشده أن يقول:

مَا ذَاءَ ٱللَّهُ لاَ قُوهَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَى : الأمر ما شاء الله ، فجنتى أن بستانى هذا باق فى نضارته بمشيئة الله، إن شاء الله أبقاه وإن شاء أهلكه . لاَ قُوهَ إِلاَّ باللَّهِ . أَى : لا قدرة لنا على طاعته إلا بتوفيقه ومعونته .

إِنْ تُرَنِ أَنَا أَقَلُ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا.

أي: إن ترنى أيها المغرور أننى أقل منك فى المال والولد؛ فإنى أرجو الله الذى لا يعجزه شىء : أن يرزلنى ما هو خير من جنتك فى الدنيا والأهرة .

﴿ ٤ - فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا خُسْبَانًا مِّن ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا .

أى: إن رأيتنى فقيرًا قليل المال ، فإنى أترقع من صنع الله وإحسانه ؛ أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى : فيرزقنى جنة خيرا من جنتك ؛ لإيمانى به ، ويسلب عنك نعمته ؛ لكفرك به ، بأن يرسل على بساتينك مطرًا عارمًا ، أن سيلاً جارفا يحرَّب بستانك .

# قال الزمخشوي:

والحسبان : مصدر كالقفران بمعنى : الحساب ، أى : ويرسل عليها مقدارًا قدَّره الله وحسبه وهو الحكم يتخريبها .

فَتُعْسِحَ صَعِيدًا: أي : أرضا ، زَلَّهُا : جرداء ملساء لا نبات فيها ، ولا يثبت عليها قدم .

والمراد: أنها تصبح عديمة النفع من كل شيء حتى من المشي عليها.

قَالَ ابن كثير ; فَتُصُّبحُ صَعِيدًا زَلَقًا ، أي : بلقمًا ترابًا أملسا ، لا يثبت فيه قدم .

وقال ابن عباس: كالجرز الذي لا ينبت شيئا.

٩ ٤ - أَوْ يُصْبِحَ مَا وُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا .

أي: يغور ماؤها في الأرض ، فيتلف كل ما فيها من الزرع والشجر ، وحيننذ لا تستطيع طلبه فضلا عن إعادته وردّه .

وخلاصة ذلك : أن المؤمن رجا ملاك جنة صاحبه الكافر، إما بأنة سماوية ، أو بأفة أرضية ، وهو غور مائها ، أي: يغورص في أسفل الأرض ويذهب بعيدا عن الأشجار.

قال تعالى : قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ . (الملك : ٣٠).

٧٤ - وَأُحِطَ بِفَرِهِ فَأَصَبَحَ يُقَلَّبُ كُفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَّةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَمْلَيَتِي لَمْ أَطْرِكُ مرتى آخذا .

الإحاطة: مأخوذة من إحاطة العدو بعدوه، من جميع نواحيه، لإهلاكه واستنصاله.

والمعنى : فحدث ما توقعه الرجل المسالح من إرسال الحُسَبان على بستان مساحبه الجاحد المغرور، وأحيط يثمره بأن هلكت أمراله كلها ، جزاء بطره وتكبره وخروره .

فَأَصْبَحَ يُقَلُّبُ كُفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا .

أي : صنار يعض بنان الندم ، ويضرب إحدى يديه بالأخرى كناية عن الحسرة والأسف والخزى والهران ، وهو يبدى اللوعة والحزن : لبوار أرضه ، وهلاك ما أنفقه عليها ، وتهدّم الدور والقصور ، وسقوط السقوف على الجدران .

والغنى المغرور ، يشاهد جنته بجميع ما اشتملت عليه صارت خرابا بباباً لا حياة فيها ولا منفعة فيندم أشد الندم ، على تبجحه وغروره .

وَيَقُولُ يَلْلَيْتَنِي لَمْ أُطْرِكُ بِرَبِّي ٓ أَحَدًا .

لقد اعترف بعد فوات الأوان ، أنه تجبّر وتكبر وتطاول على من خلقه ورزقه ، وأنكر البعث والحساب ، وجعد قدرة القدير .

فلما ضاعت منه الدنها ، عظمت حسرته عليها ، وتمثّى لو أنه اعتدل في تفكيره ، وحافظ على الإيمان بالله ، ولم يشرك معه الهوي والجحود والكفران !

٣ ٤ - وَلَمْ تَكُن لُهُ فِئَةٌ يَنصُّرُولَهُ. مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا .

لم تكن له جماعة أو قوة تنصره وتدافع عنه ، وتردّ عنه قضاء الله عليه بخراب جنته ، وما استطاع بنفسه أن يدفع هذا العذاب عن نفسه .

والآية تصوير لإحاطة قدرة الله به ، وهلاك بستانه وهو عاجز خاسر ، قلم تنفعه العشيرة والولد حين اعتز بهم ، وافتخر على أخيه الصالح : بأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا ، وما استطاع بنفسه أن يردُّ العذاب الذي أحاط به . \$ 3 - هُمَالِكَ ٱلْوَلَايَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا.

أى: في ذلك المقام وثلك الحال ، تكون النصرة شه وحده ، لا يقدر عليها أحد سواه : فهو يوالي المرّمنين برحمته ومقفرته ، وينصرهم على أعدائهم .

هُوَ خَمِيرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا .

أى: أن الله أفضل فوابدا وجزاء ، في الدنيا والآخرة لمن آمن به ، وهو أفضل عاقبة لمن اعتمد عليه ورجاه ، وتشير الآية إلى: أن المساحب المؤمن ، أكرمه الله في دينه ودنياه وأخرته ، وأن الكافر قد خسر دينه ودنياه وآخرته ، وقريب من هذه الآية قوله تمالى : ذَالِكَ بِأَنَّ اللَّهُ مُؤَلِّي اللَّهِنَ عَامَثُواْ وَأَنَّ الْكَلْهِينَ لاَ مُؤَلِّي اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مَؤْلِي اللَّهُ مَؤْلِي اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

إن هذا المثل الذي ضريه القرآن صورة حية ، صرّرت غرور الغنى ويطره وخيلاءه ، وبينت : ثبات المرّمن وقوة إيمانه ويقينه بالله — وبينت : عاقبة الكفر والجحود ، وهى الخذلان والخسران ، وعاقبة الإيمان وهي شرف الدنها وسعادة الأخرة .

\* \* \*

﴿ وَاَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَ كَمَاهِ أَنْزَلْنَهُ مِنَ السَّمَاّةِ فَاَخْلَطَ بِهِ. نَبَاثُ الْأَرْضِ فَأَصَبَحَ هَشِيمَا نَذُرُوهُ الرِيَّعُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ مُقْلَدِرًا ۞ اَلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوْةِ الدُّنْيُّ وَٱلْبَيْعِيْنُ الْهَبْلِحُتُ عَيْرُ عِندَرَيِّكَ ثَوَالُا وَغَيْراً مَلًا ۞ ﴾

#### المطردات؛

مسطيان منفة .

هشييسهاه متكسرا متفتتا

مسقست بدراء كامل القدرة.

الباقيات الصالحات: كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة.

تـــوايــا وحزاع .

التفسده

٥ ٤ - وَٱصْرِبُ لَهُم مَّدُلُ ٱلْحَيْلَةِ ٱلنُّنيَا كَمَاءِ أَنزَلْنَهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِدِ نَباتُ ٱلأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَلْرُوهُ ٱلرَّيْلَحُ.

فى أعقاب الحديث عن صاحب الجندين ، وهلاك جنديه ، يضرب القرآن الكريم مثلا آخر للدنيا فى سرعة تقليها ، وانتهاء أمرها ، وسرعة زرائها ، بصورة عملية يشاهدها الإنسان ؛ هى صورة المطر ينزل من السماء ، فيخالط نبات الأرض ؛ فيخضر النبات ، وينمو ويصبح بهجة للناظرين ، ثم لا يلبث أن تجف أوراقه وتتكسر ، ويصبح هشيما متفتتا تنثره الرياح ذات اليمين وذات اليسار .

ورجه الشبه هنا صورة منتزعة من متعدد ؛ حيث شبه القرآن الدنيا في جمالها وزينتها ، وانتهاء أمرها بالماء يختلط بالنبات الأخضر ، يصبح جميلاً مزهراً ممتمًا ، ثم يتحول إلى هشيم متفتت تنسفه الرياح.

وكان الله عَلَيْ كُلُ شَيْءٍ مُقَتَدِرًا. فهو سبحانه قادر قدرة كاملة على كل شيء، وهو الباقي بعد كل شيء، ومن عمل لوجه الله خلل عمله باقيا خالدًا؛ ومن عمل للدنيا فعمرها قصير. وفي الأثر: اعمل لوجه واحد؛ يكنك كل الأرجه.

٣ ٤ – ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلذُّلْبَا ...

إن المال والبنين من زينة الدنيا ويهجتها ، والإسلام لا يحرّم الانتفاع بهذه الزينة ، فنعم المال المسالح للرجل المسالح ويقول تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ إِينَةَ ٱللَّهِ ٱلْتِيَّ أَكْرَجَ لِهِبَادِهِ وَٱلْفَيْسَتِ مِنَ ٱلْرُذُودَ. (الأعراف: ٣٧).

إنهما زينة ولكنهما ليسا قيمة . فما يجوز أن يوزن بهما الناس ، ولا أن يقدَّروا على أساسهما في الحياة ٣٠٠٠.

وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَلْتُ خَيْرٌ عِندَ رَبُّكَ فَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً.

أى: أعمال الخير كلها التي يُبتغى بها وجه الله ، تبقى ثمرتها أبد الآباد فهى خير ما يؤمله الإنسان ويرجوه عند الله .

قال ابن عباس:

آلَبُنْقِيْتُ ٱلصَّلِحَدْتُ هي الصلوات النمس ، وعنه أيضًا : أنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة .

وأخرج النسائى والطبرانى والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعًا : «خذوا جنتكم» قيل : يا رسول الله من أيّ عدو قد حضر ، قال : «بل جنتكم من النار ، قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ؛ فإنهنَ يأتين يوم القيامة مقدِّمات معقبات ومُجَنِّبات ، وهن الباقيات الصالحات» . وقد رجح الطبرى والقرطبى : أن ٱلْبَيْقِكَ ٱلصَّلْحَتُتُ ، هى جميع الأعمال المسالمة وأعمال الخير كلها : فهى أبقى عند الله لوليا ، وأرجى أملاً .

فالصلاة والزكاة والجهاد في سبيل الله ، ومساعدة البائسين وذوى الحاجات ، والعمل على رفع شأن الأمة ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكل خير يعمله الإنسان ، هو من الباقيات الصالحات: إذ يتال صاحبها في الأخرة ما كان يؤمله في الدنيا .

\* \* \*

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالُ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نَفَادِ رَمِنْهُمْ آَحَدًا ۞ وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفَّالَقَدْ حِنْتُمُونَا كَمَا خَلَقَنْكُواْ أَكَ مَرَّفَظَ لَرْغَشْدَ أَلَنَ تَجْعَلَ لَكُو مَوْجِدًا ۞ وَوُضِمَّا لَكِنَابُ فَانَّكُ الْمُحْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِثَافِيهِ مِنَقُولُونَ بَوَيَلْنَامَالِ هَذَا ٱلْكِ لَا يُفَادِرُ صَفِيرَةً وَلَاكِيرَةً لِلَّا أَحْصَنَهَا وَوَجَدُواْ مَاعَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِدُ رَبُك لَمُنَا ۞ ﴾

المضردات :

بــــارزة؛ ظاهرة للعيان ؛ إذ لم يبق على وجهها شيء .

حشسر تساهسم: جمعناهم لموقف الحساب.

فلم تشادر؛ فلم نترك.

وغسر فبسواء أحضروا لفصل القضاء.

مسوعسمان وقتا ننجز فيه ما وعدنا من البعث والحساب والجزاء.

ووضع الكتاب؛ وضعت صحائف أعمال البشر في أيديهم.

مششقين، خائفين.

السويسيل ؛ الهلاك .

احسساهسا؛ عدّها وأحاط بها.

حسافسوا: مسطورًا في كتاب كل منهم.

ولايظام ربك أمداد لا يعاقب إنسانا بغير جرم ، ولا ينقص من ثواب المحسنين .

#### تمهيده

تتحدن الآيات عن مشهد من مشاهد القيامة ؛ حيث يتم في هذا الهوم الجزاء العادل ، وفيه يُعاقب المجرمون ، ويُكاب الطائمون .

#### التفسيره

٧٤ - وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْحِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشْرْنَاهُمْ فَلَمْ نُفَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

يعقب القرآن على ذكر الدنيا ، يذكر مشاهد الأخرة ، حيث تقتلع الجبال من أماكنها ، وتسير في الجو كالسحاب ، ثم تكون هباءً منقورا .

# . وَتُوَى ٱلأَرْضَ بَارِزُةً ...

وثرى الأرض ظاهرة للعيان ، ليس عليها ما يسترها ، من شجر أو جبل أو بنيان ؛ فقد قلعت جبالها، وتهدّم بنيانها ، فهي مسترية لا اعرجاج فيها ولا نتوء ، وجميع الخلق ظاهرين لريهم ؛ فلا تخفي عليه خافية.

وَحَشَرْلُلُهُمْ قُلَمْ لُغَادِرٌ مِنْهُمْ أَحَدًا .

وجمعنا الأولين والآخرين للحساب، فلم نترك منهم أحدًا لا صغيرا ولا كبيرا.

وجُمع الناس حفاة عراة غرلا ، (الغُرَّلة : القلفة) أي : كما ولدتهم أمهاتهم ؛ حتى يتم فصل القضاء بينهم.

قال تعالى : قُلْ إِنَّ ٱلْأُولِينَ وَٱلآخِرِينَ و لَمَجْمُوخُونَ إِلَىٰ مِيقَسْتِ يَوْمٍ مُعْلُومٍ . (الواقعة ٤٩ . ٠٥) .

وقال سبحانه : ذَالِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ آلنَّاسُ وَذَالِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . (مود : ١٠٣) .

4 4 - وَعُرضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِتْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَلْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلْن تَجْعَلَ لَكُم مُوْعِدًا.

أى: عرضت جميع الخلائق على الله تعالى مصطفين ؛ منفوفا صفوفا ، كالصفوف في الصلاة ، كل أمة وزمرة منفا ، لا يحجب أحدً أحدا .

وفي الحديث الصحيح: «يجمع الله تعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا ، يسمعهم الداعي وينقذهم البصري ٣٠٠٠.

لَّقَدْ جِئْتُمُولَا كُمَّا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

أى: يقال للكفار على وجه التقويع والتوييغ : لقد جثتمونا حفاة عراة ، لا شىء معكم من المال والولد؛ كهيئتكم حين خلقناكم أنّ ل مرة .

ونحو الآية قوله تعالى: وَلَقَدْ حِثْتُمُونَا فُرْ 'دَىٰ كَمَا خَلَقْتُلَكُمْ أَوْلَ مُرَّةٍ وَتَرَكُمُ مَّا خُوَلْتَلَكُمْ وَزَآءَ ظُهُورِكُمْ ... (الأنماء: ١٤٤)

بَلْ زَعَيْتُمْ أَلْن تَبِعَلَ لَكُم مَّوْعِلًا ... أي : زعمتم أن لا بعث ولا حشر ، ولا حساب ولا عقاب.

وإننا لنكاد تلمع الخزى على الوجوه ، والذل في الملامع ؛ ومنوت الجلالة الرهيب يجبه هؤلاء المجرمين بالتأنيب (٢٠٠)

فما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن.

قَالَ تَعَالَى: وَٱلْمَسُمُواْ بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَنْبِهِمْ لا يَنْعَتْ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَهُدًا عَلَهِ حَقًّا وَلَنكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُعْلَمُونَ . (النمل : ۲۸) .

٩ ٤ - وَوُضِعَ ٱلْكِتَلَبُ قَتَرَى ٱلْمُحْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ...

أي: وضعت صنحائف الأعمال للبش وعرضت عليهم، وفي هذه الصحف الجليل والحقير.

وَيَقُولُونَ يَلْوَيْلَتَنَا مَال ِهَلْدًا ٱلْكِتَلْبِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَلْهَا.

أى: يا حسرتنا ريا هلاكنا على ما فرَّطنا فى حياتنا الدنيا ، ما شأن هذا الكتاب ، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ضبطها وأحاط بها !!!

وَ وَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ خَاضِرًا .

أي : من خير وبشر ؛ وجدوه مثبتا في الكتاب.

قال تعالى : يَوْمَ فَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مًّا عَمِلَتْ مِنْ حَيْرٍ مُّحَمَّدًا وَمَا حَمِلَتْ مِن سُوْعٍ تَوَدُّ لَوْ أَنْ يَثَبَهَا وَيَشَدُ أَمَدًا يَجِيدًا. (ال عمران : ٣٠)

وقال سهحانه : يُنْبُولُ ٱلْإِنسَانُ يُؤْمَنِلِ بِمَا قَلْمَ وَأَخَّرَ . (القيامة : ١٣) .

وَلاَ يَظُهِمُ رَبُّكِ أَحَدًا , أَى : لا يعاقب إنسانا بغير جرم ، ولا ينقص من ثواب المحسنين ؛ فهو سيحانه عادل في حكمه ، وكريم متفضل أيضًا ، قال تعالى : إِنَّ آللَّهُ لاَ يَظْيِمُ مِثْقَالَ ذُرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَّتُهُ يَصَّاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَذُنَّهُ أَجِرًا خَظِيمًا . (النساء : ٤٠) .

وقال تعالى: وَلَعَنْمُ ٱلْمُوَا (بِينَ ٱلْقِسْطُ لِيَوْمِ ٱلقِيْمَةِ فَلاَ تَظْلُمُ فَفْسٌ شَيَّنًا وَإِنْ كَانَ مِقْقَالَ حَبَّهِ مَنْ خَرْمُل أَلْبَنَا بِهَا وَكُفَيْ بِنَا حَسْسِينَ . (الأنبياء ٤٧٠) .

روى الشيخان: أن رسول الله ﷺ قال: «يرفع لكل غادر لواءٌ يوم القيامة عند إسته بقدر غدرته ، يقال: هذه غدرة فلان بن فلان» (١٩٠٩).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن أنيس : أن رسول الله ﷺ قال: «يحشر الناس يوم القيامة، حفاة عراة غرلاً بُهماء قلت : وما بُهما ؟ قال: «ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصبوت يسمعه من بُعَدُ كما يسمعه من قرب: أننا الملك ، أنا اللّيان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل المبتد حق ؛ حتى أقضيه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق. حتى أقضيه منه ، حتى اللطمة» قال : قلنا : كيف وإنما نأتي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً بهما ؟؛ قال : «بالعسنات والسيئات» (\*\*)

وتغيد الآيات السابقة : عرض مشاهد القيامة ، وعدالة الحساب ، وندم المجرمين ، وأن الجزاء الحق من جنس العمل ، قال تعالى : أَمْنَ يُعْمَلُ مِيُقَالَ مُرَّعً ضَرًا يَرَّهُ وَ رَمْنَ يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ضَرًا يَرَّهُ . (الزازلة : ٧ ، ٨) .

### المطردات

افتتختونه، الهمزة في مثل هذا تفيد: الإنكار والتعجب ممن يفعل ذلك.

المستريسة، الأولاد أو الأتهام.

عند ... على على الواحد والكثير؛ كما قال تعالى: فَإِنَّهُمْ عَدُرٌ لِّيَّ إِلاَّ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ. (الشعراء: ٧٧).

السعفــــد؛ أصله ما بين المرفق إلى الكتف ويستعمل بمعنى : المعين كالبد ونحوها ، وهو المراد هذا .

فسنصوهم، فاستغاثوا يهم.

فلم يستجيبوالهم، قلم يخيثوهم.

السمسويسق؛ مكان الويوق ، أي : الهلاك ، وهو النار . يقال : ويق ويوقا ، كوثب وثويا ؛ إذا هلك .

سواقهموها، داخلوها وواقعون فيها.

مسيرها: مكانا ينصرفون إليه.

## تمهيد،

ذكر القرآن: رغبة أغنياء مكة في مجلس خاص بهم؛ وقد أنفُوا من أن يجالسوا فقراء المسلمين، و وافتخروا بأنسابهم وأحسابهم وأمرالهم على الفقراء ، ثم ذكر القرآن: عصيان إبليس ، وامتناعه عن السجود لآدم ؛ لأن الذي حمله على ذلك هو كبره وافتخاره بأصله ونسبه .

وقد تكررت هذه القصة (قصة إبليس) في القرآن الكريم ، وهي في كل موضع سيقت فيه لفائدة: مناسبة : غير ما جاءت له في المواضع الأخرى ؛ على اختلاف أساليبها وعبارتها ، ولا غرو فهي من نسج العليم الخبير .

التفسب

• ٥- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَاثِكَةِ ٱسْجُدُوا لَآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِلْلِيسَ كَانَ مِن ٱلْحِنْ فَفَسَقَ عَنْ أَمْر رَبِّهِ ...

الملائكة أجسام من نور لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وقد أمر الله الملائكة بالسجود لأدم ؛ سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة ، وقد استجابت الملائكة لأمر الله ، وامتثلت وسجدت لأدم ، وكان إبليس مقيما مع الملائكة فنسب إليهم ، وعندما أمر الجميع بالسجود ، أطاعت الملائكة ، أما إبليس فخانه أصله ؛ لأنه خلق من مارج من نار ؛ ولذلك تكبر وامتذع ، ظانا أنه من نار ، وأدم من طين .

وفي القرآن الكريم : قَالَ أَنَاْ حَيْرٌ مَّنَّهُ خَلَقْتَبِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ . (مَن ٧٦). `

وما علم أن النار خائنة تحرق ما يوضع فيها ، والطين أمين ، ينبت النبات إذا وضع فيه ، وقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة مرفوعًا وخلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آنم معا وصف لكم» (۳۰۰) .

وهذه الآية صريحة في أن إبليس كان من الجن لا من الملائكة .

روى ابن جرير بإسناد صحيح عن الحسن البصرى قال : «ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الَّجِنِّ ، كما أنَّ آمم عليه السلام أصل البشر» .

فَهُمَنَ عَنْ أَمْرٍ رُبُّهِ . أي : هوج عن أمر ربه ، وفسق وكفر ؛ لأنه كان من الجنُّ ، من مارج من نار ، فطب عليه أصله .

يقال : فسقت الرطبة ؛ إذا خرجت من أكمامها ، وفسقت الفأرة من جحرها ؛ إذا خرجت منه للعبث والفساد .

أَفَتُتْخِذُولَهُ وَذُرِّيَّتُهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُولِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُولٌ ...

أى: كيف تستبدلون بمن خلقكم ورزقكم ، وأمدكم بسائر النعم ، من لم يكن لكم منه منفعة قط ، بل هو عدو لكم يترقب حصول ما يضركم .

بنسَ لِلظُّالِلِمِينَ بَدَلًّا

أى : بئس البدل للكافرين بالله ؛ اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دونه ، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم أنم من قبلهم . والخلاصة: بئست عبادة الشيطان، بدلا من عبادة الرحمان!

وقد ريد هذا المعنى في القرآن الكريم حيث حلَّر الله الناس من طاعة إبليس ، وبين أنه عدَّر للإنسان، · وقد أخرج أبانا أنم من الجنة ؛ فوجب أن تتخذه عدوا ، ولا ننخدع بوسرسته .

قال تعالى : أَلَمْ أَعْهَدْ إِلِّنَكُمْ يَبْنِي ٓ وَادَمَ أَن لاَ تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُو مُّبِنَّ ء وَأَن آخَبُدُونِي هَسْلَا صِرَاطً شُنتِهِمَّ ء وَلَقَدُ أَصَلَّ مِنكُمْ جِيلاً كَثِيراً الْفَلَمْ تَكُولُواْ تَقْقِلُونَ . (بين . ٦٠ – ١٦) .

وقال تعالى : إنَّ ٱلشَّيْطُلنَ لَكُمْ عَدُوًّ فَاتَّعِلُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْيَةُ لِيكُونُواْ مِنْ أَصْحَلْبِ ٱلسَّعِيرِ . (فاطر: ٦٠).

وآخر سورة غي القرآن الكريم ، فيها دعوة إلى لجوه الدؤمن وتحصّنه برب الناس وخالقهم ، وملك الناس ، والله عن المناس بالشرسان بالشر الناس ، المناس بالشرسان بالشر ويدعوه إليه ؛ فإذا تكر المؤمن ربه ؛ خنس الشيطان ورجح ، وللشيطان أتباع وأعوان من الجن ، وأتباع وأعوان من الجن ، وأتباع وأعوان من الجن .

قال تعالى : قُلُ أَهُو ذُ بِرَبُ آلناسِ ه مَلِكِ آلناسِ ه إِلهِ آلناسِ ه مِن شَرُ ٱلْوُسُوَاسِ ٱلْمُتَنَاسِ ه ٱلّذِي يُوسُوسُ هِي صُدُورِ آثناسِ ه مِنْ ٱلْحِرَّةُ وَآلناسِ : ١ – ١) .

وإن الإنسان ليأسف ويتحسر ، أن نجد ببننا فريقا من الشباب يدَّعى : أنه من عبدة الشيطان ، وكتاب الله يدعونا أن نحذر الشيطان ، وأن نستعيذ بالله منه ، وأن تعتمم بإيماننا بالله ؛ حتى لا يجد الشيطان سبيلا إلى التسلط علينا .

قال تتعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱلتَّقُواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَلَّيْفٌ مِّنَ ٱلسُّيْطُننِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْعِرُونَ . (الأعراف: ٢٠١).

وقال عن شأنه : إِنَّهُ، لِنَسَ لَهُ سُلْطَانُ عَلَى ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوْكُونَ \* إِنَّمَا سُلَطَتُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلُّونَهُ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ . (النصل : ٢٩، ٢٠) .

وفي يوم القيامة يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل الخار النار ، ويلوم أهل النار إبليس ؛ لأنه أغواهم وغرر بهم ؛ فيخطب فيهم الشيطان خطبة بتراه ، يجرّد نفسه من المسئولية ، ويلقى التبعة على من انجرف ورام دعوته ، وقد خلق الله للإنسان عقلا ورأيا ، وإرادة ولختيارًا ؛ حتى يتحمل المسئولية في اغتياره .

قال تحالى: وَقَالَ ٱلطَّيْطَانُ لَمَا قُطَى ٱلأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَنَكُمْ وَعَدَ ٱلْمَقَّ وَوَعَدُكُمْ فَأَ سُلُطَن إِلَّا أَن مَوْدُكُمْ فَاسَتَجَدُّمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُونُواَ أَنْسُكُم مَّا آذَا بِمُصْرِّحِكُمْ وَمَا آلُتُم بِمُصْرِحِيَّ ... (إدايم: ١٢٢). ١٥ - مَّا أَلْمُ هَدُّتُهُمْ خَلْقَ آلسَّمَاوَ اتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ...

أى: ما أشهدت هؤلاء الشياطين ، خلق السماوات والأرض : فأننا الملك الخالق الرازق الموجود ، بيدى الخلق والأمر ، والإيجاد والإعدام والهداية والضلال .

فالعبادة والطاعة ينبغى أن تتوجه لى وحدى ؛ قال تعالى : الْحَمَّدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلْقَ السَّمَــُو الرَّارُ صَ وَجَعَلَ الظَّلَمَـنِّت وَالتَّهِرُ فُمَّ اللِّينَ كَفَرُوا برَبِّهِمْ يَصَالُونَ. (الأنعام: ١).

فهو خالق الكرن كله ، وموجده من العدم ، ولكن الذين كفروا يعدلون ويتركون عبادة الله ، إلى عبادة أوان أن شياطين ؛ لم تخلق ولم ترزق ؛ فالا تستحق العبادة .

وَلا خَلْقُ أَنْفُسِهمْ . أي : لم أشهد بعضهم خلق بعض ؛ فهم عبيد أمثالكم ، فكيف تعبدونهم ١٩

وقصارى ذلك : ما أطلعتهم على أسرار التكوين ، وما خصمستهم بخصائص لا تكون لسواهم ؛ حتى يقتدى الناس بهم ، فأنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبّرها ، ليس لى فى ذلك شريك ولا وزير .

وَهَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضْدًا.

أي: لم أتخذ الشياطين أعوانا لي في الخلق، فكيف تطيعونهم من دوني ؟!

والله سبحانه وتعالى غنى عن الناس أجمعين ، وليس له أهوان لا من المضلين ولا من المهتدين ؛ وإنما خص المضلين بالذكر : زيادة في نمهم ، وتوبيخهم ، وتقريما لأمثالهم .

أى : كيف تعبدون الشيطان وهو ضال مضل ، وليس له فضل عليكم : بل هو مخلوق مثلكم ، وأنا لا أتخذه مساعدًا بعضًّندي ويقويهني .

· والمُضُدُ بفتح العين وضم الدال : في الأصل يطلق على العضد المعروف ما بين المرفق إلى الكتف ، ويستمار للمعين والناصر ، فيقال : فلان عضدى أي : نصيرى .

ومنه قوله تعالى لنبيَّه موسى : سَنَشَدُ مُطَنَّلَهُ بِأَخِيكَ ... (القمس : ٣٥) ، أي : سنقويك ونعينك بأخيك هارون ؛ وذلك لأن اليد قوامها العضد ، فإذا فقدته ؛ أصالها العجز .

٧ ٥ - وَيُوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَاءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا يَيْتُهُم مُوْبِقًا .

أى : وانكر أيها الرسول الكريم ، يوم يقول الله تعالى للمشركين على سبيل التبكيت والتقريم : اطلبوا من عبدتموهم فى الدنيا ، وزعمتم : أنهم شركائى ؛ ليشفعوا لكم من هول هذا اليوم ، وينقذوكم من العناب ، فاستفائرا بهم فلم يغيثرهم . وَجَعَلْنَا يَتَهُم مُّوَّاهًا . أي : حاجزًا من الناريهلك من دخل فيه .

قال ابن عباس: مهلكا ،

وقال قتادة : مَّوْبِقًا : واديًا في جهنم .

قال ابن کثیر:

و المعنى : أن الله تعالى بين أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين ، ولا وصول لهم إلى آلهتهم ، التى كانوا يزعمون فى الدنيا ، وأنه يفرَق بينهم ويينها فى الآخرة ، فلا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر ، بل بينهما ميلك ، وهول عظيم ، وأمر كبير .

قال تعالى: وَآمَتَازُواْ ٱلْيُوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ. (يس: ٥٩).

وقال تعالى : وَقَيْلَ ٱذْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَلَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَعِيبُواْ لَهُمْ . . (القصص : ٦٤) .

وقال سبحانه : وَأَتَحَدُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ عَالِهَةَ لَبُحُونُواْ لَهُمْ عِزَّا هِ كَلَّا سَيْكُمُ وَنَ بِعِنادَيهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًا، (مريم: ۲۰۸۱)

٣٥- وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظُلُواۤ ٱللَّهُمْ مُّوافِئُوهَا وَلَمْ يُجِدُواْ عَنْهَا مَعْمِولًا.

شاهد المجرمون جهنم ، ورأوها تتلمظ غيظا على من عصى الله : فتيقنوا أنهم داخلون في لهيبها ، ولم يجدوا وسيلة للابتماد عنها .

و في آية أخرى ، ذكر القرآن : أن النار إذا شاهدت المجرمين ؛ سمعوا لها أصواتا من الغضب والرغبة في العقوبة ؛ قال تعالى : إِذَّا رَأْتُهُم مِّ مُكَانِ بَعِيدٍ مَهِمُواْ لَهَا الثَّيْظَا وَرُقِيرًا . (الفرقان ١٢٠) .

لقد أفادت الآيات السابقة : ضلال إبليس وتكبره عن السجود لأدم ، وحذرتنا من موالاته وهو عدى لنا، وبينت : أن هؤلاء الشركاء ، لم يشاركوا ولم يشهدوا خلق السماء والأرض ، وأنهم سيكرنون أعداء للعابدين يرم القيامة ، وأن الكافر إذا شاهد الذار : تيقن بدخولها ، وذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم ، فإن ترقح العذاب ، والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز .

ليت عبدة الشهطان ، يستوعبون هذه المحانى : حتى يفيقوا ويرجعوا إلى رشدهم ويدركوا أنه ليس لهم بات سوى بات الله ، فمن وجد الله : وجد كل شيء ، ومن ققد الله : فقد كل شيء . ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَا فِي هَذَا الْقُرْهَ انِ لِلنَّاسِ مِن حَيْلِ مَثَلٍّ وَكَانَ ٱلإِنسَانُ أَحَثَرَ شَيْءِ جَدَلا ۞ وَمَا مَنَعُ النَّاسَ أَن يُوْمِئُواْ إِذَ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَهُمْ إِلَّا أَن تَالِيمُمْ سُنَةٌ ٱلْأَوْلِينَ أَوْيَالِيَهُمُ الْعَدَابُ قُبُلا ۞ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسِلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُعَنذِرِينَ وَهُجَدِلُ ٱلْمُرْسِلِينَ إِلَّامُ مَشِيرِينَ وَهُمَا أَنْهِ وَمُعَلَيْ وَهُمَا أَنْهُ وَمُؤَلِّ وَلِي اللَّهُ مَنْ وَهُمَ الْمَدَّىٰ وَهُمَا أَنْهُ وَوَالْمَا الْمَالَةُ وَالْمُحَمِّدُ وَلِي اللَّهُ مَن مَنْ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ مَنْ عَلَيْ وَلَيْكُوا فِي اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا مَنْ اللَّهُ الْمَالُولُ وَلِي اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَيْكُولُ وَلِي اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُعُلِّلُولُولُولُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَالْمُولُولُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْمُولُولُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولُولُ وَالْمُعْمُولُ وَالْمُولُولُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُولُ اللَّهُ وَالْمُولُولُولُولُ اللَّهُ وَالْمُولُولُ وَالْمُعْلِلِ اللْمُؤْلِقُ اللْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُولُ وَالْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُولُولُولُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُؤْمِلُولُ اللَّهُ اللَّلِلْمُ اللْمُؤْمِلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ

### المطردات ،

صبرهبنسا، رددنا وكررنا.

البحيثيل؛ الصفة الغريبة .

السجسدال؛ المنازعة بالقول، ويراد به هنا: المماراة والخصومة بالباطل.

ستبة الأولين؛ الإهلاك بعداب الاستئصال.

لينحضوانه العق اليغلبوا به الحق ويبطلوه ويزيلوه.

ومسا السندرواء أي : ما خوفوه من أنواع العقاب.

ولسي ماقدمت، لم يتدبر عواقيه .

اكسنسة، أغطية واحدها: كذان.

أن يسطمة بهوه ؛ أن يفهمون .

وقسسسراء ثقلا في السمع.

مصوعصاناء يوم القيامة .

محمولمسلاء ملجأ ومنجى.

السقسرى، قرى عاد وثمود وقوم لوط وأشيامهم.

### تمهید :

التفسيره

ذكر القرآن: شبهات المبطلين وردٌ عليها بأنلة لا تُدحض ، ثم قفى على ذلك ، ببيان: أن فى القرآن الكريم من الأدلة والأمثال ، ما فيه مقنع لمن رغب فى الإيمان ، لكنها القلوب قد تحجرت ، فلا تستجيب للهدى ، ولا تنفعها النصيحة . ولى يزاكذهم الله بلنويهم : لعجل لهم العذاب ، لكنه أمهلهم إلى يرم القيامة : لعلّهم أن يتوبول

\$ ٥- وَلَقَدْ صَرَّ فَعَا فِي هَلْلَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلُّ مَثَلَ ...

هذه الآية شهادة من الله ، بأنه أنزل كتابه على نبيه محمدًا ﷺ ، وأن هذا الكتاب قد بيّن الله فيه الأمور ووضعها ، وكرر وردد آداب القرآن وأمثاله ؛ رغبة في إرضاد الناس وهدايتهم ؛ كيلا يضلُوا عن الحق.

وَكَانَ ٱلإِنسَانُ أَكْثَرَ هَيْءٍ جَدَلًا.

ومع هذا البيان فإن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة ، والمعارضة للحق بالباطل إلا من هدى الله. ويصرّره بطريق النجاة .

روى البخارى ، ومسلم ، والإمام أحمد عن على بن أبى طالب: أن رسول الله ﷺ طرقه هو وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة ؛ فقال : وألا تصليان؟ وفقات : يا رسول الله ، إنما أنفستا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا ؛ بعثنا ؛ فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إلى شيئا، ثم سمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول : وَكُالُ آلائسُنْ أَكُرُ شَيْء جَمَّلًا ٢٠٠٠ .

٥ ٥- وَمَا مَنَعَ آتَنَاسَ أَن يُلِمِنُواْ إِذ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبُّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَرَّلِينَ أَوْ يَأْتِيهُمُ ٱلْفَدَابُ ثُبُّلًا.

أى : وما منع كفار مكة من أن يؤمنوا بالله حين جاءتهم البينات الواضحات ، والدلالات الظاهرات، وعلموا صحة ما تدعوهم إليه ، وأن يستغفروا ريهم بالترية ، عما فرط منهم من الذنوب: إلا تعنتهم وعنادهم، الذي جعلهم يطلبون أحد أمرين :

١ - إما عداب الاستتصال الذي أهلك الله به المكنبين السابقين.

٢ - وإما أن تأتيهم أنواع العذاب والبلاء يتلوا بعضها بعضاء حين وجودهم فى الدنيا، كقولهم: أثبّنا بعَذَابِ
 آلله إن كُنتَ مَنَ ٱلصَّلَيْقِينَ . (المنتجرت: ٢٩) .

# قال صاحب الظلال:

لقد جاء من الهدى ما يكفى للاهتداء ، ولكنهم كانوا يطلبون أن يحلُّ بهم ما حل بالمكنبين قبلهم من هلاك - استبمادًا لوقوعه واستهزاءً - أو أن يأتيهم العذاب مواجهة يرون أنه سيقع بهم ، وعندتذ فقط يوقنون فيؤمنون ، ا ه ..

وقريب من هذا المعنى قوله تعالى:

وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمْ إِن كَانَ هَلَمَا هُوَ ٱلْحَقِّ مِنْ عِيلِكَ فَأَمْعِلِ عَلَيْنَا حِجَارَةً مّن ٱلسّمّاءِ أَوِ ٱلْعِنَا بِعَلَامِ أَلِيم. (الأندال: ٢٧).

وحكى القرآن قولهم : فَأَشْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلمَّلْلِقِينَ . (الشمراء : ١٨٧) .

٣ ٥- رَمَا لُوْسِلُ ٱلْمُوْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُعلِدِينَ وَيُجَلدِلُ ٱللَّذِينَ كَفُرُواْ بِٱلْبلطِل لِلدَّحِشُواْ بِهِ ٱلْحَقِّ ...

أى: لم نرسل الرسل؛ ليقترح عليهم الكفار ألوان العذاب ، أن يطلبوا منهم سقوط أنواع العذاب : تعتنا واستهزاء ، وإنصا أرسلنا الرسل ؛ ليشرحوا حقيقة الإيمان ، ويبيشروا المؤمنين بالجنة ، ويندروا الكفار بالنار ومع هذه الرسالة الواضحة ، فإن كفار مكة كانوا ينصرفون عن صمهم الهدى ، ويقترحون على النبي الله البائنا من الاقتراحات ، كزحرحة الجبال عن مكة ، أو تفجير ينابيع الأرض ، إلى غير ذلك ، وأحيانا يسألون النبي الله أسئلة ، مثل سؤاله عن قصة أمل الكهف ، وعن ذي القرنين ، وعن الروح ؛ من باب الجدال بالباطل، وانصرافًا عن هدايات القرآن الكريم .

وَٱتَّتَخَذُوٓا ءَايَلتِي وَمَاۤ أُنلِرُواْ هُزُوًا .

أى: اتخذوا للحجج والبراهين ، وخوارق العادات التي بعث بها الرسل، وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب هُزُوُ الى: سخروا واستهزءوا بالرسل ، وهو أشد ألوان التكذيب والاستخفاف ، قال تعالى : وَقَالَ ٱلْرُّسُولُ يُهُرِّبُ إِنْ قُوْمِي آتَخُذُواْ خَذَا ٱلْقُرْجَانَ مُهِجُورًا . (الفرقان : ٣٠) . أي : أعرضوا عن القرآن واستخفوا به .

٧٥ - وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكَّرَ بِكَايَكْتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَسِيَ مَا قَلَّمَتْ يَدَاهُ ...

أى : لا أحد أشد ظلمًا من إنسان ، حمل إليه الرسول الموحى إليه آيات الله، كالوحى والرسالة والبينات، فأعرض عنها ، ولم يتدبرها ولم يتعظ بها ، ونسى ما عمله من الذنوب والمعاصى والكفران ، ولم يتدبر عواقبه .

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّهُ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَفْرًا ...

إن هزلاء الكافرين لا يرجى منهم هداية ولا إيمانا اذلك جعل الله على قلوبهم أغطية وحجابا : فلا تنفذ معانى القرآن وآدابه إلى قلوبهم ، وجعل على آذانهم صمما معنويا عن سماع الرشاد .

وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓ أَ إِذًا أَبَدًا .

أى: مهما دعوتهم إلى الإيمان والهداية فلن يستجيبوا لك ؛ لأنهم فقدوا الاستعداد لقبول الرشاد، بما اجترحوا من الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى : كُلاّ بَلاّ رُأنٌ زَانَ عَلَىٰ قُلْرِيهِم مَّا كَانُوا أَيْكُسِونَ . (المطنفين: ١٤٤)

٥٨ - وَرَبُّكَ ٱلْفَقُورُ ذُو ٱلرُّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِلُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجُّلَ لَهُمُ ٱلْعَلَابَ ...

إن رحمة الله واسعة ، وفضله عظيم ، ويأبه مفتوح للتأثيين ، ظل أن هؤلاء المشركين تابوا وأنابوا: لغذ الله لهم .

وهو سيمانه يمهل ولا يهمل ، ويترك الكفار والعصاة زمانا طويلا ؛ لعلهم أن يتوبوا ويؤمنوا .

ولو قابل الله عنادهم وكفرهم وجمودهم آيات الله بما يستحقون : لأنزل بهم العذاب عاجلا كما فعل مم أمم سابقة ؛ عجل لها عذاب الدنها .

قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . (الأنفال : ٣٧) .

فقد أكرم الله كفار مكة برسالة محمد ﷺ ولم ينزل بهم العذاب؛ لوجوده بينهم من جهة، وأملاً في استفارهم وثويتهم من جهة أخرى .

بَلِ لُهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِلُواْ مِن دُونِهِ مَوْثِلًا .

موعد في الدنيا يمل يهم فيه شيء من العذاب ، وموعد في الآخرة يوبُّون فيه الحساب ، ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا مكان يعتمسون به ، ولا ملجاً يلتجنون إليه .

٥ - وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكُنْكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مُؤْعِدًا .

أى: هذه القرى الماضية التى آصر أملها على الكفر، كقوم نوح والذين من بعدهم: أملكهم الله بعداب الاستئصال ، وجعل لهلاكهم موعدا لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون ، وفي هذه الآية تهديد لكفار مكة ، فلا يغرنهم إمهال الله لهم ، فإن موعدهم بعد ذلك أت ، وسنة الله لا تنتظف ، والله لا يخلف الميعاد.

# قصة موسى والخضر

﴿ وَإِذْ فَالَ مُوسَىٰ لِفَتَ مَا لَا آجِرَحُ حَقَّ أَبَّلُغَ مَجْمَعُ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْأَمْضِي حُقُّبًا الله فَكُمَّا بَلَفَ الْجَمْعَ بَيْنِهِ مَانَسِياحُوتَهُمَافَأَتَّخَذُ سَبِيلُهُ فِي ٱلْبَحْرِسَرَيَا اللهُ فَلَمَّاجَاوَزَا قَالَ لِفَتَسَهُ ءَائِنَا غَدَآءَ نَا لَقَدْ لَقِيمَا مِن سَفَرِنَا هَلَا اَضَبَا ٣٠ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوْيُنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِي نَسِيتُ ٱلْحُوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَنُ أَنْ أَذَكُرُهُ, وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ. فِي ٱلْبَحْرِعَيَا اللَّهِ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّاعَلَىٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَيصًا ١١ فَهُجَدَاعَدَاعِنْ عِبَادِ نَاءَانَيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمَا ۞ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّاعُلِّمْتَ رُشْدَاهُ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿ وَكَيْفَ نَصْبرُ عَلَى مَالْمَ يُحِطْ بِمِحْبُرًا ١٠ قَالَ سَتَجِدُنِ إِن شَاءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ١٠ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْلُ اللَّ فَاصْلَقَاحَةً آ إذَا رَكِمًا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِنُعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ حِثْتَ شَيْنَا إِمْرًا ١١٠ قَالَ أَلَمَ أَقُل إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا ﴿ قَالَ لَا ثُوَّا خِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْجِقَنِي مِنْ أَمْرى عُسْرًا اللهُ فَأَضَلَقَاحَقَّ إِذَا لَقِيَاغُلُكُمُ فَقَنَلُهُ وَ إِل أَقَنَلْتَ نَفْسًا زُكِيَّةً بِفَيْرِ فَفْس لَّقَدْ جِنْتَ شَيْئًا **♦**₩ (\$\(\frac{1}{2}\)

المفردات :

لاأيسسرع، لا أزال سائرا.

حــق باد الحقب (بضمتين ، ويضم فسكون) الدهر ، وقيل : ثمانون سنة ، وعن الحسن : سبعون .

مجمع بينهما: مكان اجتماع البحرين ، عند دمياط أو رشيد .

ســـريـــا: مسلكا .

غب مناء الخداء: الطعام الذي يركل أول النهار، أو هو طعام الغداء في منتصف النهار، والمراديه هنا: الحوت.

تصحيحا: تعبًا ، وإعياء .

أويــــــــــاء التجأنا.

نييشي، نطاب.

ارتـــــــد، رجع .

على أثارهما على طريقهما الذي جاءا منه .

قصصـــــا، اتباعًا ، أي : رجِّعا ينتبعان أثرهما عائدين .

رحسمسة، قيل: هي النبوة، أو الولاية.

الـــرشـــد، (بضم فسكون أو بفتحتين) إمماية الخير.

الإحاطة بالشهود معرفته معرفة تأمة.

السخسيسر، المعرفة.

دكـــانا .

إســــاه بكس الهمزة : منكرًا .

لا تسره تسلس: لا تحملني ولا تكلفني مشتة.

السعسسرة شداليس وهو المشقة.

زاكسيسة؛ طاهرة من الذنوب.

بغيرنفس: بغير حق قصاص لك عليها.

السئكسر؛ المنكر الذي تنكره العقول ، وتنفر منه النفوس.

# تمهيد حول قصة موسى والغضر،

- (أ) موسى: هو كليم الله ، وهو موسى بن عمران ذبيّ بنى إسرائيل ، صاحب المعجزات الظاهرة ، والشريعة الباهرة .
  - (ب) لتى موسى : هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليه السلام ، وقد كان يخدمه ويتعلم منه .
- (ج.) المُحضر: بفتح الشاه وكسرها ، وكسر الضاد وسكونها ، لقب لصاحب موسى ؛ قيل : إنه كان نبيا ، وقيل: كان عيدًا صالحًا وقيل : وليًّا .

- ( د ) مجمع البحرين: هو المكان الذي يجتمع فيه البحران ويصيران بحرًا واحدًا وفيه ثلاثة آراء:
- ١ ~ عند ملتقى بحرى فارس والروم ، (ملتقى المحيط الهندى والبحر الأحمر عند باب المندب .
- ٢ عند ملتقى البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي عند مضيق جبل طارق أمام طنجة.
- 7 قال برهان الديني البقاعي في تفسيره: (نظم الدرر في تناسب الأبات والسور): إن سياق القصة يفيد: أن الأرض كانت رملا لا علاقة فيها ، فالظاهر والله أعلم أنها مجمع النيل والملح عند دمياط أن رشيد من بلاد مصر.
- (هـ) في القصة بيان التواضع في طلب العلم وتحمل المشقات في سبيله ، وفهه دليل على أن التواضع خير من التكبر ، وفيها رد على أغنهاء مكة الذين أنفوا من مجالسة فقراء المسلمين .

# قصة موسى والخضر كما في الصحيحين

عن أميّ بن كعب عن رسول الله على أنه الله والله على أنه المام الله الله الله الله: أنّ لى عبدًا يمجمع البحرين أعلم ؟ فقال: أنا : فعتب الله عزبًا وب عليه إذ لم يردّ العلم إليه ، فأرحى الله إلهه: أنّ لى عبدًا يمجمع البحرين في أعلم منك ، قال موسى : يا رب فكيف لى به ؟ قال : تأخذ حرتًا فتجعله في مِكْثل فحيثما فقدت الحوت؛ فهودمٌ ، فانطلق موسى : ومعه فقاه (يوشع بن فون) حتى إذا أتيا المدخرة وضعا رموسهما فناما واضطرب فهودمٌ ، فانطلق موسى : ومعه فقاه (يوشع بن فون) حتى إذا أتيا المدخرة وضعا رموسهما فناما واضطرب الموت في البحر ضياً به فضوح منه فقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سريًا ، وأمسك الله عن الحوت جرية عمل المطاق ، فلما المعتقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سريًا ، وأمسك الله عن الحوت جرية حتى إذا كان من الخد قال موسى لفتاه : وكيّا فكتاءً لا أقد أقيّا بن شهّرٍ لا فكنّا لفجًا . قال : ولم يجد موسى المنصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ؛ فقال فقاء : أويّت إذّ أويّقًا إلى المشخرة في يُني نبيث آلمُوت وَمّا أنسائيهُ ولا الله الموسى وفقاه عجبًا فقال موسى: ولا الله كما كنا نبح فارته عليه على الموسى وفقاه عجبًا فقال المصرة فإذا هو مسجى بثري فسلًم عليه موسى فقال الخضر : وأنّى بارضك السلام الله علم عن علم الله لا تعلمه مقاليه علم من علم الله لا تعلمه ، فقال ان على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه ، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه ، فقال موسى: سَتَوَجلاً لن مَثالًا للهُ مَالِوً الْ أَنْ اللهُ عَلَى المؤسى المفال فعري المؤس الموسى: سَتَوجلاً لكن مَثالًا ما المنا لله المحمد مقال المخصر : فأن فإن الإن المناق عملهم فعرفوا الخضر فحملهم بغير ذوّل - فانطلقا يمشيان على الساحل فعرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملهم مغير ذوّل -

#### تبيـه :

قال العلامة القرطي: كرامات الأنبياء ثابتة على ما دلت عليه الأهبار والآيات المتواترة ، ولا ينكرها إلا المبتدع الجاحد أن الفاسق الحائد ، فالآيات ما أهبر الله تعالى في حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية في الصيف ، والصيفية في الشتاء ، وما ظهر على يدما حيث هزّت النخلة وكانت بابسة فأثمرت ، وهي ليست بنبية ، ويدل أيضًا ما ظهر على يد الخضر من هرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار . ا هـ . ™ .

## التطسيره

• ٦ - وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَلَهُ لَآ أَبْرَتُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِي خُقُبًا .

أى: واذكر أيها الرسول حين قال موسى بن عمران لفتاه يوسّح بن نون: لا أزال أمشى حتى أبلغ مكان اجتماع البحرين وتلاقيهما ، أن أسير دهرًا .

وسبب قوله هذا : أن الله أوحى إليه أن عبدًا من عبادى بمجمع البحرين عنده من العلم مالم تحط به؛ فأحب أن يرحل إليه .

ومجمل الأمر: أن موسى وَطُنْ نفسه على تحمل كل منفقة ؛ في سبيل الوصول إلى رجل صالح أكثر علما من موسى ، وكان موسى قد خطب وأجاد الفطبة ؛ فقال له أحد المستمعين: ما أفصحك يا نبيّ الله! هل في الأرض من هو أكثر علما منك ؟! قال موسى : لا ، فقال الله : تأدب يا موسى ، إن في الأرض من هو أكثر منك علما : قال موسى : دلّني عليه يا رب : حتى أتعلم منه . فأمره الله أن يسير ومعه حوت في مكثل وكان الحوت ميتا مملحًا وعندما تدبّ الحياة في الحوت ويلقى بنفسه في البحر فثمّ الحيد الصالح .

٦ ٦ - فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ يَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱلْحَذَ سَيِلَةٌ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا.

وسار موسى ويوشع بن تون حتى وصلا إلى ملتقى البحر الأحمر والأبيض ، أن ملتقى النيل والبحر الأبيض ، أو التقاء بحرين لا تعلمهما ، وإنما جعلهما الله وسيلة لرزية العبد الممالح ، فقد أمره الله بالرجلة, وجعل له أمارة لمعرفة المكان المجهول لموسى .

وعند صخرة قرب مجمع البحرين نام موسى عليه السلام ، وأمطرت السماء فانتقض الحوت وقفز إلى الماء ، وكان هذا آية من آيات الله لموسى عليه السلام ، أن تدب الحياة في حوت ميت مملم .

ورأى يريشع بن نون هذه العجائب ، من دبيب الحياة فى الحوت وانتقاضه ، وتسريه إلى الماه وسيره فيه ، ثم نسى أن يخبر موسى بذلك .

٣٢ - فَلَمَّا جَاوَزًا قَالَ لِفَعَلَهُ ءَائِنَا غَنَاءَنَا لَقَدْ تَقَيْنَا مِن سَفَرِنَا هَلَذَا نَصَبًا .

لم يحس موسى بالقعب : إلا بعد أن ترك المكان الذي تسرب منه الحوت إلى البحر، ثم سار سيرا طويلا واستراح ، وطلب من تابعه أن يعدّ لهما الفداء بعد هذه الرحلة المضنية ، وكان الغداء من الحوت المملح ، والنمس : هو القعب . أي : قال موسى : لقد تعبنا من السير في هذا السفر ؛ فقدم لنا ما نأكله .

٩٣- فَالْ أَزَمَاتَ إِذْ أَوْلِنَا إِلَى آلصَّحْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ آلْحُوتَ وَمَا أَسَسْبِهُ إِلَّا آلشَّهَ لَمَنْ أَنْ أَذْكُرُهُ، وَآلَّتَ خَلَّ سَبِلَهُ، فِي آلْهُ خِرَعَتِناً .

أي: قال يوشع بن نون: أرأيت ما حدث لى حين التجأنا إلى الممخرة التي بمجمع البحرين ، لقد دبت الحياة في الحوث فانتفض إلى البحر وسار فيه بصورة عجيبة ، وقد نسيت أن أخيرك بهذا الأمر في حينه وما أنساني ذكره إلا الشهطان .

\$ ١- قَالَ ذَا لِكَ مَا كُنَّا لَبْعِ فَآزُتَدًا عَلَىٰ عَاثَارِهِمَا قَصَصًا .

أى: قال موسى : ذلك الذي ذكرت من أمر الحوت ؛ ما كنا نطلبه من حيث إنه أمارة للفوز بما هو المقصود بالذات ، فرجعا في نفس للطريق الذي قدما منه يتبعان أثرهما اتباعا حتى آتيا الصحرة .

وقد رجح الإمام البقاعي أن مجمع البحرين هو مجمع النيل والبحر الأبيض المتوسط عند دمياط أو

رشيد، ويؤيده نقر العصفور في البحر الذي ركب في سفينته التعدية كما ورد في الحديث فإن الطير لا يشرب من الماء المالح .

لقد أحس موسى بقرب الوصول إلى الهدف ، فعاد إلى الصخرة بمجمع البحرين .

١٥ - فَوَجَلَا عَبْلًا مَّنْ عِبَادِلَا ءَاتَيْنَا أَوْحَمَةً مِّنْ عِبدِنَا وَعَلَّمْنَا أَ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا .

فوجد موسى عند الصنغرة رجلاً مسجى يثوب، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام؟ فقال: أننا موسى ، فقال: موسى ينى إسرائيل ، قال: نعم .

وقد أعطى افله الخضر الكرامة ، ووهبه نعمة عظيمة وفضلا كبيرا ، وعلَّمه علمًا خاصا لا يُنال إلا بتوفيق من علام الفيوب .

وقد رجح بعض المفسرين أنه نبى ، والصحيح أن الخضر عليه السلام ليس بنبي ّ: وإنما هو من عباد الله الصالحين ، وأوليائه المقربين ، وقد أظهر الله على يديه هذه الكرامات ، والأمور الغيبية : تعليما للخلق فضل العبودية الحقة لله .

### قال العلماء :

هذا العلم الرياني ثمرة الإخلاص والتقوى ، ويسمى : (العلم اللّدَني) يورثه الله لمن أخلص العبودية له ، ولا ينذال بالكسب والمنشقة ، وإنما هو هبة الرحمان لمن خصّه الله بالقرب والرلاية والكرامة .

قال صاحب الجوهرة في منظومة فنية في علم التوحيد:

ومنن تقاها فاتبلن كلامه

وأثبتهن للأوليهاء الكسرامة

وقد بين القرآن الكريم: قيمة العمل الصالح في آياته الكثيرة.

قال تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَدْتِ إِنَّا لَا نُعْمِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً . (الكهف: ٣٠) .

وقال سهمانه : وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلْصَّلْلِحِينَ . (آل عمران : ٣٩) .

وقال عن أهل الكهف: إِنَّهُمْ التَّيَّةُ عَامَتُواْ بِرَاهِمْ وَزِدْلَاهُمْ هُدِّى. (الكهف: ١٣).

وقال سبحانه : وَلَقَدْ كَتَبَّنَا فِي آلزُّهُورِ مِنْ بَعْدِ آلذُّكْرِ أَنَّ آلأَرْضَ يَرِنُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّلْلِحُونَ . (الانبياء: ١٠٥).

قال العلماء:

وقفت النُّبِيُّة أمام العبد الصالح في كتاب الله مرتين :

الأولى: عندما وقف رُكريا فوجد عند مريم أرزاقا في غير أوانها: قَالَ يَنْمَرُيُّمُ أَلَىٰ لَكِ هَلَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهُ يَرُوُقُ مِن يَشَاءُ بِغَيْر حِسَابِ مِ هُمَالِكَ دَعَا زَكْرِيًا رَبُّهُ: ... (ال عدان : ٢٧) .

الثانية: عندما وقف موسى رسولُ الله أمام العبد المسالع يقول: قَلْ أَتَبِعُكَ عَلَيْ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلَمتُ رُشْكًا. ٣- - قَالَ لَهُرُ مُوسَىٰ هَلَ أَرْبُعُكَ عَلَيْ أَنْ ثُعَلَمْن مِمَّا غُلَمْتَ رُشْدًا .

أي: هل تأدن لي وتسمح لى أن أكون رفيقا تابعا لك: حتى أتعلم منك ما يرشدني في حياتى ؟! وهذا أسلوب في غاية الترفق والتأدب من طالب العلم ، وفيه أدب التواضع ، والرغبة في صحبة المسالحين ، والرغبة في طلب العلم ، وأن الكبير لا يعيبه أن يتعلم من الصغير جانبا من المعرفة ليس عنده ، فالفاضل يتعلم أحيانا من العاضل من المفضول ، وموسى هو كليم الله ، الذي أوتى الألواح ، وهو من أولى العزم من الرسل ، وله ماض كبير في الجهاد والنضال والدعوة ، وأكنه يصرّ على تعلم نوع من العلم ، عند الشفس عليه السلام .

٣٧- قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

أى: قال المُضر لموسى: إنك لا تستطيع أن تصبر في صحبتي ، فأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من الله علمكه لا أعلمه .

٦٨ - وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُعِطُّ بِهِ عُبْرًا .

أى : وكيف تصبر يا موسى على أمور أعملها أنا ؛ طواهرها منكرة ، ويواطنها مجهولة ، والرجل الممالح لا يتمالك إذا رأى ذلك بل يبادر بالإنكار .

٩ ٩- قَالَ سَتَجِدُلِيٓ إِن هَاءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْمِي لَكَ أَمْرًا .

قال مرسى : سألتزم الصبر والطاعة إن شاء الله ، وإن أعصى لك أمر؛ تأمر به ، وهنا نجد أدب موسى حيث قدّم المشيئة كما قال تعالى : وَلاَ تُقُولُنُ لِشَاعُةٍ إِلَى قَاعِلُ ذَالِكَ غَلَاهِ إِلاَّ أَن يُشَاءَ ٱللَّهُ ... (الكهف ٢٧ ، ٢٤). · ٧- قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَى فَلَا تَسْتَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا .

أى: لا تسألنى عن شيء من تصرفاتي ، حتى أبين لك سر ذلك بنفسي في وقت لاحق ؛ فنجد أن العبد الصنالح قد اشترط لنفسه الشرط المناسب ، وقبل موسى ذلك الشرط في تواضع .

١ ٧- فَٱلطَلْقَا حَتَّى إِذَا رَكِبًا فِي ٱلسَّفِيئَةِ حَرَقَهَا قَالَ أَحَرَقْتَهَا لِتُعْرِقَ أَهْلَهَا أَقَدْ جِنْتَ شَيْنًا إِمْرًا.

أى: انطلق موسى والخضر في طريقهما ، وشاهدا سفينة عرف أهلُها الخضر عليه السلام ؛ فسمحوا لهما بالركوب بدون آجر: تكريما لهما ، وفي وسط البَحر، تناول الخضر فأسا وخلع لوحا من السفينة .

وأنكر موسى على الخضر هذا العمل ؛ الذي يؤدي إلى غرق السفينة بمن فيها .

يروى : أن مرسى لما رأى ذلك ؛ خلع ثوبه فجعله مكان الغرق ، ثم قال للخضر : قوم حملونا بدون أجر : عمدت إلى سفينتهم فخرقتها : لتغرق أهل السفينة : اقد فعلت أمرا منكرًا عظيمًا أن عجبا ا

٢ ٧- قَالَ أَلَمْ أَقَلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

أى: قال الخضر لموسى مذكرًا له بما سبق ، وأن الخضر معه علم لا يعرفه موسى ، وأن موسى لن يستطيع المبير على أفعال الخضر ، وأن الخضر قد اشترط على موسى ألا يسأل عن شىء إلا بعدُ فترة ، ثم سيتكل الخضر نفسه يشرح الأسباب لموسى عليه السلام .

٧٣- قَالَ لَا تُواعِلْنِي بِمَا لَسِيتُ وَلَا تُرْهِفْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا.

كانت الأولى من موسى نسيانا ؛ لذلك قال للعضر: لا تزاكذني بما نسيد ، وغفلت عن التسليم لك ، وترك الإنكار عليك ، ولا تكلفنى مشقة ، ولا تضيرًق على في أمرى ، ولا تعسر على متابعتك ، بل يسرها بالإغضاء وترك للمناقشة .

ثم إن طبيعة موسى طبيعة انفعالية اندفاعية ، كما يظهر من تصرفاته في كل أدوار حياته ، ومن ثم لم يصبر على خرق السفينة ، ولم يستطع الوفاء بوعده الذي قطعه ، أمام غرابة الموضوع ، وأنكر على الخضر خرق السفينة في وسط البحر ؛ ومن ثم اندفع الخضر في هدوء يذكره بالوعد السابق ، فاعتذر موسى بنسيانه وقبل الخضر اعتذاره ٢٣٧.

\$ ٧- فَآنطَلْقَا حَتَّىٰۚ إِذَا لَقِيَا غُلَنْمًا فَقَتَلُهُ، قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةٌ بِغَيْرِ نَفْسٍ لْقَدْ رَفْتَ شَيًّا نُكُوًّا.

لقد سلمت السفينة من الغرق والعطب ، وظلت في ملك أصحابها المساكين ، وبزل الخضر وموسى إلى الهابسة ، وفي الطريق وجد الشضر صبية يلعبون ، ويينهم صبي جميل وضيء ؛ أخذه الخضر على جانب

. وألوكي رقبته وقطع رأسه ؛ وعندئذ غضب موسى وأنكر على الخضر أن يقتل نفسًا بريئة لم ترتكب جرما ولم تقتاء نفسًا ؛ لُقَدْ جُنتَ مُنِّاً لُكُرًا. منكرًا تنكره العقولي ، وتنفر منه النفوس .

لقد كان موسى ناسيًا في المرة الأولى ؛ اكنه في المرة الثانية كان متذكرًا ؛ لكن قتل النفس ؛ جعله يغضب وينكر على الغِضْر، وينكِّره بأن ذلك منكر.

\* \* \*

#### الخاتمة

تحدثنا عن قصة موسى والغضر فى الجزء الخامس عشر، والقصة بقية فى بداية الجزء السادس عشر، وتفيد هذه البقية: أن الغضر أعلن فراق موسى عليه السلام، ثم شرح له أسباب الأعمال الثلاثة على النحو الآتى:

- ١ السفينة التي غرقها الخضر عليه السلام ، كانت ملكا لمساكين يعملون في البحر ، ويتكسبون منها ،
   وهذاك ملك ظالم يغتصب كل سفينة كاملة صالحة : فعمد الخضر إلى أن يحدث بها عيبا ، ويساهم
   الجميع في سد الخرق ، ثم يتركها الملك: لأنها معيبة .
- الغلام الذي قتله الخضر، كان سينشأ كافرا فاجرًا، وقد روى الإمام مسلم: أن رسول اش 郷 قال: وإن
   الفلام الذي قتله الخضر طبع كافرًا، ولو عاش؛ لأرهق أبويه طفيانا وكفرا. (۳۰۰ .
- فهذا العمل مؤلم في الظاهر ، لكن الله أراد بالوالدين خيرا ؛ فقبض الغلام إلى جواره ، وعوضهما ذرية صالحة ، فيها الرحمة والرأفة والطهارة ومكارم الأخلاق .
- ٣ القرية البخيلة اللتيمة ، كان بها جدار متداع وتحته كنز من المال ، ولو وقع الجدار ؛ لتبدد الكنز ، وقد أصلحه انتضر بأمر الله ؛ حتى يكبر اليتيمان ويستخرجا كنزهما رحمة من الله وفضلا ، وإكراما للرجل المنالح في ذريته .
- والحمد شه الذي بنعمته تتم الممالحات ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد أشرف الكائنات ، ولَخر دعوانا : أن الحمد الله رب العالمين.

تمُّ يحمد الله تفسير الجزء الخامس عشر ويليه تفسير الجزء السادس عشر

ان شاء اللَّه



- (۱) جناء في المعباح المنير : (السبط) ولد الولد والجمع : أمباط مثل حمل وأحمال (والسبط) الفريق من الهود يقال للعرب: قبائل، وللهود: أسباط. ١١هـ . وهزالاء الأسباط هم إخوة يوسف ، وقد حكى القرآن أن يوسف رأى في منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وقد تحققت رؤيا يوسف حين أصبح رؤيرا لمصر ودخل إخوته عليه وسجدوا له مع والديه.
  - (۲) قال تعالى: ﴿وَرَوْ أَصَادَ اللهُ مِناقَ النبِينَ لِمَا البِيكُم مِن كتاب و حكمة ثم جاءكم وسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءالمروته وأخلتم على ذلكم إصرى قالوا أفرونا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (آل عمران : ٨١) .
    - (٣) أنظر تفسيره للآية ٨١ من سورة آل عمران . والآيات التي تتحدث عن الرسل والأنبياء .
      - (1) إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا :

رواه البخاري في المثاقب( ٣٥٣٥,٢٥٢٣) وسلم في القضائل (٣٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زارية فجمل الناس يطرفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة – قال – فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

(٥) العلة : الضرة ، العلات : الضرائر .

### (٦) الأنبياء أولاد علات :

رواه الهخارى فى أحاديث الأنبياء ( ٣٤٤٣،٣٤٤٣) ومسلم فى الفضائل ( ٧٣٦٥ ) وأبر داود فى السنة ( ٤٧٥) ) (٣٧٤٠-،٧٧٤٣) من حديث أبى هرورة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دأنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بينى وبيئه نبىء .

## (٧) هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى:

هذا اللفظ جزء من حديث طويل رواه البخاري (٥٦،٥ ٤٩،٥٠٤) ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٣٠،٢٣١)، والترمذي في كتاب المناقب حديث رقم (٢٥٥)، وأحمد في مسنده حديث رقم (٢٠٥؛ ٢،١١٤ ك٢،٨١٠،٢٤١).

(A) راجع المكي والمدني في القرآن ، في الإتقان للسيوطي ، أو البرهان للزركشي .

(٩) وهو متصوب على أنه مقعول مطلق يقعل مضمر تقتيرة : أصبح الله صبحانه .

- (۱۰) وهو قعل لازم تعلى بالباء ومصدره الإسراء ، ومعنى أسرى وسرى واحد ولكن مصدر أسرى الإصراء ومصدر سرى: السرى بوزن الهدى
- ( 1 ) فإيلائ : معموب على الشرقية وفي تتكيره تقليل مدة الاسراء ؛ لأن التحكير فيه متنى البعضية أي : في يعتن الليل ، ويظهر ذلك في قولك : صرت الليل ، وسرت ليلا أن أوقت الليل وأرقت ليلا .
  - (١٢) تفسير مقاتل بن سليمان .
- (۱۳) البخارى ، وقد ورد فيه أن عائشة سألت النبي عن أشد ما قفيه من التكليب فقال لها : لقد قفيت من قومك ما لفيت وكان أشد . ما لفيته من أهل عبد ياليل بالطائف .

(٤ ٤) حديث الإسواء:

رواه مسلم في الإيمان (١٦٢) من حديث أنس.

(۵۱) پجعله مستحیلا .

(٢ ٩) هي رؤيا عين أربها رسول الله صلى اللهم عليه وسلم ليلة أسرى به:

رواه البخارى في المذاقب (٣٨٨٨) وفي التفسير (٢٦١٦) وفي القدر (٢٦٦٣) والترمذي في التفسير (٣٨٢٦) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تدالى: ﴿وَوَمَا جَعَلنا الرَّوَا التَّي أَرِينَاكَ إِلاَ اشَعَ لَنَاسَ﴾ قال: هي رزيا عين أريها رسول الله صلى اللهم عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس قال : ﴿وَالشَّعِرَةُ المَامُونَةُ فِي الْقَرِآنَ﴾ قال : هي شجرة الزقوم.

(٧ ٧) هذا المعنى مقبس من كتاب الإسراء والمعراج ، للذكتور/ عبد الحليم محمود .

( ٨ ٩ ) الذكتور/ عبد الحليم محمود ، الإسراء والمعراج : ٧٧ .

(٩٩) لقد رأيتني في الحجروقريش تسألني :

رواه مسلم في الإيمان (٧٧) من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: طقد رأيتنى في المجر وليريش تسألذي مسرائي فسألتنى من أشياء من بيت المقدس لم أثبتها لكريت كرية ما كريت طلل قدا-- قال - فرفته الله في نقلر إليه ما يسألونى عن شئ إلا أنبائهم به وقد رأيتنى في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى ، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال طنورة ، وإذا عيسى اين مريد عليه السلام قائم يصلى أثري الناس به شبها عروة بن مسعود الثلقى ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشيه الناس به مساحيكم – يعنى : «نــه - فصانت العسلاة فأمتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد ، هذا مالك معاهب الذن فسلم عليه فالغلت إليه فبذأني بالسلام :

### (۲۰) ياسمك رب وضعت جنيي ويك أرفعه :

رياه البخاري في الدعوات (۱۳۲۰) وفي الترجيد (۱۳۲۷) ويسلم في الذكر (۱۳۷۶) من حديث أبي هريرة قال: قال الفني صلى اللهم عليه وسائم: إذا أوي أهدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداشاة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك رب وضعت جنبي ويك أرقمه، إن أمسكت نفسى قارحمها وإن أرسلتها فامفظها بما تحفظه به عبادك المسالحين».

## ( ٢ ٩) اللهم غارت النجوم وهدأت العيون :

قال الهيئمي في المجمع: عن زيد بن ثابت قال أصابني أرق من الليل فشكوت نلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «قل : اللهم، غارت النجوم وهدأت العيرن وأنت حي يا قييم، يا قييم أنم ليلي وأمدئ ليلي، فثلثها فذهب عني. وقال : رواء الطبراني وفيه عمرو بن الحصين العقبلي وهو متروك . وذكر مالك في المرّطإ كتاب النداء للمسلاة فقال: و وحدثني عن مالك أنهم بلغهم أن أبا الدرداء كان يقوم من جوف الليل فيقول: نامت العيرن وغارت النجوم وأنت الحي القيرم . فذكره مكذا من قول أبي الدرداء . وقال الحافظ ابن حجر : لم أقف على من وصله ، ولا أسنده ابن عبد البُر مع تتبعه لذلك .... إلى . الفترحات الرياضة ٢/ ١٩٧٧.

### (٢ ٢) الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أمالنا :

رواه البخاري في الدعوات (٦٣٢٤،٦٣١٤) والترمذي في الدعوات (٣٤١٧) وأحمد في مسنده (٢٢٧٦٠) من

حديث حديثة بن اليمان قال كان النبى معلى اللهم عليه وسلم إذا أرى إلى فراشة قال: «باسمك أموت رأحياء وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيادًا بعد ما أماتنا وإليه النشور» . ورواه البخارى في الدعوات (٦٣٧) من حديث أبى ذر رضى الله عنهم قال : كان الذبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «اللهم باسمك أموت وأحياء فإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانًا بعد ما أماتنا وإليه الشغور» .

# (24) أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله :

رواه مسلم فى الذكر (٣٧٢٣) وأبو داود فى الأدب (٧٠ °) والترمذي فى الدعوات (٣٣٩ °) وأحمد فى مسنده (٤٤١٩) من حديث عبد الله بن مسعود قال: كان تبى الله مبلى اللهم عليه وسلم إذا أمسى قال: وأمسينا وأمسى الملك لله والمعد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: أراه قال فيهن: مله الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير رب، أسألك غير ما فى هذه الليلة وخير ما يعدما وأعوذ بك من شرما فى هذه الليلة وشرما بعدما . رب، أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر. رب ، أعوذ من عناب فى التار وغذاب فى القبر، وإذا أصبح قال: ذلك أيضنا : أصبحنا وأصبح الملك لله .

## (٤ ٤) اللهم لك انتشرت وإليك توجهت :

ذكره الهندى فى الكنز (١٩٧٣٣) فقال : عن أنس قال : لم يرد رسول الله معلى الله عليه وسلم سفرا قط إلا قال هين ينهض من جلوسه : «اللهم، لك انتشرت واليك ترجيت ويك اعتصمت . اللهم ، أنت ثقتى وأنت رجائى . اللهم، اكلنى ما أهمنى وما لا أهتم له وما أنت أعلم يه . اللهم ، زوينى التقوى واغفر لى ووجهنى للخير أينما ترجهت ثم يخرج. ونسبة لابن جريد .

### (۵۲) آيبون إن شاء الله تائبون عابدون حامدون:

رواه البخارى فى كتاب المديم (۱۷۹۷) ، وفى الجهاد (۴۰۶۸،۲۹۹ ) وفى المغازى (۱۱۹۵) وفى الدعوات (۱۳۵۵)، ووفى الدعوات (۱۳۵۵) وفون داده فى كتاب المديم (۱۹۵۵) وفون داده فى كتاب المديم (۱۹۵۹) وفون داده فى كتاب الجهاد (۱۹۲۸،۲۷۲،۵۱۹ و ۱۳۵۸،۲۷۲،۵۱۹ مالك فى المديم (۹۲۰) والديم نام داده والدارمى فى الاستئذان (۱۳۸۷) من حديث ابن عمد أن النبي معلى اللهم عليه وسلم كان إذا تقل كبر ثلاثا وقال: «أبيتون إن شاه الله وعده ونصر عبده وهذم الأحزاب وحده» .

#### (٢٦) ذكر المصدر؛ إزالة للشك، و تحقيقا للخير .

(٢٧) ويجوز أن تكون ما بمعنى: المدة ، أي : ما دام سلطانهم جاريا على بني إسرائيل ، انظر تفسير البيسايو وي .

(۲۸) هوعد الآخرفة: أى : وعد عفويتكم على العرة الآخرة على حلف مصاف، وجواب إذا محدوف والتقدير: فإذا جاء وعد الآخرة بعتاهم ليسوءوا وجوهكم. وحسن هذا الحدف؛ لدلالة جواب إذا الأولى عليه في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاء وعد أولاهما بعشا عليكم عباد لنا...﴾

### (٢٩) تفسير القمر الرازي ٢٩) .

(۳۰) تفسیر این کثیر : ۲۵/۳ .

٠ ( ٢٩) انظر عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير تحقيق أحمد شاكر ١ ( ٢٩) .

(۳۲) تفسير ابن جرير: ۱۷/۱۵.

(٣٣) الدكتور/ محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ٢/ ، ٣٦ .

(٣٤) الدر المنثور السيوطي: ١٦٣/٤.

(٣٥) انظر وصف ذلك في الآيات ٢٤٦ - ٧٥ ٢ من سورة البقرة ، وفيها ما يفيد: أن طالوت وقائمه داود قد التصرا على جالوت ﴿وَوَقُولُ دَاوِد جَالُوتَ وَآنَاهِ اللّٰهِ الْمُلْكُ وَالْمُحَكِمَةُ ﴾

(٣٦) تفسير اللر المتتور ١٩٣/٤.

(٣٧) تاريخ الإسراليليين: ص ٧٦.

(٣٨) تاريخ الإسرائيليين : ص٧٧ .

(٣٩) تقاتلون اليهو د حتى يختبئ أحلهم :

رواه البخباري فى الجهاد ( ٢٩٢٧) وفى المناقب ( ٢٥٩٣) ومسلم فى الفتن ( ٢٩٣١) والترمذي فى الفتن ( ٢٣٣١) وأحمد فى مستمد ( ٢٩٣١) من حديث عبدالله بن عمر وضى الله عنهما الله مسلم الله عليه وسلم قال: «تقاتلين الههود حتى بيختبئ أحدهم وراه البحر فيقلول: ياعبد الله ، هذا يهودي ويلنى فاقتله». رواه البخباري فى البههاد ( ٢٩٣٧) ، ومسلم فى الفتن ( ٢٩٣٦) وأحمد فى مسنده ( ٢٠٥٧) من حديث أبى مريرة أن رسول الله معلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم السنمة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلم السلمون حتى يفتيم الههويه، من ويراه الحجر والشجر فيقول الحجر أن الشجر: با مسلم ياعبد الله ، هذا يهودي خلفق ثقابال فائتله إلا البرد فؤذه من شهر الههويه.

( • ٤) عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية : ١ • ١ • ١ • ١ ٠ ٢ .

. (١ ٤) من كبار علماء لبنان الشقيق .

(٤٢) عبد اللطيف مشتهري، المسجد الأقصى: ص ١٢٠.

(٣٤) دكتور/محمد طنطاوي: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ٢٣٦/٢ .

(\$ \$) مصطفى الدياغ: بلادنا فلسطين ١/٧٥٧ - بيروت.

(63) عبد اللطيف مشتهري : المسجد الأقصى : من ١٧.

(٤٦) محمد عزة دروزة : قصة فلسطين ص ٧١ .

(٧ ٤) تأسير النسابوي ٥ ١ ٢/٩ وهذا الكلام أقرب إلى الإسرائيليات.

(٤٨) تفسير اليسابوري ، ١٥ / ١٤ ، ١٥ .

(£ 9) تأسير القاسمي: ٥ (٢ ٩ ٩ ٣٩ .

(. ه) فإنما يلفن في هي أن الشرطية زيدت عليها ماء تأكيدا لها ، ثم أدخلت النون المششدة، لزيادة التقرير والتأكد كأنه قبل: إن هلنا الشرط هما سيقع البياة عادة فليكن هذا النجزاء مترتبا عليه .

﴿ أَحَدُهُما ﴾ قاعل ﴿ يِبِلَغَنِ ﴾ وفي قراءة: يبلغان فأحدهما بدل من ألقه .

هِ الله في بفتع الفاء وكسرها منونا وغير منون ، مصدر بمعنى تبا وقيحا وروى ثطب: أن الأف: الضجر ، وقبل: معنى أف: الفلفة من الأفيف وهر الشيء الفليل وقف اتباع له نحو شيطان ليطان ، حيث بيث ، نحيث نبيث .

(٩ ه) في هذا التعبير قدرة رائمة في تصوير هذا التواضع والتلذل من الأبناء للآباء وفيه استعارة مكنية وتخيلية فقد شبه الذل بطائر تشبيها مضمرا ، والبت له المبتاح تخييلا والخفض ترشيحا .

وإضافة الجناح إلى الذله، للبهان ؛ لأند صفة صيبة . أى : جناحك الذلبل وفيه ميافقة؛ لأند وصف بالمصدو ، فكأنه جعل الجناح عين اللل . أو المركب استعارة تمثيلية فيكون مثلا لفاية التواضع ، وسر ذكر الجناح وخفضه تصوير الذل كأنه مشاهد محسوس .

. (٧٥) من الكشاف يتصرف وانظر محاسن التأويل للقاسمي ، ١٩/١ ٣٩.

#### (٥٣) عقوا تعف نساوكم:

ذكره السيوطى في الجامع الصفير (٩٤٣) بلنظ: دعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ، ويروا آبازكم تبركم أبناؤكم، ومن أثاة أموء منتسلا فليقيل ذلك منه حضا كان أو ميطلاً، فإن لم يقدل لم يرد على الحوضء ونسبه المحاكم في المستدرك من أبي مريرة، ومسحمه ، وقال السيوطي في اللدر المنثور: وأضرج الحاكم ومسحمه وضعفه الذهبي، عن أبي مورد أرضى الله عنه مرودة رعما الاستدراء عن عن المستدراء وعن عائشه من رضى الله عنها عن الذين ﷺ قال : وعفوا تحف نساؤكم، ويروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن اعتذر إلى أهديه المسلم من شن بلكه عداء الذين يك المرادر وهو كتاب .

# (£ a) بر أمك وأباك وأخطك وأخماك :

أبو داود في الأدب ( ٤٠ ٩ ه) من حديث كليب بن منفعة عن جده أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من من أبرا قال أباك وأمان من حديث كليب بن منفعة عن جده أنه أتى النبي ملى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من ربي الأراكة الله على الركاة الله الله على الركاة الله على المنبي وخطيب من من أبرا قال أمان من المناق المحلول المعلى المعلى المان ومع لقال المحلول المعلى العليا أمان وأبناك وأمانك م أدانك ومختصر. ورواء أحده في مسند و ١٩٠٧) من حديث أبي ربية عن النبي معلى الله عليه وسلم قالماني وأبناك وأمانك وأبناك وأمانك والمن و ١٩٠٧) من حديث إلى ربيل الله من بني يرورع قال: أنوت النبي معلى الله عليه وسلم قسمعته وهر يكلم الناس معند (١٩٧٧) من حديث ربيل الناس يقول: أمناك أمان المناسك وأبناك وأمانك وأبناك وأبن وأبن من حديث أبي في وردن يستعفف بعنه الله ومن يستغف بدغة الله ومن يستغف عنه من حديث أبيل ومن يستغف يغذه الله ومن يستغف بغذه الله من يستغف بدرة الشيئية المناكرة ومن يستعفف بعدة برعة من حديث بالمحتورة ومن يستعفف بعدة الله ومن يستغف يغذه الله ومن يستغف من حديث المحتورة بن ومن يستعفف بعدة الله ومن يستغن يغذه الله ومن يستغف عدم بن حديث المحتورة ومن يستعفف بعدة الله ومن يستغير المستلة المكان عن

#### (٥٥) رغم أنف وجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يظر له :

رواه الترمذي في الدعوات باب ١٩٠٠ (٣٦٣٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ . ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلح قبل أن يغفر ك . ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجدّة ». قال عبد الرحمن: وأظنّه قال: «أن أهدهما» . وفي الباب عن جابر وأنس : هذا هديثٌ حسنٌ غريبٌ .

(۵-۹) رواه أبو داود وابن ماجة وابن حيان والحاكم وقال : صحيح الإسناد، وقد أورده ابن كثير في نفسيره والغزالي في الإحياء ۱۹۳۲ .

#### (٥٧) من أحق الناس بحسن صحابتي :

رواه البخاري في الأدب (٩٧١) ومسلم في البر (٩٥٤) وأحدد في مستد (٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قبال: جناء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس يحسن مسابقي؟ قبال: «أمك» قال: ثم من؟ قبال: «قد أسان» قبل: ثم منر؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قبل: «ثم أبوك» .

#### (٥٨) اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم:

رواه اللهضارى فى الهبة (٧٥/٧) ومسلم فى الهبات (١٦٣٣) من حديث عامر قال: سمحت النصائ بن يشهر رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول: أعطانى أبى عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله عليه وسلم فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله: قال: «أعطيت سائر وإدك مثل هذا؟ قال: لا قال: «فاتقوا الله وإعدارا بين أولادكما» قال: فرجع فرد عليته .

#### (٩٩) اين حيان .

#### ( • 1 ) من لا يُرحم لا يُرحم:

رواه اللهشارى فى الأدب ( ( ۹۹۷ ) ومسلم فى الفضائل ( ۲۹۱۸) وأبر داود فى الأدب ( ۹۲۸ ) والترمذى فى البر ( ( ۱۹۹ ) وأحمد فى مسنده ( ۲۰۸۱ ) من حديث أبى هريرة قال: قبل رسول الله 義 الحسن بن على وعنده الأفرع بن حابس التعيمى جالسا فقال الأفرع : إن لى عشرة من الواد ما قبلت منهم أحدا ا فنظر إليه رسول الله 義 ثم قال: دمن لا يرحم لا يرحم؛ .

#### (٢١) إحياء علوم الدين ٢٩٤/٢ .

( ٣٢) حاشية الجمل على الجلالين ٣٢٣/٢ .

#### (٦٣) أنا الرحمان وهي الرحم شققت لها اسما :

رواه أبو داود في الزكاة (١٩٦٤) والترمذي في البر(١٩٠٧) وأحدد في مستده (١٩٦٣) من حديث عبد الرحمان بن عوف قال: سمحت رسول الله صلى اللهم عليه وسلم يقول: وقال الله: أنا الرحمان وهي الرحم شققت لها اسما من اسمى من وصلها ومن قطعها يتته» .

# (4 £) من سره أن يسط له في رزقه أو يسأ له :

رواه البخاري في البيوع (٢٠- ٢) وفي الأدب (٩٨٦،٥٩٨) ومبلم في البر والمنلة (٢٥٥٧) وأبر داود في الزكاة (١٦٢٧) (١٩٧٣/١٧/١)من حديث أتس بن مالك رضي الله عنه قال: سمحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هن سرو أن يبسط له في رزية، أو ينسأ له في أثرو: فليصل رجمه» .

# (٩٥) الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم لتنان:

رواه أبر دارد في الصدر (٣٣٥٩) والترمذي في الزكاة (٦٥٨) وابن ماجة في الصيام (١٣٩٩) وأحد في مستده (١٩٧٩٧) من حديث سلمان بن عامريياغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: وإنا أفطر أحدكم فليفخر على تحر فإنه بركة قان لم يجد تمرا فالماء فإنه طهور – وقال ~ الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان : صدقة وصلة، قال الترمذي حديث حسن ، وقال في الأهر : حسن صحيح ،

#### (٣٦) أرى أن تجعلها في الأقريين:

رواه البخارى فى الزكاة (١٤٦٨) وفى الركالة (٢٣١٨) وفى الوصايا ( ٢٧١٩) وفى التفسير (٢٥٥٥) وفى الأخرية (٢١٨٥) ومن الأخرية (٢١٨٥) وسلم فى الزكاة (١٩٨٨) من حديث أنس بن مالك رضى اللهم عنهم قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالعدينة مالا من نجل وكان رسول الله مسلم اللهم عليه وسلم يدخلها مالا من نجل وكان رسول الله مسلم اللهم عليه وسلم يدخلها لله مسلم يدخلها الله منها الزلاق المناز المرسول الله من الله منها اللهم عليه وسلم يدخلها الله منها الأنواء المرسول الله منها المواجعة بقال إمام المحروب في وان الله منها المحروب المالة الله الله منها أولى الله على أمال الله على أمال الله على أراك الله قال: فا الله قال الله والله على أراك الله قال: فقال الله على أراك الله قال: فقال الله على أراك الله قال: فقال الأله بيان اللهم عليه وسلم: «بخا ذلك مال وابح، وقد سمعت ما قالت وإنى أرى أن تجملها في الأله دين عده .

(٧٧) أي : تلعب الميسر عليها فمن حسر اللعب دفع ثمن الأبل ثم وزعت على الفقراء .

(٦٨) ﴿ منبر﴾ بزلة فعيل يستوى في الوصف به المذكر والمؤتث تقول : رجل حمير وامرأة حمير كما تقول رجل كحيل وامرأة كحيل .

(٩٤) وفي الآية استعارتان تعليلتان، شبه في الأولى فعل الشحيح في منعه بمن يده مطارلة لعقه بحيث لا يقدر على مدها، وفي التائية: شبه المسوف ببسط الكف يحيث لا تعطط شيئا .

( ۹ ۷) مه : اسم فعل بمعنى : اكفف عما تقول .

#### ( Y 1 ) أتحه لأمك؟! :

رواه أحمد في مستده (۲۹۷۰۸) من حديث أبني أمامة قال: إن فتن شابا أتن النبي معلى اللهم عليه وسلم فقال: يا رسول الله، اثلان إلى بالزنا: فأقبل القوم عليه فزجروم قالوا: مه مه؛ فقال: «ابنه» فدنا منه قريبا قال: فجلس، قال: «أتحبه لأماك؟، قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: «ولا الذاس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: «ولا الذاس يحبونه ليناتهم» قال: «أفتحبه لأختك؛» قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: قال: وأفتحيه لخالتك؛ قال: لا والله جطنى الله فدارك قال: دولا الناس يحبونه لطالاتهوء قال: فوضع بده عليه وقال: «اللهم ، اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء . قال الهيشى فى المجمع : رواه أحدد والطبراني فى الكبير ورجاله رجال المسعيم .

#### (٧٢) ما من ذلب بعد الشرك أعظم :

ذكره السيوطى في الجامع المحنور (٩٠٣٠) بلنظ: «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطقة وضعها رجل في رحم لا يحل له»، ونسبه لابن أبي الدنيا عن الهيثم بن مالك الطائي، قال المناوي في النيض: قال في التقريب: ثقة من الخامسة وهو صريح في كونة غير صحابي فكان على المصنف أن يقول: مرسلاً.

#### (٧٣) إن الله كتب على ابن آدم حظه :

رواه البختاري في الاستئذان ح ٢٧٤٣، وفي القدر ح ٢٧١٧، ومسلم في القدر ح ٢٧٥٧، وأبو داود في النكاح ح ٢٠ ٢٧، وأحدد ح ٢٧٦٧، ٢٧٢٧٢٤٣٧، من حديث أبي هزيرة .

#### (٧٤) المحصن : هو الذي سيق له الزواج .

(٧٥) ثمر السياط: عقد أطراقها.

(٧٦) الانتيار (قد حلى) تأليف : عبد الله الموصلي ٢/ ٥٠ - ١ \$ .

(٧٧) المؤكمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ص ١٨٥.

(۷۸) الدكتور / محمد وصفى ، القرآن والعلب ۸۳ – ۳ ، ۱ وبه وصف تفصيلى لأمراض الزنى وأوبائه الى تقشعر منها الأبنان وتنفر منها الفورس

#### (٧٩) لا يحل دم امر ي إلا بإحدى ثلاث:

رواه البشارى في الديات ح ۱۳۷۰، ومسلم في القسامة ۱۳۱۷،۷۲۰ والترمذى في الديات ح ۱۳۲۲، وفي الحدود ح ۱۳۲۵، والنسائي في تحريم الام ح ۱۳۹۱، وفي القسامة ح ۱۳۶۲، وأبر داود في الحدود ح ۱۳۷۸، وابن ماجة في الحدود ح ۲۵۱۵، وأحد ح ۲۶۸۲، ۱۳۵۷،۲۵۲،۲۵۲،۱۵ والدارمي في الحدود ح ۲۹۹۲.

ً ( ٨٠ ) تفسير اليسابوري بهامش تفسير الطبري ٥ ٩ /٣٥ ط بولاق .

(٨١) تفسير المراغي ٢٥/١٥ .

(٨٢) روى هذا المعنى عن مجاهد ، وانظر تفسير النيسابوري ٣٦/٥ .

(٨٣) تفسير المراغي ١٥ /٤٤ .

(A5) يقول سبحاته : ﴿ وَالَّوا اليَّتَامِي أَمُو الهِم ولا تَبَعَلُوا الْخِيثِ بالطِّب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا ﴾ (النساء : ٧).

ويقول سبحانه : فهو ليخش المدين لو تركوا من محلفهم ذرية صفافا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ، إن اللين يأكلون أموال البتامي ظلما إنما يأكلون فريطونهم نارا وسيصلون سحيراً﴾ (النساء ٩ ، ١٠) .

ويقول سيحانه: ﴿ فَأَمَّا البِّيمِ فَلا تَقْهِرُ ﴾ (الضحي: ٩).

# (٨٥) إن التجار يبحون يوم القيامة فجارا :

رواه الترمذى فى البيوع (١٢١٠) وابن ماجة فى التجارات (١٦٤٦) من حديث رفاعة أنه خرج مع النوى صلى اللهم عليه وسلم إلى المملى فرأى الذاس يتابعون فقال: هيا معشر التجاره فاستحابوا لرسول الله صلى اللهم عليه وسلم ورفعوا اعتاقهم وأبصارهم إليه فقال: وإن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله ويد وصدق» . وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن حسمين -

#### (٨٦) التاجر الصدوق الأمين مع :

رواه الترمذي في اليبورج (١٣٠٩) والدارمي في البهوج (٢٥٣٩) من حديث أبي سعيد عن النبي صلى اللهم عليه وسلم قال : والتاجر المحدوق الأمين سع النبيين والصديقين والشهداء» . قال أبر عيسى : هذا حديث حسن .

ورواء ابن ماجة في التجارات (٢١٣٩) من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القهامة» .

#### (٨٧) من غشتا فليس منا :

رواه مسلم في الإيمان (۱۰۱) وأحمد في مسنده (۲۰۵۰) من حديث أبي هرورة: أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال : من حمل علينا السلاح فليس مناء . ورزاه أحمد في مسنده (۲۰۱۰) والدارمي في البعوع قال : مع حداً على مسنده (۲۵۰) البن عمر قال: عام هذا على حدوق (۲۵۰) ابن عمر قال: عام هذا على حدوق فلا المعراء قال: وابع حدوق فلا على حدوق فلا المعراء قال: وابع حدوق فلا المعراء قال: وابع رسول الله معلى اللهم عليه وسلم مر يجنبات رجل عنده طعام في وعام قائدي يده فيه فقال: فلاك غششتاها من غشاه بليس مناء . ورواه أحمد في مسنده (۲۰ و ۱۷) من حدوث أبي ربدة بن نيار قال: الطلقت عم النبي معلى اللهم عليه وسلم والمناء من غشانه . وليار قال: الطلقت عم النبي معلى اللهم عليه وسلم تاتيم المعراء فلاناء وليس مناه من هما من شعرة المناء .

(٨٨) التعلقيف: إنقاص الكيل أو الوزن، وسمى بذلك؛ لأن المطقف لا يكاد يأخذ إلا الشيء الطفيف القليل.

(٨٩) الردغة ؛ بقتح الدال وسكونها : الماء والطين والوحل الشديد ، الخبال : الفساد ويطلق على البحوث .

وفي تفسير اليسابورى : وودغة الغبال: هي غسالة أهل النار من القبح والصديد . ا ه. . ومعنى الحديث الشريف : من اتهم مؤمنا كذبه وزوره عاليه الله في الدنيا بأن يجعل سمحته معرضة في الوحل والطين حتى يتوب. أو عاقبه في الآخرة بأن يضعه في غسالة أهل ^ النار من القبح والصديد حتى يأتمى بالدليل والبرهان على دعواه وما هو يقادر على ذلك .

(٩٠) ورد جل هذه الآراء في تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ٥ ٣٧/١ ، ٣٨ طبعة بولاق.

(٩١) أي: أن أكلب الكلب أن يدعى : أنه رأى رؤيا في المنام كلبا .

(٩٢) إنَّ من أقرى القرى أن يُرى عينيه :

رواه أحمد في مسئده (٩٩٧، ٩٦٧ه ) من حديث ابن عمر: أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال: وإن من أفرى الغرى أن يُرى عينيه في المنام ما لم ترياه ، ورواه أحمد في مسئده (١٩٥٢، ١٦٥٣م) من حديث وائلة بن الأسقى يقول: قال نهى الله صلى اللهم عليه وسلم: وإن من أعظم الغرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه، أن يرى عينيه في المنام ما لم تريا أن يقول على رسول الله – صلى اللهم عليه وسلم — ما لم يقل» .

(٩٣) تعليم حلما : اختلق العلم من عند نفسه : شعيرتين أى : حجين من شعير ، ولما كانت الروكا من عند ألله كما ورد في الحديث : «الروكا من الله ، فمن قال: وأيت مناما كلبا يكون مفتريا على الله فيكلف بالعمل العسير كأن يعقد عقدة بين حبين من شعير وان يستطيع ذلك» .

# (45) من تحلم بحلم ثم يره كلف أن يحقد :

رواه البشارى شى التعبير (٧٠٤٧) وأبر داود فى الأدب (٥٠٢٥) والترمذي فى الرؤيا (٢٢٨٧) وابن صاحبة فى تعبير الرؤيا (٢٢٨٣) وأصد ضي مستده (٢٨٨٩) من حديث ابن عباس عن النبى صلى اللهم عليه وسلم قال: «من تحلم بحطم بحلم لم يده كلف أن يدون منه مسيد فى أذنه لم يده كلك أن يعتب يمين بهن أمنه كله المنافقة بهن شعيريتين ولا يغلب من كلف أن يقض في الذنه الأتك يوم القيامة ، ومن صور صورية عنب وكلف أن يقض فيها وابس بنافج» . ورواه أحد فى مسنده (٢٠١٧) من حديث أبي مريرة عن النبى صلى اللهم عليه وسلم قال: «من صور صورة عنب يوم القيامة حتى يقفع فيها الروح وليس بنافج» ليبنا في قيمة لوب لم قال: «من صور صورة عنب يوم القيامة حتى يقفع فيها الروح وليس بنافج شعية وليها في من لا يحبه من أنه الأنك ومن تحلم كاذبا دفع إليه شعيرة وعنب حتى يعقد بين طرفهها وليس بعائد» .

(٩٥) طولا: تمييز محول عن الفاعل أي : ولن يبلغ طولك الجبال أي : تطاولك واستعلاوك . والمقصود: التهكم بالمتكبر .

(٩٦) تفسير النيسابوري بهامش الطبري ٤ ٣٩/١ .

(٩٧) يبتما رجل يجر إزاره من الغيلاء عسف به فهو يتجلجل:

رواه البخاري (۲۰۸۵، ۷۷۰)، وأحدر (۲۰۸۸)، والنسائي في الزينة (۲۰۷۱)، من حديث عبدالله بن عمور ورواه البخاري في اللباس(۲۰۸۵)، ومسلم في اللباس (۲۰۸۸)، والدارمي في المقدمة (۲۷۵) وأحدر (۲۰۵۲، ۲۰۸۲، ۲۰۹۰)، و۲۰۲۱، ۲۰۲۹ (۲۰۲۷، ۲۷۲۲، ۲۰۷۲، ۲۰۷۰، ۲۰۷۲، ۲۰۷۲، ۲۰۱۲) من حديث أبي شريرة ، ورواه الترمذي في صفة القيامة (۲۵۹۱) وأحدد (۲۰۳۵)، من حديث عبد الله بن عمورو بن الحاص ، ورواه أحدد (۲۰۹۳، ۲۰۱۳) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٩٨) تفسير ابن كثير : ٣/ ه \$ وبه آثار في الموضوع قارجع إليها إن شئت .

(٩)) قال في حاشية البعدل على المبلائين: فأولها: ولا تبعدل مع الله إلها آخريكه، ثانها وثالها: فولتسى ربك الا تعبدا إلا ياانكيه لا شتدال على تكليفن: الأمر بعادة الله، والنهى عن عادة قبره، وابعها: فوربالوالدين إحسابائي، عاسمها: وفولا تقل لهما الديك، سادمها: وفولا تغيرهمائي، سابها: فوولق أيما أنولا كريمائي، ثانها: وفوارا السيلي (١٣) فولا تبلر تبلر تبلر أنها في السعاء وفول ربس ارسمهمائي، عاشرها: فوزات ذا القربي حقيق (١١) فورالمسكني، (١٧) فوران السيلي، (١٣) فولا تبلر تبلر تبلريك (١٤) و وفقل لهم قرلا ميسوراني (١٥) فولا تعبل بلتك مفاولتك (١١) وفولا بسطهائي (١٧) فولولا تقطرا أولادكمي (١٨) وفولا تقطرا أولادكمي (١٨) وفولا الكيلي، والبيدة: وفوادفوا بالعهلية، وفوارفوا الكيلية، وقرارة بالالستاسية، وفولولوا العلمية، وفولا تعشر...كه إلغ وكلها تكليفات. ( ۱۰ ما ۱ هذا التفسير مستفاد من الشاسير الآلية : تفسير الطبري ٥ (٣٣/ ١ ، ابن كثير : ٣/ ١ ، النيسابوري بهامش الطبري ٥ (٣٩/ ٠ ، حاشية الجمل على الجلالين : ٢٧.٧ ، القاسمي ٥ ( ٢٧ ٩ / ٣ ٩ ، ا

(۱۰۱) تفسير القاسمي ۲۹۲۹/۱۰.

(٢٠٢) إنها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق:

رواء أحمد في مستده ح ٨٥٩٥ من حديث أبي هريرة .

(٩٠٣) إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة :

رواه الترمذي في البر (٢٠١٨) من حديث جابر: أن رسول الله مسلى اللهم عليه وسلم قال: وإن من أهبكم إلى وأقريكم منى مجلسا يوم القيامة أحاستكم أغلاقا وإن أيفضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة اللوثارون والمتشوقون والتطهيقونية قالواء يا رسول الله، قد علمنا اللوثارون والمتشوقين فما المتغيهقونية قال: والمتكبرون، وقال اللاترمذي حديث عدى غريب أرورة أمعد في مسنده (١٧٢٧٨) من حديث أبي قطبة الششيى قال: قال رسول الله مسلم اللهم عليه وسلم: بها رأ أمبكم إلى وأقربكم منى في الأخرة مساسكم أخلاقا وإن أبغشكم الى وأبعدكم منى في الأخرة مساويكم أخلاقا اللائوليزين المتغيهقون المتقدلون، ورولة أحمد في مسنده (خ ١٠٨) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الكال رسول اللا

(١٠٤) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري جـ ١٥ ص ٢١.

(۱۰۵) تفسیر اثقاسمی ج ۱۰ ص ۳۹۳۳ .

(١٠١) في ظلال القرآن يقلم سيد قطب ج ١٥ ص ٣٩ .

(۱۰۷) تفسیر الیسابوری ۵۸/۱۵ .

(۱۰۸) تأسير اليسابوري ۱۵/۰۵.

(٩٠٩) لا يمشين أحدكم إلى أخيه بالسلاح:

رواه أحمد في مسنده (٧٧٤٣٢) من حديث أبي هريرة قال قال: رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: ولا يمشين أحدكم إلى أهيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في رده فيقع في حضرة من ناري .

(١١٠) تفسير اليسابوري (١١٠) ه.

(۱۱۱) تفسير الطبرى طبعة يولاق ۲۱/۱۵.

(١ ١ ١) أول من خلق الله القلم:

أخرجه الترمذي (٢١٥٩, ٢٣١٩) وأبو دارد (٤٧٠) وأحمد (٢٢١٩٧, ٢٢١٩٩) ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه . وقال الترمذي : حسن غريب . وقال الطيخ الألباني : صحيح. (۱۹۲) أخرجه في المستد بالصفحة رقم ۲۵۸ من الجزء الأول (طبقة العالي) والحنيث رقم ۲۳۳۳ (طبعة المعارف) روواه الطبري بعدة روايات بين، بعضها بعضاج ۲۵ ص ۲۶ طبعة برلاق .

(\$ ﴿ ١) تفسير القاسمي ، ١/٤ ٤ ٣٩ هلا عن الشهاب .

( م 1 ) ﴿ فَلَيْنَا ﴾ منصوب بنزع الخافض أى : من طين ، قال النسفى : وهو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد والمعنى: . أأسجد له وهو طين أى : أصله طين .

( ۱ و ۱) تلميير السراج المير ، في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، للشيخ الإمام : محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المتوفى سنة ۱۹۷۷ هـ طبعة بولاق سنة ۱۹۹۹ هـ ، ج۲ ص ۳ و ۳ .

(١ ١ ٧) الكاف للخطاب وهذا مقعول به .

( ۱۹ ه.) احتنك الجراد الأوهر؛ إذا أجرد ما عليها أكلا، وهو من الحنك ، ومنه ما ذكر سيويه من قولهم : أحنك الشاتين أي : أكلهما، تفسير الكشاف ٢٩١٧،١٩٧ .

(٩ ١ ٩) الظاهر من نصوص الدين أن إبليس قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة وقارن بضيير الكشاف للزماهشري ج٢ ص٣٣٦.

( + ۲ ) المسير التعطيب الشربيتي ٢ / ٤ ٠ ٣ .

(١ ٢ ١) تفسير النيسابوري بهامش الطبري : ١٥ / ٢١ ط : بولاق .

. ١٧/١ المسير المراغي ٥ / ١٧ .

(۲۲) تفسير النيسابوري (۲۲) .

(٤ ٢ ٩) تفسير القاسمي ٥ ٩ / ٤٨ ٣٩ نقلا عن القاشاني .

(ه ٢ ٩) قال تعالى : ﴿إِن الشيطان لَكُم عِمْو فَاتَحْقُوهُ عِمُوا ... ﴾ . (قاطر : ٧) .

وقال سبحانه : ﴿ يَا بِنِي آدم لا يُفتنكم الشيطان كما أعرج أبويكم من الجنة ... ﴾ . (الأعراف : ٧٧) .

وآخر سور القرآن تعلمنا الإستعاذة من كيده وهي: ﴿قَالَ أَعوذ برب الناسء ملك الناس ه إله الناس ه من شر الوسواس المعاسيه اللدي يوسوس في صدور الناس ه من الجعة والناس﴾ . (الناس: ١ - ٣) .

. ۲۲۱) تفسير القاسمي ۱۰ /۲۹ ۳۹.

(٧٧) في ظلال القرآن بقلم: سيد قطب ١٥٣/١٥.

(١ ٢٨) تفسير النيسايوري بهامش تفسير الطبري ١٥/١٥.

(٩ ٢٩) في خلال القرآن بقلم : سيد قطب ١٥/٥٥ .

( + 3 ) تفسير المراغي ٥ ١ /٧٧ ، ٧٨ الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي يمصر .

(١٣١) في ظلال القرآن بقلم : سيد قطب ٥٥/٥٥ .

(١٣٢) في ظلال القرآن ١٩/١٥.

(133) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطيري ٥ (٧٢/١ ط بولاق .

(۱۳٤) تفسير النيسابوري ١٧١/١٥ .

(١٣٥) الأنمام ٩٢ و رمام الآية : فوولا تطرد اللمن يدعون ربهم بالفداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطر همه فتكون من الطالمين).

(137) تفسير القاسمي ، ١/٢٥٦) ، وتفسير النيسايوري 1/01/ ط يولاق .

(۱۲۷) تفسير الطبرى ۱۹/۱۵ ط بولاق .

(۱۳۸) تفسير الطبري ۱۹/۱۵ ط يولاق .

(139) تفسير اليسابوري بهامش تفسير الطبري ( 177 : 23 .

(454) تفسير الطيري .

(۱٤۱) تفسير الطيرى ٥ (/ ، ٩ ط يولاق .

(١٤٢) تاسير الطبري ١٥/٥٩ .

. (١٤٣) فلسير الطيري (١٩١/١) 47.

(4\$ 1) ﴿ وَقِرْآنَ اللَّهِ مِنْ مَصوب بالعلق على ﴿ الصلاةِ ﴾ أى : وأقم صلاة اللهجر. وجوز بعض النحاة تصبه على الإغراء ، أى: وعليك قرآن اللهجر أو الزم قرآن اللهجر .

(80) 1) تفسير النيسابوري بهامش الطبري 10/40 ط بولاق .

(١٤١) الإحسان أن تعبد الله:

رواه البخارى في الإيمان ح ٥٠ وفي تفسير القرآن ح ٤٧٧، ومسلم في الإيمان ح ١٠٨، والقرمذي في الإيمان ح ٢٠١٠، والمد ح والشمائي في ١٩٦١، وأمعد ح والشمائي في الإيمان ع ٢٠١٠، وأمعد ح والشمائي في الإيمان ع ٢٠١٠، وأمعد ح الشمائي المد في الشمائي الله مثل الله مثل اللهم عليه وسلم كان يوما بارزا للناس إلا أتحد رجل بمش فقال: يا رسرل الله ، ما الإيمان قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه رسله والقائد وتؤمن بالمحد الأخمية قال: يا رسرل الله ، ما الإيمان قال: «الإيمان أن تؤمن بالله والالتكان وكتبه إلى المائحة وتؤمن باللهم والله مائل الإيمان قال: «الإسلام قال: «الإسلام قال: «الإرسان أن تعبد الله ولا تشرل بها كان عن المائحة وتأم الإيمان قال: «الإيمان أن تعبد الله كانك بارئم أن أن أن المائل الأيمان أن المناس المناسبة عن المناسبة قال: «الإيمان أن تعبد الله كانك بأرضا في أن المناسبة قال: والدوان مناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة عن الايمان الله من الأسلام الأن من المناسبة على الأيمان الناسبة في الأيمان المناسبة في الأيمان المناسبة المناسبة ويترال المعام والدن المناسبة في الأيمان المناسبة والمناسبة المناسبة المنا

(٧٤٧) وجعل قرة عيني في المبلاة :

رواه النسائي ( ۳۹۲۹٬۳۹۶) وأحمد (۱۲۸۶٬۱۸۸۵٬۱۸۸۵) من حديث أنمي بن مالك. قال: قال رسول الله معلى اللهم عليه وسلم: «حديث إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في المسلانة ، قال العراقي : رواه النسائي والماكم من حديث أنس بإسناد بهد وضعف العقيلي ، قال العنداري في الفيض : قال المحاكم : مسجع على شرط حسام ، وقال الحالفة العقيلي : والله المحاكم : مسجع على شرط حسام ، وقال الحالفة العراقي : والمناده جيد ، وقال أبين حجير : حسن ، واعلم أن المصنف جعل في الخطية (حم) رمزا لأجمد في مستحد في مستحد المحالفة المحالفة

- (454) فسير النسقي ٢/٥ هـ٧.
- (٩٤٩) تفسير اليسابوري ٥٤/٧٧ .
- (۱۵۰) تقسير القاسمي ۱۰/۲۰۲۰.
- (١٥١) أعرجه البخارى لى الجزء التاسع. كتاب مواقيت الصلاة ، والثاني عشر، باب تأخير الظهر إلى العصر رقم ٣٥٣ (عن ابن عباس) .

وأخرجه مسلم في الجزء السادس ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم ٥٥ تحقيق محمد فواد عبد الباتي .

- (۱۵۲) تأسير القاسمي ۱۰/۳۹۱۰ ، ۳۹۲۱.
- (١٥٣) في ظلال القرآن بقلم : سيد قطب ٥ ٢٧/١ .
  - (104) تفسير الطبري 19/19 ط بولاق .
- (ه ه ۱) انهيجيد: ترك الهجود وهو النوم و (فقط) يأتى للسلب كـ (الأم وتحرج) ، يمعي: ترك الإثم والحرج . قال الأرهوى : الممروف في كلام العرب أن الهاجد هو النائم ، وأما المعهجد فهو القائم إلى العملاة من النوم . وكأنه قبل أنه : (متهجد)؛ الإلقائه الهجود عن نفسه كما يقال للعابد: (متحث)؛ الإلقائه الحث عن نفسه . وقفل عن ابن فارس أن معاه: صل ليلا، وكذا عن ابن الأعرابي قال : هجد الرجل وتهجد؛ إذا على بالليل والمعروف الأول .
  - (104) تفسير الطبري 10/10 ط بولاق .
  - (١٥٧) ورد ذلك في البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير ١، ٧ سورة الإسراء ، حديث رقم ٧٨٧ عن ابن عمر .
    - (١٥٨) تفسير اليسابوري بهامش تفسير الطبري ٥ /٧٧/ .
      - (904) تفسير الطبري 97/10 ط بولاق.
- ( ١٩ ٦ ) رواه الإمام أحمد لمي مسنده في حديث طويل ذكر فيه : «إن الناس تذهب إلى نوح ، وإبراهيم، وموسى، وهيسى، فيعطر كل نبى ويقول: اذهبو إلى غيرى، إن الجبار غضب الروم غضبا شديدا لم يغضب علله .
  - (١٩١) المرادية: التداء للصلاة وهو الأذان والإقامة.

(٩٦٢) اللهم رب هذه الدعوة التامة :

رواه البشارى فى الأذان (175) وفى التفسير (2014) وأبو داود فى المسلاة (201 ) والترمذى فى المسلاة (211) والترمذى فى المسلاة (211) من حديث جابر بن عبد الله: أن والنسائى فى الأذان (1747) من حديث جابر بن عبد الله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والمسلاة القائمة، أن مصدا السيلة والفضيلة وإبعثه مقاما محموية الذي وعدته؛ حلت مشفاعتى يوم القيامة».

(۱۹۳) تفسير النيسابوري ۱۹/۸۷.

(١٩٤) في ظلال القرآن يقلم : سيد قطب ٩٢/١٥ .

(٩ ٩ ١) في ظلال القرآن بقلم: سيد قطب ٥ /٣٧ . . .

(١٦٦) تفسير القاسمي ١٠ /٣٩٧٦.

(٦٧) جاء الحق وزهق الباطل:

رواه البخارى في المظالم (۲۲۷۸)، وفي المغازي (۲۲۷۸) وفي التفسير (۲۲۷۰)، ومسلم في الجهاد والسير (۲۸۸۱). وأحدد (۲۰۷۷) والترمذي في التفسير (۲۱۲۸) وقال : هذا حديث حسن صميح وفيه: عن ابن عمر، ورواه مسلم في الجهاد والسير (۲۷۸۰)، وأحمد (۲۰۵۰) من حديث أبي هريرة.

(١ ٦٨) تفسير الفخر الرازي ٥/٥ \$ \$ الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣٠٨ هـ .

(١٦٩) ورد ذلك في صحيح البخارى وخلاصيه: أن رجلا من المسلمين قرأ الفاتحة على مريض قد لدغ فقام من مرضه كأنما نشط من عقال ، ثم أخد الراقى بعض الفس مكافأة له على رقيته ، وقد أخبر النبي الله باللك فأبده وباركه .

(١٧٠) فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق بن حسن القنوجي البخاري ملك بهوبال بالهند ط بولاق ج ٥ ص ٣٥٨.

" (١٧١) تفسير ابن كثير بهامش تفسير القنوجي ملك بهوبال ٢/٠٠١ ط بولاقي.

(١٧٢) تفسير القنوجي ملك بهوبال بالهند ٥٨/٥.

(۱۷۲) تفسير النيسايوري د ۱/۲۷.

(١٧٤) في ظلال القرآن ه ١/٤٣.

(١٧٥) تفسير الطبري ١٠٣/٥ و طبولاق.

(۱۷۹) تفسير النيسابوري (۱۹/۱۵ ط بولاق .

(۱۷۷) تاسير الطبري ۲۰۲/۱۵ ط بولاق.

(۱۷۸) تفسیر القاسمی ۱ (۲۸۸/۹.

(١٧٩) تفسير القاسمي ٥ / ١ ٣٩٩ وما يعلما .

(١٨٠) عبر عن القرآن بالموصول؛ تفخيما لشأنه ، ووصفا له بما هو في حيز الصلة ، وإعلاما بأنه ليس من قبيل كلام المخلوقين .

(١٨١) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب ٥ /٦٦ ، ٦٧ .

(۱۸۲) إسناد الطبرى هو : حدثنا أبو كريب قال : ثنا يونس بن بكير قال : ثنا محمد بن إسحال قال : ثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بعنج وآربين سنة عن عكرمة عن ابن عباس –ثم أورد الرواية بطولها ، وقد ذكر بها مختصرة كما وردت في تفسير البيسايورى، والخازن ، وحاهية الجمل . فمن أراد نص الرواية فلمرجع إلى تفسير الطبرى . ١/١ ، ١٩

(١٨٢) حاشية الجمل ٢٤٧/٢ نقلا عن تفسير الخازن.

(١٨٤) تفسير القاسمي ٥ ١/٩٩ ٣٩ بعناية محمد قراد عبد الباقي الطبعة الأولى .

(۱۸۵) تفسير القاسمي بتصرف واختصار .

(١٨٢) تقسير القاسمي ١ (٣٩٩٩/ ١٠٥٠) يتصرف .

(١٨٧) في ظلال القرآن يقلم سيد قطب ٥ ١٩/١.

(١٨٨) أئيس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا:

رواه البختاري فى التفسير (٤٧٦٠) وفى الرقاق (٢٥٧٣) ومسلم فى صمة القيامة (٢٠٠٦) وأحمد فى مسنده (١٢٧٩) من حديث أنس بن سالك رضى اللهم عنهم أن رجلا قال: يا نبى الله، يحشر الكافر على رجهه يوم القيامة قال: «أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشهه على رجهه يوم القيامة» قال قتادة : بلى وعزة ربنا .

(١٨٩) يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا:

رواه الترمذي في التقسير (٢١٤٣)، وأحمد في مسنده (٢٨٤٣) من حديث أبي هرورة قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: ويحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أسناف صنفا مشاة، وصنفا ركبانا، وصنفا على وجوههم، قبل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟! قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوكه، قال أبو عيسي، هذا حديث حسن.

(٩ ٩ ) الأنعام ٢٣ وتمام الآية : ﴿ لَمْ لَمْ تَكُنْ فَنَنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كَنَا مشركين ﴾ .

( ۱۹۱) تفسير الخطيب الشربيني ج ۲ ص ۳۲۳ .

(۱۹۲) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطيري ۱۹۷/۱۵.

(۱۹۳) أخرجه البخارى في ۹۷ – كتاب التوحيد ، ۱۹ – پاپ حداثنا معاذ بن لفضاله حديث ۲۰۱۷ عن أبي هريرة . وأخرجه مسلم في كتاب اثر كاة وجاء في شرح النووى على صحيح مسلم ج ۷ ص ۱۸ السح الصب الدائم ، والليل والنهار منصوبان على الشرف ومدى لا يفيشها شيء أى: لا يقضمها يقال : ظاهر الماء وغاضه الله الإفرو ومتعد وفي رواية أبي هريرة في مسلم : «قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم أنفق أتفق عليك» . وقال رسول لله ﷺ : ويبين الله ملكن».

(٩٤) تفسير الخطيب الشريني ج٢ ص ٣٢٥.

- (٩٩٥) ورد ذلك في الآية ١٣٣ من سورة الأعراف وهي:
- ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلِيهِمَ الطُّوفَانُ والجرادُ والقملُ والصَّفَادِعِ والله آياتِ مفصلاتِ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾ .
- (والطرفان) ما طاف بهم وغشى أماكتهم ، وهو فى اللغة: المطر العالب والماء الذى يفشى كل شيء والسيل المغرق . (القمل) صغار الذر وليل: أولاه الجراد واحنتها: قملة ، وهى غير القملة المعروفة التى جمعها قمل (والتنفادع) معروفة واحدها: طفدع وطُفدع .
- والمعنى : أوسل الله على آل فرعون السيول تهلك مزوعاتهم والجراد يجتاح ثمارهم والقمل والتنفادع فامتلأت بها بيوتهم ، والدم تلوثت به مهاههم فاستكبروا مع كل هذه البلايا وكانوا مجرمين .
- ر ۱۹۹) ورد ذلك في الآية ۹۰ من سورة يونس وفيها : ﴿وَجاوِزنا بني اسرائل البحر فأتيمهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حي إذا أدركه الفرق قال آمنت...﴾ وفي الآية ۷۷ من سورة عله : ﴿فاضرتِ لهم طريقاً في البحر يسا...﴾ .
  - (١٩٧) ورد ذلك أيضا في الآية ٦ من صورة البقرة ، وفي الآية ١٦ من صورة الأعراف .
- (۱۹۸) ورد ذلك في سورة البقرة الآية 9v ، وفي الأعراف الآية ، ۲۰ ، وفي طه الآية ۸۰ حيث تقول الآية : ﴿وواعداكم جانب الطور الأيمن ونزلتا عليكم المن والسلوى﴾ والمن: شيء حلو مثل العسل أبيض كالطبح كان ينزل باللبل على شنجرهم ، والسلوى طالر السمان .
  - (١٩٩) ورد ذلك في الآية ٨٨ من سورة يونس، والطبس: هو محق الأموال وإهلاكها .
    - (۲۰۰) تفسير النيسابوري (۹۸/۱ ، وقارن بتفسير المراخي (۲۰۰) .
      - (۲۰۱) تفسير النيسابوري .
- (٣٠٢) ﴿إذَ جَاهِمِ﴾ يعلق باياتنا أو ينتصب بإضمار اذكر ، أو هو للتعليل والمراد: فاسألهم يخبر والذ إلله جاءهم أى : جاء آباءهم وانظر تفسير النيسابورى .
  - (٢٠٢) ﴿مسحورا﴾ بمعنى: سحرت فنولط عقلك . أو بمعنى:ساحر ، على النسب أو حقيقة . وهو يناسب قلب العصا ثعبانا .
    - (٤٠٤) البصائر: جمع بصيرة بمعنى: مبصرة، أي : بينة أو المراد : الحجج ، يجعلها كأنها بصائر الطول ، وتكون يمعني: عبرة
- ( 0 ٧) في تفسير المجلس الأعلى للشتون الإسلامية المسمى : المنتخب في تفسير القرآن الكريم: أن هذه الآيات المسع هي : ٢ − العما ، ٢ − البد البيضاء ، ٣ − الطوفان ، ٤ − العراد والضفادع والقمل والسم ، ٥ − الجددب ونقسص الثمار ، ٢ − فلق البحر ، ٧ − البجاس الماء من الحجر ، ٨ − فتق العبل كالد ظله ، ٩ − خطاب موسى لربه .
- (٣٠٦) قال الفراه: ﴿هِنبُورا﴾ أي : ملعونا محبوسا عن المحير من قرلهم: ما ثيرك عن هذا أي : ما منطك وصرفك ، وقال مجاهد وقتادة : أي: هملكا من الثيرو وهو الهلاك ، وفي آية أحرى : ﴿لا تشعوا البوم لبروا واحما وادعوا لبروا كبيرا﴾ . (الشرقان : ١٤).
  - (۲۰۷) تفسير التيسابوري ۱۰،۰/۵.
  - (٨٠٨) في ظلال القرآن بقلم : ميد قطب ٢٧/١٥ بتصرف .

- (٩ ٧) قرآنا منصوب بفعل محلوف يقسره فرقناه .
- ( ، ۹ ۷) قال الطبرى : اختلفت القراء في قراءة ذلك نقر أنه عاد قراء الأممار: فراناه يجنفيف الراء من فرقاه بمحنى أحكمناه وفصلناه و بيناه ، وذكر عن ابن عباس : أنه كان يقروه بتشديد الراء فركناه بمحنى: نزلناه شيئا بعد شيء، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة ، وأولى القراءتين بالصواب القراءة الأولى .
  - (۲۱۱) تفسير اليسابوری ۱۰۱/۱۰۱.
  - (٢ ١ ٢) في خلال القرآن بقلم سيد قطب ٥ ٢/٧٧ .
    - (۲۱۲) تفسير الطبرى ۱۲۰/۱۵ .
    - (١٤) في ظلال القرآن ١٥/٧٧.
    - (١٥٤٧) حاشية الجمل على الجلالين ٢/١٥٤.
      - (۲۹۹) للسير القاسمي ۱۹/۱۰۹۰ .

#### (۲ ۱۷) فإن ثم تيكوا فتياكوا :

رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ( ۱۳۳۷) من حديث عبد الرحمان بن السائب قال: قدم علينا سعد بن أبى وقامن وقد كل يصده فسلمت عليه فقال: من أثنته فأخبرته فقال: مرحبا بابن أغى بلغني أنف حسن العموت بالقرآن سعدت رسول الله مسلى اللهم عليه وسلم يقول: وإن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكرا فإن لم تبكرا فتباكرا وتغنوا به فمن لم يتنان به؛ فليس مناه .

# (٢ ١٨) ليس منا من لم يتفن بالقرآن:

رواه الهشارى فى التوحيد (۲۰۵۷) من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس منا من لم يثغن بالقرآن» وزاد غيره : «يوجور به» . ورواه أبر داود فى الصلاة (۲۰۱۸ ۱۵ ۱۷) والدارس فى الصلاة (۲۵۹ ) وفى فضائل القرآن (۲۵۸۸) وأحد فى مسنده (۱۶۷۸) من حديث سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس منا من لم يتفن بالقرآن».

# ( ٢ ١٩) عينان لا تمسهما النار : عين بَكَّتُ من خشية الله :

رواء الترمذي في نضائل الجهاد (١٦٣٩) وقال : حديث ابن عباس حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زيرة. قلت : شعيب هذا ، شعفَهُ يعضيم .

# (٢٢٠) لا يلج النار رجل بكي من خشية الله حتى يعود اللبن :

رواه القرمذى فى فشائل الجهاد (١٩٣٣) وفى الزهد (٢٣١١) والنسائى فى الجهاد (٢٠١٨) وأحد فى مستبه (١٠٨٧) من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: ولا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الفعرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله وبخان جهنمه. (۲۲۱) تفسير النيسابوري ه ۱۰۳/۱ وتفسير النسفي ۲۰۵/۲ ، وقال أبو جعفر الطبري: ولدخول ما في قوله : ﴿أياما تدعوا﴾ وجهان: أحدهما: أن تكون صلة كما قبل: ﴿هما قلِل لِهمبحن نادمين﴾ والآخر: أن تكون في معنى أن كررت لما اخطف الفظاهما كما قبل: ما إن رأيت كالليلة لهلة – تفسير الطبري ۱۳۷/۱۰

(227) تفسير القاسمي ١ / ١١ - ٤ ، ١٢ - 5 وهذا المعنى في تفسير النيسابوري ٢ / ١ - ١ .

(٣٢٣) انظر حاشية الجمل ٢/٥٥٪ ، وليها أن الإمام الدوى فسر الإحصاء بالحفظ وهكذا فسره البخارى والأكثرون، ويؤيده أن في رواية المحيح: ومن حفظها دخل الجنة» ونرى أن حفظها لابد أن يرافقه فهم معناها والعمل بمقتضاه.

(٣٢٤) انظر حافية الجمل على الجلائين ٧/٥٥/ – ٣٧٧ رأسماه أله العسني كما وردت في الحديث الصحيح هي «الله الله والإمان المرحمان الرحمان الرحمان الرحمان المرحمان المرحمان المرحمان المرحمان المرحمان المرحمان المرحمان المحرم المحافية المرحمات المحرم المحرمة الملاحرة المقادرة المقادرة المقادرة المقادرة المقادرة المقادرة الملكة في المجلل المرحم الأوران الأخراء المطلقة المحرمة المحرمة

(27 7) وردت هذه الآراء في تفسير الطبري وتفسير التيسابوري.

(224) تفسير المراغي 111/10 .

(٢٢٧) تفسير اليسابورى ١٠٤/ ١٠٩ بعصرف ، وقارن بطسير المراغي ١١١/١٥ .

. (۲۲۸) علسير الطيرى ۱۲٦/۱۵ .

(۲۲۹) تفسیر الطیری ۱۲۹/۹۵ پیمبرف .

( ۳۷۰) بصائر ذوى التمييز فى لطالف الكتاب العزيز ، تأثيف مجد الدين محمد بن يطوب الفير وزبادى المتوفى سنة ۱۸۷ هـ ، تحقيق الأستاذ محمد على النجار ، ج. ۱ ص ۷۹۷ .

(237) الإنقان في علوم القرآن 1 - 14.

(٢٣٢) في ظلال القرآن ج ١٦ ص ١٥ ط ١٠.

(٢٣٣) من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء :

رواه الدارمي في فضائل القرآن (٧ - ٣٤) من حديث أبي سعيد للخدري قال: من قرآ سررة الكهف ليلة البصمة أضاء له من الخور فيما بينه وبين البيت العتوق . قال السيوطي في للدر المنثور : وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في السنن ، عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسام قال : مدن قرآ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين».

· (۲۳٤) من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف :

رواه مسلم في مسلاة المسافرين (٩٠٠) وأبو داود في السلاحم (٤٣٣٧) والترمذي في فضائل القرآن (٢٨٦٨) وأحمد في مسنده (٢١٢٠) من حديث أبمي الدرداء أن الذي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من المجال».

(2 ٣٥) من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف :

انظر ما قبله .

(٢٣٩) من قرأ العشر الأواحر من سورة الكهف:

قال السيوبطي في الدر المنثور : وأخرج ابن الفسيس وانتساني وأبو يطني والروبياني ، من ثوبان عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: « من قرأ العشر الأولغر من سورة الكهف : فإنه عصمة له من الدجال» .

(٣٢٧) تفسير المراغي ١٩٦/١٥ .

(٣٣٨) إن الدنيا حلوة خضرة :

بهذا اللفظ رواه مسلم في الذكر (٢٧٤٧) والترمذي في الفتن (٢٧٩١) من حديث أبي سعيد الشدري عن النبي ﷺ قال:

«إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخافكم فيها فينظر كيف تعملين فاتقرا الدنيا واتقرا النساء فإن أرل فتنة بني
إسرائيل كانت النساء» . وما أشار إليه المصنف حفظه الله من أن البضاري أخرجه فإنما أخرجه البضاري في الزكاة
إسرائيل كانت النساء» . وما أشار إليه المصنف حفظه الله من أن البضاري أخرجه وإنما أخرجه البضاري في الزكاة
مما أغاف عليكم من يحدى ما يفتع عليكم من زفرة الدنيا وزينتها . الحديث، وقداد الما أخراي تلك المشارية في الزقاق
صماحب المسلم ما أعطى منه المسكين والبتيم وابن المبيل . الحديث» . وكذلك ذكر البضاري تلك المنفلة في الزقاق
الدالي وريما قال: «هفيان» قال لمن : «با حكيم إن هذا المال هضرة طرة فدن أهذه بطيب نفس بورك فيه ومن أهذه
المال وريما قال: «هفيان» قال لمن : «با حكيم إن هذا المال هضرة طرة فدن أهذه بطيب نفس بورك فيه ومن أهذه
المالي وريما قال: «شفيان» قال كاحيو».

(٢٣٩) اللهم إنَّا لا تستطيع إلا أن تفرح بما زيت ثنا:

ذكره البخارى فى الرقاق تطيقا بقوله : باب قول النبي ﷺ : هذا المال هضرة حلوة رقال الله تغالى : ﴿إِن الناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من اللهب والفضة والخيل المسومة والأتعام والحرث ذلك مناع العياة اللهبا… ﴾ قال عمر: اللهم ، إذًا لا نستطيع إلا أن نفرج بما زينته لنا . اللهم ، إنى أسألك أن أنفقه حقه .

( ، 2 ۲) انظر تفسير المراغي ٥ / ١ / ١ ، وصفوة التفاسير للصابوني ١٨٤/٢ .

(٢٤١) زاد المسير ٥/٨٠٥ .

(٢٤٢) ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رخدا :

رواه أممد في مسنده (۲۶۱۳) من حديث عائشة : أن أبا يكن دهل على رسول الله 瓣 فأراد أن يكلمه وعائشة تصلى فقال لها رسول الله 鱳 : «عليك بالكوامل» أن كلمة أهرى فلما انصرفت عائشة سألته عن ذلك فقال لها: «قولي: اللهم، إنى أسألك من الخبر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشركله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة رصا قرب إليها من قول أو عمل وأعرذ بك من الذار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك من الغير ما سالك عبدك ورسولك محمد ﷺ – وأستعيذك مما استعانك منه عبدك ورسولك – محمد ﷺ – وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشداء .

# (٣٤٣) اللهم أحسن عاقبتا في الأمور كلها :

رواد أحمد في مسنده (١٧١٧٦) من حديث بُسر بن أرطاة القرشي قال: سمحت رسول الله ﷺ يدعو : اللهم ، أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرئا من خزى الدنيا وهذاب الأخرة» .

(\$2 ٢) ماحتصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ٢/٢ \$ .

# (8 2 7) ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم :

رواه الشافعي في مستده (۱۷۲۳) من حديث المطلب بن حنطب: أن النبي ﷺ قال: «ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به به الا وقد أمرتكم به الما الله به الإلا المرتقط في روعي أنه ان تعرف نفس حتى تستوفي رزقها فأبطوا في الطلبه، ونكره العراقي من تعربح الإسياء فقال: «إلى لا أعلم شيئًا عليركم من نفس حتى تستوفي رزقها وإن الميئة ويبديكم عن النفل الله تحرب حتى تستوفي رزقها وإن الميئة ويبدئ ويبدئ عن النفل الله تحرب حتى تستوفي رزقها وإن الميئة ويبدئ والميئة والميئة والميئة والميئة والميئة والميئة والميئة والميئة الميئة والميئة من المعلم والميئة والميئة والميئة في المعلم وقال: إنه أنها الميئة والميئة في المعلم وقال: «قطع . قال الميئة والميئة في المعلم وقال: «قطع .

# (٤٤٦) ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

روإه البخاري في الإيمان (٢١،٢١) والإكراه (١٩١٤)، ومسلم في الإيمان (٣٤)والترمذي في الإيمان (٢٦٢٤)، والنسائن في الإيمان (٤٩٨٨)واين ماجة في الفتن (٣٣٠) وأحمد في مسنده (١٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ثلاث من كن فيه وجد ملاوة : الإيمان أن يكون الله ورسوله أمب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرة لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكرة أن يقتف الشاري .

#### (٤ ٢ ) إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله :

رواه الترمذي في صفة القيامة (٧٠١٦) وأحد في مسنده (٧٦١٤) من حديث ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ 
يرما نقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: اصفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجامله، إذا سألت فاسأل الله وإذا استدنت 
فأسدن بالله، وإصلم أن الأمة لو لجتمت على أن ينفعوك بعثم ام ينفعوك إلا بشئ ته كتبه الله لكه، وإن اجتمعه على أن 
يضرك بعثى لم يضم إلا بعثى قد كتبه الله علوك رفعت الأفلام وجفت الصحفيه . وقال الترمذي، هذا عديث حسن 
صحيح، قال العجلين في كشف الخفاه: وواه أبو القاسم بن بعثران في أصاليه، وكذا القضاعي عن أبي مورية رضى الله 
عنه، ورواه الحبراني في الكبير عن بن عباس بلفظ : كنت رديف رسول الله ﷺ فالقد إلى، فقال: ويلفلام، احفظ الله 
يضوف المنافق لم يقدم على الله الله كم يقدروا عليه، أن أرادوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه» 
أرادوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله لك لك يوروا عليه، أن أرادوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه» 
وفيه: «واعام أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أشطأك لم يكن ليصبيك، واعام أن القدس مع الصبور، وأن الغرج مع 
الكرب» وأن مع الصدر بسراء، وأورده الضياء في المختارة وهو حسن، وله شاهد رواء عيد بن حميد عن ابن عباس رضى

الله عنهما رفعه بلفظ: يا ابن عباس، لحفظ الله يحفظك، ولحفظ الله تجد أماءك، تدوف إلى الله الرخاء يعرفك فى الشدة»، وذكره مطولاً بسند غصيف، ورواه أحمد والطيرانى وغيرهما بسند أصح رجالاً وأقوى، قال فى المقاصد: وقد بسطت للكلام عليه تشريح الأريمين.

# (8 % ) لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القيور:

رواه أبو داود في الجنائز (۳۲۷۳) والترمذي في المسلاة (۳۲۰) والنسائي في الجنائز (۲۰۶۳) وأحمد في مستده (۲۰۰۳) من حديث ابن عباس قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها العساجد والسرح .

# (٢٤٩) وإن من كان قبلكم كانوا يتخلون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد :

رواه مسلم في المساجد (٣٣٧) من حديث جندب قال سمعت الذين مسلى الله عليه وسلم قبل أن يموت رُخمس وهر يقرل: إنى أبرأ إلى الله أن يكرن لى منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولى كنت متخذا من أحتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبياتهم ومسالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا اللبور مساجد إلى أنهاكم عن ذلك».

#### ( • ه ٧) لعن الله اليهود والنصاري اتخلوا قبور أنبياتهم مساجد :

رواه البخارى في الصلاة (٣٦٠) وأحاديث الأنبياء (١٩٥٥) والمغازى (١٤٤٥) واللباس (٨٥١) ومسلم في السماجد (٢١٥) والنساقي في السماجد (٢١٥) والنساقي في السماجد (٢١٥) والمحدد في مسنده (١٨٨٧) من حديث عائقة وابن عباس يرفعاه ولعنة الله على السماجد البهودية والمحدد المساجد (٢١٥) من حديث السماجد (٢١٥) من حديث السماجد (٢١٥) من حديث السماجد (٢١٥) من حديث السماجد (٢١٥) من حديث المساجد أن رسول الله يُقي لمناز (٢٢٢٧) والنسائي في الجنائز (٢٤٢٧) وأصدد في مسنده (٢١١٧) من حديث أن رسول الله يُقي لمناز (٢٢٢٧) من حديث أن رسول الله يُقي لما المناز (٢٤١٧) وأصد في مسنده (٢٢٩١٧) من حديث والمغازة (٢٢٤٧) وأحدد في مسنده (٢٢٩٧) من حديث عاشة رضي الله عنها عن النبي يُقي قال في مرض الذي مات نبذ طعن الله اليهود والفصاري المغذي أنبيرا المورد في وأن الفي مرض الذي مات نبذ طعن الله اليهود والفصاري المغذي أنبيرا المناز وقير أنبيالهم مسجداً المات المتاز والمنازي المناز أن ينظر مسجداً المات والدنان والمناز والمنازي المناز أن ينظر مسجداً المناز والذي المناز والمنازي المناز والمناز والمنازي المناز والمنازي المناز والمنازي والمنازي والمنازية والمناز والمنازية والمناز

# (١ ٥ ٧) أو ثنك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح:

رياه البخاري في المسلاة (٢٣٤) والبخائز (١٣٤١) والمناقب (٢٨٧٣) ومسلم في المساجد (٢٨٨) والنسائي في المساجد (٢٨٨) والنسائي في المساجد (٤٠١) وأحدد في مسئد (٢٣٧٣) من حديث عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسل الله ﷺ كتيسة رأتها بمأرض الحبيثة يقال لهذا على المؤتم المسابح المسالح- المسئلة على المسئلة على المسئلة على المسئلة على المسئلة على المسئلة المسئلة المسئلة على المسئلة على المسئلة ويواه البخاري في المسئلة (٢٧٤) من حديث عائشة : أن أم جديبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبيثة فيها تصاوير فذكرتا للذي عملي الله عليه وسلم فقال: فإن أولئك إذا كان فيهم الرجل المسألة فمات يثرا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك العمير فأولئك الخرار المسئلة عليه وسلم على مسئلة ومديروا فيه تلك العمير فأولئك المنابقة الله عليه وسلم فقال: فإن أولئك إذا كان فيهم الرجل المسألة فمات يثرا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك العمير فأولئك خرار الملق عند الله يوم القيامة.

# (٢٥٢) إن من شرار الخلق عند الله يوم القيامة من تدركهم الساعة :

رواه البخاري في الفتر (٧٠٠٧) وأحد في مستده (٤٣٣٠) من حديث عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وإن من البيان سحرا وشرار الناس الذين تمركهم الساعة أحياء والذين يتخذون قبريهم مساجده. (۲۰۳) تفسير العراغي ١٣٤/١٥ ، وانظر التفسير الوسيط للدكتور/ محمد سيد طعارى ٤٨/١٥ نقلا عن تفسير الآلوسي. ٢٣٧/١٠ .

### (٢٥٤) لايصلين أحد العصر إلا في بني قريطة :

رواه البخاري في المغازي ( ٤٩١٩) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظاته فأدرك يعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم: يل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي ﷺ، قلم يعنف واحدًا منهم .

#### (٥٥٧) يسروا ولا تعسروا ، ويشروا ولا تنفروا :

رواه البخارى فى العلم (٦٩) والأدبر (٦٧٦) ومسلم فى الجهاد (١٧٢٤) من حديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يسروا ولا تعسروا ويشروا ولا تنفروا. ورواه مسلم الجهاد (١٧٣٧) من حديث أبى موسى قال: كان رسول الله على الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه بعض أمره قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تصرواه.

#### (٢٥٦) لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا :

رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٧) والإكراء (٢٩٥١) ومسلم في البر (٢٥٥٠) وأبر دارد في الأدب (٤٨٩٣) والترمذي في السعود (٢٥٥٠) والترمذي في السعود (١٤٢٦) وأحمد في مستده (٢٩٥٤) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أخيره أن رسول الله على المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أهيه كان الله في حاجةه ومن قرج عن مسلم كرية في الدو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أهيه كان الله في حاجةه ومن قرج عن مسلم كرية في المنزدة في المسلم أخرات يوم القيامة، ورواه مسلم في البر (٢٥٦٥) فرح الله على البر (٢٥٦٥) والترمذي في البر (٢٥١٥) والمعد في مستده (٢٧٤١) والمسلم أخر المسلم أخر المسلم المنزدة المسلم على المسلم حلى المسلم حلى المسلم على المسلم المسلم على ا

#### (٧٥٧) في ظلال القرآن يقلم : سيد قطب ٥ ٨٧/١ طبع عيسي البابي المعلى .

(٥٨٪) انظر تفسير ابن كثير ، والطسير الكبير لقخر الدين الرازى ، وفي صحيح مسلم: أن المشركين قالوا للنبي: اطر دهولاء الفقراء عنك أو اجعل مجلسًا عاصًا بأشراف قريش ؛ فترلت الآيات .

# (٢٥٩) هذا خير من ملء الأرض مثل هذا :

رواه البخارى في النكاح ( ( ۹۰ ° ) والرقاق ( ۱۶۵۷) وابن ماجة في الزهد ( ۱۶۱۷) من حديث سهل قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: دما تقولون في هذاته قالوا: هرى إن خطب أن يتكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع قال: ثم سكت فعر رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذاته قالوا: حرى إن خطب لا يتكع وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يستمع فقال رسول الله ﷺ: هفتا غير من ماره الأرض مثل هذاه.

#### (، ٢ ٤) ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله :

رواه أحمد فى مسنده (۱۲۰۶۵) من حديث أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء: أن قوموا مقفورا لكم قد يدلت سيذاتكم حسنات» .

#### (٢٦١) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ٢/٧/١ .

#### (٣ ٣ ) كمكر الزيت فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه :

رواه الترمذي في مسغة جهنم (۲۰۸۱، ۲۰۸۱) والتفسير (۳۳۲۷) وأحمد في مسنده (۱۱۲۷۵) من حديث أمي سعيد عن النبي ﷺ توله : ﴿كَالْمَهِلُ﴾ قال: «كمكر الزيت فإذا تربه إلى وجهه سقطت فورة وجهه فه». قال أبو عيسي: هذا حديث لا نعرف إلا من حديث رشدين قد تكلم فيه .

#### (٣٣٧) تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء:

رواه مسلم فى الطهارة (٣٥٠) وأحمد فى مسنده (٨٦٣٧) من حديث أبى حازم قال: كنت خلف أبى هريرة وهو يتوضأ المسالة فكان يمد يده من مسئلة في هورية ما ماذا الوضوء فقال: يا بنى، فررع أنتم هاهنا أو علمت المسالة فكان يمد يده بناء، فررع أنتم هاهنا أو علمت الكرم المائه الوضوء من يدوية المؤسسة ويورة المائه المناوع في المائه المناوعة في المائه ا

#### ( ٢ ٣ ٢) ما أنحم الله على عبد نعمة أهل أو مال :

ذكره السيوطى فى الجامع الصنير ( WAY) بلقظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شأه الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل قفة حتى تأريه منيته و يؤرا: ﴿ وَرَالُو إِذَ دَّمَاتَ بِحَلَّكُ مَا مَادَاهَ الله لاَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾. ونسب لابي يعلى في مصند والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس وقال: فسيف. قال الهيئمي المجمع: رواه الطورائي في الصغير و الأرسط وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضميف. روزاه ابن ماجة في الأمر (٥٠٨٣) من حديث أنس قال: قال: رساء إلله ﷺ: وما أنمه الله على عبد نعبة قفال: الحمد لله إلا كان الذي أعلاأ فضل ما أخذ،

# (٩٩٥) ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز:

رواه البيضارى في الجهاد (٢٩٩٧) والمغازى (٢٤٠٥) والدعوات (٢٦٨٤) والقدر (٢٦٦٠) والترجيد (٢٦٦١) ومسلم في الشيخار المسلم في الدعام (٢٩٠٤) والمسلم في الشيخ المسلم المس

# (٢٦٩) في ظلال القرآن 1 / ٩٩ طبع عيسى البابي الحلبي .

#### (٢٦٧) يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد:

رواه البخارى في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠,٣٣٤) والتقسير (٤٧٦) ومسلم في الأيمان (١٩٤) والترمذي في صفة اللهاء ال

# (٧٩٨) في ظلال القرآن .

#### (٢٦٩) لكل غادر لراء يوم القيامة:

رواد البخارى فى الجزية (۱۳۸۷) ومسلم فى الجهاد (۱۷۲۷) واحدد فى مسنده (۱۲۰۳) من حديث أنس عن النبى ﷺ قال: واكم المبخارى فى البخرية قال: واكم المبخارى فى البخرية قال: واكم المبخارى فى البخرية (۱۸۹۸) والحيل (۱۸۹۸) والحيل (۱۸۹۸) والحيل (۱۸۹۸) والحيل (۱۸۹۸) والحيل (۱۸۹۸) منه عنهما فى الجهد (۱۸۹۷) والحيل (۱۸۹۸) منه عنهما فى الجهد (۱۸۹۷) والدرمت الترك فى المبدر (۱۸۹۸) وأحدد فى مسنده (۱۸۹۸) من الجهاد (۱۸۹۷) والمبادر (۱۸۹۷) والدرمى الهيرو (۱۸۹۷) وأحدد فى مسنده (۱۸۹۸) من مديث عبد الله مسلم فى المبدر (۱۸۹۷) والحدد فى مسنده (۱۸۹۸) من مديث عبد الله والمبدر (۱۸۹۷) والحدد فى مسنده (۱۸۹۱) والمبدر المبدر (۱۸۹۷) والدرمت فى المبدر (۱۸۹۱) والمبدر (۱۸۹۱) والدرمت فى المبدر المبدر المبدر والمبدر المبدر المبدر المبدر فى المبدر (۱۸۹۱) والدرمت فى المبدر المبدر والمبدر المبدر والمبدر وا

# (٢٧٠) يحشر الناس يوم القيامة حقاة عراة غرلا:

رواه أصد في مسنده (١٩٦١) من حديث جابر بن عبدالله قال: بللني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله ملى الله بلارية فل مسنده (١٩٦١) من حديث جابر بن عبدالله قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله بن أنيس فقات المواجئة في المناجئة والمناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة والمناجئة في المناجئة والمناجئة في المناجئة والمناجئة والمناجئة في المناجئة والمناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة في الفرة المناجئة في المناجئة في الفرة المناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة في الفرة والمناجئة في المناجئة المناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة في المناجئة المناجئة المناجئة المناجئة المناجئة المناجئة المناجئة المناجئة المناجئة الم

صفة القيامة (۲۶۲۷) وتفسير القرآن (۲۳۳۷) وانسانى فى الجنائز (۲۰۸۱) والدارمى فى الرقاق (۲۸۲) والدىد قى مستد قب مستد فى الرقاق (۲۸۲) والدارمى فى الرقاق (۲۸۲) والدارمى فى الرقاق (۲۸۲) ما بدانا مستد (۲۰۹۱) من حديث ابن عباس من النبى ﷺ قال : وإنكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ : وإنكما بدانا المسال فأفول : أصحابها فيقول، فيقول، في المسال فأفول : أصحابها فيقول، كما قال العبد المسالح: والمسلل في المرتبع في المرتبع ثم بزائلها موتدين على أعقابهم منذ فاراتهم فى الزقاق (۲۸۳) من المسال في المرتبع فيهذا ما دعت فهم فلما توقيعي)» إلى قوله : والنوز العكيم ورواه الدارمى فى الزقاق (۲۸۳۰) من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : قبل ك دما المقام المحمودة قال : وبل الله تعالى على كرسيه ينذ كما من ينكسي بنظ المرحل الجديد من تشايقة به وهو كمعة ما بين السماء والأرض ويجاء يكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إيراهيم بقول الله تعالى: الكرون ور

# (٧٧١) خلقت الملائكة من نور وخلق البحان :

رواه مسلم في الزهد (٢٩٩٦) وعبد بن حميد في مسنده (١٤٧٧) وأحمد في مسنده (٦/١٥٣/٦) من حديث عائشة.

#### (٢٧٢) ألا تصلان:

رواه البخارى فى الجمعة (١١٢٧) والاعتصام (٧٢٤) والتوحيد (٢٤٥) ومسلم فى صلاة المسافرين (٧٧٥) من حديث على بن أبى طالب: أن رسول الله ﷺ طرفه وقاطمة بنت النبى عليه السلام لهلة ققال: «ألا تصليان ٢٠ فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بهد الله فإذا شاء أن يبحثنا بمثنا مانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ الإنسانَ أكثر فِي جِندُا﴾

(٢٧٢) يعنى: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام ؟

(٢٧٤) أوددت أنه كان صبر حي يقص علينا من أخبارهما :

(٧٧٥) صفوة التفاسير ، تأليف محمد على الصابولي ٣/٧ ، ٢ طبعة دار القرآن الكريم بيروت .

(٢٧١) في ظلال القرآن بتصرف كبير .

(٧٧٧) إن الغلام الذي قبلته العضر طبع كاقرا:

رواه مسلم فى القدر (٢٦٦١) وأبو داود فى السنة (٤٧٠٥ ، ٢٠٠٥) والقرمذى فى التقسير (٤٣١٠) وأحمد فى مسئده (٢٠٦٨ - ٢) من حديث أبى بن كعب قال: قال رسول الله 業؛ وإن الغلام الذى قتله الخضر طبح كافرا واو عاش لأوهق أبريه طفهانا وكفراه

تمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله وبها تم الجزء (الخامس عشر)

# محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7779	تفسير سورة الإسراء:	
4444	﴿سبِمان البذي أسرى بسعب به لسيسلا﴾	`
7797	﴿وماتىيىتا مىوسى الكتاب وجىعلىناد ھىدى﴾	۲
7747	«نريسة مسن حسم استا مسع نسوح»	٣
44	﴿ وقضينا إلى بنني إسراءيل في الكتاب ﴾	٤
44	﴿ فَا إِذَا جِمَاء وعد أولاهما بسعاد الله	۰
44	﴿شسم رددنسا لسكسم السكرة عسلسيسهسم﴾	٦
YA** ·	﴿إِنْ أَحَسِنَتِمِ أَحَسِنَتِمِ لأَنْ غَسِكِمٍ﴾	٧
44	﴿عسى ريكم أن يس حمكم وإن عستم عدنــا﴾	٨
YA14	﴿إِنْ هِــذَا الْـــــــــــرمان يــــهــدى لـــلــــــــى هــــى أقـــوم﴾	٩
YA14	﴿ وَأَنْ السَّدِيسَ لَا يَسْرُهُ سَنَّسِنَ بِسَالًا عَسْرَةَ ﴾	١.
444.	﴿ ويسدع الإنسان بسائشس دعساءه بسائسة سيسس ﴾	١,,
7747	﴿وجعائث السايل والشهار «ايتهن﴾	14
7777	﴿ وكبل إنسبان ألـزمـنـاه طـاثـره فـي عـنــــه ﴾	14
7777	﴿ اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾	١٤
7777	﴿من المحتدى فسإنسما يسهندى لسنسه﴾	١٥
7777	﴿ وإذا أربنا أن نهلك قريدة أمرننا مترفيها	17
4444	﴿ وكم أهلك تما من القرون من يعد نوح ﴾	17
4444	﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء﴾	1.4
7874	﴿ وَمِنْ أَرَادَ الْأَشْرَةُ وَسِعِي لَهَا سَمِيهَا وَهُو مَنَّمَنُ ﴾	19
7771	﴿كديلا نسعد هسؤلاء وهسؤلاء مسن عسعاساء ريك	٧٠
7771	﴿انْ عَلَى كِيفَ فَمْنَا نَا يَعَمُنَ هِمْ عَلَى يَعَمُنَ﴾	11
<b>YAY</b> Y	﴿لا تـــجـــعـــل مـــــع الله إلـــهــــا آخـــــر﴾	77
7777	﴿ وقضى ربك ألا تــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	77
<b>YAT</b> '\	﴿وَاحْتَفْضَ لَنَهِمَا جَنْبَاحَ الَّذَلُ مَنْ البَرْصَمَةَ﴾	4.5
YATV	﴿ريكم أعلم يحما فني تنفس كنم﴾	- Yo .
7.479	وروات ذا القريبي مقه والممكيين	41

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4744	﴿إِن السمبذرين كانوا إخوان الشياطيين	YV
7387	﴿وَإِمَا تَعْرَضُنَ عَنْهُمُ إِبْتُغَاءُ رَحْمَةً مِنْ رِيكَ تَرْجُوهَا	YA
7387	﴿ولا تــجـعـل يــدك مــغــلـواحة إلسي عــنــقك﴾	79
7387	﴿إِنْ رِيكَ يَسِيسِطُ الْسِرِيْقِ الْسِمِينَ يَشْسَاءُ وَيَسْقَسِرِ﴾	٣٠
3347	﴿ولا تــقـــــــاــوا أولادكـــم خشــيـــة إمـــلاق﴾	71
<b>73</b> 87	﴿ولا تــقــريــوا الـــزنــى إنــه كـــان فــاحشــة﴾	44
1007	﴿ولا تنقبت لنوا النفس التي حبرم الله إلا ينالصبق﴾	77
7007	﴿ولا تَشْرِينُوا مِنَالُ الْبِينِيمِ إِلَّا بِنَالِتِي هِنِي أَحْسَنُ﴾	37
7007	﴿ وَأُوفَ عِنْ السَّكِينِ إِذَا كَسَاءِ عَنْ ﴾	. 40
YA0Y	﴿ولا تـــقــــف مــــا لــــهس لك بــــه عــــلـــم﴾	77
4404	﴿ولا تـــــمش فــــــى الأرض مــــرحـــــا﴾	777
*FA7	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	77.
17.57	﴿ذلك مسمسا أرحسي إلسيك ربك مسن السعسكسمسة﴾	79
37.47	﴿أَفَأَصِفَاكُم ربكم بِالْبِنِينِ وَاتَّخَذُ مِنَ الْمَلَائِكَةَ إِنَاتُنَا﴾	٤٠
37.87	﴿ وَلَــقَــه صَدِ فَــدَا فَنِي هَــذَا الْــقِـرِ وَانْ لَـيذَكِـرِ وَا ﴾	٤١
37.87	﴿قُلُ لُكِ كُنَّانَ مُعِنَّهُ وَالْبَهِنَّةَ كَيْمِنَا يَنْقُبُولُونَ﴾	٤٢
37.87	﴿ ب و ت	27
37.47	﴿تسبيح لنه السبمساوات السبيع والأرض﴾	٤٤
YA7Y	﴿ وَإِذَا قِسِرَاتِ السِّقِسِرِ مَانَ جِسَعُسِلَ عَسَا يَسْيَسِنِكَ ﴾	٤٥
7777	﴿ وجِ عَالِمُ الْعَسَاعِ عَالَى قَالَونِ عِهِمَ أَكَثَ مَا نَالِ	13
7777	﴿نصن أعمام بصما يستممون بــه﴾	£ Y
VANV	﴿انْسِظْسِرِ كِسِيفَ مُسِرِيسُوا لِكَ الْأَمِسِيْسِالِ﴾	٤A
444.	﴿وقدالوا أوذا كسنها عسظهامها ورفساتها	٤٩
444.	﴿قــــل كــــونـــوا حـــــارة﴾	۰۰ ۱
YAV•	﴿أُن خَالَقَا مَا مِنَا يَسَكُنِسُ فَنِي صَدِورِكِمَ﴾	٥١
444.	ويــوم يــدهــوکـم فــتســ <del>ة جـ</del> يــيــون يــحــمـده	٥٢
YAYY	﴿وقبل لسعبهادي يسقبولوا الستبي هني أحسبن	97
7447	(ربکم اعلم بکم ان یشا پر دمکم)	0 £

	(	مهرد ا
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
YAYY	﴿وريك أعطم بمن قسى السماوات والأرض	00
YAYo	﴿ فسل ادعسوا السنيسن زعسمستسم مسن دونسه ﴾	٥٦
4440	﴿ أُولَٰ مَكُ الدَّيْنَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلَى رَبِهُمُ الْوَسِيلَةُ ﴾	٥٧
4440	﴿وإن من قرية إلا نمن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾	٥٨
4440	﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾	٥٩
4440	﴿ وَإِذْ قَسَاسَتِ اللَّهُ إِنْ رَبِكَ أَمَسَاطُ بِسَالَسَفِ إِنْ ﴾	٦٠
444.	﴿ وَإِذْ قَسَاسَتُ السَّاسِطَالُاسُكِسَةَ اسْسَجِسُدُوا لأَدْم ﴾	7.1
444.	﴿ قَــال أره هِــتك هــنا الــذي كــرمت عــاــي ﴾	٦٢
444.	﴿قــال اذهب قــمـن تـــبـعك مــنــهـم﴾	7,4
444.	﴿واستفزد من استطعت منهم بمسوتك	٦٤
444.	(ان عسبادی اسیس لله عملی بهم سلطان)	٦٥
3447	﴿ربِ كِمِ السَّذِي يُسرَجِسي اسكسم السفطك﴾	77
3442	﴿ وَإِذَا مَسِكُم الصِّر فِي البِيصِر هِيلَ مِنْ تَدِعُونَ ﴾	٦٧
3 A A Y	﴿أَنْسَامَ نَدْ مَ أَنْ يَسْمُسُفَ بِكُمْ جَسَانِهِ السَّهِيرِ﴾	٦٨
3AAY	﴿أَمُ أَمَـنَدِهِ أَنْ يَعْمِيدِكُمْ فَدِينَهُ تَسَارَةَ أَخْسَرِي﴾	79
3 A A Y	﴿والقدكرمنا يني ءادم وحملناهم في البر والبحر﴾	٧٠
PAAY	﴿يــوم تـــدعــوا كـــل أنيــاس بـــامــــهـــم﴾	٧١
YAA4	﴿ رومـــــن کـــــان قـــــى هـــــنه أعــــهـــــى﴾	٧٢
PAAY	﴿ وإن كادوا ليه فتضونك عن الذي أوحينا إليك ﴾	٧٣
PAAY	﴿ <u>وا</u> ولا أن ثـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٤
PAAY	﴿إِذَا لأَنْقَبْنَاكُ عُنْفِقَ الْبَهِيَاةَ وَقَنْفِقُ الْمَعْنَاتِ﴾	٧٥
PAAY	وران كسادوا إسيستسقسقونك مسن الأرض)	٧٦
PAAY	﴿سبنية من قيد أرسياسنيا من رسياسنيا﴾	VY
7887	وأقه المسلاة الماسوك الشمس إلى غسق الطبيل	VA
7.P.A.Y	«رمـن الـلـيـل فــــــهـجـد بــه نــافــلـة لك♦	V4
7847	رب أدخ <u>ا</u> نصدق♦	۸٠
FPAY	أورةل جـساء الـــحـــق وزهـــق الـــبـــاطـــل♦	۸۱
7847	وُرنسندن من القروان منا هنو شفناء ورحمة	AY

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
TPAY.	﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونثا بجانبه	۸۳
YAAR	﴿قَالَ كَالَ يَعْمُ مِنْ عَمَانِي شَاكَاتُ مَانَ	A٤
79.7	﴿ ويسالُ ونك عدن الروح قسل الروح مدن أصو ريسي	٨٥
79.9	﴿ وَاسْتُمْنُ الْمُنْسُمُ الْمُنْسُمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ال	7A
79.9	﴿الا رحـــــة مــــــة مـــــــة	AV
44.4	وقيل استثن اجيات معت الإنس والسجن)	AA.
79.9	ولقد مدرفنا للناس في هذا القرءان من كل مثل	A5
7917	﴿ وقيال المان نسوة مان لك حساسى	4.
7917	﴿ أَو تَسَكُونَ الله جَسْسَةَ مَسِنُ نَسِيصَهِ إِلَى وَعَسَبُ ﴾	41
7917	﴿أَن تَسِــةَ ـِطُ السِــمِــاء كِــمــا رُعـــمت﴾	47
7917	﴿أُو يِكُونَ لِكَ بِينَ مِنْ زَهْرِفَ أُو تَرقَى فَى السَّمِنَاء﴾	44
7917	﴿وما منع الناس أن يسرَّمنوا إذ جاءهم الهدى﴾	48
7917	﴿قل ليوكان في الأرض سلائكة يعشون مطمئنين	40
7917	﴿قـل کـفـی بـالله شــهـیـدا بـیـنـی ریبیـنـکـم﴾	43
7917	﴿ومِسِنْ يَسِهِدُ اللهُ فَسِهِ وَ الْسِمِهِ عَسَدَ﴾	4٧
7917	﴿ذلك جِيزانُ هِم إِسَانَتُهُم كَنْ مَنْ إِلَا الْمِياتِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ	4.4
7917	﴿ أَو لَـم يسروا أَنْ الله السَّدَى شسلتَ السَّمساوات والأرض ﴾	44
7917	﴿ قَسَل لِسُو أَسْتُم تَسَمَلِيكِينَ خَبِرَالِينَ رَحْمَةً رَيْسَ ﴾	١
7977	﴿ واسقد أنسيسنسا مسوسسي تسسع ءايسات يسيسنسات ﴾	1.1
7977	﴿قَالَ لَقَدَ عَلَمَتَ مَا أَنْزَلَ هَزَّلَاءَ إِلَّا رَبِّ السَّمَاوَاتَ وَالْأَرْضَى﴾	1.4
7977	﴿ فَـــارُاد أَنْ يســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.4
7977	﴿ وَاسْلَامْنَا مِنْ يَنْفِيهُ لِينْشِي إِسْرَاءِيْنُ اسْكَمْنِوا﴾	١٠٤
7977	﴿ ويـــالـــحــق أنـــزاـــنــاه ويـــالــحــق نـــزل﴾	1.0
7977	﴿ وقرءائنا فرقنناه لتقرأه على النناس على مكث﴾	1-7
7977	﴿قَــسل ءامـــنــوا بـــه أو لا تـــؤمــنــوا﴾	1.4
7977	﴿ ريسقسواسون سيسسان ريسنسا	١٠٨
7977	﴿ وي من اللائقان بي كون ﴾	1-9
7977	﴿ السَّالَ لَدَعَ عَلَا اللَّهُ أَنِ الدَّعِينَ وَاللَّهِ الْعِينَ اللَّهُ الْعَلَامِ اللَّهُ أَنِ الدَّعِينَ اللَّهُ	11.

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7977	﴿وقال الحصدالله الدي لم يستحضد واحدا﴾	111
7970	تقسير سورة الكهف ا	-
7977	دروس من سورة الكهف ،	-
13.97	أهداف سورة الكهف ا	_
73.27	﴿الصمد 4 الدي أندل ملي عبده الكتباب﴾	١ ،
7387	﴿ قَدِيمِهَا لِيسْدُر بِأَسِا شَدِيدًا مِن لَدِنَه ﴾	۲
7387	﴿ ساکٹ یا۔ ﴾	٣
7327	﴿ ويــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤
73.PY	﴿مسالسهم بسه مسن عسلسم ولا لأيسالسهم)	۰
73.27	﴿ وَسَارِهِ عِلَاكُ إِسَاعُ مِنْ فَعِيلًا عَسَاسَى وَالْسَارِهِ مِنْ إِنَّ ﴾	٦
7387	﴿إِنْسَا جِنَّهِ بِلَّادُ أَمْنَا عَبْلِنِي الأَرْضَ رُيْسَتَنَّةُ لِنَّهِنَا﴾	٧
73.27	﴿وإنــالـــجــاعــاـــون مــا عــاــيــهــا﴾	٨
7901	﴿أُم حسبت أن أمسحساب السكمهسف والسرقسيسم﴾	4
7401	﴿إِذْ أَوَى السَّفْتِ يَبُّ إِلَّهِي السَّكِيمِ السَّفِينَ﴾	١.
7901	﴿فضر ريد قدا عدلسي فأقا تسهيم قبي النكيهاف﴾	- 11
7401	﴿ ثِيم يَنْ مِنْ نِنَاهِم لِينَ عِنْ أَي النَّمِيْنِينَ ﴾	14
79.07	﴿نبيمِينَ تُنْقِمِن عِيلِيكِ تَبِينَاهِيمِ بِسَالِيحِيقَ﴾	١٣
7907	﴿ وريسطسنسا عسلسي قسلسويسهسم إذ قسامسوا فسقسالسوا	١٤
7907	ومولاء قومنيا اتندوا من دونه والبهة	١٥
7904	﴿ وَإِذَا اعترَات موهم وما يسعيدون إلا الله ﴾	17
79.07	ورتسرى الشمس إذا طباحث تسزاور عبن كمهمقمهم	١٧
7907	ورت معلم رقد ود» مراجع رقد ود»	١٨
7909	و <u>ک ذلک بعث ناهم است ساط وا بی نهم</u>	14
7909	(انهم إن ينظهروا عبلي كم يسرجم وكم)	٧٠
7909	وركة لله أعشرتا عليهم ليعلموا أن وعداله عق	۲۱
7909	« سيسقدولدون شالاثسة دايسه سم كسلسسه س.» ،	. 44
Y41Y	ولا تـــقــواـــن لشــــى و إنـــى فــــاعـــل نلك غــدا . ﴾	44
7977	﴿إِلا أَن يَدْ الله ﴾	45

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
794.	﴿وليفواقي كمهفهم ثلاث مائمة سنين﴾	۲0
797.	﴿قَلَ اللهُ أَعِبُمُ بِمَا لَبِكُوا لَهُ غَيِبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ﴾	47
7977	﴿واتــل مـــا أوحــى إلىــيك مــن كـــــــاب ربك﴾	77
7977	﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ريهم بالغداة والعشى	47
7977	﴿ وقــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	44
7977	﴿إِن السنيسن دامه في وعدم السوا الصدال حداث	٣٠
7977	﴿ أُولَـٰ لُكُ لَـٰهُم جِنَّاتِ عَدَنَ تَجِرِي مِنْ تَحْتَهُمَ الْأَنْهَارِ ﴾	۳١.
7979	﴿ وَاصْرِبُ لَهُمْ مَقَالًا رَجِلَيْنَ جِعَلَنَا لأَحْدَهُمَا جِنْتَيْنَ ﴾	77
7979	﴿كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئا﴾	۳۳ -
7979	﴿ وكسان السه السميس فسقيدال لمساحبيده ﴾	4.5
Ý9V9	وري <u>د ل جدنت</u> ه وهي ظالم لننسه	٣٥
7979	﴿ رَمْ الْطَلِينُ السِلَعِينَ السِلَعِينَ السِلَعِينَ السِلَعِينَ السِلَعِينَ السِلَعِينَ السِلَعِينَ	47
7979	﴿قسبال لبنه منساحيته وهسوينحساوره﴾	٣٧
7979	﴿ اِ ﴾ نا هـ و الله ريـــــى﴾	۳۸
7979	﴿واولا إذ يخــات جــنتك﴾	44
7979	﴿ فَ حَسَى رَبَّى أَنْ يَسُوِّتَنِينَ خَيْرًا مِنْ جَنْبَكَ ﴾	٤٠
7979	﴿أُويمَ بِ ح مَارُهِ الْحُورا﴾	٤١
7979	﴿رَاحِيْ طِ بِصْنَمِيرَهِ فَأَصَّبِيحِ يَبِقَبُكِ كَفَيْتِهِ﴾	٤٢
7979	﴿ واسم تسكسن لسه فسئسة يستمسرونسه ﴾	٣٤
7979	﴿ مــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٤
Y4.6Y	﴿ واضرب لنهم مثل السميناة النشيبا كيمياء﴾	٤٥
Y4.67	﴿العمال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾	٤٦
79.89	﴿ويسوم نسيسر السجال وتسرى الأرض بسارزة	٤٧
79.89	﴿وعـرضـواعـلـى ريك صـفـا لـقـد چـئـتـمـونــا﴾	٤٨
79.69	﴿ورضع الكتباب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾	٤٩
<b>799</b>	﴿ وَإِذْ قَالِمُنَا لِلْمَالِينَ كَا أَسْجِدُوا لِأَنَّمَ مُسْجِدُوا ﴾	۰۰
7997	﴿مِا أَشْهِدِتِهِم خَسَلَقَ السَّمِاوَاتِ وَالْأَرِضَ﴾	٥١
7997	ويوم يقول نادرا شركاءى الذين زعمتم قدعوهم	٥٢

رقم الصفحة	أول الآيــات	رقم الآية
7997	ورءا المجرمون المنار فيظنوا»	٥٣
Y99A	﴿واسقد مسرفضا في هذا القرآن للناس﴾	30
Y44A	﴿ ومسا مسنسع السنساس أن يسوَّمسنسوا﴾	٥٥
X99A	وصا ترسل المرسلين إلاميشرين ومتزرين	٥٦
APPY	﴿ ومن أظلم معن نكر بايدان ديده نسأعرض عنها ﴾	٥٧
Y99A	وربك الفشور ذو الرحمة لويؤلخذهم بما كسبوا	۸۵
Y44A	﴿واسلك السقسرى أهسل كم نساط المساط المسوا	٥٩
44	﴿ وَإِذْ قَسَالُ مَسُوسِي لَسَقَعُنَاهُ لا أَيْسَرَح ﴾	٦٠
77	﴿ فلما بلغا مجمع بينهما تسيا حرتهما ﴾	71
4	﴿ فِسَا حِنْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَاءُ مِنْ ﴾	77
77	﴿ السَّالُ أَرْمِيتُ إِذْ أُونِهِ لَا أَنِي السَّالِ السَّالِ السَّالِ السَّالِ السَّالِ السَّالِ السَّالِ السَّالِ	75
4	﴿ قَــال ذلك مــا كــقـا تــبــخ فــارتــدا﴾	٦٤
4	﴿ فَوَجِياً عَبِدا مِنْ عَبِادِنَا وَالْيِنَاهِ رَحْمَةً مِنْ عَنْدَنَا ﴾	70
4	﴿ قَـَالَ لِنَّهُ مَــوسَــي هَــلُ أَتَـبِـعَكُ عَــلَــي أَنْ تَـعـلَـمـن ﴾	77
44	﴿ السَّالَ إِنَّكَ لُسِنَ السَّلَسَطَيْسِعِ مَسْعَسِي مَسْجِسُوا . ﴾	7.9
44	﴿وكنينة، تصنيب عبلي منا ليم تنصطيبه خيبرا.﴾	٦٨ ا
44	﴿ نَسَالُ سَـ نَسِيدُ اللَّهِ عَسَاءَ اللهُ مَسَايِسِرا﴾	71
44	﴿قَالَ فَإِنْ الْسِعِيدَيْنِي فِيلا تَسِأَلِنِي عِنْ شِيءٍ﴾	٧٠
44	﴿ فَانْطَلَقَا حَتَى إِنَّا رَكِينًا فَيَ السَّفَيِنَةُ﴾	٧١
44	﴿ قــــــال أقــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٧
44	﴿ قِــال لا تـــال هـــنــى بــمــا نســيت﴾	٧٣
4	﴿ فَانْطَلِقًا مِنْنَى إِذَا لِشَيًّا غُلَامًا فَقَتْلَهُ ﴾	٧٤
7.11	تخريج أحاديث فهوامش .	-
4.44	ههرس الكتاب .	-

تم بحمد الله الجزء الخامس عشر ويليه الجزء السادس عشر بإذن الله

# تفسير القرآن الكريم

الجزء السادس عشرمن القرآن الكريم

الدكتور

عبد الله شحاته



# مِنْ الْحَالَةُ وَالْحَامِ

المفردات :

· السميساكين ؛ واحدهم: مسكين ، وهو الضعيف العاجز عن الكسب؛ لأمر في نفسه، أو في بدنه .

يعملون هي البحر ، يواجرون ويكتسبرن .

أميييها: أجعلها ذات عيب.

أليس وراثي أن أدبي على العصا فيأمن أعدائي ويسأمني أهلى

خشـــــــاد خفنا.

يسرهستسهسماه يحملها.

ط ف باتا ، مجاوزة للحدود الإلهية .

زكييناة؛ طهارة من الذنوب.

رُخ مه كالكُثرُ والكثرة .

مسئن امسرى، عن رأيه، واجتهادى .

مسائم تسسطسع ، أي : تستطع ماضيه : اسطاع ، الذي أصله : استطاع .

#### تنهيد:

أمور ثلاثة ، تمجل موسى عليه السلام فى الإنكار عليها عند حدوثها ، وكان الخضر قد أعطى شفافية خاصة ، ومعرفة ببواطن الأمور وخفاياها ، وهى معرفة لايطلع عليها إلا من اختصه الله من عباده ، بهذا العلم ، فهو علم لدنّى ، من لدن الله العلى القدير ؛ حيث قال سبحانه فى شأن الخضر : وَالْيَنَهُ رَحْمُهُ مِّنْ صِلْهَا وَمُلْكُنُهُ مِنْ لُلُنًا عَلْمًا . (الكهف : ٢٥) .

وخلاصة هذه الأمور هنى : تمثّل الضرر الأصغر فى سبيل دفع الضرر الأكبر ؛ فتحمل الخضر ضرر ` خرق السفينة فى سبيل دفع اغتصابها ، وقتل الفلام؛ حتى لا يُنسد على والديه إيمانهما ، وينى الجدار ؛ متى يشب البتيمان ، ويستخرجا كنزهما من تحته ؛ رحمة من الله تعالى .

# التفسيره

٥٧- قَالَ أَلَمْ أَقَل لَّكَ إِنَّكَ أَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا.

أكد الخضر في التذكير بالشرط الأول ، وذكر هنا :

أَلَمْ أَقُل نُّكَ ، أي : لك أنت على التعيين والتحديد ، فلم تقتنع وطلبت الصحبة وقبلت الشرط .

٧٦ - قَالَ إِن سَأَلُتُكَ عَن شَيْءٍ يَعْنَهَا فَلا تُصَلَحِنِي قَدْ بَلَفْتَ مِن لَّذُنِّي عُذْرًا .

أى : إن اعترضت عليك بعد هذه المرة فى شىء : فاترك صحبتى ، ولك العدر فى ذلك حيث أكرن قد خالفتُ الشرط ثلاث مرات .

٧٧ - فَانطَقَقَا حَتَىٰ إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قُرْيَةِ اسْتطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبُواْ أَنْ يُعَنَيُّوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا حِدَرًا يُرِيدُ أَن يَفَعَنُ فَأَقَامَهُ, قَالَ لُوْ هِنْتَ كَعَفْدَتَ عَلَيْهِ أَجْرًا .

أى: منثيا حتى وصلا إلى قرية أهلها لؤماء ، وهما جانعان ، وأهل القرية لايستضيفون ضيفا ، ولايكرمون غريبًا ، فطلبا طعاما فامتنعوا عن ضيافتهما ، ورجد الخضر في هذه القرية جدارا مائلا يونك أن يسقط ؛ وإذا الخضر عليه السلام ، يشغل نفسه بإقامة الجدار ، وإصلاحه وتقويته وتعديله ؛ حتى يصبح بحالة حيدة .

وهنا يحس موسى بالتناقض بين عمل أمل القرية ويظهم الشديد ، ورفضهم إطعام رجلين غريبين ، وبين الجهد الذي بذله الخضر في إمىلاح الجدار لهم دون مقابل ، وقال للخضر :

لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا.

أنكر عليه موسى صنع المعروف في غير أهله ، وقال موسى : لو أهذت منهم أجرًا على إصلاح الجدار: تستطيع أن تستعين به في شراء الطعام .

روى : أنْ موسى قال للخضر: قوم استطعمناهم فلم يطعمونا، ومُسيَّعناهم فلم يضيَّلونا ، ثم قعدت تبنى لهم الجدار؛ قَرْ هِنْتَ تُتَخَذُّتَ عَلَيْهِ أَجْرًا .

٧٨ - قَالَ هَلْذَا فِرَاقَ يَنْنِي وَيَنْنِكَ سَأَنْتُكُ بِتَأْرِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عُلَيْهِ صَبْرًا .

أى: قال الفضر لموسى: أن وقت الافتراق بيننا حسب قراك ، سأهبرك بالمكمة الكامنة والسُّر المهبًّا وراء هذه الأعمال الثلاثة ، التى أنكرتها: لأنك لم تطلع على الأسباب الكامنة وراءها .

روى الشيخان : أن رسول الله ﷺ قال : ورحم الله أهى موسى لوددت أنه صبر حتى يتمنَّ الله علينا من أمرهما ، واو لبت مع صاحبه؛ لأبصر العجياء (°) .

٧٩ - أمَّا ٱلسَّفِيئَةُ فَكَانَتْ لِمَسْاجِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْهِشْرِ فَارَدتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَزآءَهُم مِّلِكَ يَأْخُذُ كُلُّ سَهِيّةٍ هَمْنُ .

أي: أما فعلى ما فعلته بالسفينة ، فإنها كانت لقوم ضعفاء ، لايقدرون على دفع الظُلمة ، وكانوا يؤاجرونها ، ويكتسبون قوتهم منها ، فأردت أن أعيبها بالخرق الذي خرقته ، وكان أمامهم ملك ظالم يسترلى على كل سفينة صالحة للعمل غصباً وعنوة : فأردت أن أعيبها : ليتركها الملك الظالم لهم ؛ فهر عمل مراّم في الظاهر ، لكنه نافع مفيد في عاقبته .

٨ - وَأَمَّا ٱلْفُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِئِينَ فِخَشِينَاۤ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيلنًا وَكُفْرًا .

أي: رأما الغلام الذى قتلته ، فقد كان أبواه مؤمنين مسالمين ، وكان الغلام كافرًا فلجرًا ، وقد روى مسلم في صحيحه: (أن الغلام الذي قتله المضرر طبع كافرًا ولى عاش؛ لأرهق أبويه طفيانا وكغرا)<sup>(0)</sup> .

أي: علم الله أنه لو أدرك الغلام ويلغ؛ لدعا أبويه إلى الكفر فأجاباه ودخلا معه في دينه؛ لفرط حبهما له.

٨١ - فَأَرَدْنَا أَن يُنْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مُّنَّهُ زَكُوٰةً وَٱلْرَبَ رُحْمًا .

أي: أراد الله ورجُّه إرادة العبد المصالح إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعة كافرة طاغية ، وأن يبدلهما الله خلفاً خيرا منه ، وأرحم بوالديه ، وأكثر شفقة عليهما ويرا بهما .

جاء في مختصر تفسير ابن كثير للصابوني :

قال لتادة : قد فرح به أبراه حين ولد ، وجزنا عليه حين أثل ، ولو بقى ؛ لكان فيه هلاكهما ، فليرض أمرق بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمرّمن فيما يكره ؛ خير له من قضائه فيما يحبّ ، وصبع فى الحديث : «لايقضے الله لمرّمن قضاء إلا كان خيرًا له» " .

وقال تمالى : وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيُّنَا وَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ . (البقرة : ٢١٦) .

فَأَرَدُنَا أَن يُبْدِلُهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوْةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا .

أي: ولذا أزكى من هذا . وقال قتادة: أبر بوالديه ، وقيل: لما قتله العُضر ؛ كانت أمَّه حاملًا بغلام مسلم، والله أعلم .

. و اخلاصة : أن الله أبدل والديه ذرية صالحة أكثر برًّا ورحمة وطاعة لله ، والأمر في جملته خاضع لعلم علام الغيوب ، وحكمته سبحانه وتعالى .

٨٧ - وَأَمَّا ٱلْمِيْدَارُ فَكَانَ لِفُلَنَمَيْنِ يَعِمَيْنِ فِي ٱلْمَنْيِنَةِ وَكَانَ نَحْتَهُ. كَنْزَ لَهُمَا وَكَانَ ٱلْوهُمَا صَلِحًا فَأَرَاهُ رَبُّكَ أَن يَتُلُعُا أَشْلَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَوْمُمَا رَحْمَةُ مِّن رُبُّكَ وَمَا فَعَلَتُهُ مِنْ أَمْرِي ذَلِكَ ثَأُولِلْ مَا لَمْ تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْرًا .

كان الخضر قد أقدام الجدار، وعدّله وثبيّته في مكانه ، وقصته: أن الجدار كان ملكا لغلامين يتهمين ، قد مات أبوهما ولو سقط الجدار؛ لاستولى الأوممياء على الكنز الذي تحته ، وكان تحت الجدار كنز من ذهب وفضة ، فناراد الله سبحانه وتصالى ، أن يبلغ اليتيمان أشدّهما ، أي: سن القوة والفتوة والرشد : فيستوليان على هذا الحائط ، ويرادته ورحمته بعبادة ولم يفطه على هذا الحائط ، ويرادته ورحمته بعبادة ولم يفطه الله من ورحمته بعبادة والم يفطه الله من المسلم على أن يحنى رأسه لكل ما يجيء به القدر : فقد يأتي الله تحالى بالنعمة ، وقد يأتي بالمحنة ، ونحن أمرنا أن نشكر على النعماء ، وأن نصبر على الباساء ، وأن نرضى بأسباب القضاء .

إن هذه المصالحة مع القدر ، وحلاوة الرضا والتوافق ، تمنح المؤمن زادًا من قوة اليقين ، وهدوم الباطن ، وحلاوة التسليم ؛ لكل ما يأتي به الله على حد قول القائل :

سلم الأمسر تجدنا نحن أولى بك منك

وفى الحديث الصحيح : أن جبريل سأل النبي 義 عن الإيمان فقال له النبي 業 : «الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبيم الآخر ، وإن تؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومرّه» <sup>(0)</sup>

وفي الحديث الشريف : «ما من عيد يبتلي بمصيبة فيقول : اللهم، الجرني في مصيبتي وعوضمي خيرا منها ؛ إلا عوضه الله خيرًا منا فقده: (\*)

ويقول النبى ﷺ: وإذا مات ولد المؤمن ؛ قال الله تحالى : يا ملائكتى ؛ أقبضتم ربح ولد عبدى؟! فيقولون : نعم يا ربنا ؛ فيقول سبحانه : أقيضتم قلبه وثمرة فؤاده ؟! فيقولون : نعم يا ربنا ، فيقول الله تعالى : فماذا قال عبدى ؟ فيقولون : يا ربنا ، حمد واسترجع ، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدى ببتا فى الجنة، وسئوه : بيت المعده ؟!

ومعنى : حمد واسترجع ، أي : قال : الحمد لله ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

وروى البشارى فى صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : وما يصيب النسلم من هم ولا حزن ولا تعب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها : إلا كفّر الله بها من خطاياه ، ولايزال البلاء يصيب المؤمن حتى يعشى على الأرض وما عليه خطيقة» أأن

وهى المديث الممصيح: أن رسول الله ﷺ قال : وأشدكم بلاء الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلي الرجل على حسب دينه ، ولايزال البلاء يصيب المؤمن حتى يمشى على الأرض وما عليه خطينة، %.

وهذه المعانى ثلثقى مع قمة موسى والغضر، وترمز إلى الرغبة الإلهية العليا في تسليم المؤمن، ، ورضاء بالقضاء والقدر، والتمتع بحلاوة الرضاء والهلين بالثواب والجزاء الكريم للممايرين.

هال تعالى : وَلَتَنْكُونُكُمْ بِشَيْءٍ مَنَ ٱلْخُوْهِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصِ مَنَ ٱلْأَنْوَ 'لروَالْاَلُسُووَاَلْنُمُ ' تَوَ وَالْمُوعِ وَنَقْصِ مَنَ ٱلْأَنْوَ ' لروَالْاَلُسُووَانَّ مُنَ وَالْعِلَمِ مَنَا اللّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ وَالْحَارِيَّ وَالْوَلَقِيلَ عَمْ مَنَاؤَاتُ مُنْ وَبُهِمَ وَرَحْمَةُ وَأُولَقِيلَكَ هُمُّ اللّهُ عَلَيْهِمْ صَلُوَاتٌ مُنْ وَبُهِمَ وَرَحْمَةُ وَأُولَقِيلَكَ هُمُّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مَنَاؤَاتُ مُنْ وَلِيهِمْ وَرَحْمَةً وَأُولَقِيلَكَ هُمُّ اللّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ وَبُهِمْ وَرَحْمَةً وَأُولَقِيلَكَ هُمُ الْهُمُعَلُونَ . (البقرة : ١٥٠٥ – ١٩٥٧) .

وفي الحديث الممحيح يقرل النبي ﷺ: «يقرل الله عز رجل: إذا ابتليت عبدى في حُبيبتيه (يعني: عينيه) فصير واحتسب: لم أجد له جزاءً درن الجنة» ٩٠٠.

ويقول تعالى : يَنْأَلُهُمَا الَّذِينَ عَامُواْ اَسْتَعِينُواْ بِالعَبْرِ وَالصَّلَوْةِ إِنَّ اللَّهُ مَعُ الصَّلْوِينَ ه وَلا تَقُولُواْ لِمَن يَفْعَلُ فِي سَبِيلَ اللَّهُ أَمَّوْ اسْ كَانْ أَحْرَاهُ وَلَذِينَ لَا تَطْعُرُونَ . (البندة : ١٥٢ . ١٥٤) . وإلى هذا تنتهى قصة موسى والغضر عليهما السلام وعلماؤنا ذكروا : فوائد ونصائح تتعلق بقصة موسى والغضر عليهما السلام نويُ أن ننكر جانبا منها :

 القدر حكمة إلهية عليا ، وأسبابُ هفية ، لم نطلع عليها ، من ذلك معرفة الغضر بأمور خفية وراء أفعاله الثلاثة ، وهى رمز لما ينبغي للمؤمن أن يعمله إزاء أحداث هذه الحياة ، علينا أن نحنى رءوسنا لكل ما يجيء به الله ، وكما قال القائل :

سلَّم الأمسير تجييانا تحين أوليي بك ملك

- Y الإخلاص فى طلب العلم والتواضع فى سبيله ، ومعرفة كل جديد ، وعدم الحياء من التعلم ؛ فقد يقعلم الفاضل من المفضول ، وقد شاهدت أساتذة فى علوم متعددة : يجلسون تلامذة أمام معلم كمبيوتر أقل منهم درجة وعلما ، وفى القرآن الكريم : وَمَا أُولِيتُم مِّنَ الْمِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً . (الإسراء : ٨٥) ، ويقول سبحانه : وَقُل رُسِهٌ ولئي عِلْمًا . (لله : ١٦٤).
- ٣ الرحلة في طلب العلم، ومعرفة الرجال الفضالاء، سمة من صفات العقالاء؛ فموسى عليه السلام يرحل
   إلى الفضر، مصمما على بلوخ هدفه.

قال البخارى: ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في طلب حديث واحد.

- ٤ أنه يجوز نفع الضرر الأكبر بارتكاب الضرر الأصغر؛ فإن خرق السفينة فيه ضرر ولكنه أقل من أهذ الملك لها غصّبا ، وإن قتل الفلام شرٌ ولكنه أقل من الضرر الذي سيترتب على بقائه ؛ وهو إرهاقه لأبويه وحملهما على الكفر.
- أن صلاح الآباء ينفع الأبناء ، بدليل قوله تعالى : وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُكَ أَن يَبُلُغَا أَشْتُهُمَا وَيَهِ عَالَى اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

وقد ورد في القرآن والمسنّة: ما يفيد : أن الرّجل الصالح يحفظ في نريته ، وتشعلهم من بركة عبادته ما ينفعهم في الدنيا والآخرة .

### قصص ذى القرنين ، ويأجوج وماجوج

مكُّن الله لذى القرنين فى الأرض ، وأعطاه الجند والأتباع والعزيمة والقوة؛ حتى استطاع أن يصل إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وشمالها ، وأن يمتد ملكه فى أعظم بقاع الأرض ، وأعطاه الله أسباب القوة والنصر ، فاستغلها ويسط ملكه محاولا إحقاق الحق ، وقهر الباطل والظلم .

قال الفسروت :

ذو القرنين هو (الإسكندر اليوناني) ملك المشرق والمغرب؛ فسمى: (ذا القرنين) وكان ملكا مرّمنا؛ مكّن الله له في الأرض فعدل في حكمه وأصلع، وكان في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما، وروى: أنّ الذين ملكوا الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، أما المؤمنان: فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران: فنمروذ ويختنصر (١٠٠).

ويدى بعضهم أن ذا القرنين من حمير، واسمه: أبو يكر بن أفريقش ، وقد رحل بجيوشه إلى ساحل: البحر الأبيض المتوسط، فعر بتونس ومراكش وغيرهما ، وينى مدينة أفريقية: فسميت القارة كلها باسمه ، وسمى: ذا القرنين ؛ لأنه بلغ قرني الشمس (١٠).

وقفل: هر أبر كرب المميرى ، وقد وردت فى التفاسير أقوال كثيرة ، وينبغى أن ترّخذ بحدّر ؛ لما فيها من إسرائيليات وأساطير ، مثل قولهم : إنه ملك من الملائكة ٥٠٠ .

وحسينا ما في كتاب الله تعالى ، فقد سجل القرآن الكريم له ثلاث رحلات : واحدة إلى المغرب ، وواحدة إلى المشرق، وواحدة إلى مكان بين السئين .

\* \* \*

 بَيْنَكُرُ وَيَنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِ زُبُرِلُهُ لِيَدِّحَقَّ إِذَاسَاوَىٰ بَيْنَ الصَّلَقَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَقَّ إِذَا جَعَلَهُ رَاكًا قَالَ ءَاتُونِ أَفْرِغُ عَلَيْهِ فِقِطْ كَانِ فَهَا السَّطَلَ عُوّا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَلْعُوا لَهُ نَقْبًا ۞ قَالَ هَذَارَحَةً تُيْنَ زَيِّ فَإِذَاجَةً وَعَدُرَيِّ جَعَلُهُ رَكِّةً وَكَانَ وَعَدُرَيِّ حَقَا ۞ \* وَرَكُنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَهِ لِيمُوجُ فِي بَعْنِ رَقِيعً فِي الصُّورِ فَهَمَ عَنَهُمْ مِعَالَ ﴾

#### التفسيره

٨٣ - وَيَسْعَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتَلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا .

أي: يسألك اليهود يا محمد عن قصة ذي القرنين ؛ حتى تخبرهم عن تاريخه وشأنه وأعماله.

قُلُ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا .

أي: سأقص عليكم من نبأه وقصته قرآنا ووحيا.

£ ٨ - إِنَّا مَكَّنَّا لَدُ فِي ٱلأَرْضِ وَعَالَيْمَاتُهُ مِن كُلَّ شَيْءٍ سَبَهًا .

أى: يسرنا له أسهاب الملك والسلطان ، والفتح والعمران ، وأعطيناه كل ما يحتاج إليه؛ للوصول إلى غرضه من أسباب العلم والقدرة والتصرف .. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة .

### ٨٥ – فَأَتْبَعَ سَبَبًا

أي: استفل الأسياب للتي يسرها الله له ، واجتهد في استثمارها ، فكان كلما استولى على إقليم من الأقاليم أن بلدًا من البلاد ، استفل ما فيها من أقوات وجنود وآلات؛ لفتح البلاد القريبة منها .

### قال ابن کئیر :

كان كلما مرّبأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز رجل، فإن أطاعوه، وإلا أذلهم وأرغم آنافهم، واستباح أموالهم وأمتعتهم، واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الإقليم المتاخم لهم (١٠٠٠)

وقد أخذ ذو القرنين طريقه إلى جهة القرب.

٨٦ - حُتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَلَهَا تَغُرُّبُ فِي عَيْنٍ حَمِثَةٍ ...

أى: سار ذو القرنين غربا حتى وصل إلى نقطة على شاطىء المحيط الأطلسي - وكان يسمى: بحر الظلمات، ويظن أن اليابسة تنتهى عنده، فرأى الشمس تغرب فيه، والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار، حيث تكثر الأعشاب ، ويتجمع حولها طين لزج هو : الحماً ، وترجد الهرك وكأنها عيون الماء .. فرأى للشمس تغرب هذاك .

### قال صاحب الظلال:

ومغرب الشمس هر المكان الذي يرى الرائى أن الشمس تغرب عنده ريراء الأفق ، وهو يختلف بالنسبة للعواضع ، فبعض العواضع يرى الرائى فيها أن الشمس تغرب خلف جبل ، وفى بعض العواضع يرى أنها تغرب فى الماء كما فى المحيطات الواسعة والبحار ، وفى بعض العواضع يرى أنها تغرب فى الرمال إذا كان فى صحراء مكشوفة على مدّ البصر .

أي: أن القرآن الكريم ، يأتي أحيانًا في تعبيراته على نحو ما يراه المشاهد ويعتقده أي : وصل ذو القرنين إلى مكان اعتقد أن الشمس تغرب خافه ، وأن هذا هو نهاية العالم من جهة الغرب .

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْتَنا يَنذَا ٱلْقَرْنَينِ إِمَّا أَنْ تعدُّبَ وَإِمَّا أَن تَعَجِدَ فِيهمْ حُسْنًا

لقد أمدّه الله بالأسباب والنصر، ونصره على هؤلاء القوم، وخيره عن طريق الإلهام أو الوجى، أو هو حكّاية حال، فبعد أن تم له النصر؛ أصبح من حقه أن يتصرف كما يشاء، فمن حقّه الانتقام أن الإحسان.

٨٧ - قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسُوْفَ نُعَلَّبُهُ. ثُمْ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَعَمَّبُهُ. عَذَابًا تُكْرًا.

أى: من أصر على الكفر، والعدوان والظلم؛ فله عقابه الدنيوى، بالقتل أن الردع. ثم يرد إلى ربّه يوم القيامة، فيعذبه عذابا منكرا في فار جهنم.

٨٨ - وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَلَهُ جَزَاءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَتَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا.

أى: أما المُؤمنون المسالمون الذين يقومون بالأعمال النافعة والسلوك الحميد؛ فلهم منا التكريم والإحسان وتيسير الأمور، ولهم عند الله البنة والمكانة اللائقة، وتلك مهمة الحاكم العادل؛ فطيه أن يعاقب المعتدين وأن ينكل بالظالمين، وأن يكافأ الممسنين؛ ويذلك يستقيم حال الأمة، وتتبوأ منزلة كريمة تليق بها.

# ٨٩ - ثُمَّ أَثْنَعَ سَبُهُا .

أى : سلك طريقا بجنده نحو المشرق.

· ٩ - حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَلَعَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلَ لَهُم مِّن دُولِهَا سِنْرًا .

أى : حتى إذا وصل أقصى المعمورة من جهة الشرق ؛ حتى مطلع الشمس في عين الرائي ، وجد قوما

ليس لهم بناء يكنهم ، ولا أشجار تظلهم ، ولا لباس يسترهم ، بل لهم سروب يغيبون فيها عند طلوح الشمس , . فإذا غابت الشمس : هرجوا البحث عن محايشهم .

#### قال قتادة :

مضى ذو القرنين يفتح المدائن ويجمع الكنوز ، ويقتل الرجال ؛ إلا من آمن حتى أتى مطلع الشمس فأصاب قومًا في أسراب ، عراة ، ليس لهم طعام إلا ما أنضجته الشمس إذا طلعت ، حتى إذا زالت عنهم الشمس : خرجوا من أسرابهم في طلب معايشهم ، وذكر لنا : أنهم كانوا في مكان لايثبت عليه بنيان ، ويقال : إنهم الزنج <sup>00</sup> .

### ٩١ - كُذَا لِكَ وَقَدْ أَحَمَّتُنَا مِمَا لَدَيْهِ خُبُرًا.

أي: كذلك فعل بأهل المشرق ، مثل ما فعله بأمل المغرب ، فأكرم المحسنين ، وعاقب الظالمين الكافرين ، وأنصف أهل الحق ، ويطش بأهل الظلم ؛ وكان أمره وأمر جنوده وأتباعه وجيوشه من الكثرة ؛ بحيث لايحيط بعلمه وجديع أهواله إلا اللطيف الخبير .

# ٩٢ -- قُمُّ أَتَبُعَ سَيْبًا .

أى: ثم سلك طريقة في اتجاه ثالث ، معترضًا بين الشرق والغرب ؛ آخذا من مطلع الشمس إلى الشمال.

٩٣ - حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَعَ يَبْنَ ٱلسَّدِّيْنِ وَجَدَ مِن دُولِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً .

أى: حتى إذا وصل إلى منطقة بين حاجزين عظيمين ، يقال: إنها بمنقطع أرض بلاد الثرك ، مما يلى أرمينية وأدريبجان .

### قال الطبري :

والسُّدُ: الحاجز بين الشهنين ، وهما هنا جبلان ، سُدّ ما بينهما ، فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج من ررائهم ؛ ليقطع مادة غوائلهم وشرّهم عنهم .

والذي يفيده النص القرآني : أن ذا القرنين وصل إلى منطقة بين حاجزين طبيعيين ، أو بين سدين صناعيين ، تفصلهما فجوة أو ممر ؛ فوجد هناك قوما متخلفين : لا يُكَاثُونُ يُفْقَهُونَ قُوْلاً ؛ لبعد لفتهم عن لفات غيرهم من قلة فطنتهم ، وعندما شاهد هؤلاء المتخلفين ، فاتحا قويًا ، توسموا فيه القدرة والصلاح ؛ عرضوا عليه جُفلاً من المال : نظير إقامة سد بينهم وبين يأجوج ومأجوج مكن الفطر . ٩٤ – قالُواْ بَلَدُا ٱللَّهُوْمُنِينَ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِئُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَهَلْ نَجْفَلُ لَكُ خَرَجًا عَلَيْمَ أَن تَجْعَلُ يَبْتُنَا وَيَتَهُوْ سَدًّا .

أى : قال مترجموهم : يا ذا القرنين ، إن يأجوج ومأجرج يفسدون أرضننا بالنتال والتخريب ، وأعدَ : الأقوات ، وسائر ضروب الإفساد .

#### قال المسرون:

كانوا من أكلة لحوم البشر ، يضرجون في الربيع فلا يتركون أعضرا إلا أكلوه ، ولا يابسا إلا احتملوه، فعرض القوم على ذى القرنين أن يجمعوا له ضريبة من أموالهم : حتى يبنى سدا بينهم وبين يأجوج ومأجوج .

# ٥ ٩ - قَالَ مَا مَكُنَّى فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلُ يَيْنَكُم وَيَنْهُمْ رَدْمًا .

أى: ما أعطانى الله تعالى من الملك والقوة والترفيق خيرٌ من أموالكم ، ثم رغب فى أن يشترك القوم : معه بالرجال والآلات والإمكانات والقوة؛ حتى يبنى لهم سدا منيعا ، فحشدوا له العديد والنحاس ، والغشب، والفحم ، فرضع بين الجبلين قطع الحديد ، وحاطها بالقحم والخشب ، ثم أوقد الذار وأفرغ عليها ذائب النحاس .

٩٩ – عَاتُوبِي وُبُورَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوِئ يَيْنَ ٱلصَّنَافِينِ قَالَ ٱلصَّاوَا حَتَّى إِذَا جَعَل قَلْمُوا .

أى : أصطونى قطع للحديد واجعلوها فى ذلك المكان ، حتى إذا ساوى البناء بين جانبى الجبل أمرهم أن ينفضوا بالكير عليه .

قيل : كان يأمر برضع قطع العديد والحجارة ، ويوقد عليها العطب والفحم بالمنافح حتى تعمى ، والحديد إذا أرقد عليه ؛ صار كالنار المممّرة ، ثم يؤتى بالنحاس البذاب فيفرغه على تلك الطاقة .

وقد ثبت علميا أن إضافة نسبة من النحاس إلى الحديد تضاعف مقاومته وصلابته ، وكان هذا الذي هدى للله إليه ذا القرنين ، وسجله في كتابه الخالد : سبقا للعام البشرى للحديث بقرون عديدة ٥٠٠٠ .

### ٩٧ - فَمَا ٱسْطَنْعُواْ أَنْ يَظْهَرُ وهُ وَمَا ٱسْتَطَلْعُواْ لَهُ نَقْبًا.

أى: أن هذا السد المنيع المرتفع ، المكون من العديد الأملس لم يقدر يأجوج ومأجوج على تسرّرة ، والارتفاع فوقه : لعلوه وارتفاعه ، ولم يستطيعوا نقبه من أسفل : امملابته وثخافته ، وبهذا المدّ المنيع أغلق

(الفجر: ۲۱ - ۲۳)

ذو القرنين الطريق على يأجرج ومأجرج ، ونظر هذا الرجل المرّمن إلى السدّ وقوته ، ومناعته وضخامته ، هلم يأخذه البطر والغرور ، ولم تسكره نشوة القوة والعلم ، بل شكر الله تعالى على ترفيقه ومعونته .

٩٨ - قَالَ هَـٰلَـا رَحْمَةٌ مِّن رَّتِي فِإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ. ذَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبّي حَقًّا .

أى: هذا البناء العظهم ، تمَّ بفضل الله ورحمته ، وتوفيقه ومعونته ، فإذا جاء وعد الله بخروج يأجوج ومأجوج ، وذلك قرب قبام الساعة ؛ جعل الله هذا السدّ مستويا بالأرض ، وعاد متهدمًا كان لم يكن بالأمس .

وَكَانَ وَهُذُ رَبُّى حَمَّا . أي : وكان وعده تعانى بخراب السدّ ، وقيام الساعة كائنا لا محالة ؛ فقد أفاد القرآن: أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة : فتعود الأرض سطحاً أجردًا مستويا .

قال تعالى : وَيَسْتَلُولَكَ عَنِ ٱلْمِيَّالِ فَقُلْ يُسَفِّهَا رَبَّى مَسْفًا . فَيَلَوْهَا قَاعًا مَنْفَهَنَّا . لا تَوَى فِيهَا عِوْجًا وَلاَ أَمَّنَا . يُؤْمِّلِ يَتْبِعُونَ ٱللَّاعِيَ لاَ عَوْجَ لَمُرْ وَصَلْعَتِ ٱلأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَدِ فِلاَ تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا . (ط. ١٠٥٠ – ١٠٥) .

وقال تعالى : يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلأَرْضُ غَيْرَ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّمَاوُ اتُ وَيَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهْادِ . (إبراميم : ٤١) .

وقال عز شأنه : إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنشَقَّتُ ه وَأُولَتَ لِرَهَهَا وَخُفَّتُ ه وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُلَّتُ ه وَأَلْفَتَ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتُ ه وَأَلِنَتُ لِرَهَةَ وَخُفَّتُ . (الانشقاق: ١ - ه ) .

وتفيد آيات القرآن الكريم: أنه عند قيام الساعة : تُلقى الأرض ما في باطنها ، وتندك الهبال والسدود : ويحشر الناس على أرض بيضاء مستوية ، ينفذ إليهم البصر وتراهم العيون ، ويصطف الناس للحساب .

قال تعالى: كَلَّا إِذَا ذُكُّت ٱلأَرْضُ ذَكًّا ذَكًّا ه وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ه وَجِأَيَّه يَوْمَتِلِي بِجَهَنَّمَ ....

إنه يوم القيامة نؤمن به ، ونؤمن بما جاء في القرآن الكريم عنه ، ويأن العُلك في ذلك اليوم لله تعالى وحده ، قال تعالى: وَيَوْمَ مَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِالْفَعَلَمِ وَنُوْلَ ٱلْمَلَكِيكَةُ تَنزِيلاً هِ ٱلْمُلْكُ يُؤْمِنِلاً آلْمَقُلِ مُؤْمَّ الْمَلَكَ يَوْمَ عَلَى آلْكُنْفِرينَ عَبِيرًا . (الفرقان: ٧٠ . ٢٠).

### ملحق بتفسير الآية

#### ٩٨ من سورة الكهف

قَالَ هَلْذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعُدُ رَبِّي جَعَلَهُ, دَكَّاءَ وَكَانَ وَعُدُ رَبِّي حَقًّا.

أى: قال نو القرنين: إن بناء السدِّ بهذا الإحكام؛ رحمة وتفضل وتوفيق من الله تجالى؛ فإذا جاء يوم القهامة صار السدِّ مستويا بالأرض، وعاد متهدماً كأن لم يكن بالأمس؛ هذا رأى .

ومن المفسرين من ذكر: أن معنى الإِذَا جَآءَ وَعُدُّ رَبِّى جَعَلَمُ ذَكَّاءَ وَكَانَ وَعُدُّ رَبِّى حَقَّا، أي: إِذَا جاء وعد الله بخروج يأجرج ومأجرج؛ اندكُّ السد، وخرج مؤلاء الناس يقتلون ويعتدون.

قال المراغى :

أي: فإذا دنا وقت خروجهم من رراه الدن ؛ جعله ربّى بقدرته وسلطانه أرضنا مستوية ، فسلط عليهم منهم ، أو من غيرهم من يهدمه ، ويسوى به الأرض .

وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا .

أى: وكان ما وعد به سبحانه حقا ثابتا لا ريب في تحققه .

وقد جاء وعد الله تعالى بخروج جنكيز خان سلطان خوارزم السلجوقي (١٠١).

### من تفسير الظلال

وبعد ، شن يأجوج ومأجوج ؟ وأين هم الأن ؟

وماذا كان من أمرهم وماذا سيكون ؟!

كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد فى القرآن، وفى بعض الأثر الصحيح ، والقرآن يذكر فى هذا الموضع ما حكاه من قول ذى القرنين : فإذًا جَآءَ وُعُدُ رُبّى جَعَلُهُ وَكُآءً وَكُانَ رَغُدُ رُبّى حُمُّا .

وهذا النص لا يحدد زمانا ، ورعد الله ، بمعنى : وعده بدك السدّ ريما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار ولنساحوا في الأرض ، ودمروا الممالك تعيرا<sup>(١٠)</sup> .

وفي مرضم آخر في سورة الأنبياء:

حَتَىٰ إِذَا فِيحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مَن كُلِّ حَدَىهِ يَسِلُونَ هِ وَآهَوَبَ ٱلْوَعَلُّ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَنجِعَةُ ٱلْصَرُّ ٱللَّذِينَ كَفُرُواْ يَاذِيكُنَا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَلْلَا بَلِّ كُنّا ظَلِلِمِينَ . (الأنبياء . ١٥ ، ١٥) .

وهذه الآيات ترجِّع أن دلى السدُ وخروج يأجوج ومأجوج ؛ سيكون قرب قيام الساعة ، أو هو من علامات قيام الساعة ، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة ما يؤيد ذلك ٨٠٠ .

#### من هدى السنة

في المحديدين ومسند أحمد: عن زينب بنت جحش زيرج النبي ﷺ قالت: استيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محدّر الرجه وهو يقول: «ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجرج ومأجرج مثل هذا» وحلق بأصبعيه: السبابة والإبهام . قلت: يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟! قال : «نعم إذا كثر الغبيث» (°).

والحديث من دلائل النبوة ، وهو في نفس الوقت تحذير للأسة العربية من التردي والتفسع ، وانتشار المذكر ، عندثذ يطمع في الأسة أعدارُها ، ويسلط الله عليها الجبارون المنتقمون : جزاء خروجها عن الجادة .

إن الأمة العربية مدعوة ، إلى الوحدة والتماسك ، والتلاقى حول القرآن والسنّة والتراث ، والاعتصام بحبل الله وَمَن يَعْتَمِس بِاللّهُ فَقَدْ هُدِيَ إِلَيْ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . (ال عمران :١٠٠١) .

إن عودة القدس ، وتحرير بيت المقدس يحتاج أمة مجاهدة ، وقيادة مؤمنة ، ورغبة صادقة في الجهاد في سبيل الله ؛ وعندئذ يأتى النصر قال تعالى : إن تَشُرُواْ ٱللّهُ يَاشُرُكُمُ وَيُثُبُّ ٱلْقَامُكُمُ . (محمد: ٧) .

٩٩ - وَتَرَكْنَا بَعْطَهُمْ يَوْمَعِلِ يَمُوجُ فِي بَعْضِ وَنُفِحَ فِي ٱلمُّورِ فَجَمَعُتَنَاهُمْ جَمْعًا .

أى : ويوم يَككُ قلسُّ يـخرج هوَلا من ورائه ، يعوجون فى الناس ، ويفسدون عليهم زروعهم ، ويتلفون أموالهم. وهذا معنى قوله تعالى : سَخَّى ۚ إِذَا فُيسَمَّتَ يَأْجُوحٍ وَمَأْجُوحٍ وَهُمْ مَنْ كُلِّ حَنَّبٍ يَسِلُونَ ، (الأدبياء : ٩٦ ) .

أي: وهم من كل مرتفع من الأرض ، يسرعون في النزول من الآكام والمرتفعات .

وَلُفِحَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْتَنَاهُمْ جَمْعًا .

أى : فإذا دنا ميقات الساعة ؛ نفخ إسرافيل في الصور ، وهو البوق الذي يصعق الناس عند سماعه، ثم يقومون بعد فترة للحساب ، وقد جمع الله في هذا اليوم الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم . قال تعالى : وَفَقِحَ فِي ٱلصَّورِ فَصَعِينَ مِن فِي السَّحَنُوْ اتِ رَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن هَاءَ ٱللَّهُ ثُمُ لَفِحَ فِيرَأَحْرَىٰ اَفِلَا هَمْ إِمَامٌ يَنظُرُونَ ، (الذمن : ١/٨) .

### من تفسير القرطبي

قال القرطبي :

وَتَرَكَّمَا يَعْضَهُمْ يَوْمَعِلْ يَمُوحُ فِي يَعْضِ.

الضمير في تُركُّنا لله تعالى ، أي : تركنا الجن والإنس يوم القيامة يموج بعضهم في بعض.

وقيل : تركنا بأجرج ومأجرج وأبوّد أي: يوم كمال السدّ يموج بعضهم في بعض ، واستعارة الموج لهم عيارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض .

وقيل : تركنا يأجوج ومأجوج يوم انفتاح الند يموجون في الدنيا مختلطين ؛ لكثرتهم .

#### خلاسة

يأجرج ومأجرج قبائل كانت تغير في أزمنة مختلفة على الأمم المجاورة لها ، فكثيرًا ما أفسدوا في الأرض ودمروا كثيرًا من الأمم . تمكن تو القرنين – وهو مجاهد ممائح يسر الله له النصر والملك – أن يبنى سدا من المديد والنحاس ، فحبسهم خلف السدّ .

### رأيان للمفسرين

يرى عدد من المفسرين : أن يأجرج ومأجرج قد جاءوا بالقمل وهم المغول التتار : ومن هؤلاء المفسرين : الطبخ القاسمي ، والعراغي ، وصاحب الطلال .

ويرى فريق آخر من المفسرين: أن يأجرج ومأجوج لم يخرجوا بعد ، وأن خروجهم سيكون قرب قهام الساعة ؛ وهذا الفريق يؤيده أن سياق الآيات التى تحدثت عن يأجرج ومأجوج في سرية الأنبياء ، وهنا في سورة الكهف ، يرحى بأن ذلك قرب يوم القيامة ؛ والأحاديث النبوية المسحيحة فهها: خروج الدجال ، وبعث عيسى وقتله الدجال ، شم يبعث الله يأجرج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فينحاز عيسى ومن معه من المؤمنين إلى الطور .. ثم يرسل الله على يأجرج ومأجوج التغف في رقابهم فيموثوا ، وقد روى الإمام مسلم في صحيحه : ما يفيد : أن خروج يأجرج ومأجوج سيكون من علامات الساعة ، والله تعالى أعام.

﴿ وَعَرَضْنَاجَهَنَّمَ وَمَيْدِ لِلْكَفْوِينَ عَرَضًا ۞ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْنُهُمْ فِ عَطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَافُواْ الْاسْتَطِيعُونَ سَمَّعًا ۞ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفُواْ أَن يَنْجِذُ وَأَعِبَادِى مِن دُونِ أَوْلِيَا يَّ الْاَيْسَعَلِيمُ وَكَافُواْ الْاَيْسَةِ عَلَيْهُمْ فِي إِنَّا أَعْنَدُنَا جَهُمْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُمْ فِي إِنَّا الْمَعْنَمُ مِن اللَّهِ عَلَيْهُمْ فَلَيْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُوالِقُلْمُ اللَّهُ اللْمُعَاللَّهُ اللْمُعَلِّمُ اللَّهُ الْمُنَالِمُ اللَّهُ الْمُعْمِلِي ا

#### المقردات

صرضتاء أظهرنا وأبرزنا.

ضعاء؛ غشارة محيطة بها.

الأيات الموصلة إلى ذكرى بتوحيدى وتعجيدى.

اولمياء، معبودات يقونهم بأسى.

امتنداء ميأنا.

نسسترلاه منزلا.

واستناشه و حين البعث والحشر وما يتبع ذلك .

المهروء السخرية والاحتقار.

#### تفهيده

تعرض الآيات مشهد جهنم أمام الكافرين ؛ بحيث يرونها رأى المين ، وفى ذلك تعجيل الهم والحزن لهم : بسبب أنها تعاموا وتصامُوا عن قبول الهدى ولتباع الحق ، وحسبوا أن اتخاذهم أولياء من دون الله ينجيهم من عذابه .

#### التفسيره

١٠ - وَعَرَضْنَا جَهُتَّمَ يَوْمَثِلِ لَلْكَلْفِرِينَ عَرْضًا .

أى : أبرزنا وأظهرنا جهنم بأهرالها ونبرانها ، وألوان عذابها أمام الكافرين يوم جمع الخلائق أجمعن: إبرازاً هائلاً فظيمًا ، حيث يرونها ويظاهدونها بدون لبس أوخفاء، فيصيبهم ما يصيبهم من رعب وفرع عند مظاهدتها . ٩ . ١- ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَغْيُنُهُمْ فِي غِطَاءِ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا .

حجب الكافرون عقولهم عن التفكير في أملة الإيمان ، ومنعوا عيونهم عن النظر والتأمل في أملة الكون وأملة القرآن على وجود الله ، ثم مسوا أسماعهم عن سماع كلمة الحق ؛ فاستحقوا أن تعرض عليهم جهنم بجميع أهوالها عرضا فظيها مؤلما .

### قال أبوا السعود :

وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية ، وتعاميهم عن الأيات المشاهدة بالأبصار فكأنهم عمى، صم . ا هـ .

لقد دنسق أنفسهم باجتراح المعاصى والآنام ، وأطاعوا وساوس الشيطان ؛ فسلب الله عنهم الهدى وتركهم أسرى للفسلال والظلام ، فى تقويهم مرض الكفر أو النفاق ، وفى عيونهم غشارة التّعامى عن الحق، وفى أسماعهم وقد وصمم عن سماع الحق أو القرآن، وقد تكرر هذا المعنى فى آيات القرآن الكريم، قال تعالى: صُمُّ إِنْكُمْ عَمْنُ قُهُمْ لاَ يُرْجُونُنَ ، (البقرة ، ۱۸).

# ٧ - ١- أَفَحَسِبَ ٱللَّهِينَ كَفَرُوٓا أَن يُتَّخِدُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَّاءَ إِنَّا أَغْتَدُنَا جَهَنَّمَ لِلْكَلْفِرِينَ نُزُلاً .

والهمزة هذا للاستفهام الإنكاري والتوبيخ ، أي : أفظن هؤلاء الكافرين الذين اتخذوا عبادي أولياء لهم : فعبدوا الملائكة ، وعيسى ، وعزيرًا ، وغيرهم، وأن ذلك ينفعهم أو يدفع عنهم عذابي .

### قال القرطبي :

وجواب الاستفهام محذوف تقديره: أفحسبوا أن ذلك ينفعهم، أو لا أعاقبهم ؟!

لقد هيأذا لهم منزلا في جهنم، وفيها ما فيها من ألوان العناب. ويطلق النُّزل على المنزل، كما يطلق على منزل كما يطلق على ما يقد جاءت الجملة على على سبيل التكريم والترحيب، وقد جاءت الجملة الأخيرة في الآية على سبيل التهكم بهم، والتقريع لهم: لأن جهنم ليست نزل إكرام للقادم عليها، بل هي عناب مهين ، وقديب من هذا المعنى قوله تعالى: فَيَشْرَهُم يَعَدَّابٍ أَلِهم. (التوية: ٢٤)، وقوله عز شأنه: وَإِنْ يُشْتَعِيدُواْ يَعْالُوا مِنْ مَا يَضُوا يَشْوَرُ مُوا اللهم وسائحة على اللهم (التهدة: ٢٤)،

# ٩ ٠ ١ - قُلْ هَلْ نُنَبُّكُمُ مِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلاً.

أى: قل أيها الرسول الكريم لهوّلاء الكافرين الذين أعجبتهم أعمالهم ، وتصرفاتهم الجائرة : ألا تريدون أن أخبركم خبرًا هاما كله الصدق ، وأعرفكم عن طريقه من هم الأخسرون أعمالاً في الدنيا والآخرة. ٤ . ١ - الله ين طَالُ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنْهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

أي: عمل أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة ، مرضية مقبولة ، وهم مخدوعون بأعمالهم يظنون أنهم على صواب وأنهم يحسنون صنعا .

وقد ورد في صحيح البخاري في باب التفسير ، عن مصعب قال : سألت أبي - يعني : سعد بن أبي وقاص - عني : سعد بن أبي وقاص - عن قول الله : قُلْ مُلْ تُشِكُمُ بِالْأَحْسَرِينَ أَعْمَالاً . أمم الحرورية ؟ قال : لا هم اليهود والنصاري ؛ أما اليهود فكنبوا محمدًا ﷺ , وأمّا النصاري فكفوا بالجنة وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية الذبن يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، فكان سعد يسميهم : الفاسقين .

### قال ابن كثير في تفسير الآية:

والآية عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية : يحسب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مضطئ وعمله مردود .

فالآية تشمل المشركين، واليهود، والنصارى، وغيرهم ممن يعتقدون أن كفرهم وضلالهم صواب وهق. و قال الضبحاك:

هم القسيسون والرهبان يتعبدون ، ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم .

# ٥ . ١- أُوْلِنْهِكَ ٱللَّهِينَ كَفَرُواْ بِنَايَلَتِ رَبُّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقَيْلَمَةِ وَزُلًا .

أى: إن مؤلاء الأخسرين أعمالا ، هم الذين كفروا بدلائل الوحدانية المنبثة في الآفاق ، وكفروا بالبعث والنشور وما يتبع ذلك من أمور الآخرة ؛ ومن ثمّ حبطت أعمالهم أي : فسدت ويطلت .

## لَلاَ لُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزَّنَّا .

أى: ليس لهم عند الله قيمة ولا قدر ولا منزلة ، أن لأنه لا توجد لهم أعمال صالحة توجد في ميزان حسناتهم ، فهى خالية من الخير .

وأخرج الحافظ البزار عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له ، ظما قام على النبي ﷺ قال : «يا بريدة ، هذا ممن لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناه' ٣٠٠. ٩٠٦ - ذَالِكَ جَزَاتُوهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّحَلُوٓاْ ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا .

أى: إن دخولهم جهنم بسبب كفرهم يكل ما يجب الإيمان به ، ويسبب استخفافهم واستهزائهم بآيات الله ورسله ، فلم يكتفوا بالكفر بل امتد شماللهم إلى السخرية بالآيات والمعجزات ، وبالرسل الكرام .

\* \* \*

﴿ إِنَّ اَلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعِمْلُواْ اَلصَّالِحَتِ كَانَتْ لَمُّمَّ جَنَّتُ ٱلْفِرْدُوسِ ثُنُّ لَا ﷺ خَالِينِ فَيِهَا لاَ يَسْغُونَ عَنْهَا حِولًا ۞ قُل أَوْكَانَ ٱلْبَحْرُ عِلَى اَكْكِمْ مَن وَيِّ الْفِذَ ٱلْبَحَّرُ فَيْلَ أَنْ نَفَذَكُمْ عَن مِيشْلِهِ - مَلَدُنا ۞ قُل إِنْمَا أَنَا مُشَرِّقَتْ الْكُوْرُوسَ إِلَى أَضَا إِلَهُ كُمْ إِلَهُ وَلَوْ مِنْن رَبِّهِ فَلَيْمْ مَلَ عَمَدُ لاَ صَلِيحًا وَلاَ يُشْرِقِ فِيهِ ادْوَرِيِّ عِلْمَا أَنْكُمْ فَيْ فَعَلَى اللهُ

#### المفردات ،

السيطيس رفوس وسط الجنة وأفضلها

حــــولاء متحولا. ١

المسسسساند؛ ما يمد به الشيء ، والمتص يما تبدُّ به الدواة من الحير.

كسلسمسات ريسى، كلامه وحكمه ومعلوماته غير المتناهية.

السببرجسساء؛ طمع حصول ما فيه مسرة مستقبلة.

السقساء ريسه: هو البعث وما يتبعه .

#### تمهيد :

بينت هذه الآيات في ختام السورة ما يأتي:

(أ) جِرّاء المؤمنين في الفردوس الأعلى.

(ب) فضل القرآن وإعجازه واشتماله على العقائد، وييان: كمالات الله وشرائعه وآبابه وترجيهاته، ولا
 حدود ثهذه الكمالات، ولا لما يمدّنا به القرآن من العلوم والآماب.

(ج) أن العمل لا يقبل إلا إذا صاحبه أمران:

١ - الالتزام بمنهج الله .

٢ - الإخلاص بالعمل لوجه الله .

التفسس

# ٧ - ١ - إِنَّ ٱلَّذِينَ عَامَتُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتُ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْ دَوْسِ نُزُلاً .

إن الذين آمنوا بالله تعالى ، ويكل ما يجب الإيمان به ، وعملوا الأعمال المسالمة بإخلاص واتباع لما جاء به معمد ﷺ ؛ كان جزاؤهم عند الله تعالى جنات الفردوس منزلا ومستقرا وتكريما . وجنات الفردوس أعلى منازل الجنة ؛ كما ورد في المصحيحين .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاما درجة، ومن فوقها يكون العرش ومنه تنفجر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» (٢٠٠٠).

# ٨ . ١ - خَلِدِينَ فِيهَا لَا يَتْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً .

أى: أن أمل الجنة خالدين فيها خلوياً أيديا سرمديا ، وهم في نعيم دائم لا يسأمون منه ، ولا يرغبون في التحوّل عنه ؛ فالنفس البشرية في الدنها راغية في التنقل والاستكشاف ولكن أهل الجنة يخلق الله فيهم الرغبة في الإقامة الدائمة بالجنة ، وعدم التحوّل عن منازلهم ومنزلتهم في الجنة إلى أيِّ مكان أخر ، ثم هم في الجنة يجدون فيها نعيمًا دائمًا ، ونعما لا حصر لها وُفِهاً مَا تَشْهِم اللَّفْسُ وَلَلَّهُ الْأَكْسُ وَلَكُ

# ٩ . ١ - كُلُلُ لُوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لَكُلِمَنْتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن فَفَدَ كَلِمَنْتُ رَبِّي وَنُوْ حِثْنَا بِعِفْلِهِ مَدَدًا .

هذه الآيات تعثيل لسعة علم الله ، وعظيم ما تشتمل عليه آياته وكلماته ؛ فقد حوت من الإعجاز:
العلمى والأدبى والنفسى والفهبى آفاقا لا حدود لها ، وعلم الإنسان محدود يرمز إليه بالبحر ، وعلم الله
ومدلول آياته لا حدود له ؛ فأر تحول البحر إلى مداد ؛ لنكتب به معاني آيات الله ، وما تشتمل عليه من آفاق
وآداب وعلوم ؛ لنفد البحر قبل أن تنفد آيات القرآن وإعجازها المتعدد الوجوه ، ولو جئنا بمثل البحر مددا
لنفد أيضًا ، وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأنهان ؛ لأن البحر محدود ، وكلام الله تعالى من جملة منفاته ،
ومنفاته تعالى لا حد لها ولا منتهى ، وهكذا سائر صفاته كعلمه وقدرته ورحمته .

وفى معنى هذه الآية ورد قوله تعالى : وَلَوْ أَنْمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ ٱلْقُلَمُّ وَٱلْبَحْرُ يُمُذُّهُ. مِنْ بَعْدِهِ سَبَّعَةُ أَيْحُر مَّا فِهَدَّتَ كَلِمَنْتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهِ عَرْبِيَرٍ حَكِيمٌ . (قصان : ٢٩) . ١٩٠ - قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثْلَكُمْ يُوحَى إِنِّى أَنْمَا إِللْهُكُمْ إِلَنْهُ وَاحِدُ لَمَن كَانَ يَرْجُواْ إِلَنَاهُ رَبِّهِ فَلَيْفَعَلْ عَمَلاً
 منابحا وَلا يُشرِكُ جَالَةُ بِبَاقَةٍ رَبِّهِ أَحَدًا.

أى: قل لهم يا محمد: إننى مثلكم ، است ما كا ولست إلها ، بل أنا بشر معن خلق الله ، اصطفاه الله بنزول ناوحى والرسالة عليه ، وكلفنى التبليغ عن الله وكمالاته التي لا نهاية لها ، وهو سبحانه واحد أحد فرد صمد ، لا ند له ولا شريك له ، وليس له والد أو ولد . فمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه ؛ فليعمل الأعمال الصالحة التى تقرّبه إلى ربه ، وليبتعد عن الإشراك بالله ، وليبتعد عن الرباء ؛ فإن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكربم .

### جاء في كتاب زبدة التفسير من فتح القدير ما يأتي :

أخرج أحمد وابن سعد عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

وإذا جمع الله الأولين والأخرين ليرم لا ريب فيه ، نادى مناو : من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا : فليطلب ثوابه من عند غير الله ؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» (٣٠) .

### خانمة سورة الكهف

#### مجمل ما تضمئته سورة الكهف :

- ١ وصف القرآن بأنه قيمٌ لا عوج فيه .
- ٢ ما جاء على ظهر الأرض هو زينة لها ، وقد خلقه الله ابتلاء للإنسان ؛ ليرى كيف ينتفع به .
  - ٣ وصف الكهف وأهله ، ومدة ليثهم فيه ، وعدد أهله وبيان : قدرة الله على البعث والنشور .
- الدعوة الإسلامية عامة للفقراء والأغنياء ، وللإنسان أيا كان هذا الإنسان ، ويجب على الرسول أن يصبر
   على مجالسة الفقراء ، ولا يهجرهم إلى الأغنياء .
  - ٥ ذكر ما يلاقيه الكفار من الوبال والنكال يوم القيامة .
- ٣ قصة رجلين أحدهما مؤمن والآخر كافر، وعرض النقاش بينهما تمثيلا لحال فقراء المؤمنين وأغنياء الكافرين.
  - ٧ سجود الملائكة لآدم ، وإباء إبليس ، وهداوته لآدم وبنيه .
    - ٨ قصيص موسى والشقير.
    - ٩ قصص ذي القرنين ، وسدّ يأجوج ومأجوج .
  - ١٠ وصف أعمال المشركين ، وبيان : أنها شالال وغيبة في الأغرة .
    - ١١ ~ ما يلقاء المؤمنون من النعيم في الأخرة .
    - ١٢ -- القرآن ينبوع العلوم والمعارف ، وآيات الله لا نهاية لها .
    - ١٣ الإخلاص لله وعدم الشرك والرياء من سُبِل السعادتين.



### دروس من سورة مريم

سورة مريم مكية نزلت بعد الهجرة الأولى إلى العيشة وقبل الإسراء وكانت الهجرة إلى الحيشة في السنة السابعة من البعثة ، وكان الإسراء في السنة الحادية عشرة للبعثة ، قبل الهجرة إلى المدينة بستة وشهرين .

أي : أن سورة مريم نزات بعد السنة السابعة من البعثة وقبل السنة المادية عشرة .

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم ؛ لذكر قصة مريم فيها . وعدد آياتها (٩٨) آية ، وعدد كلماتها (١٩٩٢) كلمة .

### أهداف السورة

الأهداف الأساسية لسورة مريم هي : تنزيه الله عن الولد والشريك ، وإثبات وحدانية الله ، والإلمام بقضية البعث القائمة على التوحيد .

هذه هم، الأهداف الأساسية للسورة. كالشأن في السور المكية غالبًا .

والقصص هو مادة هذه السورة : فهى تبدأ بقصة زكريا ويصيى ، فقصة مريم ومولد عيسى ، فطرف من قصة إبراهيم مع أبيه .. ثم تعقبها بإشارات إلى النبيين : إسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وهارون ، وإسماعيل، وإدريس ، وآدم ، ونوح . ويستغرق هذا القصص حوالى ثلثى السورة ، ويستهدف إثبات الوحدانية والبعث ، ونفى الولد والشريك ويبان : منهج المهتدين ومنهج الضالين من أتباع النبيين .

ومن ثم بعض مشاهد القيامة ويعض الجدل مع المنكرين للبعث ، واستنكار للشرك ودعرى الولد ، وعرض لمصارع المشركين والمكذبين في الدنيا وفي الأخرة وكله يتناسق مع اتجاه القصمى في السورة ويتجمع حول محورها الأصيل .

وللسورة كلها جو خاص يظللها ويشيع فيها ويتمشى فى موضوعاتها .. إن سياق هذه السورة معرض للانفعالات والمشاعر القوية. الانفعالات فى النفس البشرية ، وفى «نفس» الكون من حولها . فهذا الكون الذي نتصوره جمادًا لا حس له يعرض فى السياق ذا نفس وحس ومشاعر وانفعالات ، تشارك فى رسم الجو العام للسورة حيث نرى السماوات والأرض والجبال تغضب وتنفعل ؛ حتى لتكاه تنفطر وتنشق وتنهد استنكارا ؛ أن دَعَزاً لِلرِّحْمَان وَلَكَهُ و وَمَا يَبْتِهِي لِلرِّحْمَان أَن يَسْجِدُ زَلْقًا . (مريع ، ١٩ ، ١٧) . أما الانفعالات في النفس البشرية نتبداً مع مفتتح السورة وتنتهي مع ختامها والقصم الرئيس فهها حافل بهذه الانفعالات في موافقه العنيفة العميقة . ويخاصة في قصة مريم ، وميلاد عيسي ("".

#### القصص في سورة مريم

القصص في سررة مريم امتداد للقصص في سررة الكهف. فهناك ظهرت قدرة الله البالغة في حفظ أهما الكهف وإحيائهم بعد موتهم ، وفي إعطاء الرحمة والعلم للخضر عليه السلام ، وفي منح ذي القرئين أسباب الملك والسلطان والسيادة ، وهنا تظهر رحمة الله وفضله على زكريا : إذ يمنحه يحيى على كبر وشهيد على أن المنابقة على الأنبياء والرسل ورعاية الله البالغة في خلق عيسى من أم دون أب ، ثم نعمته السابغة على الأنبياء والرسل ورعاية الله لهم حتى يزدوا رسالتهم ، ويظهر ذلك في قصة إبراهيم مع أبيه ، وقصة موسى مع قومه ، وقصة إسراس الصديق النبي .

#### زكريا ويحيى

ذكرت حلقة من هذه القصة في سورة آل عمران ، ولكنها في سورة مريم تخالف ما سبق منها في أسلوبها وسهاتها رما فيها من زيادة ونقص .

إن السمة الغالبة هنا هي سمة الرحمة والرضا والاتصال فهي تبدأ بذكر رحمة الله لعبده زكريا وهو يناجي ريه نجاء خفيا .

فتصرر أحاسيس ذلك الشيخ الهرم ورغبته في الذرية والولد ودعاته لله خفية بعيدا عن زوجته وعن الناس .

ثم ترسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضا .. فالرب ينادى عبده من الملا الأعلى يُنزَّكُوبًّا . ويعجل له البطري : إنّا تُنجّرُكُ بِطُلُع . (مريم : ٧) .

ويعمره بالعطف فيختار له اسم الغلام الذي بشره: آسَمُهُ يَحْتَىٰ . وهو اسم فذ غير مسبوق: أَمَّ لَحِمَّلُ لُهُ مِن قَبَلُ سَمِيًّا . (مريه: ٧).

وكأنما أفاق ركريا من غمرة الرغبة وحرارة الرجاء ، على هذه الاستجابة القريبة للدعاء فإذا هو يراجه الواقع .. إنه رجل شيخ بلغ من الكبر عنيا ، وهن عظمه واشتعل شيبه ، وامرأته عاقر لم تلد في فقرته وصباه : فكيف يا ترى سيكون له غلام ؟!

قَالَ رَبِّ أَنِّي يُكُونُ لِي خُلَامٌ وَكَانَتِ آمْرَ أَبِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِيمِ عِيًّا . (مريم: ٨) .

ثم يأتيه الجواب عن سرّاله . بأن هذا أمر هين يسير أمام قدرة الله فهو سبحانه الثمالق الفعال لما يريد . وهو سبحانه الذي جمل الحاقر لا تلد . وجمل الشيخ الفاني لا ينسل . وهو قادر على إمسلاح الماقر وإزالة سبب الدقم ، وتجديد قرة الإخصاب في الرجل وهو على كل شيء قدير .

وتمت ولادة يحيى وكبر وترعرع وأحكم الله عقله وهيأه لرعاية ميراث أبيه في حزم وعزم وام يكن هذا الميراث مالا أو عقارا وإنما كان رسالة الهدى ودعوة الإيمان وناداه الله : يُنَهَّ حَتَىٰ خُلِر ٱلْكِتُنَبَ بِقُرُّ قِ وَءَاتَيْتُكُ ٱلْعُكُمُ مَسِّدًا . (مربع : ١٢) .

والكتاب هن التوراة ، كتاب بنى إسرائيل من بعد موسى وعليه يقوم أنبياؤهم يعملون به ويحكمون . وقد نودى : بحيى : ليحمل العبء وينهض بالأمانة فى قوة وعزم . لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكاليف الورافة .

وقد زود الله يحيى بالحكمة في صباه ووهية الحنان والعطف : لتأليف القلوب ولجندابها إلى الغير وأتاه الطهارة والثقوى فكان موصولا بالله ، عابدا له ، مجاهدا في سبيله يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ولايمشي في الله لومة لاتم .

### حكمة خلق عيسى

انتقلت السورة من قصة ميلاد يحيى إلى قصة ميلاد عيسى وقد تدرج السياق من القصة الأولى ووجه المجب فيها هو ولادة العاقر من بعلها الشيع ، إلى الثانية ووجه العجب فيها هو ولادة العذراء من غير بعل وهى أعجب وأغرب .

وإذا نحن تجاوزنا حادث خلق الإنسان أصلا وإنشاءه على هذه الصورة فإن حادث ولادة عيسى ابن مريم يكون أعجب ما شهدته البشرية في تاريخها كله ويكون حادثًا فذا لا نظير له من قبله ولا من بعده.

والبشرية لم تشهد خلق نفسها . وهو الحادث المجيب الضخم فى تاريخها لم تشهد خلق الإنسان الأول من غير أب ولا أم . وقد مضت القرون بعد ذلك الحادث ، فشاءت الحكمة الإلهية أن تهرز العجيبة الثانية فى مواد عيسى من غير أب على غير السنة التى جرت منذ وجد الإنسان على هذه الأرض ؛ ليشهدها البشر ثم تظل فى سجل الحياة الإنسانية بارزة فذة تتلفت إليها الأجيال . إن عز عليها أن تتلفت إلى العجيبة الأولى التى لم يشهدها إنسان !

لقد جرت سنة الله في امتداد الحياة بالتناسل من نكر وأنثى في جميع الفصائل بالا استثناء.

حتى المحلوقات التى لا يرجد فيها ذكر وأنثى متميزان تتجمع فى الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث ، جرت هذه السنة أحقابا طويلة حتى استقر فى تصور البشر أن هذه هى الطريقة الوحيدة ونسوا الحادث الأول . حادث وجود الإنسان ؛ لأنه خارج عن القياس . فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم عليه السلام ؛ ليذكرهم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة . وأنها لا تحتبس داخل النواميس التى تختارها . ولم يتكرر حادث عيسى ؛ لأن الأصل هو أن تجرى السنة التى وضعها الله وأن ينفذ الناموس الذى اختاره . وهذه الحادثة الواحدة تكفى ؛ لتبقى أمام أنظار البشرية معلما بارزا على حرية المشيئة وعدم احتباسها داخل حدود للنواميس ؛ وتَنجَعُلُمُ عَايَةً للنَّاس . (مروم : ٢٧).

ونظرًا لخرابة الحادث وضخامته فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته وأن تدرك الحكمة في إبرازه ، فجعلت تضفى على عيسى ابن مريم عليه السلام صفات ألوهية ، وتصوخ حول مولده الفرافات والأساطير ، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو المجيب — وهى إثبات القدرة الإلهية التي لا تتقيد ، تعكسها فنشوه عقيدة التوحيد ، والقرآن في هذه السورة يقص كيف وقعت هذه المجيبة ويهرز دلالتها الصقيقية وينفى تلك الغرافات والأساطير .

#### قصة ميلاد عيسى

وهب الله مريم التقوى والهقين ورزقها من فضله بغير حساب وفي يوم ما اعتكفت مريم كمادتها .

وتوارت من أهلها واحتجبت عن أنظارهم . ويينما هي في خلوتها . مطمئنة إلى انفرادها . إذ ظهر أمامها

رجل مكتمل سوى الخلقة فانتفضت انتفاضة العفراء المذعورة يفجرُها رجل في خلوتها ، فتلجأ إلى الله

تستعيذ به وتستنجد به وتستغير مشاعر التقرى في نفس الرجل ، والخوف من الله والتحرج من رقابته في

هذا المكان المالي . ولكن الرجل السوي هذاً من روعها وأعاد إليها طمأنينتها وأخيرها : أنه ملاك أرسله الله

إليها : لمكمة إلهية وفضل رباني : قَالَ إِنَّكَ أَنَّ رُسُولٌ وَتَعْفِ أَفْهَمُ لَكُمْ ذَرُكًا . (مرح : ١٩).

وتدرك مريم شجاعة الأنثى المهددة في عرضها ؛ فتسأل في صراحة وحجة قائلة : أَثَّى يَكُونُ لِي غُلْنَمُّ وَلَمْ يَمُعْسَنِي بَشَرِّ وَلَمْ آلاَ بُهِا . (مريم: ٢٠) .

فهى لم تخالط رجلا فى نكاح ولا فى سفاح فأخبرها الملاك : أن هذا الحمل سيتم يقدرة الله وحده وهُو أمر هين أمام هذه القدرة التي تقول للشيء : كن فيكرن ، وقد أراد الله أن يجعل هذا الحادث العجيب أية للناس وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته .

قَالَ كَذَالِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيْ هِيِّنْ وَلِنَجْعَلَهُ عَلَيْهُ لَلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مُقْضِيبًا . (مريم : ٢١).

ثم مضى الملاك واختفى . وتم الحبل بقدرة الله ، وجلست مريم حائرة تفكر في أمر نفسها وتخيلت ما سيقوله الناس عن عذراء تحمل وتلد من غير أن يكون لها بعل ، وفي حدة الألم ومرارة الخوف نظرت إلى اللطف في حسرة واكتتاب ، وجعلت تتمنى لو ضمها القبر . وفارقت هذا العالم قبل أن تصير أما من غير أن تتنوير أما من غير أن تتنوير أما من غير أن التنوير في الله الله الذي بث أنها عنه كنسًا على أربى : ٢٧) .

لكنها ما لبثت أن سمعت صوت وليدها ؛ فبدد مخاوفها وكفكف دموعها . وناداها من تحتها : ألاّ تُعَرِّنِي لَذْ جَعَلَ رُلُكِ تَحْتَكِ سَرِيًا . (مريم: ٢٤) .

أى: جدولا يجرى مارّه فى تلك البقعة الجرداء والأرجع أنه جرى للحظته من ينبوح أو تدفق من مسيل ماء فى الجبل. وهذه النشاة التى تستندين إليها هزيها فتتساقط عليك رطبا . فهذا طعام وذاك شراب والطعام الطعام النفساء : كُكُلِي وَاشْرَى . هنيتا وَقُرِّى عَيَّا . (مريم: ٢٦١) . والمعتنى قلبا ؛ بما ترين من قدرة الله التى اعضر بها جذع النظلة اليابسة . وطيبى نفسا بما حباك الله من جريان الحاء فى تلك البقعة المقفرة ؛ واطعأنت مريم إلى فضل الله وإلى أن الله لن يتركها وحدها وإلى أن

ورجعت مريم إلى قومها وعشيرتها تحمل وليدها على كتفها ، وسرعان ما شاح أمرها ، وعرف خبرها ، وجاء أقاريها : وُنبونها بألسنة التقريع والتأنيب ويلومونها على هذه الفعلة المنكرة ويذكرونها بشرف أسرتها وكرم أصلها : والتزمت مريم الصمت وأشارت إليهم : أن كلموا هذا الوليد إن أردتم الوقوف على حقيقة الأمر .

فقال القوم لها : كَيْفَ نُكَلُّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا . (مريم : ٢٩) .

كيف نكلم وليدا لم تكتمل أدوات نطقه ، ولم تتحرك شفته إلى ثدى أمه ؛ فانطلق الوليد يجيبهم فى بينان وحجة ويرهان وقال : إِلَى عَلْهُ اللَّهِ عَالَيْنِي ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي لَبِنًا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأُوْمَـٰئِي بِيان وحجة ويرهان وقال : إِلَى عَلْهُ اللَّهُ عَالَيْنِهُمْ أَوْلِكُ أَيْنَ مَا كُنتُ وَأُوْمَـٰئِي بِالمَّلَوْةِ وَٱلْأَكُوةِ مَا فَمْتَ خُبًا ، وَالسَّلَامُ عَلَى يُؤمُ وُلِلتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيُوْمً أَمُوتُ وَيَوْمً أَمُوتُ وَيَوْمًا فَاللَّهُ مَا مُعَلِيدًا مِنْ وَيَوْمً أَمُوتُ وَيَوْمًا فَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ مَا يَعْلَى وَلِيْمًا وَيَوْمًا فَيْعِيمًا مِنْ وَيَوْمًا فَاللَّهُ مِنْ وَاللَّهُ مِنْ وَيَوْمًا فَالْمَالِقُ فَيْعِيمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ مَا يَعْلَى يَوْمً وَلِيْتُ لِللْهُ عَلَيْكُونُونُ مَا فَالِكُونُ وَاللَّهُ وَالِيْكُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْعَلَقِيْلِ فَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِلْكُونُ مِنْ وَاللِيلِينَ وَاللَّهُ وَاللِيلِيْكُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِيلُولُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِيلُولُونُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللِّهُ وَاللَّهُ وَالْمُلِلِيْكُولُونُ وَاللِّهُ وَاللَّهُ وَاللِّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللِّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللِّهُ وَاللِهُ وَالْمُولِلِي اللِّهُ وَلِلْمُولِقُولُولُونُ وَالِمُلْلِيْلُولُولِي وَالْمُلْلِقُولُ وَالْمُولِلِي اللْمُولِلْمُ اللَّهُ وَالْمُل

وهكذا يعلن عيسى عليه السلام: عبوديته للله : فليس هو ابنه كما تدعى فرقة ، وليس هو إلها كما تدعى فرقة ، وليس هو ثالث ثلاثة كما تدعى فرقة ، ويعلن : أن الله جعله نبيا لا ولدًا ولا شريكًا ، وأن الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته .

#### أسلوب القرآن

تحس فى كلمات هذه السورة السهولة واليسر ، والرضا واللطف ؛ فهى كلمات ممبرة عن معانيها ، فمعانى السورة تدور حول فضل الله على زكريا ومريم وغيرهما من الأصفياء .

ويتمثل الرضا والسلاسة واليسر في معانى السورة ، كما يتمثل في ألفاظها وفواصلها وهي : رَضِيًّا ، صَرِيًّا ، حَقِيًّا ، تَوِيًّا .

غاما المواضع التي تقتضى الشدة والعنف ، فتجيء فيها الفاصلة مشددة على حرف الدال في الغالب: مُلًا ، صِدًّا ، إذًا ، كِمَّا ، أَرْ رَايِ ! جِزَّا ، أَزَّا .

ويتنوع الإيفاع المرسيقى والفاصلة والقافية ؛ بتنوع الجن والموضوع فى هذه السورة . فهى تبدأ بقصة ذكريا ويحيى فتسير الفاصلة والقافية هكذا : فِكُرُ رَحْمَتِ رَبَكَ عَبْدُهُ، زَكَرِيّا ، وإذْ نَادَىٰ رَبُهُ بِقاءٌ حَلِيّاً . ا (مربع : ٣٠٧) ... إلى وتليها قصة مربع وعيسى فتسير الفاصلة والقافية على النظام نفسه : وَآذَكُرُ فِي ٱلْكِتْسِير مُرْيَمَ إِذِ ٱنْتَبَلَتْ مِنْ أَمْلِهَا مَكَانًا شَرِيَّا ، فَأَتَحَلَّتَ مِن دُولِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْتًا إِلْهَهَا وُوحَا فَتَعَلَّلُ لَهَا بَحْرًا سَوِيًّا . (مربع : ١٧٠١)... إلغ

إلى أن ينتهى القصص ، ويجىء التعقيب ؛ لتقوير حقيقة عيسى ابن مريم ، وللفصل فى قضية بنوته، فيختلف نظام الفواصل والقوافى . تطول الفاصلة وتنتهى القافية بحرف الديم أو النون المستقر الساكن ، وكأنما الآيات تعبر عن حكم بعد نهاية القصة ، مستمد منها ، ولهجة الحكم تقتضى أسلوبًا تعبيريا غير أسلوب الاستعراض وتقتضى إيقاعًا قويا رصينًا بدل إيقاع القصة الرضى المسترسل فيقول سبحانه : ذَّ لِكُ عِمَى آبُنُ مُرْبَمُ قُولَ الْمُحَقِّ اللَّهِي فِيهِ يَمْتُرُونَ \* مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتْعِذْ مِن وَلَدٍ سُبْحَنْتُه وِذَا قَضَى آمُرًا فَإِنَّنَا يَقُولُ ثَمْ كُن يَشُكُونُ . (مريم: ٢٤ هـ ٣٥٠) .

حتى إذا انتهى التقرير والفصل وعاد السياق إلى القصمى عادت القافية الرضية المديدة : وَأَذْكُرُ فِي ٱلْكِسُمِ إِبْرُ هِيمَ إِنْدُرُ كَانَ صِلْيُقَا لَبِيَّا هِ إِذْ قَالَ لَأِيهِ يَثَأَبُت إِمْ قَلْكُ مِنْ مُنْ لَوْلاً يُشِيعُ مَكُ لَتُنْفَعِ مَلْكُ فَشِكَ . (مريم : ١٤ - ٤٣) ... إلخ.

حتى إذا جاء نكر المكذبين وما ينتظرهم من هذاب وانتقام : تغير الإيقاع الموسيقى وجرس القافية: قُل مَن كَانَ فِي ٱلصَّلَطَةِ فَلْيُمَدُدُ لَهُ ٱلرُّحْمَانُ مَثَا حَّى ٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُرعَدُونَ إِمَّا ٱلْقَطَابِ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعَلَمُونَ مَنْ هُوَ كُرُّ مُكَانًا وَأَصْمَعُنْ جُمَّا . (مريم : ١٧) ... إلىم . وفي موضع الاستنكار يشتد الجرس والنفع بتشديد الدال : وَقَالُواْ أَتَحَدُّ ٱلرَّحْمَانُ وَلَدًا ه أَقَدْ حِنْتُم شَيَّا إذَا ه كَكَادُ ٱلسَّمَاةِ انْ يَعَلَّمُوْ أَنْ مَنْهُ وَصَدَقَيُّ ٱلْأَرْضُ وَعَمَّرُ ٱلْحِبَالُ مَثَّا . (مريم : ٨٨ – ٩٠) ... إلخ .

و مكنا يسير الإيقاع الموسيقي في السورة وفق المعنى والجو ويشارك في إبقاء الأسلوب الذي يتناسق مع الممنى في ثنايا السورة . وفق انتقالات السياق من فكرة إلى فكرة ، ومن معنى إلى معنى .

### للعالم الرئيسة في السورة

يمكننا أن نلمح ثلاث مجموعات رئيسة في سورة مريم:

المُجموعة الأُوَّقُ : تتضمن قصة زكريا ويحيى ، وقصة مريم وعيسى ، والتعقيب على هذه القصة بالفصل فى قضية عيسى التى كثر فيها الجدل ، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى .

المجموعة الغالبة: تتضمن حلقة من قصة إبرأسيم مع أبيه وقومه واعتزاله لملة الشرك وما عوضه الله من ذرية نسلت بعد ذلك أمة . ثم أشارت إلى قصص النبيين ومن اهتدى بهم ومن خلفهم من الغواة ، ومصير هؤلاء وهؤلاء ، وينتهى بإعلان الربوبية الواحدة التي تعبد بلا شريك : زّبُّ ٱلسَّمَنُوْ اسْ وَٱلْأَرْضِ وَمَا يَبْتَهُمَا كَاغَيْنَهُ وَٱصْظُرْ لِهِلَدْتِهِ مُلْ تَعَلَّمُ لَّهُ رَسِيًّا . (مربع : 10).

المجموعة الثالثة والأخيرة: تبدأ بالجدل حول تضية البعث وتستعرض بعض مشاهد القيامة ، وتعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك ، وتنتهى بمشهد مؤثر عميق من مصارع القرون: وَكُمْ أَهْلَكُنَا ظُلِهُم مُن قُرْنِي .... (مرم: ٩٨) ، أى: أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ، قل تُعِسُّ مِنْهُم مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ وَكُوْرًا (مرم: ٩٨) .

وقد جاء في تفسير الطبري لهذه الآية الأخيرة من سورة مريم ما يأتي :

يقول تعالى ذكره: وكليراً أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركى قريش مُن قُرْنِ ... يعنى: من جماعة. من الناس ؛ إذ سلكرا فى خلافى ودكوب معاصى مسلكهم ، هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مُنْ أَحَدٍ ، يقول : فهل تحس أنت منهم أحدا يا محمد فتراه وتعاينه ، أَوْ تُسْمَعُ لَهُمْ رِكُوَّا ، يقول : أن تسمع لهم صوتا بل بادوا وهلكرا وحلات منهم دورهم ولوحشت منهم منازلهم وصاروا إلى دار الاينقعهم فيها إلا صالح من عمل قدموه ، فكذلك قه ما هؤلاء صائرون إلى ما صار إليه أولتك إن لم يعاجلوا التورية قبل الهلاك (\*\*).

ويذلك تنتهى سورة مريم بعد تقرير قدرة الله الفائقة وحكمته البالغة في خلق يحيى وخلق عيسر وتقرير قدرته سبحانه على البعث والحشر والحساب والجزاء ، ومكافأة المرمنين ومعاقبة المعتدين .

﴿ حَمَهِ عَصَ اللهُ وَدُورَ عَمَنِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَكَوْنَا الْمَاهُ وَالْمَادُهُ وَالْمَاهُ الْمَاهُ الْمَاهُ الْمَاهُ الْمَاهُ اللهُ اللهُ

تردات ،

: المسريسية (يعد ويقصر) من ولد سليمان بن داود وكان نجارًا .

ـــادیرتــــه، دعاه.

. حضيهاء مستورًا عن الناس لم يسمعه أحد منهم .

و طير السماط م : ضعف ورق من الكبر إذ قد بلغ خمسا وسبعين سنة أو ثمانين .

الرأس شهياء التشر الشيب في الرأس.

المستحسوالي، عصبة الرجل.

مسبق ورائسسى، من بعدى.

عسساقسسر، عقيم لا تلد.

والسنيسياء وادًا من صلبي.

ي ـــ مـــ قـــ وب : هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان متزوجا ألحت مريم بنت عمران من ولد سليمان عليه السلام .

رضيييه وفعلا.

تمنيعان تهمن قبل سمياء لم يسم أحد بهذا الاسم قبله .

الـــــان كيف ا

عبتيا، كل متناه إلى غاية من كبر أو فساد؛ فهو عاتر، أي: يبست مفاصله وعظامه.

شميستساء موجودًا.

ســــويسمساء وأنت صحيح من غير مرض.

العسسراياد المصلى.

أوحــــان، أوماً وأشار.

سيسحسواء صلّوا.

#### تقهيده

تشتمل هذه السورة على عظيم فضل الله ، وجليل قدرته ، ففي بدايتها خلق يحيى من أبهين كبيرين عقيمين ، ثم قصة مريم ابنة عمران ، وقد ورد في كتب السيرة : أن جعفر بن أبي طالب قرآ صدر هذه السور ، على النجاشي وأصحابه .

### التفسير،

۱ -- کسهققرن

هي حروف افتتح الله تعالى بها بعض السور . قيل : هي مما استأثر الله تعالى بطمه ، وقيل : بل لـ معان ، وتعددت الأراء في هذه المعاني :

 (أ) قيل: هي إشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته : فالكاف من اسمه (كاف) ، والهاء من (هاد) ، والم من (حكيم) ، والعين من (عالم) ، والصاد من (صادق) . (ب) وقيل: هي حروف للتحدى والإعجاز، ويبان: أن القرآن مؤلف من حروف عربية تتطقون بها، وقد عجزتم عن الإتبان بمثله: فدل ذلك على أنه من عند الله تعالى، وأصحاب هذا الرأي يذكرون: أن الحروف المقطمة في فواتح السور، مجموعها ١٤ حوفا ، بينما حروف اللغة العربية ٢٨ حرفا ، فكأنّ القرآن أغذ نصف الحروف في فواتحه ، وترك للناس النصف الباقى: ليصنموا منه قرآنا إن استطاعوا.

(ج.) وذهب آهرون إلى أن هذه الأحرف للتنبيه مثل أدوات الاستفتاح ، أو الجرس الذي يضرب فيننبه التلاميذ إلى دهول المدرسة .

٢ - لِكُو رَحْمَتِ رَبُّكَ عَبْدَهُ، زَكَريًّا.

أى: هذا ذكر رحمة ريك عبده زكريا ، والآية تبدأ بذكر: رحمة الله ، وتفضله على عبد من عبيده، ونبى عظيم من أنبياء بنى إسرائيل ، والمعنى : هذا الذي نذكره لك يا محمد هو جانب من قصة عبدنا زكريا، وطرف من مظاهر الرحمة التي أسبقناها عليه ، ومنحناه إياها .

٣ - إِذْ لَادَىٰ زَبُّهُمْ نِلْمَاءٌ خَفِيًّا .

لقد أخفى دعاءه عن الناس ؛ حتى لا يُنسب إلى الرعونة ؛ لكبر سنه ، أو رغبة فى أن يبث ربه ما به ، فى صدوت خليض ، فإن الله يعلم القلب الثقى ، ويسمع الصدوت الغفى ، وتلمح رجلا كبيرا مسنا يتضرح إلى الله تمالى فى ظلام الليل ، أو صحوة النهار ، بعيدًا عن الناس ، مناجيا له ، راغبا فى الدعاء ، والله تمالى يسمع الدعاء ويجيبه .

قال تعالى : وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِى فَتَى قَالِقَ قَرِيبٌ أُجِيبُ دَخَوَةَ النَّاعِ إِذَا دَعَادِ فَلَيسَنجِسُواْ لِي وَلَوْمِنُواْ بِي فَعَلْهُمْ يَرْتُمُدُونَ. (المِهِدَةِ ١٩٨٦).

قال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيًّا وَلَمْ أَكُنْ بدُعَآتِكَ رَبِّ شَقِيًّا.

أظهر زكريا ضعفه وعجزه أمام ربَّه في استعطاف ونبتل ونداء خافت.

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي .

أي : ضعف العظم وهو قوام اليدن ، وإذا ضعف العظم كان غيره أضعف وأوهن .

وَٱشْتَعَلَ ٱلرُّأْسُ شَيُّنا .

أي: شاب شعر الرأس، وانتشر البياض فيه، كما تنتشر النار في الهشيم، وأسند الاشتعال إلى الرأس

وهو مكان الشعر ومنيته ، ورسم صورة بارزة لرأس جللها الشيب ، والبياض والكبر ، وكأنَّه يقولَ : يا ريي، شفت وضعفت ، وكبرت وصرت شيخًا كبيرًا فانيا قد وهن عظمه ، وشاب شعره .

وَلَمْ أَكُنَّ بِدُعَالِكَ رَبُّ طَقِيًّا .

أى: تعردت على دعاتك ، وعلى مناجاتك ، وعلى طرق بابك ، وعودتنى الفضل والإجابة والكرم ، وأنا الآن أحوج ما أكون إلى هذا الفضل وهذه الإجابة : فتوسل إلى الله بسابق دعائه ، وسابق فضل الله عليه ، وقد كان ذلك في شبابه وقوته ، فأولى بغضل الله أن يناله في مرحلة شيغرخته وكبر سنّه .

- وَإِنِّي حَفْتُ ٱلْمَوَ الِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا لَهَب لِي مِن لَدُنك وَإِلًّا .

وإنى خفت بنى العم والعشيرة من بعد موتى ، أن يضيّعوا الدُّينَ ، ولايُحسنوا وراثة العلم والنبوة ؛ فقد أثر عنهم : أنهم كانوا من شرار بنى إسرائيل ، فضافهم ألا يحسنوا خلافته فى أمَّته ، لا فى الدين ، ولا فى المال ، ولا فى السياسة التى تُتَبع فى إدارة شئونها .

وَكَالَتِ آَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّلُلكَ وَلِيًّا.

لقد أظهر أمام الله حاجته ، وبين أسباب دعائه ؛ وهي خوفه على التراث والدين ، أن يضبع بسبب أقاربه غير الصائحين للقيام على ذلك التراث ؛ فطلب من الله وادًا من صلبه ، يغرس فيه مهادئ الإيمان ، ويؤمله للقيام على التراث والديانة .

٣ - يَرِثْنِي وَيَوثُ مِنْ عَالَ يَغْفُوبَ وَٱجْتَعَلْهُ رَبٌّ رَحِيًّا .

أى: يرث النبوة والعلم ورعاية الدين ، وقد ورد في المسعيمين : ونحن مماشر الأنبياء لا نورث ؛ ما تركنا صدقه» (\*\*).

أما قوله تعالى : وَوَرِثُ سُلِّمُنْ دُأُودً ، (النمل : ١٦) . فهو ميراث العلم والدين والدعوة والرسالة ،

قال فخر الدين الرازي في التفسير الكبير :

قدَّم زكريا عليه السلام على طلب الولد أمورًا ثلاثة :

أحدها : كونه شمعيقا .

والثاني: أن الله ما ردُّ دعاءه.

و الغالث : كون المطلوب يالدعام سبيا للمنفمة في الدين ، ثم صرّح بسرّال الولد وذلك مما يزيد الدعاء -توكيدا : لما فيه من الاعتماد على حول الله وقوته ، والتري عن الأسباب الظاهرة .

### وقمال ابن كثير :

يَولِنِّي وَيَرِثُ مِنْ طَالِي يَعُفُوبَ . يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وَآجَعُلُهُ رَبَّ رَحِيًّا . أي : مرضيا عندك ومند خاتمك تحمّه وتحميه إلى خلقك في دينه وخلقه .

# ٧ - يَازَكُرِيّا إِنَّا لَهُ شُرُكَ بِفُلْمِ ٱسْمُهُ يَحْتَىٰ لَمْ نَجْعَلُ لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا .

تشرر الآية إلى عظيم فضل الله على هلقه ، فقد استجاب الله دعاء زكريا وتبتله، وناداه الحق سيحانه: بأنه قد استجاب دعاءه ووهب له غلامًا ، واختال الله اسمه ، فسماه : يَعْمَىٰ ، وقد أحياه الله من بين شيخ كبير تخطى عمره مائة سنة ، وامرأة عجرز لا تلد ، وهي عقيم في صباها فكيف بها في شيخوختها .

لَّمْ لَعَمْلُ أَمُّهُ مِنْ قَبْلُ سُوبًا . أي : لم يسمُ أحد بهذا الاسم قبله ، أو لم نجعل له مثيلا هي ولادته : حيث ولد لأب كبير عجوز واهن ؛ بلغ عمره مائة ومشرين سنة ، وأم عاقر عقيم قاريت مائة سنة ، أو لم نجعل له مثيلا في زهده وطاعته وإخلاصه ، وجِدّه في الدق واجتهاده . ويحتمل أن يكون جامعا لكل ما سبق . والله أعلم. قال المسرون :

كان قد بلغ مانة وعشرين سنة ، وامرأته ثمان وتسعين سنة . فأراد أن يطمئنُ ويعرف الوسيلة التي يرزقه الله بها هذا الفلام .

وقد ورد هذا المعنى في الآية ٣٩ من سورة أل عمران حيث قال تعالى : قَائَلُهُ آلْمُلَلِّكُمُّةُ وَهُوْ قَائِمٌ يُمشَلَّي في الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهُ يَبْشُرُكُ بِيَحْتِي مُصَدَّلًا بِكُلِيَةٍ مِنْ اللَّهِ وَسُيَّةًا وَحَشُورًا وَبَيَّا مَنَ الشَّلِحِيْنَ . (ل عمران ١٩٠).

وهذه الآية تبين: أن الله تعالى قد استجاب دعاءه ويشره بواسطة الملائكة : أنه سيولد له غلام اسمه يحيى ، مؤيدًا بايّات الله ، وله كرامة وسيادة ، وامتناع عن الشهوات – مع قدرته عليها – وهو من الأنبياء ومن الصالحين ، الذين بلغوا درجة عالية في عبادة ربهم وطاعته ، ولعل هذه الصفات توضع معنى لَم لُجّلُ أُنه مِن لَبِلُ مَجْلًا ، أي: أنه متميز في سلوكه ، وفي اسمه ، وفي ولادته من بين شيخين كبيرين عقيمين

# ٨ - قَالَ رَبِّ أَلَيْ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَلِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَفْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِيًّا .

إن ركريا هو الذي دعا ، وهو الذي طلب ، ثم تفضل الله عليه بالجواب وبشره بغلام ذكر اسمه يحيى : فدُّ هي اسمه وفي مسماه وصفاته ، هنا تتبه زكريا على الواقع ، وبناجي ربَّه مظهرا ما فيه من ضعف ، وبهن، وما في امرأته من عقم وخيخوشة . ` قَالَ رَبِّ أَتَّى يَكُونُ لِي غُلُمْ . وهو استفهام تعجب وسرور بالأمر العجيب .

وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا . أي : والحال أن لمرأتي عجوز عقيم ، لم تلد في شبابها فكيف وهي الآن عجوز ا

وَقَدْ بَلَفْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِيُّنا . أي : قد بلغت في الكبر والشيخوخة نهاية العمر .

### قال الطيرى :

عِيًّا . كل متناه إلى غاية من كبر أو فساد فهو عادر وعاس.

٩ - قَالَ كَذَا لِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيْ هَيَّنْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيُّنا.

قَالَ كَذَالِكَ . أَى: الأمر كما نكرت ؛ بأنك شيخ كبير هرم ، وزوجك عجوز عقيم ، ولكن أمام قدرة اللهُ فذلك أمر هين يسير ؛ فقد خلق الله آدم بدون أب ولا أم ، وخلق عيسى بدون أب وهو على كل شىء قدير ، إذا أراد أمرًا هينًا له الأسباب ثم قال له : كن فيكون .

وَقَدْ طَلَقَتُكُ مِن قَبْلُ وَلَمْ ظَكُ شَيًّا . أي : كما خللتك من العدم ، ولم تك شيئا مذكورة فأنا قادر على خلق يحيى منكما .

### قال المفسرون :

ليس في الفلق هين وصعب على الله ، فوسيلة الفلق للصغير والكبير ، والجليل والحقير واحدة ، كُن فَكُونُ . وإنما هو أهون في اعتبار الناس ، فإن القادر على الفلق من العدم ، قادر على الفلق من شيخين هرمين .

• 1 - قَالَ رَبِّ ٱجْعَلِ لِلِّي عَايَةً قَالَ عَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ فَلَنتَ لَيَالِ سَويًا .

أى: طلب زكريا من الله تعالى أن يجعل له دليلا على بدأية الحملة : ليطمئن وليزداد شكرا لله تعالى. وذكرا له وحمدا .

فَالَ ءَايْتُكَ أَلَّا تُكَلَّمَ آثناسَ ثَلَثَ لَيَالِ سَويًّا.

أى: إن العلامة على بداية العمل هى أن ينقطع عن الكلام مع الناس بلسانه ، مع كمال صحته وانطلاق لسانه فى قراءة القوراة وذكر الله ، وهى علامة تناسب الجر الذي يعيش فيه زكريا ، من تبتله وشكره وذكره وعرفانه لله : بأنه المنعم المتقضل ؛ فكلمة سُوِيًّا . حال من زكريا ، أى : أنك لا تكلم الناس بلسانك ؛ حال كرنك سليما سويا معافى .

ومن المفسرين من ذهب إلى أن المراد : ثلاث ليال كاسلات بأيامهن ، والأرجح أن المراد بكلمة سُرِيًّا هو زكريا ، أي : لا تكلم الناس مم عدم وجود علة بك بل نطقك سليم .

وفى سورة آل عمران : قَالَ رَبِّ آجَعَل لِّى مَايَةً قَالَ مَايَتُكَ أَلَا تَكَلَّمَ آثَامَ فَلَئَلَةً لِيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَآذَكُو رَبِّكَ كَبِيرًا وَ مَسِّحُ بِالْفَجِيِّ وَالْإِيْكُو . (ال ممران : ١٤) .

١١- فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰۤ إِلَيْهِمْ أَن سَبَّحُوا بُكُرَّةً وَعَشِيًّا.

أى : خرج زكريا إلى قومه من مكان عبادته ومعلاته لله تعالى ، فأشار إليهم : أن انكروا الله وسبحوه و مزهوه عن الشريك والولد ؛ في أوائل النهار وأواشره بُكُرُةً : صباحًا ، عُشِّاً : عصرًا .

وقد ورد فى صحيح البشارى أن النبى ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى مملاة الفجر وفى صلاة العصر اقرؤا إن شئتم قول الله تعالى: وَأَثْرُواْنَ ٱلْفَحْرِ إِنَّ قُوَّالُ ٱلْفَحْرِ كَانَ مُشْهَدُوا ٣٠٠ (الاسراء: ٧٨).

والمحراب يطلق على المصلى ، أو الغرفة التي كان يجلس فيها في بيت المقدس ؛ أو هو المسجد ، فقد كانت مساجدهم تسمُّى : المصاريب : لأنها الأماكن التي تصارب فيها الشهاطين .

### وفي تفسير الراغي :

والمحراب (هو المسمّى عند أهل الكتاب بالمذبح ، وهو مقصورة في مقدَّم المبعد ، لها باب يُصعد إليه بسلّم ذي درج قليله يكون من فيها محجوبا عدن في المعيد) .

وهى هذا المحراب الذى يتعبد فيه زكريا جاءت العلائكة فبشرته بيحيى . قال تعالى : قَنَادَتُهُ ٱلْمَلَتُكُمُّ وَهُوَ قَائِمٌ يُعَلِّى فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهُ يُبَدِّرُكُ يَهَحَىٰ مُصَلَّقًا بِكَلِيمَةٍ مَنَ ٱللَّهِ وَسَيَّدًا وَحَصُورًا وَبُهِا مَنَ ٱلصَّلَابِينَ . (ال عدران : ٣٩) ﴿ يَنِيَحْيَىٰ غُذِالُكِتَبَ بِفُوَّةً وَمَانَيْنَكُ ٱلْحُكُمُ صَبِيتًا ۞ وَحَنَافَاقِن لَّذَا وَزْكُوَةً وَكَانَ تَقِيَّا ۞ وَسَرُّا بِوَلِدَيْهِ وَلَدْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيبًا ۞ وَسَلَّمُ عَلَيْهِ يَوْمَ أُولِدَ وَيُوْم يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۞﴾

### المقردات :

و ک تاب، التوراة .

N ق من الحد والاجتهاد .

الحكاد في الدّين.

مسيسيا: صغيرا في زمن الصبا (سبع سنين).

رك الدنس والأثام علهارة من الدنس والذنوب والأثام .

ت د ا مطيعا لأمر ربك.

برابوالنيه: كثير الإحسان إليهما.

جسسيسسارًا؛ متعاليا عن قبول الحق والإذعان له.

عصياء مقالقا أمر مولاه.

#### تمهيده

تغيد الآيات: أن الله أوجد يحيي إلى عالم الوجود، ونما وترعرع متصفا بصفات الجد والمكمة والقهم، متحليا بالرحمة والطهارة والتقوى وير الوائدين، مبتعدًا عن التكبر والتجبر، وقد منحه الله السلام والسلامة في ميلاده وعند موته وعند بعثه .

### التفسير،

١٢ - يَلْهَحْتُهُا خُذِ ٱلْكِتَلْبَ بِقُوَّةِ وَعَالَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا .

لقد زود الله يحيى بمؤهلات عديدة ، ليحسن الميراث وليلبِّي دعوة والده حين قال :

فَهَبُ لِي مِن لَدُنكَ وَلِيًّا \* يَرِثْنِي وَيَرِثُ مِنْ عَال يَعْقُوبَ وَآجَعُلْهُ وَبَّ وَضِيًّا .

والكتاب هنا هو التوراة ، وهو ميراث الأنبياء ، يتولون شرحه والدعوة إليه ، أى : نادى الله يحيى وألهمه ووفقه فى أن يأخذ التوراة بالجدّ والاجتهاد ، وتطبيق ما اشتعلت عليه من أحكام وآداب ؛ فإن بركة العلم فى العمل به .

# وَءَاتَيْنَاهُ ٱلْخُكُمَ صَبِيًّا .

أعطيناه بفضانا الحكمة والفهم ، والعلم النافع مع العمل به ، وهو في سن الصبا (سبع سنين) حيث قال الصبيان لبحيي بن زكريا : اذهب بنا نَلَّعب ؛ فقال : ما للعب خلقنا ، لذلك قال تعالى : وَ وَاتَهَنَا ٱلْحُكُمُ صَبُّ .

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالحكم: الذيوة ، واعترض آخرون بأن الذيوة تحتاج إلى كمال المقل والفطنة ، والراجح أن المراد بالحكم هذا : الفهم والحكمة ، والعلم الذافع والعمل به ، وذلك عن طريق حفظ التوراة وفهمها وتعابيق أحكامها .

# ١٣- وَحَثَالًا مِّن لِّدُنَّا وَزُكُوٰةً وَكَانَ تَفِيًّا.

أعطاه الله الحدان والشفقة والرحمة ، وطبعه على هذه الصفات ، وآتاه الطهارة والصقة ، ونظافة القلب والطبع ، وَكَانَّ قَوِيًّا ، موصول القلب بالله ، مراقبا لمولاه ، مطيعا لأمره ، يستشعر رقابته عليه في سره ونجواه .

\$ ١- وَيَرَّأُ بِوَ الْمِدَالِهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَمِينًا .

كان يحيى كثير البر بوالديه ، والحدب عليهما ، بعيدا عن عقوقهما ، وقد جعل الله طاعة الوالدين في المرتبة التي تلى طاعته فقال سيحانه : وَلَقَمْىٰ رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِأْتُواْ إِنَّانِي إِخْسَنُنَا ... (الإساء : ٣٣) .

وَ لَمْ يَكُن جُبُارًا عَصِيًّا . أي: لم يكن متكبرا على الناس ، ولا مخالفا لأمر ربه ، بل كان لين الجانب ، متواضعه .

وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بمثل هذا في قوله: وَآخَفِهَنْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَنْمَكَ مِنْ ٱلْمُؤْمِينَ . (الشعراء: ٢١٥). وقال تعالى: وَلَوْ كُنتَ قُطًا عَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لِالفَصْرُا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَوْمُتَ فَقَ كَانِ عَلَى اللّهِ إِنْ ٱللّهَ يُعِجِهُ ٱلْمُعَرِّكُينَ . (ال صران: ٩٠١).

# ه ١ - وَ سَلَلْمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدُ وَيَوْمَ يُمُوتُ وَيَوْمُ يُمُوتُ وَيَوْمُ يُتُعَثُّ حَيًّا .

أى : وتحية وأمان له منا يوم ميلاده ، ويوم وفاته ، ويوم ببعث من قبره للحساب . وخصُّ هذه المواهل الثلاث ؛ لأنها أحرج المواطن في حياة الشخص ، فعند : الميلاد بخرج من مكان آمن إلى دنيا لم يشاهد أحدًا فيها ، وعند الموت : يرى قومًا لم يكن عاينهم ، وعند البعث : يرى نفسه في مشهد عظيم ، فالإنسان أحرج ما يكون في هذه المواقف إلى فضل ريه وعظيم رحمته ، ورأفته به .

جاء في تفسير ابن كثير ما يأتي :

عن قتادة : أن الحسن قال : إن يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا ، فقال له عيسى : استغفر لى ؛ أنت خير منى ، فقال له الآخر : أنت خير منّى ، فقال له عيسى : أنت خير منى ، سلَّمت على نفسى ، وسلَّم الله عليك. فعُرف والله فضلهما .

\* \* \*

﴿ وَاذَكُرُ فِي الْكِنْكِ مَرْمَ إِذِ انتَبَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانَا شَرِقِيًا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِمَانًا فَأَرْصَلَنْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَشَّلَ لَهَا بَشُرُ اسَوِيًّا ۞ قَالَتَ إِنِّ أَعُودُ بِالرَّمْنِ مِنكَ إِن كُنْتَ تَقِيّنًا ۞ قَالَ إِنَّمَا آنَارُسُولُ رَبِّكِ لِأَهْبَ لَكِ غُلَنمَا زَكِيًا ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْنَمُ وَلَمْ يَمْسَنِي بَشَرُّ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَعَلَىٰ هَيْنٌ قَلِينَجْمَلُهُ وَالْهَالِينَ اللهِ وَرَحْمَةً مِنْ أَوْكَانَ أَمْرُ المَقْضِيدًا ۞ ﴿ ﴾

#### المفردات:

الستسهدة، أعتزات وتنحت.

مكانا شرقيا : شرقي بيت المقدس ، أو قبل مشرق الشمس .

حسجساد ساترا يسترها عنهم وعن الناس.

روحسنسا، جبريل عليه السلام.

يشراسوينا؛ في منورة رجل من بني آدم معتدل الشلق.

اعسسود؛ أعتضم، وألجأ، وأستجير.

إن كنت تقياء ذا تقوى ، أن تنال منّى ما حرَّم الله عز وحل.

تكسيساء طاهرًا من الأدناس والأرحاس والننوس

المسمى، كيف يكون ذلك ؟

يسفسيساء زانية.

أيــــــة، علامة على قدرة خالقكم.

مقضيا؛ معتوما قد تعلق به قضاؤنا الأزلى.

#### تفهيد :

بدأت سورة مريم بذكر: قصة زكريا وقد رزق ولذا وهو عجوز وزوجته عقيم ، وهى قمنة مألوغة، فأثى بهنا كالتمهيد لميلاد عيسى من أم دون أب للدلالة على كمال القدرة الإلهية ، وأنه هو مسبب الأسباب، وإذا أراد الله أمرًا هيأ له الأسباب ثم قال له : كن فيكون ، وقد ألف الناس أن يكون مجىء الأطفال بسبب تلقيح الذكر للأنفى ، فجعل الله خلق عيسى محجزة وآية تدل على كمال القدرة الإلهية .

## التفسيره

٣ ١- وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَلْبِ مَنْهَمَ إِذِ ٱنتَهَلَتْ مِنْ أَفْلِهَا مَكَانًا طَرُقِيًّا .

أي : واتل أيها الرسول الكريم في كتاب الله الذي أنزله إليك بالحق : قصة مريم ابنة عمران حين اعتزات أهلها وانفردت عنهم إلى مكان شرقى بيت المقدس لتتطبى للعبادة .

وعن ابن عباس أنه قال : إنى لأعلم خلق الله لأى شيء اتخذ النصارى الشوق قبلة ؛ لقول الله عن وجل : إِذْ ٱنتَبَدُتُ مِنْ أُهْلِهَا مَكَانًا شُرِّهًا . فاتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة .

٧ ٧ - فَاتَّبْحَلَتَ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلِّهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا .

أى: انقردت مريم لأمريخصمها؛ أو لتتقرخ لعبادة ربها، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، متمثلا في معورة بشر مكتمل الحواس سويّ الخلق، وسمى جبرل: روحًا؛ لأنه يحمل الوحي وهو روح وحياة.

قال تعالى: نُزَلَ بهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعلِدِينَ . (الشعراء: ١٩٣ ، ١٩٤) .

وقد أشاف الله الروح إليه ؛ إضافة تشريف وتكريم . رُوحَنا ؛ لأنه يتصرف بإذن الله وأمره .

١٨ - قَالَتْ إِنَّى أَعُوذُ بِٱلرُّحْمَانِ مِنكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا .

هنا تنطقض الفتاة منعورة حين وجدت شخصًا سوى الخلقة فى مخدعها وتقول: إنى أستجير بالله منك أن تنال منى ما حرم الله عليك ؛ إن كنت ذا تقوى تتقى محارمه ، وتجتنب معاصيه ، وتمثل الآية موقف ثناة مزمنة ، فى حجاب بينها ويين قرمها ، تفاجأ بشخص سوى الخلقة ، فتُحرَّك فيه دواعى التقى والإيمان ، وتذكره بالرحمان ، الذى تتحصن بسلطانه ، وتذكر الشخص بتقوى الله والخوف منه . ١٩ - قَالَ إِنَّمَا آنَا وَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَنْمًا زَكِيًّا .

أى: قال جبريل لها ، مزيلاً ما حدث عندها من الخوف منه ، ومن النقود : لست شابا راغبا في الفاحشة كما تظنين ، إنما أنا رسول ربك بعثنى لأهب لك غلامًا طاهرًا مبرأ من العيوب ، وقد نسب الهبة إلهه، من قبل أنها جرت على يده بأن نفخ في جيبها بأمر الله .

· ٢ - قَالَتُ أَلَىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا .

أى: كيف يكرن لى ولد ، وأنا لم أتزوج ، ولست فاجرة : فلم أتخذ الطريق إلى الولد بالزواج ، ولست من الزانيات . والولد لا يأتى: إلا من نكاح أو من سفاح !

٢١ - قَالَ كَذَا لِلْكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيَّنَّ.

إن الولد لا يأتي إلا من نكاح أو من سفاح في عادات الناس، أما إذا كان الأمر أمر الله ، فإنه نافـذ· لا محالة ، وليس على الله هين وصعب ، لكن أراد أن يقرب الأمر إلى فهم مريم ، والمراد : أن الله على كل شيء قدير ، ولا يمتنع عليه فعل ما يريده ، ولا يحتاج في إنشائه إلى الموادّ والآلات .

وَلِنْجُعَلَهُ وَاللَّهُ لَّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مُقْعِبِيًّا.

ولنجمله ممجزة ظاهرة أمام الناس ، ورحمة من الله لمياده ؛ حين يمثه نبيا وهاديا ورسولا ، وكان ذلك قضاء قد قضى فى سابق علم الله ، ومضى به قلا يغير ولا يبدل .

لقد علق الله آمم من تراب ونفخ فيه من روحه ، ثم خلق حواه من أب دون أمّ ، ثم خلق عيسى من أم دون أب الطهر الناس أن الآباء والأمهات هم أسباب مادية ملموسة ، والمسبب المقيقى هو الله قال تمالى: 

يَهُبُ لِمَن يَشَاءُ إِنْكُ وَيَهُبُ لِمَن يَشَاءُ ٱللّٰذُكُورَ وَأَزْ يُزُوّجُهُمْ ذُكُرانًا وَإِنْتُمَا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ طَيْهِمًا إِنَّهُ عَلَيهٍ لَدِيرٍ .

(الشورى: ٤٥ ، ٥٠)

وقال سبحانه وتعالى: إِنْ مَثَلَ عِيسَىٰ عِبدُ ٱللَّهِ كَمَعُل مَادَمُ خَلَقَةُ رِمِن تُرَابِ ثُمَّ قَالَ لَذُركُن فَيَكُونُ . (ال عمران : ٥٥).

المضردات :

هـ ۱<u>۱ ت بـ د</u>ث، اعتزلت.

قصيب يحساء يعيدا من أهلها وراء المبل.

فالمأما وأضطرها

الفي .....اش، الطلق حين تحرك الولد للخروج من البطن.

تسبيا مستسياء كشيء ترى فلم يُطلب، أو لم أكن في الأشيام.

فشاداها من تامتها: اختلف في أنَّه عيسي : أن جيريل .

ســـريـــا، نهرًا أو عنى نفسه عيسى.

رط بيا، بُسرًا ناضحًا.

ج خياب المالعا للاجتناء.

قسرى عسهاء طيبي نفسًا وافرحي بولادتك إياى ولا تحزني.

قـــــونی؛ أشیری إلیهم.

مسيسومسياء صمثاء

التفسيره

٧٧ - فَحَمَكُ فَأَنْتَهُ ذَتْ بِهِ مَكَانًا قَعِيًّا .

أي: اقتنعت بكلام جيريل فنفخ في جيب درعها (الفتحة التي من الأمام في القميص) فدخلت النفخة

فى جوفها فحملته ، قاله ابن عباس ، وقال غيره : نفخ فى كمها وقد تم الحمل بالجنين ، فاعتزلت وهو فى بطنها مكانًا بعيدًا عن أهلها : هشية أن يعيروها بالولادة من غير زوج .

# ٢٣ - فَأَجَاءَهَا ٱلْمَحَاصُ إِلَىٰ حِدْعِ ٱلنَّحْلَةِ قَالَتْ يَلْلَيْنِي مِتُّ قَبْلَ هَلْمَا وَكُنتُ نَسْيًا مُنسِيًّا .

أى: ويعد أن حملت مريم بعيسى ، وابتعدت به وهو محمول فى بطنها عن قومها ، وحان وقت . ولادتها ، ألجأما المحاض إلى جذع نخلة يابسة : لتتكا عليه عند الولادة ، فاعتراها الهم والحزن ، وتهيبت مقابلة الناس ، فهم كانوا يروتها عابدة زاهدة ، والآن يظنون أنها زائية عاهرة ؛ فقالت : يا ليتنى مثّ قبل هذا الحمل والمخاص الذى حلّ بى ، وَكُمْتُ نُسُهًا مُسْهًا . شيئًا متروكًا لايهتم به أحد ؛ نسيا بفتح النون وكسرها لفتان فى الشيء الحقير المهمل ، مثل : الوّر ، والوّر يفتح الواق وكسرها .

وقد أدب نبينا محمد ﷺ المسلمين بالأدب الإلهي ومن ذلك ألا يتمنى المسلم الموت ؛ لضيق مادى أن مرض ؛ روى مسلم في صحيحه : أن رسول الله ﷺ قال : «لايتمنين أحدكم الموت لضُرُّ نزل به ، فإن كان لابد متمنيا فليقل : اللهم ، أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وترفني إذا كانت الوفاة خيرا لي "".

# ٤ ٧ - لَتَادَىٰلَهَا مِن تُحْتِهَا أَلَّا تَحْزَلِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَريًّا .

توجد قراءتان سبعيتان في مِن لَحْجَهَا . الأولى : بفتح الميم بمعنى : الذي تحتها وهو عيسى ، والثانية: من تحتها بكسر الميم وهو جبريل عليه السلام ، ورجح الطبرى أن الذي نادها هو عيسى عليه السلام : لتزداد الهمتنانا ويقينا بهذه الممجزة ، أي : ناداها عيسى عند ولادته قائلا : لاتحزني لهذا الأمر ؛ فقد جمل الله تحتك جدولا صفيرا يجري أمامك .

قَالَ ابن عباس: ضرب جبريل برجله الأرض، فظهرت عين ماء عذب فجري جدولا.

٧٥ - وَهُزِّي إِلَيْكِ مِجِدُع ٱلنَّخَلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَهَا جَنَّا .

أى: حركى جدّع النخلة اليابسة ؛ يتساقط عليك الرُّطب الشهي الطري .

والرُّطب : هو ما نضبج واستوى من التمر.

جنيا: صالحا للأخذ والاجتناء.

لقد أراها الله تعالى عددا من الكرامات ، منها وجود عين ماء تسيل لوقتها ، وتحريك نخلة يابسة تخضر وتثمر ، ثم تحريك يديها بهزّ النخلة يردى إلى وقوع الثمر ، وكل هذا ؛ لتطمين القلب ، وللحث على الأخذ بالأسباب ، ورحم الله للفائل : وهنزى إلبك الجذع بساقط الرطب

الم تسر أن السلسة قسال اربم ولوشاء أن نجنيسة من غير هزّة

وقد ذكر العلماء : أن أفضل ما تأكله النفساء هو الرطب ؛ لأن فيه حلاوة وقوّة .

٢٦ – فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرَّى عَيْنَا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِيّ إِلَى نَفَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلَمَ ٱلْيَوْمُ إِلسِيًّا.

أى: فكلى من ذلك الرحلب الشهى، واشربى من هذا الماء العذب السلسبيل، وَقَرِّى عَيَّا. أَى: طبيبى نفسًا بهذا المولود ولا تحزنى؛ فَإِمَّا تَرَبِّنُ مِنَ ٱلْبَشْرِ أَصَّلًا . أَى: إذا رأيت لَحدًا من الناس وسألك عن شأن المولود؛ فأشيرى إليهم: بأنى أوجبت على نفسى لله صمتا: الا أكلم اليوم أحدًا.

# قال الفخر الرازي ما ملخصه:

إنما مُنعت من الكلام الأمرين .

أحدهما: أن يكون عيسى هو المتكلم عنها ؛ ليكون أقوى لمجتها في إزالة التهمة عنها .

ثانيهما : كراهة مجادلة السفهاء، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ، ومن أذلُ الناس سفيه لم يجد مسافها .

\* \* \*

﴿ فَأَتَتْ بِهِ. فَوْمَهَا تَحْمِلُهُ فَالْوَا يَكُمْ يِهُ لَقَدْ حِشْتِ شَيْتُ افْرِيًا ﴿ يَا اللّهِ يَعْلَمُ مَن كَانَ مَالُولُونَ اللّهِ اللّهِ اللّهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدِتُ وَيَوْمَ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدِتُ وَيَوْمَ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدِتُ وَيَوْمَ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدِتُ وَيَوْمَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدِتُ وَيَوْمَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدِتُ وَيَوْمَ اللّهُ اللّهُ وَيُومَ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّ

## المفر دات ،

فسريسا: عظيما خارقا للعادة ، وهي الولادة بلا أب.

ميسسارون، هو أخو موسى ، وقيل : هو رجل صالح من بني إسرائيل .

بالخد هارون، يا شبيهة هارون في الصلاح.

فسى السمهداء في الحجر (حجر أمَّه) .

الكتاب، الإنجيل.

مسهساركساء تفَّاعًا للناس.

السجسيسار، المتعظم الذي لا يرى لأحد عليه حقاً .

. ال<del>شب قسي</del>ء العامني لرية .

## التفسيره

٧٧ - فَأَتَتُ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَلمَرْهُمُ لَقَدْ رِحْتِ شَيًّا فَرِيًّا .

أي: حملت ابنها وجاءت إلى قومها بعد أن طهرت من النفاس ، فلما رأوما أنكروا عليها وجود الولد معها ، وقالوا لها : لقد جثت أمرًا منكرًا عظيمًا .

٧٨- يَكَأْخُتَ هَلُول مَا كَانَ أَيُوكِ آمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتُ أُمُّكِ بَغِيًّا .

كان هارون رجلا صالحا في بني إسرائيل ، منقطعا للعبادة ؛ فشبهوها به في صلاحها .

والمعنى: يا شبيهة هارون في الصلاح والعبادة والتقوى ، ما كان أبوك بالفاجر ، وما كانت أمك بالبقيّ : فكيف أثيت بهذا الولد ؟!.

أو المعنى: يا من أنت من نسل هـارون أخى موسى : كمـا يقـال التعيمى: يا أخـا تميم ، والمصرى: يا أخا مصر.

أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنساني عن المغيرة بن شعبة قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا : أرأيت ما تقرءون : يَلَأَحْتَ هَنْرُونَ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذك لرسول الله ﷺ فقال : «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم» (٣٠).

# ٧٩ - فَأَشَارُتُ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلُّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا .

فأشارت إلى ابنها عيسى ولسان حالها يقول لهم: وجهوا كلامكم إليه؛ فإنه سيخبركم بحقيقة الأمر، ولكنهم لم يقتنموا بإشاراتها ، بل قالوا لها : كيف نكلم طفلا صغيرا لا يزال في السرير يتفني بلبان أسه؟

جاء في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي:

روى: أنه كان يرضع ، فلما سمع نلك : ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وكلمهم ، ثم لم يتكلم حتى يلغ ميلغا يتكلم فيه المدييان . 1 هـ .

وكلام عيسى في المهد معجزة إلهية ، أجراها الله على يديه ؛ تبرأة لمريم ، وإرهامنا لنبوة عيسى ، فتمن نؤمن بها كما وردت في كتاب الله ، وهو حسبنا .

• ٣- قَالَ إِنِّي عَيْدُ ٱللَّهِ وَاتَّلْتِيَ ٱلْكِتَلْبَ وَجَعَلْنِي نَيًّا.

أى: قال عيسى فى كلامه أمام قوم مريم : أنا عبد الله علقنى يقدرته من غير أب ، نقدم ذكر العبودية: ليبطل قول من ادعى ذيه الربوبية .

ءَاتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا .

أى: قضى ربّى أن يؤتينى الإنجيل فى المستقبل ، وأن يجعلنى نبيًا ، أدعوا الناس إلى عبادته وحده،
وإنما جاء بلفظ الماضى : لإفادة تأكد تحققه ؛ فإن ما قضى به الله لابد أن يقع ، وقريب منه قوله تعالى :
أَنْ أَلُمُ اللهِ ... (النط : ١) ، وقوله سبحانه : وُلُفحُ فِي الصُّرِدِ فَصَوِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰذُ أَت وَمَن فِي ٱلأَرض إِلاَّ مَن شَلَةً
.. آللَّهُ أَنْ أَنْهُ فِيهُ أَمْرَى فَافَا هُمْ قِالَةً يَعْفُرُونَ . (الزمر : ٢٨) .

٣١ - وَجَعَلَنِي مُهَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَلِنِي بِٱلصَّلَوْةِ وَٱلزَّكُوةِ مَا تُمْتُ حَيًّا .

أى: جمل في البركة والخير والنفع للعباد حيثما كنت وأينما حللت ، وأومماني بالمحافظة على الصلاة والزكاة مدة حياتي.

٣٧- وَبَرَّا بِوَا لِلَّنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا .

أى: وجعلنى الله مطيعًا لوالدتى ومحسنًا إليها، ولم يجعلنى -- سبحانه -- متكبرا مرتكبا للمعاصى
 والمريقات.

٣٣- وَٱلسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبُوتُ حَيًّا .

أى: سلام الله على في يوم ولادتى وفي يوم مماتى ، وفي يوم خروجي حيًّا من قبرى .

هذا ما نطق به المسيح وهو طفل لا يزال في المهد: فقد تبرأ ممن جعله إلها حيث نطق بأنه عبد الله. وأنه نبى سيرتيه الله الإنجيل ، وسيجعله كثير البركة محافظًا على المسلاة والزكاة، محسنا لوالدته، بعيدا عن التكبر والمعصية : ثم هو بشر يسأل الله السلام والأمان له في كل أطوار حياته .

ويهذا ردّ المسيح على من جعله إلها ، وعلى من قال : إنه ابن زنى ، وعلى من ذهب إلى أن الأب إله ، والابن إله ، وروح القدس إله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فالمسيح في القرآن عبد الله ورسوله يحيا ويموت كسائر البشر خلقه الله من أم دون أب ؛ ليكون آية . على قدرة الله الباهرة .

وفى الحديث المصحيح يقول النبى ﷺ: ديقول الله عز وجل: يشتمنى ابن أدم وما ينبغى له أن يشتمنى، ويكنبنى ابن آدم وما ينبغى له أن يكذبنى ؛ أما شتمه إياى : فقوله : إن لى ولدا ، وأما تكذيبه إياى فقوله لا يبمثنى الله بعد موتى ...» (\*\*).

وقد تحدث القرآن مستنكرًا أن يكون لله ولدًا ، مستخدمًا الدال وهي حرف من حروف القلقلة في نهاية كل آية فقال :

وَقَالُواْ أَتَّحَدُ ٱلْرَحْمَانُ وَلَدًا هِ لَقَدْ رِحْتُمْ هُنِّنَا إِذَّا هِ نَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطُّونَ مِنْهُ وَسَدَقُ ٱلأَرْصُ وَتَعِيرُ ٱلْمِجَالُ هَذَّا ه أَن دَعَواْ لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا ه وَمَا يَسَنَبِي لِلرَّحْمَانِ أَن يَتْعِدَ وَلَدًا ه إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَنُواتِ وَٱلأَرْصِ إِلَّا يَامِي ٱلرَّحْمان عَبْدًا ه لَقَدْ أَحْمَانُهُمْ وَتَقَدُمُ عَلَّا ه وَكُلُّهُمْ عَلِيْ يَوْجَ ٱلْقِينَامِةِ وَذَكَا . (مريم : ۸۸ – ۹۰) .

وهي الصفحة الأخيرة من سورة المائدة يتبرأ المسيح عيسى عليه السلام ممن ادعى : بأنه إله ، أو أن أمّه مريم إله .

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَسْجِسَى آبَنَ مَرْيَمَ وَأَلَتَ قَلْتَ لِلنَّاسِ ٱلْحِدُولِي وَأَنَّى إِلْنَهِنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ مُسْحَمَّلَكُ مَا يَكُونُ لِيَّ أَنْ أَقُولُ مَالَيْسَ لِي بِحَقِّ إِن كُنتَ قُلْتُهُ فَقَدَ عَلِمَتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْرِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فَي نَفْسِكُمْ ٱلسَّدُولِي وَ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا آمَرَتِي بِدِ أَنِ آعَبُدُوا ٱللَّهُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ طَهِيدًا مَا فُصَدَّ فَهِمْ فَلَمْ تَوْلِيَتِي كُنتَ اَسَ ٱلرَّقِينَ عَلَيْهِمِ وَأَسْتَ عَلَىٰ كُلْ هَيْءٍ هِبِلاً وَإِنْ تُعْلَيْهُمْ فَإِنْهُمْ مِيَادُكُونَ وَإِنْ

(الماكية: ١١٦ – ١١٨)

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرَّمُ قَوْلَكَ ٱلْمَقِ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْ تَرُونَ ۞ مَا كَانَ لِلْوَأَن يَلَجُذُونَ وَلَلْمُسْبَحْنَهُ إِذَا فَعَنَى آمَرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيكُونُ۞ وَلِنَا ٱللَّهَ رَفِي وَتَكُمُ فَاعْبُدُوهُ هَادَا صِمَا اللهُ مُسْتَقِيمٌ ۞ قَاخَلُفَ الْأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلُ لِلْيَنِ كَمْرُوا مِن مَشْهَدِ يَوْمِ عَظِيمٍ ۞ أَسْمَعْ يَوْمٌ وَآبَعِمْ رَقِمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِينَ الظَّلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِصَلَٰلِ تُعِينِ ۞ وَأَنذِرَهُمْ يَوْمَ ٱلْمُسْرَوَ إِذْ قُصِى ٱلْأَمْرُوهُمْ فِي عَفْلَهَ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا تَعَنُ مَرِثُ ٱلأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَ إِلَيْنَا يُرْحَمُونَ ۞ ﴾

## المفردات

قــول الــحــق: قول الصدق الذي لا شبهة ذيه .

يمة .........رون، يشكرن ويتنازعرن ويغتصمون : فزعم الهجود : أنه ساحر كذاب ، وزعمت النصارى : أنه ابن الله ، وثالث ثلاثة ، ولله – تمالى الله عن ذلك –

ماكان فه أن يتعلامن وقد ما ينبغي ولا يصبح أن يجعل له وقد.

مـراطمستقیم؛ طریق لا یضل سالکه.

الأحسيسواك؛ فرق النصاري الثلاث.

مشميه شهود وحضور .

يسوم عسطنيسم؛ يوم القيامة .

المسبيب وم: في الدنيا .

يــوم الــحسرة : يوم القيامة ، حين يندم الناس على ما فرطوا في جنب الله .

قصيين الأميير؛ فرغ من الحساب.

#### التفسيره

\$ ٣- ذَا لِكَ عِيسَى آبُنُ مَرْكِمَ قَوْلَ ٱلْحَقُّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ .

أي : هذه هي القصة الحقيقية ، وهي القول الحق في عيسي ابن مريم ، لا ما يصفه النصاري من أنه ابن الله ، أو اليهود من أنه ابن زني ، ويشكّرن في أمره ويمترون ويجادلون ٣٥– مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبُحَنَنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لُهُۥ كُن فَيَكُونُ .

ما صدح ولا استقام للإله الواحد الأحد ، السميم البصير القدير ، أن يتخذ ولذا ؛ لأن الولد إنما يتخذه الفانون للامتداد ، ويتخذه الضعفاء للنصرة ، والله هو الباقى بقاء أبديا ، وهو القوى القادر الذي لا يعجزه شرء .

سُبْحُلْنَهُ: تنزه عن الصاحبة والواد.

إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُن فَيَكُونُ .

أى: إذا أراد أمرًا فإنما يأمر به: ليكون كما أراد؛ فليس في حاجة إلى نصرة الواد أو معونته كما يفعل البشر: بل هو الإله القادر النافذ الأمر، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى: إِنَّ مُثَلَ عِسَىٰ عِندَ ٱللهِ كَمُثَلِ عَلَيْ مُثَلِّ عِسَىٰ عِندَ ٱللهِ كَمُثَلِ مَا المُعنى قوله تعالى: إِنَّ مُثَلَ عِسَىٰ عِندَ ٱللهِ كَمُثَلِ . عُامُم عُلَقُهُ مِن تُراسِوُهُمَ قَالَ لُهُ كُن فَيَكُونُ . (ال عمران: ١٥٥).

٣٦ - وَإِنَّ ٱللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَآعَيْدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ .

لقد أنطق الله عيسى فى المهد بهذه الحقائق؛ حتى لا يضل الضائون ، ومن ذلك قوله : إن الله سبصانه هو رب الكون ، ورب الناس أجمعين ، ورب عيسى و خالقه ، وإليه نتوجه جميعا بالعبادة ولا نعبد سواه ، وهذا هو الطريق الواضح المستقيم .

وهذا معنى لا إله إلا الله . أى : لا معبود يحق سراه . وقريب منه ما ورد في سورة الصمد ؛ حيث أثبتت وحدانية الشالق ، المقصود في الحواثج ، فهن لم يلد ولذا ولم يولد من أب ، كشأن البشر حيث يولد الصغير ثم يكبر فيمبير أبنا ، وَلَمْ يَكُنُ لُنُّهِ / كُفُواً أَحَلًا . أى : ليس له شبيه أن نظير أن مكافئ .

قال تعالى : قُلُ هُوَ آللُهُ أَحَدُ هَ آللُهُ آلصَمَهُ هَ ثَمْ يَلِدُ وَلَمْ يُؤلَدُ هَ وَلَمْ يَكُنُ لَهُ، كُفُواً آحَدُّ . (الإحلاس : ١-٤). ٣٧- فَأَخْتَلُفَ ٱلأَحْرُابُ مِنْ يَبْيِهِ مَوْزِلُ لِّلْلِينَ كَفُرُواْ مِن مُشْهَدِ يَوْم عَظِيمٍ .

أى: اختلفت الغرق من أمل الكتاب فى شأن عيسى ؛ وصاروا أجزابا متفرقين ، فمنهم : من يزعم : أنه ابن الله ، ومنهم : من يزعم : أنه ابن زنى .

ولقد جمع الإمبراطور الروماني قسطنطين مجمعا من الأساقفة ــوهو أحد المجامع الثلاثة الشهيرة ــ بلغ عدد أعضائه ألفين وماثة وسبعين أسقفا ، فاختلفوا في شأن عيسى اختلافا شديدا ، وقالت كل فرقة فيه قولا . قال بعضهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء،

وقال بعضهم: هو ابن الله.

وقال بعضهم: هو أحد الأقانيم الثلاثة: الأب والابن وروح القدس.

وقال بعضهم: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وعيسى إله، وأمَّه إله،

وقنال بعضهم: هو عيد الله ورسوله وروحه وكلمته.

وقـالت فرق أخرى أقوالا أخرى ، ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية اتفقوا على قول ، فمال إليه الإمبراطور ونصر أصحابه وطرد الآخرين ، وشرّد المعارضة ويخاصة الموحدين .

وقد سمى أتباع الملك قسطنطين الملكانية ، وقد ابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها ، بلاد الشام والجزيرة والروم ، فكان مبلخ الكنائس في أيامه ما يقارب التي عشر ألف كنيسه <sup>(۱۱)</sup>.

وتلاحظ أنه قبل الفتح الإسلامي لمصر، كان في مصر مذهبان منتشران بين أقباط مصر:

المذهب الملكاني : ويذهب إلى أن الابن مقصول من الأب قبل كل الأزمنة والدهور وهو جوهره وبُوره التحد بالإنسان المذَّهوذ من مريم .

والمذهب اليطوبي: نسبه إلى عالم قبطى يسمى: يعقوب ، يرى أن اللاهريت حلَّ في الناسوت ، أي:
أن المسيح إنسان حلَّت فيه روح إله . وكان المذهب اليعقوبي منتشرا بين أبناء الشعب المصري ، وكان
زعماء اليعاقبة مجاهدون غاضبون على المذهب الملكاني ، الذي تحيذه روما ؛ ولذلك فإن الشعب القبطي
قد استقبل الفتح الإسلامي لمصر استقبالا حسنا ، وأمدّ الفاتحين المسلمين بالطف والمئونة والمساعدة ؛
ليتخلص الشعب من ظلم الرومان وتعسقهم .

وكانت مصر تعتبر مزرعة للقصح تورده إلى روما ، وكانت روما تجبى الضرائب ، وتفرض المذهب الملكانى ، وتجنى ثمار القمح : مما جعل الأقباط راغبين فى التخلص من جور الرومان وظلمهم ، كما أن تصور اليعاقبة لطبيعة المسيح كان أقرب إلى التصور الإسلامي ، من المذهب الملكاني الروماني "".

لَوَيْلُ لُلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ.

أى : فدّاب شديد للكافرين من شهرد ذلك اليوم ؛ وهو يوم القيامة ، الذي يشهده الثقلان وغيرهما من مخلوقات الله . ٣٨ - أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْمِرْ يَوْمَ يَأْتُونَا لَنكِن الطَّلْلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي حَلَلْلِ مُّين .

ما أشد سمعهم ويصرهم يوم يقدمون على ربهم وقد شاهدوا بأعينهم حقيقة الأخرة ، وتفتحت أبصارهم وأسماعهم على الوعد الحق ، فأفاقوا بعد فوات الأوان !

لَلْكِنِ ٱلظُّلْلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي صَلَالٍ مُّينِ

إلا أن مؤلاء الظالمين اليوم في الدنيا ، في ضلال ظاهر ؛ قد أعمتهم الدنيا وشفلتهم الأماني ، وسليت أسماعهم وأيممارهم عن سماع الحق والتأمل في حقيقة التوحيد ، فهم عمى في الدنيا عن الحقيقة ، ثم يبصرون ويسمعون ويعرفون الحقيقة في الأخرة ، ولكن بعد فوات الأوان ، حيث يطلبون العوبة إلى الدنيا؛ لتدارى ما فات فلا يجابون إلى طلبهم ؛

· صاح هل رَيْتَ أو سمعت بسراع ردَّ في الصَّرع ما قرى في الحيلاب ؟

٣٩- وَأَمْلِوْهُمْ يَوْمُ ٱلْمَصْرَةِ إِذْ قُعنِي ٱلأَمْرُ وَهُمْ فِي عَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

أى : خوف الناس جميعا من يوم القيامة ، يوم يتحسر الظالمون على ما أسرفوا فيه وفرُّطوا في جنب الله ، وفي ذلك اليوم يدخل أمل الجنة الجنة وأمل النار النار وقد ورد في المسحيحين أنه : «يوثني بالموت بهيئة كبش أملح ، يضالط بياضه سواد فيذبح بين الجنة والنار ثم يتادى : يا أمل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت» ، ثم قرأ النبي ﷺ: وَأَسْرِهُمْ يُرَمُّ ٱلْمَّسْرَةِ إِذْ قُضِي آلاَّتْرُ وُهُمْ فِي غَلْلَهِ وَهُمْ لِا يُؤْمِنُ . ٣٣

وذبح الكبش تصوير: لأن كلَّر من الفريقين يفهم فهما لا لبس فيه : أنه لا موت بعد ذلك ، وقوله : وُهُمُّ فِي غَفْلُوْ . أي : والظالمون في غفلة عن يوم القيامة ، شغلتهم الدنيا وحظوظها عن التفكير في ذلك اليوم ، وُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ . لا يصدقون بالبعث ، والحساب ، ومجازاة الله لهم على أعمالهم .

• ٤ - إِنَّا لَمُعْنُ نَوِثُ ٱلأَوْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُوْجَعُونَ .

كل ما على وجه الأرض عائد إلى الله تعالى عودة الميراث كله إلى الوارث الوحيد : فلا تأس يا محمد على تكذيبهم : فإنهم سيرجعون إلينا فنجازيهم بالعدل والقسطاس المستقيم .

جاء في مختصر تفسير ابن كثير للصابوتي :

يخبر تعالى: أنه الخالق المالك المتصرف ، وأن الخلق كلهم يهلكون ، ويبقى هو تعالى وتقدّس ، ولا أحد يدّعى ملكا ، ولا تصرفًا ؛ بل هو الوارث لجميع خلقه ، الباقى بعدهم ، الحاكم فيهم ، فلم تظلم نفس شيئًا، ولا جناح بعوضة ، ولا مثقال ذرة .

## قصة إبراهيم عليه السلام

﴿ وَاذَكُرْ فِي الْكِنْبِ إِبْرَهِمَ إِنّهُ مَكَانَ صِدِيقًا نَبِيّا ﴿ إِذَ قَالَ لِأَبِيدِ يَنَابَتِ لِمَ تَعْبُدُمَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْفِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ يَتَأْبَتِ إِنِي قَدْجَاء فِي مِن الْفِلْهِ مَالَمْ يَأْتِكَ فَا تَبْعِنِ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْفِى عَنكَ اللّهَ عَلَى اللّهَ عَلَى اللّهُ عَالِمُ اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ

المفردات ،

والأكر هي الكتاب، أتل في هذه السورة .

صدية الما في الصدق لم يكذب قط.

مسراطا سويها: طريقا مستقيما، موصلا إلى نيل السعادة .

والمسيدا، قرينا تليه ويليك في العذاب.

أراضب أنت عن آثهتى: أكاره لها؟

الأرج مستك، الأشتمنك باللسان، أن الأرجمنك بالحجارة.

مصلحيناء دهرًا طويلاء قال مهلهل:

فتصدعت صم الجبال لموته ويكت عليه المرملات مَليًّا

حــــفــــــــا، مبالغا في برى وإكرامي، يقال: حفي به ؛ إذا اعتنى بإكرامه.

شقياء خائب المسعى.

السان سيدق: ثناءً حسنا .

#### تمهيده

سورة مريم سورة إثبات القدرة الإلهية ، والوحدانية والبعث ، وإثبات النبوة ، وهناك من ادعى : أن عيسى إلها ، ومن ادعى : أن الأصنام آلهة تعيد من دون الله ؛

لذلك، بدأ بقصة عيسى : ليبين أنه عبد الله ورسوله ، ثم ثنى بقصة إبراهيم : ليرد من خلال قصته على عبّاد الأوثان .

#### التفسيره

١ ٤ - وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِعَلْبِ إِنَّوَ اهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِلَّيقًا نَّبِياً.

أى: واتل أبها الرسول على قومك ، الذين يعبدون الأصنام ؛ ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمان الذين هم من ذريته ، ويدّعون : أنهم على ملته وهو الصدّيق الذَّبيّ .

أي: إنه كان صدِّيقا ملازما للصدق في كل أقواله وأفعاله وأحواله ، كما كان نبيا من أولى العرّم ، الذين فضلهم الله على غيرهم من الرسل الكرام .

٤٦ - إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَشَأَبُتِ لِمْ فَعُبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنكَ شَيًّا.

أى : إن الإنسان يعبد إلها قادرًا حكيمًا سميعا يصيرا مجيبا ، أما أن يعبد صنما عاجزا لا يصنع شيئًا، ولا يسمع الدعاء ، ولا يرى من يعبده ، ولا يقدر على نفع نفسه ، فضلا عن أن ينفع غيره ، فهذا العمل باطل ضائع .

27 - يَسْأَبَتِ إِلِّي قَدْ جَمَّا يَلِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ مِرْ اظَّا سَويًّا .

إِنْ اللهُ أَكْرِمني بِالرسالة ، وأَفاض علي من علمه وفضله ، ذَ لِكَ فَصْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِهِ مَن يَشَآءُ ... (الجمعة: ٤).

فقد المقص الله برسالته وفضله وعلمه ، ولم يأتك مثل منا العلم أو ذلك الفضل ، فاتبعني في دعوتي روسالتي ، فإنك إن اتبعتني ؛ يسرت لك الهدى والإيمان والطريق القويم المعتدل .

\$ ٤ - يَكَأَبُتِ لا تَعْبُدِ ٱلطَّيْطَانَ إِنَّ ٱلطَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَمِيًّا .

إن الشيطان هو الذي يزين للناس عبادة الأوثان ويزين لهم البعد عن طريق الرحمان ، فمن عبد الأوثان فكأنما عبد الشيطان ، وهناك طريقان في هذه الحياة : عبادة الرحمان ، وعبادة الشيطان ، فمن

ترك طريق الرحمان ، واتبع طريق الشيطان ، صار عاصيا للرحمان ، وهذه المعمنية يتبعها غضب الرحمان، وسره الخاتمة وسوء المصير .

# ٤ - يَنْأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَن يَمَسُكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَان فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًا .

يا أبت، إنَّى أشفق عليك من غضب الله وعذابه ويقمته ، وإذا غضب الله على إنسان ؛ طرده من رحمته ، وصيار من أولياء الشيطان، وأعظم بها من نقمة: أن يُطرد إنسان من مرضاة الله ، وأن ينضم إلى حزب الشيطان؛

# قال تعالى: إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَنْدًا قَآتُعِلُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَنْعُواْ حِزْيَهُ لِيَكُولُواْ مِن أَصْحَلْبِ ٱلسَّعِيرِ. (فاطر: ٦).

ونلمح في الآيات رقة إبراهيم وأدبه وتواضعه في مخاطبة أبيه ، واستعمال أيسر الألفاظ ، وأجمل : الجمل ، فلم يصرح له بأنه على الكفر والضلال ، بل تدرج معه في بيان جملة من الحقائق فأخبره بما يأتي: ١ - الأصنام لا تسمم ولا تزي ولا تنفم من يعيدها .

٢ - لقد جاءني العلم والرسالة والهدى ، ولا عيب أن يتبع الكبير الصغير ما دام الصغير على الحق والهدى.

٣ - إن اتباع الشيطان وعيادة الأوثان جرم كبير.

٤ - وشتان بين طريق الله العامر بالرضى والإيمان ، وطريق الشيطان العامر بالإثم والعدوان .

٦ ٤ - قَالَ أَرَاغِبُ أَنتَ عَنْ عَالِهَمِي يَكَإِثْرَ اهِيمُ لِنِ لَمْ تَتَهِ لَأَرْجُمَتُكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِناً .

قال والد إبراهيم مجيبا دعوة إبراهيم بالإنكار والاستكبار ؛ إذ كيف يخرج إبراهيم عن متابعة أبيه، وكيف لا يسجد لهذه الأسنام ، وكيف يعيب على من يعبدها ؟

ونلمج توافق عباد الأصنام جميعا على أنهم وجدوا آباءهم يعبدونها ، وأنها طريقهم للعبادة ، وأن من غرج عن عبادتها ؛ فقد خرج عن المحروف الدألوف .

# لَئِن لُّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنُّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا .

إذا لم تنته عن دعوتك هذه : لأقتلنك رميا بالمجارة ، وخير لك أن تبتعد عنى بعدًا طويلاً لا أريد أن أراك فيه .

# ٧٤- قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ زَبِّيٓ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا.

أجاب إبراهيم أباه في هدوء ورقه وإيمان ، فقال : سَلَمْ عَلَيْكَ ، وأمان الله أدعوه : أن يحل بك ، سأدعو الله أن يسامحك ، وأن يغفر لك ، فإن الله عودتي إجابه الدعاء ، والكرم والقرب والفضل ، وجاء هذا المعنى هى قوله تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُحِبُ دُعُوَةَ ٱلنَّاعِ إِذَا دُعَادِ فَلْيَسْتَحِيُواْ لِي وَلَكُوْمُواْ بِي تَعَلَّهُمْ يَرْشُلُونَ . (المِدَة : ١٨٦).

# ٨٤ - وَأَغْتَرَ لُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...

لقد كان موقف إبراهيم إيجابيا حين لم يستجب والده لدعوته ؛ فقد فارق أبناه وقومه ، على وعد أن يدعر الله بأن يغفر لأبيه .

قال تحالى: وَمَا كَانَ آشَعِقْقَارُ إِبْرَهِيمَ لاَيِهِ إِلاَّ عَن مُوْمِدَةٍ وَعَلَمْنا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَيْنَ لَهُ أَنْهُ عَدُو لِلْهِ نَبَراً مِنْهُ إِنَّ إِبْرَهِيمَ لاَرَّاهُ حَلِيمٌ. (النوية: ١٧٤) .

روى : أن إبراهيم عليه السلام هاجر من أرض العراق إلى بلاد الشام ؛ فرازًا بدينه ، وبعدًا عن عهادة والده للأصنام ، وفي بلاد الشام تزوج سارة حيث عرضه الله عما ترك ، وأواه إلى جواره وفضله .

وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِلُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا .

سأبتمد عنكم وألجأ إلى عبادة الله ودعائه ، آملا أن يكون دعائى مستجابا ، وألَّا أكون خائب المسعى، شقيا مرفوض الدعاء .

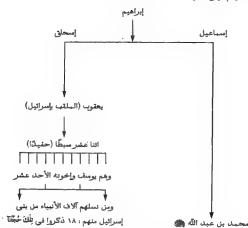
4 ٤ - فَلَمَّا آغَتَزَلْهُمْ وَمَا يَشْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبَّنَا لَدُرْ إِسْحَاقَ وَيَعْفُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا لَيًّا .

أى : عندما اعتزل إبراهيم قومه ، واعتزل أممنامهم التي يعبدونها ، آواه الله إليه ، وعوضه زوجة وقدية وأحفادًا ، هم آباء الأنبياء من بني إسرائيل ، ولهم الشأن النطير ، والقدر العظيم .

فقد وهبه الله إسحاق ، وولد لإسحاق يعقوب وهو الملقب بإسرائيل ، وقد رزق اثنى عشر ولدًا سجد منهم أحد عشر ولدًا ليوسف ، تعبيرا لرويا يوسف فى قوله تعالى : إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِدِ بِثَآبَت إِنِّى رَأَيْتُ أَخَدَ عَشَرَ كُوكُو كَا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَتُمَ رَأَيْتُهُمْ فِي سَنْحِلِينَ . (ووسف : ٤) .

أما إسماعيل فتولى الله تربيته بعد نقله رضيعا إلى المسجد الحرام ؛ فأحيا تلك المشاعر العظام ومن ثم أفرده بالذكر بقوله : وَآذُكُرُ فِي ٱلْكِتُنْبِ إِسْمُعِيلَ ... (مديم : ٤٥) .

وهذا رسم تقريبي لشجرة الأنبياء:



ولم يكن من نسل إسماعيل نبى إلا محمد 義 ، ومن هذا قال بعض للطماء : إن فرع هذه الشجرة ، يعدل فرعها الثاني ، وآيات تِلْكُ حُرِّقًا يقول الله تمالي فيها :

وَيَلْكَ خُرِيَّنَا وَالْيَدُهُمَّ إِيْرَاهِمِ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَوْقَعُ فَرَجَلتِ مِّن نَشَاهُ إِنَّ رَبَّكَ خَكِيمُ عَلِيمٌ ه وَوَهَبَنَا فَأَ إِسْحَلْقُ وَيَنْشُوبَ كُلَّا هَمْنَنَا وَلُوحًا هَذَيْنَا مِن قَبْلُ رَمِن ذُرْلِيّهِ قَالَوةَ وَسُلْقِمْنَ وَأَنُوسَةَ وَيُوسُمَىٰ وَهَدُونَ وَكَذَالِكَ مَعْوِى اللّهُ هُسِنِينَ ه وَزَكْرِنَا وَيُعْتَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلَيْاسَ كُلَّ مِنَ الصَّلْلِحِينَ ه وَإِسْتَطْحِلُ وَآلْتِسَعَ وَيُوسُ وَلُوطًا وَكُلاً طَفَلْنَا عَلَى الْهَالْمِينَ ه وَوَمِنْ قَابِلُهِمْ وَلَمْوَالِهِمْ وَاجْمَنِينَاهُمْ وَهَمْقِتُنَاهُمْ إِلَى مُوسَاطِهُ مُنظَنِّعِينَ الْعَلْمَا عَلَى

# . ٥- وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانُ صِدْقِ عَلِيًّا .

ورهبنا وأعطينا لإيراهيم وإسحاق ويعقوب ؛ من فضلنا الدينى والدنيوى ما لم نؤته أحدًا من المالمين ! هآتيناهم النسل الطاهر ، والذرية المباركة ، وإجابة الدعاء ، واللطف في القضاء ، والبركة في المال والأولاد ؛ إلى نحو ذلك من خيرى الدنيا والآخرة . وُ وَحَمَّلُنَا لَهُمْ إِنَّمَانُ مُسِدَّقٍ عَلِيًّا . فمحامدهم مذكورة على جميع الأزمان ، قد سجلها الدهر على صفحاته: تلمة لدعه قاد امدم : وَأَجْجَازِ لِنَّى لِسُانَ صِدْقَ فِي الْآخِرِينَ . (الشراء : A) .

فقد سجل الله لإبراهيم العديد من المواقف ومن بينها ما يأتي:

- موقفه من عبادة الأوثان.
- ~ هجر والده وقومة عندما تبين له عدم إيمانهم .
  - وقاؤه بذبح واده ؛ استجابة لأمر الله .
  - دعاؤه : أن يبعث الله في نريته رسولا منهم .
- ذكره في التشهد والدعاء في الصلوات الخمس : واللهم ، صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم...»
  - -- أن جعل الله موطئ قدميه مباركا فقال : وَأَتَّخِلُواْ مِن مُقَام إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى ... (البقرة : ١٢٥) .
    - أن الله مدحه يقوله : وَإِبْرُ اهِيمُ ٱلَّذِي وَقَيْ. (النهم : ٣٧) .
    - أنه عادى كل المعبودات في الله فقال : فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَّ إِلاًّ رَبُّ ٱلْعَلْمَدِينَ . (الشعراء : ٧٧) .
  - أن الله سجل له الذكر الحسن فقال: وَتَرَكَّنَا عَلَيْهِ فِي ٱلآخِرِينَ و سَلَلْمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. (الصافات: ١٠٩،١٠٨).

#### \* \* \*

## قصص موسى عليه السلام

﴿ وَاَذَكُرُ فِي ٱلْكِنْسِ مُوسَىٰٓ النَّهُ كَانَ ثَخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نِّبِنَا۞ وَنَدَيْنَهُ مِن جَانِي ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَفَرَّيْنَهُ ثَجِيَاً ۞ وَوَجَبْنَالُهُ مِن رَّحْنِينَآ آخَاهُ هَرُونَ نِينَا۞ ﴾

المفرداتء

مسخساء مختارًا مصطفى.

قسريستساه؛ تقريب تشريف وتكريم.

البطبود: الجبل الذي بين مصر ومدين.

تسجسيساء مكلما فله بلا واسطة.

لتفسير

١ ٥- وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَلْبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَشُولًا نَّبِيًّا .

أي: واتل أيها الرسول على قومك : ما اتصف به موسى من صفات كريمة : فقد كان مخلصًا أي : قريه الله واجتباه واستخلصه من عباده ، وهناك قراءة أخرى بكسر اللام أي : أنه كان مخلصا لله في عبادته يعبد الله عن إخلاص وترحيد وتقوى وإيمانً .

وَكَانَ رَسُولًا لِيُّا. فقد من الله عليه بصفتين: الأولى: الرسالة ، والثانية: النبوة ، والرسول هو الذي يرحى إليه بشرع ويكلف بالتبليغ ، مثل موسى وإبراهيم ونوح وعيسى ومحمد عليهم المسلاة والسلام ؛ والنبي ﷺ هو الذي يوحى إليه بشرع ولا يكلف بالتبليغ ، مثل يوشع عليه السلام .

ونمى معنى هذه الآية يقول الله تعالى : يَامُوسَى إِنِّى آصَعَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالاَتِي رَبِكَلاَمِي فَخَذْ مَا وَانْتِئْكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّاكِرِينَ (الأعراف: ١٤٤) .

٧ ٥- وَنَكْنَيْنَكُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلأَيْمَن وَقَرَّيْنَكُ نَجِيًّا .

تادى الله موسى حين عاد من أرض مدين إلى مصر ، واقترب من جبل الطور ، وكلمه الله من الجانب الأيمن للطور ، أى : الذى عن يمين موسى ، وأعلمه الله يأنه رسول الله ، وقد منحه الله البركة والرضا والقرب والمناجاة : حيث كلم الله موسى تكليما .

ولى شرف أعظم من أن ينال البشر هذه المناجاة ، والمناداة والاحتيار الإلهى للإنسان ؛ ليحمل رسالة الله إلى خلقه ، وفي سورة طه يقول الله تحالى : وَهَلْ أَتَلْكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿ وَذَ رَمَا نَازَا فَقَالَ لَأَعْلِمِ اَمْكُونَّ إِلَيْ الله إلى خلقه ، وفي سورة طه يقول الله تحالى : وَهَلْ أَتَلْكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿ وَإِنْ اَلَّا اللهُ لَا اللهُ لَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ لَا يَنْدُوسُونَ وَإِنْ أَنَّا اللهُ لَا اللهُ عَلَى اللهُ لَا اللهُ لَا إِللهُ إِلاَّ إِللَّا اللهُ لَا اللهُ لَا اللهُ لَا اللهُ ا

٣٥- وَوَهَبْنَا لَهُ, مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا .

ويهبنا لموسى من فضلنا ومعينتنا: أشاه هارين نبيا؛ ليؤازر موسى ويناصره ، ويقوم بالحجة والدفاع عن الرسالة معه ، حيث استجاب الله دعاء موسى حين دعا الله أن يعاونه برسالة هارين معه قال تعالى : وَأَجِى طَرُونُ هُوَ أَلْهُمُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِكُ مَبِي رِخْهُ يُصَلِّكُيّ إِلَّى آَخَافُ أَنْ يُكَلُّهُونِ وَ قَالَ سَتَشُكُ عَطْمَتُكُ بأخيك وَنَجَتُلُ كُمُنَا شَلَطْكُ فَلا يَصِلُونَ إِلْكُمًا بَالْنِهَا أَنْفَا وَمَنْ آتَبَكُمُ الْفَلْلُونُ . (القسس: ۲۵، ۲۵) وقال عن شأنه : وَآجْمَل فَى وَزِيرًا مَنْ أَفْلِي وَهَنْرُونَ أَخِي هِ آشَفَدْ بِهِٓ أَزْرِي ، وَأَشْرِكُهُ فِيٓ أَفْرِي ، كَىٰ نُسَبَّحُكُمْ. كَثِيرًا ، وَنَذَكُونُكُ كَثِيرًا ، إِنَّكَ كُنت بَنَا بَعِيرًا ، قَالَ أَفْلَةُ أُولِيتَ شَوْلَكَ يَنْمُوسَى (ط. : ۲۷ - ۲۷).

قال ابن عباس : كان هارون أكبر من موسى بأريع سنين ، وقال بعض السلف : ما شفع أحد فى أحد فى الدنيا ، أعظم من شفاعة موسى فى هارون أن يكون نبيا .

\* \* \*

## قصص إسماعيل عليه السلام

# ﴿ وَاَذَكُرْ فِٱلْكِنْبِ إِسْمَعِيلًا أَتَهُكَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِوَكَانَ رَسُولُانَيْنَا ۞ وَكَانَ يَأْمُرا أَهَلُهُ. يِالصَّلَوْةِ وَالرَّكُوةِ وَكَانَ عِندَرَيْدِ مَرْضِيًا ۞ ﴾

#### تمعيق و

إسماعيل الذبيح الذي أجاب أباه يوم الذبح والفداء بقوله : يَتَأَيَّتِ ٱلْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَحِمُلُينَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصُّنوينَ . (الصافات: ۱۰۷).

وهو ابن إبراهيم خليل الرحمان ، وقد أثنى عليه ربه بصفات هي مفخرة للبشرية .

## التفسير،

\$ ٥- وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَلْبِ إِسْمَاهِيلَ إِنَّهُ، كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نُبًّا .

أى: واذكر يا محمد فى القرآن العظيم خبر جدك إسماعيل الذبهج ابن ابراهيم ؛ وهو أبو العرب جميعا. إنَّمُ كَانَ سَادِقَ آثُوغُكِ . أَى : متميزاً فى صدق الوعد والوغام به .

## قال المفسرون:

نُكِر بصدق الرعد والوقاء به ، وإن كان موجودًا في غيره من الأنبياء، تشريفا وإكراما، ولأنه عانى في الوفاء بالرعد ما لم يعانه غيره من الأنبياء ، فمن أخلاقه : للصير وتسليم نفسه للذبح فلذلك أثنى الله عليه ؛ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . أي : جمع الله له بين الرسالة والنبوة .

## قال ابن كثير:

وفي الآية دليل على شرف إسماعيل على أهيه إسحاق : لأنه إنما وصف بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وكان محمد ﷺ من نسل إسماعيل عليه السلام . ٥ - و كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ, بالصَّلَاةِ وَالزُّكُوةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا.

وكان يحثُ أهله على فعل الخيرات خصوصا : إقام المبلاة ، وإيتاء الزكاة .

و في هذا المعنى قال الله تعالى : وَأُمَّرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوْةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ... (طه : ١٣٢).

والصلاة : هي الصلة بين المؤمن وبين ربه وهي مفتاح الخير وطهارة النفس ومعراج الروح.

والزكاة : طهارة المال وسبيل من أسباب تماسك المجتمع وتراحم الناس وتكاتفهم وتعاطفهم.

وَكَانَ عِندُ رُبِّهِ مُرْضِيًّا . أي : كان محمودا عند الله ، مقبولاً قد نال رضى الله كما قال عز شأنه : رُضِيَ آللهُ عَلَهُمْ وَرَشُواْ عَلَهُ .. (البينة : ٨) .

قــال الإمـام فــّحر الدين الرازى فى التفسير الكبير : وهذا نهاية المـدح ؛ لأن المرضىّ عند الله هو الفائز فى كل طاعاته بأعلى الدرجات .

\* \* \*

## قصص إدريس عليه السلام

# ﴿ وَاَذَكُرُ فِي ٱلْكِنَابِ إِدْدِينَ إِنَّهُ مَانَ صِدِّيقًا نَيِّيًّا ۞ وَرَفَمْنَهُ مَكَانًا عَلَيًّا ۞ ﴾

## التطسيره

٥ - وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِنْرِيسَ إِنْهُ كَانَ صِنْيَقًا نَبِيًّا .

أى : واذكر في القرآن الكريم بالثناء عليه : إدريس عليه السلام .

والنسابون يقولون : إنه جد نوح عليه السلام ، ويقولون : إنه أول من خط القلم ، وخاط الثياب ، وليس المخيط ، وكانوا قبله يلبسون الجلود .

وإدريس أول من نظر في النجوم وتعلم الحساب، وجعل الله ذلك من معجزاته (١١).

وكل هذه الأخبار ، ليس لدينا سند صحيح يرّكدما أن ينفيها ، فنتوقف في قبولها ، ويكفينا ما جام \* في القرآن الكريم بشأنه .

قال صاحب الظلال:

وهناك رأى نذكره لمجرد الاستئناس به ولا نقرره أن ننقيه ، يقول به بعض الباحثين في الأثار المصرية ، كما أن يحيى تعريب لكلمة يوحنا ، المصرية القديمة ، كما أن يحيى تعريب لكلمة يوحنا ، وكلمة اليسم تعريب لكلمة إليشم .. وأنه هو الذي معيفت حوله أساطير كثيرة ، فهم يعتقدون بأنه صعد إلى السماء ، وصار له فيها عرش عظيم ، وكل من وزنت أعمائه بعد الموت فوجدت حسناته ترجح سيئاته ، فإنه يلحق بأرزيس الذي جعلوه إلها لهم ، وقد علمهم العلوم والمعارف قبل صغوده إلى السماء . وعلى أية حال فنحن نكتفى بما ورد في القرآن الكريم عنه ، ونرجح أنه سابق على أنبهاء بنى إسرائيل (٢٠٠).

إِنَّهُ رَكَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا .

لقد كان إدريس عليه السلام ملازما للصدق في جميع أحواله ؛ فسمى : صدِّيقا .

رفى الحديث النهرى الشريف : «عليكم بالصدق قرآن المحدق بهدى إلى البِّر ، وإن البر يهدى إلى الجنة. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى المحدق ؛ حتى يكتب عند الله صديقاء . وكان إدريس نبيا يوحى إليه بوهى السماء .

٧ ٥- وَرَفَعْتُهُ مَكَانًا عَلِيًّا .

أى: رفعنا قدره وأعلينا ذكره ، بشرف الذبوة والزلفي عند الله ، ونحو هذا قول الله تعالى لذبيه محمد ﴿ : وَرَفَعْنَا لَكَ يِرْكُوكُ . (قدرح : ٤) .

## قال ابن كثير في تفسير الآية:

وقد تقدم في الصحيح : أن رسول الله ﷺ مَرْ بإدريس ليلة الإسراء وهو في السماء الرابعة ، وعن ابن عباس أن إدريس كان خياطا ، فكان لا يغرز إبرة إلا قال : سيحان الله ، فكان يمسى حين يمسى وليس في الأرض أحد أفضل عملاً منه .

وقال سفيان : عن مجاهد : وَرَفَشْنَهُ مُكَاتًا عَلِيًّا . قال : السماء الرابعة .

وقال الحسن وغيره : في قوله تعالى : وَرَفَعْنَهُ مُكَانًا عَلِيًّا . قال : الجنة ؛ إذ لا شرف أعلى منها .

وقال بعضهم : احتال إدريس فقال : يا رب ، أريد أن أرى الجنة ؛ فحمله ملاك فشاهد الجنة ، فقال إدريس : يا ربى ، اتركني فيها فتركه الله فيها . ﴿ أُوْلَيْكَ اَلَّذِينَ أَهَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّيِيْنَ مِن ذُيْلَةِ ءَادَمَ وَمِعَنْ حَمَلْنَا مَعَ ثُرِجَ وَمِن ذُيْلَةِ إِيْرَهِيمَ وَالسَّرُهُ مِلَ وَمِثَنْ هَدَيْنَا وَأَجْنَيْنَأَ إِذَا نُنْلَ عَلَيْمٌ مَايَنتُ الرَّحْمَنِ خَرُّواً شُجَّدًا وَبُكِناً ١٤٤ ﴿ ﴾

## المفردات:

إسمرائسيسل، يعقوب عليه السلام،

اجتيبنا ، اصطفينا واخترنا.

سيجسداء واحدهم: ساجد.

بـــــــــا، واحدهم: باك.

قال الخليل: إذا قصرت البكاء فهو مثل الحزن ، أى : لا صوت معه كما قال الشاعر: بكت عيني وحق لها بكاها والله العجال

#### تمهيده

يمد أن أفرد الله كل رسول من رسل الله العشرة ، الذين سبق ذكرهم ؛ بالثناء عليه بما هو جدير به ؛ أردنه يما جازاهم به من الخير والاسطفاء والتفشيل .

## التفسيره

٨٥- أُوْ لَنْعِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمُ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيَّنَ ...

أى: هـوّلاء التبيون الذين قصصت أنهاءهم عليك أيها الرسول ، هم الذين أنحم الله عليهم بمـا هصهم به من القرب منه ، وعظيم المنزلة لديه .

# وقمال ابن كثير :

أى: هولاء النبيرن ، وليس المراد المذكريين في هذه السورة فقط؛ بل جنس الأنبياء عليهم السلام ، استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس .

ٱللَّذِينَ أَنْهُمُ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّهِينَ مِن فُرْيَةٍ ءَاهُمْ وَمِّمَنْ حَمَلُنَا مَعَ لُوحٍ وَمِن فُرَيَّةٍ إِنَّا هِمَ وَلِمِنْ هَنَيْنَا وَآجَنِينَا ...

قال السدى وابن جرير رحمه الله:

فالذى عنى به من ذرية آدم : (إدريس) والذى عنى به ممن حملنا مع نوح : (إبراهيم) ، والذى عنى به من ذرية إبراهيم : إسحاق ، ويعقوب ، وإسماعيل . والذى عنى به من ذرية إسرائيل : موسى ، وهارون ، وذكريا ، ويحيى ، وعيسى ابن مريم .

أولئك النبيون ، ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين من نريتهم ، صفتهم البارزة .

إِذَا تُعْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَسْتُ ٱلرَّحْمَلْنِ خَزُّواْ سُجَّدًا وَهُكِيًّا .

فقد جمعوا بين الإيمان ورقة الوجدان ، فهم يؤمنون بآيات الله ، وتغيض قلويهم وأفندتهم بالخشوج والخضوع : فيسجدون لله تعالى باكين خاضعين .

وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم فى معنى هذه الآية تدل على أن من صفات المؤمنين التأثر والخشوع والبكاء لسماع القرآن وأدلة الإيمان .

قال تعالى : إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحِلَتَ لُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ وَإِنْتُكُ، وَادْتُهُمْ إِيسَنْنَا وَعَلَىٰ رَبُّهِمْ يَثَوَكُونُ ( (الأندان : ۲) .

وقال عنَّ شأنه : وَإِفَا سَعِعُواْ مَا أَنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تُزَىّ أَعْيَنَهُمْ تَقِيعَنُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَقُواْ مِنَ ٱلْمَقَّ يَقُولُونَ وَيَشَا عَامَثُ الْكُنْبَا مَعَ ٱلشَّنْهِدِينَ . (المائعة : ٨٣) .

وقال سبحانه وتعالى: اللّهُ نُوْلَ أَحْسَنَ ٱلمَحْدِيثِ كِتَبُّا مُتَكَثَّبِهَا مُعَالِيَ تَفْشَورُ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَرُنَ رَبَّهُمْ لُمُّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَالِكَ هَدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُصْلِلُ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. (الزمر: ٣٧).

# ﴿ فَلَفَ مِنْ بَعْلِيمٌ خَلَفُ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّا ۞ إِلَّا مَن تَابَوَءَامَنَ وَعِمَلَ مَلِيحًا فَأُولَئِكَ يَدَخُلُونَ لَكِنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْتًا ۞ ﴾

## المطردات ،

حُسِمَا سِمَّة ، بسكون اللام : عقب السوء ، ويقال لعقب الخير والصدق : خلَف (بفتح اللام) . أشاعه! الصلاة ، ترك ها نتات! .

التبعوا الشهوات : أنهمكوا في الملذات والمعاصي

في ياد فمالالاً ، والمراد: يلقون جزاءهم في جهذم .

#### تمهيده

نكر سبحانه : حزب السعداء الأنقياء من الأنبياء والصالحين ، الذين اجتباهم الله واشتارهم ؛ ارقة تلويهم ؛ ويكاء عيونهم وسجودهم لريهم .

ثم أردف هذا ذكر: من خلفهم معن أضاعوا الواجبات وأقبلوا على شهوات الدنيا، تم أعقب ذلك بذكر ما يذالهم من الذكال والويال في الأخرة ، إلا من تاب وأناب فإن الله عز وجل يقبل تويته ، ويدخله الجنة ويحسن مكوبته .

## التفسيره

٩ ٥ - فَخَلَفَ مِنْ يَعْلِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلْمُسْلَاةَ وَٱلْيَعُواْ ٱلشَّهَا ات فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا .

أى : جاء بعد الأنبياء والممالحين ، خلف سوء من أهل الضالل ، تركرا أداء الفريضة ، وجحدوا أوامر الله وأحكامه ، واتبعوا الشهوات واستغرقوا فيها : فما أشد المفارقة بين الفريقين .

فَسُوْفَ يَلْقُوْنُ فَيًّا . والغيُّ : الشرور والضلال ، والضياح والهلاك .

٩ - إِلَّا مَن ثَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلْلِحًا فَأُولَلَئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَتَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيًّا .

أى: لكن من تاب إلى الله تحالى ، وأمن به إيمانا صادقا ، وأتبع ذلك بالعمل الصالح ، فإن الله تعالى يقبل توبته ، ويدخله الجنة ، ويكافئه ويجازيه أحسن الجزاء ، ولا ينقصه شهدًا من جزاء عمله .

وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم: دعوة إلى التوية وحدًا عليها، ورأفة ورحمة ببنى آمم، الدين أغواهم الشياطان ، وبدعوة لهم أن ينتصروا على شهواتهم ، وأن يغرّوا إلى رمهم : فإن بابه مفتوح بالليل والنهار، والمسباح والعشى ، يقبل التوب ويغفر الذنب، وفي الآيات الأخيرة من سورة الفرقان ، وسف لعباد الرحمان ، ثم قال سبحانه : وَٱللِّينَ لَا يَدْعُونُ مَعَ ٱللّهَ إِلَنْهَا عَاضَرَ وَلَا يَقْتُونَ ٱلقُسْرَ الّتي عَرَّمَ ٱللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَعْتُونَ ٱلقُسْرَ الّي عَرَّمَ ٱللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَعْتُونَ مَعْدَا ذَالِكَ يَقُلُ ٱلنَّمَا مِينَا مُنْ اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

ونكرت آيات التوبة والدعوة إليها في القرآن الكريم كثيرا فالإنسان خطاء ، والله تحالى كريم حليم ، لذلك يدعو عباده إلى التوبة والإنابة ، وينهاهم عن اليأس والقنوط قال تعالى : قُلْ يُنْجِادِي ٱلَّلِينَ أَشْرَقُوا عَلَىٰ ٱلْشَبِهِمُ لِاَ كَفْتُمُواْ مِن رَّحْمَةِ آللَّهِ إِلَّا اللَّهُ يَقُورُ ٱللَّذُوبِ جَمِيعًا إِلَّهُ مُوْ ٱلْفَقُورُ ٱلْرَّحِيمُ ، (الزمر: ٥٣).

وحفلت كتب السنة النبوية ، وكتب الأحاديث القدسية ؛ بالدعوة إلى التوبة النصوح ، وحثت عليها المؤمنين ، وحذوتهم من التسويف والهأس ، ودعتهم إلى الرجاء والأمل في وجه الله تعالى

وفى الحديث الذي أهرجه ابن ماجة عن ابن مسعود والحكيم الترمذي : عن أبي سعيد الخدري . يقول النبي ﷺ : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ۱۳۷ .

وقى صحيح البخارى يقول النبى ﷺ: ويقول الله عز وجل : ما تقرب عبدى إلى بشىء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحيّ ، فإذا أحيبته كنت سمعه الذي يسمع به ، ويصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشى عليها ، ولثن دعاني لأجيبنه ، ولثن سأنذر لأعطينه ™.

وروی الإمام أحمد فی مسنده : أن رسول الله ﷺ قال : «يقول الله عز رجل : وعزتی وجلالی لو أتانی عبدی لیلا قبلته ، ولو أتانی نهارًا قبلته ، وإن استقالنی أقلته ، وإن استغفرنی غفرت له ، .... ، ومن جاه إلی تلفیته من بعید ، ومن ترك لأجلی أعطیته فوق المزید ، ومن تعرّف لحولی وقوتی ألفت له الحدید» (۵۰٪

\* \* \*

# ﴿ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَالنَّحْنُ عِامَهُۥ وَالْفَيْطِ إِنَّهُ كَانَ وَعَدُّهُ مَأْلِيًّا ۞ لَا يَسَمَعُونَ فِهَا لَفُوا إِلَّاسَلَنَا ۚ وَلَمُمْ رِزِقَهُمْ فِيهَا بُكَرَةً وَعَشِيًا ۞ قِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي ثُورِثُ وَنْ عِبَادِنَا مَنَ كَانَ تَقِيًّا ۞﴾

#### المفردات د

جستات صدره جنات إقامة ، وهذا وصف لها بالدوام .

بالمسيد، وهي غائبة عنهم.

وهسيسطه و ما وعديه من الجنات.

مساتسيساء بأتيه من وُعديه لا ممالة.

المسقسسوا ، فضولا من الكلام لا طائل تجته .

سيسلامساء من الله أو من الملائكة.

#### تمهيد :

لما ذكر سبحانه وتعالى: أنه يدخل التائبين الجنة ، أتبع ذلك بعدة أوصاف لهذه الجنة .

#### التفسيره

٩ ١- جَنَّاتِ عَدْنِ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَانُ عِبَادَهُ, ٱلْفَيْبِ إِنَّهُ, كَانَ وَعْدُهُ, مَأْتِيًّا.

إن الجنة التى رعدها التاثبين هى جنات إقامة ، وعد الرحمان عباده بها حال كون الجنة غائبة عنهم: لكنهم آمنوا بها وصدقوا أن رعد الله آت لا محالة ، ومن أصدق من الله حديثًا .

٢ ٢ - لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَقُوا إِلاَّ سَلَلْمًا وَلَهُمْ رِزَّلَهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَثِيًّا .

لا يسمعون في الجنة فاحشا من القول ، ولا شيئا من فضول القول ، بل تسلّم عليهم الملائكة ، على وجه التحية والإكرام ، ولهم ما يشتهون في الجنة من أذواع المطاعم والمشارب : بدون كد ولا تعب ولا انقطاع .

٣ ٣- وِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا .

إن هذه الجنة التي تقدم وصفها ؛ نورثها لعبادنا المتقين ، الذين أطاعوا الله ، وابتعدوا عن معاصبه ؛ فاستحقوا هذه الجنة بجدارة ؛ كأنها ميراث لهم ؛ كما قال سبحانه في وصف المؤمنين في أول سوية المهند ن : أُو لَا يُتِهَا كُمُ اللّهُ رُوْنَ مُ اللّهِ وَهُمُ فَمُ فِيهَا خَلِلْدُونَ ، (المرمنون : ١١،١٧) .

\* \* \*

﴿ وَمَانَنَانَّ أَلَا إِلَّمْ رَبِّكَ لَهُ مَاكِنَ آيَّدِينَا وَمَاخَلْفَنَا وَمَابَيْ : ذَٰلِكَ وَمَاكَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۞ ۚ رَّبُّ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدُهُ وَأَصْطَيْرِ لِمِنْدَقِهِ ۚ خَلَ تَعَلَّرُ لَهُ سَمِيًّا ۞﴾

## المفردات:

السنسئين، النزول وقتا غب وات.

ما بين أينينا ، ما قدامنا من الزمان المستقبل.

ساخطشتاه من الزمان الماضي.

مابين لالك، هو الزمان الحاضر.

نسيب ، تاركا لك ، فهو لا ينسى شيئا من أعمال العباد .

اصطبر عليها: اثبت لشائد العبادة وما فيها من المشاق.

سيمسيكاء شيبها وتظيرا

## تمهيد :

ذكر كثير من المفسرين كالطبرى والقرطبى وغيرهم: أن أمل مكة سألوا النبي ﷺ ثلاثة أسئلة بإليماز من اليهود حيث قالوا لأمل مكة: اسألوه عن فتية نعبوا في الزمان الأول وكان لهم أمر عجب، وإسألوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومفاريها، وإسألوه عن الروح، فلما سألوا النبي ﷺ عنها قال: غذا أجيبكم، ونسي أن يقول: إن شاء الله: فتأخر الوحي خمسة عشر يوما: حتى قال كفار مكة: إن إله معمد ودُعه وقلاه: فنزل قوله تمالى: عا وَدُعْكَ رَبُّكَ وَمَا قَلْقَ. (الفيصى: ٣).

وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وجماعة: عن ابن عباس قال: قال رسول اش ﷺ لجبويل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت : وَمَا كَشَرُّلُ إِلَّا بِأَمْر زَكُكَ ... ٣٠ .

## قال العلماء :

ويمكن التوفيق بين الروايتين بأن الرسول ﷺ قال ذلك في محاورته السابقة أيضًا ، واقتصر في كلَّ براية على شء مما وقع في المحاورة .

## التفسيره

\$ ٦- وَمَا نَتَتَرُّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبُّكَ لَهُ, مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا يَيْنَ ذَالِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا.

أى: قال جبريل للنبي ﷺ: إنما أنا عبد مأمور إذا أمّرت نزلت ، وإذا حُبست احتبست قالله سبحانه هو الذي يملك كل شيء وهو العدبر لنا في جميع الأزمنة ، مستقبلها وماضيها وحاضرها .

## قال المراغي :

وقمسارى ذلك : أن أمرنا موكول إلى الله تعالى ، يتصرف فينا بحسب مشيئته وإرادته ، لا اعتراض لأحد عليه ، فلا ننتقل من مكان إلى مكان ، ولا ننزل في زمان دون زمان ؛ إلا بإذنه عز وجل .

وُمَا كَانُ رَبُّكَ نَسِيًّا .

سبحانه لا ينسى شيئًا من أعمال العباد ، وإنما ينزل الوحى عندما تقتضي حكمته أن ينزل .

٥٠- رَّبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْض وَمَا يَتَنهُمَا فَأَعْبُدُهُ وَٱصْطَبِرُ لِعِسْلَتِهِ هَلُ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا.

هو الله تحالق السماوات والأرض وما بينهما ، أى : خالق الكون كله بما فيه : السماء والفضاء ، والأرض وما فيها من جبال ورمال ويحار وأنهار ، ونبات وحيوان وإنسان ، ومن وجد الله وجد كل شيء، ومن فقد الله فقد كل شيء .

## فَآعُبُدُهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبِئَدَتِهِ.

أى: استمر فى عبادته وداوم عليها فى إنقان وإخلاص ، وتجرد وتمعن وصبر وتحمل ، عندئذ تجد لذة العبادة ، وتتحمل كل أذى وشدة كما يقول أحد العباد : نحن فى سعادة لو عرفها الملوك لماربونا عليها بالسيوف .

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ, سَمِيًّا.

أى: ليس له مثيل أن شريك أن مساو: لأنه تعالى هو الخالق الرازق المبدئ المعيد بيده الخلق والأمر وهو يجير ولا يجار عليه .

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ آلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ . (الشورى: ١١) .

ومعنى طُل تُعَلِّمُ كُدُّ سُويًّا. أي : هل تعلم له نظيرًا أن شبيبًا يستحق معه المشاركة في للعيادة والطاعة؟ والجواب : كلا إنك لا تعلم ؛ لأنه سبحانه هو الخالق لكل شيء وما سواه إنما هو مطلوق له .

\* \* 1

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِلْسَنُ أَوِ ذَا مَامِتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيَّا ۞ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَنُ أَنَا خَلَقَنَهُ مِن فَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْنًا ۞ فَرَرَيِكَ لَنَحْشُرَنَهُمْ وَالشَّيَطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَهُمْ حَوْلَ جَهَنَمَ حِثِيًا ۞ ثُمِّ لَنَزِعَک مِن كُلِ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْزِعِينَا ۞ ثُمِّ أَنْحُنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَاصِلِيًا ۞ وَإِن مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كُانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّامَقَفِينَا ۞ ثُمَّ نُنْجِعَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَنَذَرُ الظَالِمِينَ فِيهَا حِثْيًا ۞ ﴾

#### المطردات

لنحشرتهم؛ لنجمعتهم.

جستسياء واحدهم: جاث وهو البارك على ركبتيه.

شيسعة : جماعة تعاونت على الباطل وتشايعت عليه .

عستسيسا ، تكبرا ومجاوزة للحد .

مسلسيساء دخولا من صلى بالنار؛ إذا قاسي حرها.

واردهسساء مار عليها .

حسساء واجبا.

مخضيماء قضي بوقوعه .

#### تمهيده

روى الكلبى : أن هذه الآيات نزلت فى أبى بن خلف ؛ أخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويذريه فى الربح؛ ويقول : زعم فلان : أنا نبعث بعد أن نصوت ونكرن مثل هذا ، إن هذا لن يكون أبدًا .

فنزلت هذه الآيات تناقش الفكرة وترد عليها ، وتثبت البعث والحساب والجزاء ، والنجاة للمتقين والعقربة للظالمين .

## التفسير،

٦٦- وَيَقُولُ ٱلْإِنسَانُ أَعِذَا مَا مِتُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا .

أى: يقول الكافر الجاحد للبعث: إذا مت وصرت ترابا ، وعظما باليا ، أبعد ما يكون عن الحياة ، كيف أعود حيًّا بعد ذلك ، والاستفهام هنا استفهام استيماد واستنكار .

وقد روى البخارى ومسلم عن خياب بن الأرت: قال كنت رجلاً قينا - أى: حدادا - وكان لى على العاص بن واثل سينار؛ فاتيته أتقاضاه ، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث ، أى: تموت الآن ، وتبعث أمامى ، وهذا من باب المستحيل ، قال : فإنى إذ مت ثم بمثت ؛ جئتنى ولى مال فأعطيتك : فأزل الله : أَفْرَعَبَّتُ ٱلَّذِي كُفَرَ بِكَايِّتِا وَقَالَ لاُورَيِّ مَالاً وَوَلَمَا . (مريم: ٧٧).

٩٧- أَوْلَا يَدْكُرُ ٱلإِنسَانُ أَنَا خَلَقْتَنْهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيَّنًا .

أى: لقد بدأنا خلق الإنسان من لاشيء ، والإعادة أهون من البدء ، وهذا من أقصر الأدلة على البعث قال تعالى : كَمَا بَدَأَنًا أَوْلَ خُلْقَ يُعِيدُمُ ... (الأنبياء : ١٠٤) . وهي أواخر سورة يس ، يستعرض القرآن هذه الشبهة من المكنّب الجاحد ويرد عليها بإثبات أن من بدأ الخلق قادر على إعادتهم ، بل إن الإعادة أهون من البدء ، قال تمالي :

وَ مَتَرَبَ كَنْ مَنْدُو وَنَسِي خَلْقَدُ قَالَ مَن يُعْمِي ٱلْمِنْدَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ وَ قُلْ يُحْسِهَا ٱللّذِي أَنشَأَهَا أَوْل مَرْةٍ وَهُوْ بِكُلُّ عَلَنِي عَلِيمٌ و ٱللّذِي جَمَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلشَّمِرَ الأَحْسَرِ نَارًا فِؤَدًا أَشْمِ مَنْهُ مِقِدُونُ هِ أَرَيْسَ ٱللّذِي خَلْقِ السَّمَاءُ احْرَةً وَلِمَا أَرْاهُم مِنْهُ وَلِمُونَ اللّذِي بِيَدِهِ عَلَى أَنْ يَحْفَلْقُ مِثْلُهُم بَلِنَى وَفُوْ ٱلْخُلْلِقُ ٱللّذِيمَ وَإِنَّمَا أَمُؤَالً إِذَا أَرَادَ هَيْنًا أَنْ يَقُولُ لَهُر كُن فَيكُونُ و فَسُبْحَنْنَ ٱللّذِي بِيدِهِ مَلْكُونُ كُلُّ فَيْهُم مِنْكُونُ . (بَسَ: ٧٤ – ٨٥) .

٨٨- فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَلْهُمْ وَٱلشَّيَاطِينَ لُمَّ لَنَحْدِيرَتُّهُمْ حَوْلَ جَهَيْمَ جِيًّا .

يحشر الكفار ومعهم الشياطين الذين أغووهم.

#### قال المفسرون:

يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ، والموقف هنا موقف رهيب ، حيث تعرض الآية آمام الأمين ، موقف المشركين كل كافر مع شيطانه ، وقد اشتد الهول وعظم الكرب ؛ فيثنا الجميع على ركبهم حول جهنم من شدة الهول ، حين عجزوا عن الوقوف .

وقد شرح هذا الموقف في سورة الجائية ، حيث تجتمع كل جماعة من المشركين ، حول سجل أعمالها، وينادئ عليهم : بأن اليوم هو يوم الجزاء بعذاب المهانة ، والإذلال جزاء تكبركم في الدنها .

قال تعالى : وَتَرَىٰى كُلُّ أَمُّةٍ جَالِيَّة كُلُّ أَمُّوْتَدُعَى إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيُومُ تَجُزُونَ مَا كُتُمْ فَعَمُونَ . هَذَا كِتَلْبَا يَسِطِقُ عَلِيَّكُم بِالْحَقُّ إِلَّا كُنَّا الْمُسَسِخُ مَا كُمُنُمُ تَعْمُلُونَ . (هجامية : ٢٠ . ٤٧) .

# ٦٩- لُمُ لَننزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَانِ عِيًّا .

ثم لنستشرجن من كل طائفة ، تشايعت وتعاهدت على الكفر بالبعث والجمود للحق ، الذين هم أشد شروجا عن طاعتنا وامتثال أمرنا .

وقصباري ذلك : أن الله يحضرهم أولاً حول جهتم ، ثم يميز بعضهم عن بعض ، فمن كان ألثد تمردًا في كفره : خص بعذاب أعظم ، فعذاب للضالُ المُضل أشد وأقرى من عذاب التابم .

٥ - ثُمُّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بَٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا .

أى: نحن أعلم بعقاة المجرمين ، ويرءوس الكفر الداعين إليه ، فبدأ بالأعتى فالأعتى ، وهو منظر رهيب حين يقذف بكبار المجرمين في جهنم أمام أعين الجميع ؛ زيادة في النكال بهم .

قال ابن مسعود: يبدأ بالأكابر جرما .

## جاء في التفسير الوسيط:

ثم لنحن أعلم من كل أحد سوانا ، بالذين هم أحق بجهتم وياصطلاء نارها ، ويالاكتواء بُحرُها وسعيرها ؛ لأننا لا يخفى علينا شيء من أحوال خلقنا .

وقريب من هذه الآية ما ورد من عتاب المستضعفين للكبراء ؛ لأن المستضعفين كانوا تبعا الكبراء في الدنيا ؛ فهل ينفعهم الكبراء يوم القيامة ، ويجيب الكبراء بأن الدلاب سيشملنا حميما .

قال تعالى : وَإِذْ يَتُحَاجُّونَ فِي آثَارِ فَتَقُولُ ٱلضُّنَفُولُ اللَّهِنَ آسَنَكُبُّرُواۚ إِنَّا كُنَّ تَكُمُ فَيَعَا أَشَمِ مُمُنُونَ عَنَّ لَصِيبًا مَنَ آثَارِه قَالَ ٱللَّهِنَ آسَنَكُرُواْ إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ ٱللَّهُ قَدْ حَكُمَ يَهِنَ الْجَادِ . (غانو: ١٤ ، ١٥) .

وخملاصة هذا : إنهم جميمًا يستحقون العذاب ؛ لكنا ندخلهم في جهنم بحسب عتيهم وتجبرهم في كفرهم ، وفي هذا جزاء عادل حيث يهان أثمة الكفر على رموس الأشهاد ؛ جزاء عتوهم وضلالهم .

٧٢،٧١- وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مُقْضِيًا \* ثُمُّ نُنجَّى ٱلَّذِينَ ٱلْقَوْا وَنَذَرُ ٱلطَّلْلِمِينَ فِيهَا حِيًّا.

قضى الله أن يمر الخلائق جميعا على جهنم ؛ حيث يشاهدها المؤمنون وهي تتلمظ غيظا على من عصى الله تعالى ، ثم يعرُون على الصراط إلى الجنة ، أما الكافرون فيبقون فيها قاعدين على ركبهم من شدة الهول.

روى السدى: عن ابن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط، ويقومون حول النار ثم يصدرون عن المسراط بأعمالهم، فمنهم: من يمر مثل البرق، ومنهم: من يمر مثل الريح، ومنهم من يمرّ مثل الطير، ومنهم: من يمرّ كأجود الذيل، ومنهم: من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمرّ كعدو الرجل ..... في حديث طويل. وقال رسول الله ﷺ: يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون بأعمالهم.

ثُمُّ نُنجِّي ٱلَّذِينَ ٱلْقُوا وَلَلَرُ ٱلطَّلِمِينَ فِيهَا جِنيًّا .

أي : يرد الناس جميعا على الصراط ، وهو على متن جهنم ؛ فيسقط فيها من يسقط من الكفار والعصاة: على قدر ما اجترحوا من الآثام والذنوب ، ثم ينجى الله المتقين منها بحسب أعمالهم ، ويترك الكافرين جاثين على الركب كما جاءوا .

#### آراء العلماء في دخول جهنم

للعلماء أقوال متعددة حول المراد بقوله تعالى : وَإِنْ مُنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ...

#### قال ابن عباس:

الورود: الدخول: لا يبقى بر ولا فاجر إلا سفل جهنم؛ فتكون بردًا وسلاما على المؤمنين؛ عند. دخولهم إيماها، كما كانت بردًا وسلامًا على إبراهيم، وتكون لهيبا وسعيرا على غيرهم.

## وقال ابن مسعود وقتادة:

الورود : الدوور عليها حين اجتهاز الصراط كما في قوله تعالى: وَلَمَّا وَرَهُ مَاءَ مُلْهَنَ .. (القصم : ٢٣). أي : أشرف عليه وقاريه، فالمؤمنون يشرفون على جهنم ويشاهدونها؛ ويقتربون منها دون أن يدخلوها .

وقد توسع المفسرون كالطبري والقرطبي وابن كثير والآلوسي وغيرهم في سوق أدلة كل فريق.

## قال القرطبي :

وظاهر الورود : الدخول .. إلا أنها تكون بردًا وسلاما على المؤمنين ، وينجون منها سالمين .

## قال خالد بن معدان:

إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ألم يقل رينا: إنا نرد النار؟ فيقال لهم: نقد وردتموها فألفيتموها رمادا.

واختار كثير من المفسرين : أن المؤمنين يردون فيدنون ويمرون بجهنم ؛ وهي تتأجج وتتميز وتتلمظ، ويرون المتاة يُنزعون ويقذفون فيها ، ثم يزحزح المؤمنون عن النار ، وينجون منها لا يكادون ؛ ويترك الكفار يصطلون عذابها .

قال تعالى : فَمَن زُحْزِحَ عَنِ آلنَّارٍ وَأَدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيْوَةُ ٱلدُّنْيَاۤ إِلا مَتَاحُ ٱلْفُرُورِ . (ال عمران : ١٨٥).

﴿ وَإِذَا لُتُنَا عَلَيْهِ عِرَءَ اَيْنَتُنَا بَيْنَتِ قَالَ اللَّينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَثُوْ أَكُ الْفَرِيةَ بَنِ حَيْرٌمَّقَامَا وَأَحْسَنُ نَدِيًا ﴿ وَكُمْ آَمْلَكُنَا فَبَلَهُم مِّن قَرْدِهُمْ أَحْسَنُ أَثَنَا وَرِهْ يَا ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الصَّلَالَةِ فَلْيَعْدُدُ لَهُ الرَّحْنُ مُثَا حَقِّ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْمَدَابَ وَلِمَا السَّاعَةُ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَهُ مُّ مُكَانَا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿ وَ وَيَرِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ آهَ مَدَوَّا هُدَى الْمِلْكُ أَوْلِيَتِيكُ الصَّالِحَتُ مَنْ مُعَالَمُونَ فَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴿ اللَّهِ اللَّهِ الْمَ

## المطردات :

يسيسنسات، ظاهرات الإعجاز.

مسقسامها ومنزلا.

تحصيف محلسا ومجتمعا ومثله النادي .

السقسرن؛ أمل كل عصر.

رئسيهسماء المنظر، والمرادية: النفيارة والحسن.

فليسمند، فليمهله بطول العمر، والتمكن من سائر التصرفات.

جسنسدا، أنصارًا.

الباقيات الطلعات؛ الطاعات التي تهذي آشارها.

مرها ؛ مرجعا وعاقبة .

## تمهيد:

كان المشركين يفتضرون على المسلمين بالغنى والمال والسلطان، ويرون أن المسلمين في فقر وشدة؛ فأجاب القرآن بأنه أهلك من الأمم السأبقة : من كان أحسن حالا وأفضلُ مظهراً ، وعند قيام القيامة سيتميز المشركون إلى جهنم ، والمتقون إلى الجنة .

## التفسير:

٧٧- وَإِذَا تُتَلَىٰ عَلَيْهِمْ عَالِنُتُنَا الْمُنْسَتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ عَامَنُواْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مُقَامًا وَأَحْسَنُ نَديًّا .

إذا قرأ المؤمنون القرآن ، وشرحوا كلام الرحمان ، وعرضوا مبادئ الإسلام ؛ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا للَّذين

والشراء أنتم في مشونة من العيش ، وقلة من العال والسلطان ، ونحن نعيش في سعة من العال والعز والجاه والسلطان . والإله المحكيم لا يذل أحيابه بالفقر ، ولا يسعد أعدامه بالغني، وغنانا هذا دليل على أننا على المق وأنتم على الباطل ؛ فمن منا أفضل حالا وأحسن منتدى ومجتمعا ؟

### قال ابن عباس :

خَيْدٌ مُقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا .

المقام: المنزل، والنديّ: المجلس.

٧٤- وَكُمْ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنِ هُمْ أَخْسَنُ أَنْكًا وَرِعْيًا .

إن كثيرا من المكذبين لرسلهم كعاد وثمود. وأضرابهم من الأمم والقرون : أهلكناهم بالعذاب ، وقد كانيا أكثر أموالا وأمتمة وأشكالا ، وأشغم منظرا ، وأكثر نعيما .

قَالَ ابنَ عِباسِ : الأشاث : المتاع ، والرثى : النظر .

والمقصود: ما أكثر متاعهم ؛ وما أبهى قصورهم ورياشهم ، وما أجمل ثيابهم ومناظرهم ، ولم تغن عنهم من هذاب الله شيئًا !

شال تعالى : تَتُمُ تُوَكُواْ مِن جَشْتَ وَعُنُونِ هِ وَزُوْرِعَ وَمَقَامِ كَوِيمِ هِ وَفَعَيْهُ كَالُواْ فِيهَا فَلَكِهِمِنَ هَ كَذَا لِكَ وَأُوْرَقُنَاهَا . قَوْمًا وَاحْوِينَ هِ فَعَا بَكَتَ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاةُ وَٱلْأَوْضُ وَمَا كَانُواْ مُعْظِينَ . (الدلمان : ٢٠ - ٢٩) .

وقريب من ذلك قوله تعالى : فَلا تُعْجِنُكَ أَمْوَ أَهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ إِنَّمَا فِيلاً آللَّهُ لِيُعَلَّبُهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَّوْةِ ٱللَّيَّا وَتَرْفَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَمُوْرُونَ . (التربية : ٥٠) .

٥٧ - قُل مَن كان هي الشّلَلةِ قَلْيَمْلَدْ لَهُ, الرّحْمَل مَنّا حَتّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَلُونَ إِمَّا الْعَلَمَاتِ وَإِمَّا السَّاعَةُ
 مَسْمَلْمُونَ مَنْ هُو مُرَّ مُكَانًا وَاضْمَفُ جُندًا.

أى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين بريهم ، المدّعين: أنهم على الحق ، وأنتم على الباطل: مَن كَانُ في ٱلطَّلَالَةِ . منا أو منتكم فَلْيَمْدُدُ لَهُمَّ الْرَّحْمُثُنُ مَثَّا . فليمهاء الرحمان فيما هو فيه ، وليدعه في طفيانه حتى يلقى ريّه ، وينقضى أجله ، وهذا غاية القهديد والوعيد .

وقصارى ذلك : إن من كان في الضلالة فسنّة الله أن يعدُ له ويستدرجه ؛ ليزداد إثما ، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

إِمَّا ٱلْعَلَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ.

أي: إما بعذاب الدنيا يأتيه من حيث لا يحتسب ، وإما بعذاب في الآخرة لا قبل له بدفعه .

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا .

أي: فسيعلمون عندئذ حين تنكشف الحقائق أي الفريقين ، شرَّ منزلة عند الله ، وأقل فئة وأنصارًا ، هل هم الكفار أم المؤمنون ؟ وهذا في مقابلة قولهم :

أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مُّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا .

٧٢ - وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْمَدُواْ هُدِّي وَٱلْبَاغِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبُّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مُرَدًّا.

يزيد الله المؤمنين المهتدين هداية ، وإيمانا ويصيرة ؛ والأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها نشرًا في الأخرة ؛ خير عند الله من كل ما يتباهي به أهل الأرض ، من حيث الأجر والثواب ، وَخَيْرٌ مُرَّفًا . وهير رجرعًا وعاقبة ، فإن نميم الدنيا زائل ونميم الأهرة باق دلتم .

### وقال الشيخ الشنقيطي في تفسير أضواء البيان:

ويظهر لى أن الكافر يجازى بعمله الصالح فى الدنيا ، مثل : صلة الرحم وير الوالدين : أما المؤمن فإن ثوابه فى الآخرة أكثر عاقبة ، وأفضل مردودًا ، وأبقى عاقبة .

وفي سنن ابن ماجة : عن أبي سلمة بن عبد الرحمان قال :

جلس رسول الش ﷺ ذات يوم فأخذ عودًا يابسًا قحط ورقه ثم قال: وإن قول: لا إنه إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله تحط الخطايا ، كما تحط ورق هذه الشجرة الربح ، خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن من الباقيات الصالحات ، ومن من كنوز الجنة ».

### قال أبو سلمة:

فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث ، قال : لأمالان الله ، ولأكبرن الله ، ولأسبحن الله ، حتى إذا رآتي الجاهل حسب أنى مجنون (٠٠).

# ﴿ أَفَرَةَ بْتَ الَّذِي كَفَرَ عِايَنتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَكَ مَا لَا وَوَلَدُا اللَّهِ أَطَّلَمَ ٱلْفَيْبَ أَمِا تَخَذَ عِندَ الرَّحْنِ عَهْدًا ﴿ كَا مَن كَنْ مُن كَنْتُ مَا يَقُولُ وَنَمُذُ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَذَّا ﴿ مِنْ وَنَرْبُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْنِينَا فَرَدًا اللهِ ﴾

#### المفردات:

أطبلع النقيب، أظهر له علم الغيب ؟!

مسهدها وعدا من الله تعالى له بذلك .

ستكتب ما يقول ؛ سنسجل عليه قوله وتحاسبه عليه .

وتمدله من العثاب؛ ستطيله عليه وتضاعفه له .

وترثه ما يقول ، نسلبه منه في الدنيا ، فيدخل القبر وحيدًا ، ويبعث منفردًا بدون مال أو ولد .

في و الدين مال أو واد أو حشم أو خدم أو غير ذلك مما كان يفتخر به في الدنيا .

### التفسيره

٧٧- أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِكَايَاشِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنُّ مَالًا وَوَلَدًا .

في منحيح البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والطيراني وابن حيان: عن خياب بن الأرت قال: كنت رجلا قينا (حدادًا) وكان لى على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه ؛ فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكثر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإنى إذا مت ثم بعثت جنت ولى ثمَّ مال وولد فأعطيك، فأنزل الله: أَلْوَرُضِتَ أَلْبُكِي كُفُّر بَكُيْجًا ... الآيات (8).

### وقال ابن عباس:

إن رجالا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل بدين ، فأتوه يتقاضونه ؛ فقال: أستم ترّعمون : أن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا ومن كل الثمرات ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن موعدكم الأخرة، فوالله لأوتين مالا وولدا ، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به ، فضرب الله مثله في القرآن ، فنزات الآبات (٥٠٠)

### ومعنى الآية:

أنظرت لهما الماقل فرأيت هذا الكافر الجاحد : الذي كذب بالقرآن والبعث والرسالة ، ولم يكتف بهذا الكفر بل زعم أن : الله سيعطيه في الآخرة المال والبنين .

٧٨- أَطْلُعَ ٱلْغَيْبَ أَم ٱلْحَلَدَ عِندَ ٱلرُّحْمَانِ عَهْدًا .

هل اطلع على الغيب الذي تفرد به علام الغيوب؛ أم أعطاه الله عهد بذلك فهو يتكلم عن ثقة ويقين.

٧٩- كُلاً سَنَكُتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُم مِنَ ٱلْعَلَابِ مَنَّا ...

كلا حرف ردح ورُجِر، أي: ليرتدع هذا الكافر عن مقالته الشنعاء؛ فسنسجل عليه قوله، وبنحاسبه، عليه حسابها عسيرا، ونزيده عذابا فوق عذاب فنضاعف عذابه، ونطيل عليه جزاء طغياته واستهزائه.

ه ٨- وَنَرِلُهُ, مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا .

أى: نرثه ما جمع من الدنيا وما عمل فيها ، فيدخل القبر بالكفن فقط ، ويأتينا يوم القيامة وحيدا · لا مال معه ولا ولد ، ولا نصير له ولا سند ، ولا شىء مما كان يفتخر به فى الدنيا ، هو وأمثاله من المغرورين الجاحدين .

والآية وردت مورد الوعيد الإنسان غرَّه ماله وولده ؛ فاستهزأ بالآخرة ، وادعى : أنه سيكون أكثر حظا في الآخرة وسيوتي المال والولد ؛ فهدده القرآن بأنه سيدخل القبر وحيدًا ، وسيبعث فريدًا بدون مال أو حشم أو خدم ، أو غير ذلك ، وسيلقى الحساب والجزاء .

\* \* \*

﴿ وَاَتَخَدُوا مِن دُوبِ اللّهِ عَالِهَ قَ لِيَكُونُوا لَمُمْ عِزًا ۞ كَلَا سَيَكَفُرُونَ مِعِادَتِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْمِ ضِدًا ۞ أَلْوَتَرَا ثَنَا أَرْسَلْنَا الشّيَطِينَ عَلَى الْكَفِينَ تَوَزُّهُمُ أَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ مَا لَا مَعْمَدُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَمْدًا لَهُ مَعْمُ اللّهُ تَعْمِينَ إِلَى الرّحَنِ وَفَدًا ۞ فَي مَعْمُ اللّهُ فَعَدُ إِلّا مَنِ النّحَنِ وَفَدًا ۞ وَنَسُوقُ اللّهُ مَعِينَ إِلَى جَهَمَ وَرُدًا ۞ لَا يَمْلِكُونَ الشّفَعَةُ إِلّا مَنِ انْتَخَذَ عِندَ الرّحْنَنِ عَمْدًا ۞ كَا مَلِكُونَ الشّفَعَةُ إِلّا مَنِ انْتَخَذَ عِندَ الرّحْنَنِ عَمْدًا ۞ ﴾

المفردات:

المستعسسين، المنعة والقوة.

سيسكسفرون، سيجحدون.

ضـــــدا، أعداء

أذًا الأز والهز والاستفزاز: شده الإزعاج ، والمراد: الإغراء بالمعاصى ، وتحبيب الشهوات.

فلا تعجل عليهم، لا تطلب الاستعجال بهلاكهم.

إلى الرحمان؛ إلى دار كرامته وهي الجنة.

وهــــــدا ، الوفود والأوفاد ، واحدهم : وافد وهم القوم يقدمون مكرمين مبحلين راكبين .

ردا : مشاة مهانين باستخفاف واحتقار ؛ كأنهم نَعَمُّ تساق إلى الماء .

السمسهسد، شهادة ألا إله إلا الله ، والتبرى من الحول والقوة ، وعدم رجاء أحد إلا الله : وقيل : المهد : المحافظة على المبلاة .

### تمهيده

تناقش الآيات شبهات المشركين ، وتبطل حجتهم ، وتعان خسارتهم بوم القيامة ، وتذكر أن الشياطين تستدرجهم فيستجيبون لها ، ولهم أيام معدودة في الدنيا ، ثم يأتي الجزاء في الأخرة ، وهكذا تجمع الآيات بين الدنيا والأخرة في أسطر معدودة ، فإذا الدنيا للعمل ؛ والآخرة للجزاء ، حيث يحشر المتقون إلى الجنة مكرَّمين مبطين ، واكبين في وقد الكرامة ، ويحشر الكافرون عطاشا مهانين راهبين ، لا شفيع لهم

#### التقسي

٨١- وَٱلْخَلُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ عَالِهَةٌ لَّيْكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا .

واتــَذَا المشركون من قومك أيها الرسول آلهة يعيدونهم من دون الله ، ليمترُّوا بهم ، ويجعلوهم شفعاء عند ريهم يقربونهم إليه ،

فمنهم مَنْ عبد الأوثان والأصنام ، ومنهم من عبد الجن أو استجار بهم ، وطلب منهم النصرة .

٨ ٨ - كَلَّا سَيَكُفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُولُونَ عَلَيْهِمْ ضِلًّا.

ليس الأمر كما زعموا ، فإن الآلية التي عيدوها ؛ ستتبرأ يوم القيامة ممن عيدها ، ويكونون أعداء لمن عيدهم ، ويُنطق الله من لم يكن تاطقا منهم ؛ ليتبرأ من عبادة المشركين ، وتكون الآلهة المدعاة أعداء للعابدين وأعرانا عليهم .

قال تعالى : وَمَنْ أَضَلُّ مِمْنَ يَلْحُواْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَنْ لاَيُمْتَعِيمَ لَذَّ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْفَيْسَةِ وَهُمْ عَن دُعَاتِهِمْ عَلَيْلُونَهُ وَإِذَا حَشِرَ ٱلثّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَالُواْ بِمِنَاقِهِمْ خَلْفِرِينَ . (الأحقاد : ٥٠١) .

وقال عز شأنه : إِن تَلَاحُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا آسَتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيلَمَةِ يَكُفُّرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُشْكُكُ مِفْلُ جَبِيرٍ . (فاطر: ١٤). كما يتبرأ المسيح عليه السلام يوم القيامة مثن عيده ، أو جعك إلها ، ويقول فه تعالى : سُبحَـنْكُ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولُ مَا يَسَ لَى بِحَقَّ إِن كُسَتُ قُلْتُمُ فَقَدْ عَلِمَتُهُ رَعَلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنْكُ أَنتَ عَلَامُ الْهُوبِ وَمَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرُ تَنِي هِ أَن آعَبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ... (الماندة ١٩١٠، ١٩١١).

٨٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيْلِطِينَ عَلَى ٱلْكَلْفِرِينَ تَوُّزُهُمْ أَزًّا .

كان المسلمون يتعجبون من إصرار الكافرين على الكفر ، أمام بيان القرآن ، وهداية الرسول وسماحة الإسلام . وهذا يقول للرسول ﷺ: لا تتعجب من تماديهم في الغي ، وإنهماكهم في الضلال ؛ فإن الشياطين تغريهم بالشر؛ وتزين لهم المناد .

قال الإمام فحر الدين الرازي :

أي: تغريهم بالمعاصى ، وتحثهم وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات .

وقال العوفي: تحرضهم على محمد وأصحابه.

وقال قتادة : تزعجهم إزعاجا إلى معاصى الله .

وقال سفيان الفورى: تفريهم إغراء، وتستعجلهم استعجالاً.

وقال السدى: تطفيهم طفيانًا (١٥٠).

وقال عبد الرحمن بن زيد: مذا كتوله تعالى: وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلْرَّحْمُنْ لِقَيْصُ لَهُ, شَيْطُنَا فَهُو لَهُ, قَوِينٌ. (النحوف: ٣٦)

\$ ٨- فَلَا تُعْجَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا.

أى : لا تتعجل وقوع العذاب لهم ؛ فإنما نؤخرهم إلى أجل معدود .

قَالَ الْسَدَى : إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًا . السنين والشهور والأيام والساعات .

وقال ابن عباس : نعد أنفاسهم فى الدنها ، وكان ابن عباس إذا قرأ هذه الآية بكى وقال : آخر العدد فراق أملك ، آخر العدد : خروج نفسك ، آخر العدد : دخول قبرك .

وعن ابن السماك : أنه كان عند المأمون فقرأ هذه الآية ثم قال : إذا كانت الأنفاس بالعدد ، ولم يكن لها مدد ، فما أسرع ما تنفد .

لا يمنع الموت بوابُّ ولا حرسُ فتَّى يُعَدِّ عليه اللفظ والتَفسُ إن الحبيب من الأحباب مُختَلس وكيف يضرح بالدنيا ولذنها

وقال شوقي:

إن المحميمة دفائق وفواني فالمدكر للإنسان عممر فان

دقات قبلب البهبرة قبائلية ليه فارفع انفسك قبل مونك ذكرها

٥ ٨- يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرُّحْمَلْنِ وَقُدًا .

أى : واذكر أيها الرسول لقومك : تكريم الله للمتقين يوم القيامة ؛ حيث يحشرون في وفد التكريم والإجلال ، يركبون مراكب العزّ والعظمة ؛ حتى يدخلون جنة الرحمان مكرمين معززين .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مرزوق قال: يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها وأطيبها ريحا ، فيقول: من أنت؟ فيقول: أما تعرفنى؟ فيقول: لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك ، وحسُّن وجهك، فيقول: أننا عملك المسالع، وهكذا كنت فى الدنيا حسن العمل، طيبه ، فطالما ركبتك فى الدنيا ، فهلم اركبنى فيركيه ؛ فذلك قوله تعالى : يَوْمُ تُحَشُّرُ آلْمُهُمِّنَ إِلَى ٱلرَّحَمُنْرُ وَفَقًا.

وقال قتادة: إلى الجنة.

وقال على في هذه الآية : لا والله ما على أرجلهم يحشرون ، ولا يحشر الوفد على أرجلهم ، ولكن بغوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها حتى يضريوا أبراب الجنة <sup>68</sup>.

٨٦ - وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهِنَّمَ وِرْدًا.

ونسوق الكافرين بافأته إلى جهنم مشأة ، قد تقطعت أعناقهم من العطش ، فهم كالدواب التى ترد الماء، وأصل الورد : الإتبان إلى الماء بقصد الارتواء منه : بعد العطش الشديد ، وشتان بين تكريم وفد المؤمنين ، وإهانة ورد الكافرين .

٨٧- لا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَلِن عَهْدًا.

أى : لا يشلعون ولا يشفع لهم غيرهم ، لكن من اتخذ عند الرحمان عهدًا ؛ وهم المومدون الصادقون ؛ فإنهم يملكونها بتمليك الله تعالى لهم إياما ، وإذنه لهم فيها ، كما قال تعالى :

مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَةً ﴿ إِلَّا بِإِذْتِهِ ... (البقرة : ٢٥٥ ) .

وكما قال سبحانه : وَكُم مِّن مُلْكِ فِي ٱلسَّمَوُ اتِ لَا تُعْنِي شَفَاءَتُهُمْ مُنِيَّا إِلَّا مِنْ يَعْدِ أَن يَأَذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيُرْضَى: (النمو: ٦٦) .

وقال ابن كثير في تفسير الآية:

أي: ليس لهم من يشقع لهم ، كما يشقع المؤمنون بعضهم لبعض ، كما قال تعالى مخبرا عنهم :

لَمَمَا أَنَا مِن شَلْفِعِنَ \* وَلاَ صَليق حَمَّيم. (الشعراء: ١٠١ · ١٠١) ·

وقوله : إِلَّا مَنَ أَتَخَذَ عِندَ آلرَّ حَمَّانٍ عَهَدًا . هذا استثناء منقطع بمعنى : لكن من اتخذ عند الرحمان عهنًا: وهو شهادة : أن لا إِلَّه إِلا الله والقيام بمعها .

### قال ابن عباس:

العبد : (شهادة أن لا إله إلا الله) ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل ، وقال ابن أبي حاتم : عن الأسود بن يزيد ، قال : قرأ عبد الله ابن مسعود هذه الآية : إِلّا مَنِ أَتَّكُمْ عِنْدُ ٱلرَّحَمَّنَ عَهِدًا . ثم قال : تخذوا عند الله عهداً ، فإن الله يقول يوم القيامة : من كان له عند الله عهد قليقم ، قالوا : يا أبا عهد الرحمان فعلمنا ، قال : قلول : اللهم ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، فإنى أعهد إليك في هذه الحيابة الدنيا ، أنك إن تكلني إلى عملي يقربني من الشرّ ، ويباعدني من الخير ، وإنى لا أفق إلا برحمتك، فاجعل لى عندك عهذه للعهداد .

قال المسعودى: وكان يلجق بهن: خاتفًا مستجيرًا مستغفرًا راهبًا راغبًا إليك (١٠٠).

وأهرج الطيراني في الأوسط عن أبي هريرة: أن رسول الش ﷺ قال: «من جاء بالصوات الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوتها ومواقيتها وركرعها وسجودها ، لم ينتقمي منها شيئًا ؛ جاء وله عند الله عهد أن لا يعذبه ، ومن جاء قد انتقمي منها شيئاً فليس له عند الله عهد إن شاء رحمه وإن شاء عذبه، ٣٠٠.

﴿ وَقَالُواْ اَتَّخَذَا لَرَّحْنُ وَلَدًا ۞ لَقَدْحِثْتُمْ شَيْعًا إِذَا ۞ تَكَادُ السَّمَوَّكُ يَنَفَظَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَغَِزُ لِلْإِبَالُ هَدُّا۞ أَن دَعَوْ اللَّرِّحْنِ وَلَدَا۞ وَمَا يَنْغِي لِلرَّحْنِ أَن يَنْجَذُ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّمَ فِي السَّمَوَٰ فِي وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا إِنَّ الْمَحْنِ عَبْدًا ۞ لَقَدْ أَحْصَدُهُ وَعَدَّهُمْ عَدًا ۞ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ فَرَدًا ۞ ﴾

### المطردات:

جستسم، فعلتم.

إِذا ﴿ (بكسر الهمزة وفتصها) المنكل العظيم والإِنَّة: الشدة ، يقال: أَنُنَى الأَمْرِ وَآدَتِي: اَثْقَلْنَى وَعَظُم علىُ: التَصْطَرِ، التَشْنَقِ،

تــخــو: تسقط وتنهدم.

دعمسوا: نسبوا وأثبتوا.

همسيسداء منقادا خاضعًا كا يفعل العبيد.

أحصاهم : عدَّهم وأحاط يهم .

عـــدا، عدأشفامهم.

المساوداء متقربًا لا شيء معه من الأنصار والأتياح.

التفسيره

٨٨- وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَانُ وَلَدًا .

تأتى هذه الآيات في الردّ على الههود الذين قالوا : عزير ابن الله ، والنصاري الذين قالوا : المسيح ابن الله ، والمشركين الذين قالوا : الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَدُنُّ وَلَدًا .

ئما قرر سبحانه وتعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام، وذكر: هلقه من مريم بلا أب ، شرع في الإنكار على من زعم أن نك ولدًا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وتحدثت الآيات عن فظاعة هذا العدوان الذي يرتجف له ضمير الكون ، وتنبقق من هوله السماء والأرض، وتميد الجبال ؛ هالكون كله هاضع لله تعالى خضوع القهر والغلبة ؛ يحس بهذا العدوان من بني آلم؛ ويقضب ويرتجف ، كما يرتجف كل عضو فى الإنسان عندما يغضب.

٨٩ - لُّقَدْ جِنْتُمْ شَيْتُنَا إِذًا .

لقد جنتم أيها القائلون بمقالتكم هذه أمرا منكرا فظيمًا . روى البخارى عن أبى هريرة قال: قال رسل الله ﷺ: ويقول الله تبارك وتعالى: كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله: ان يعيدنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياى فقوله: اتخذ الله ولدا وأذا الأحد الصمد ، لم يك ولم يولد ، ولم يكن له كغوا أحده "". . ٩- تَكَادُ ٱلسَّمَاوَ اتْ يَتَفَطَّرُنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَعِرُّ ٱلْحِبَالُ هَدًّا.

لقد فزعت من هول الشرك السماوات والأرض والجبال وغضب الكون كله ، فالكون كله خاضع الله خضوط القد والخلية ، وحين قال الله للسماوات والأرض : أنّينًا طُزْعًا أوْ كُرْهًا قَالْتَا أَنْيَا طَلْكِينَ . (فسلت : ١١) ، خضوع القهر والغلية ، وحين قال الله للسماوات والأرض : أنّينًا طُزْعًا أوْ كُرْهًا قَالْتَا أَنْيَا طَلْعَينَ ، أَي أَظَهرنا من الخضوع لأمر الله والطاعة والامتثال، بحيث لو نطق لسان حالهما لقال: أتينا طائعين ، أو تكلمنا بلسان التسبيح والحمد والطاعة كما قال سبحانه : وَإِنْ مُن شَيْعٍ إِلاَّ يَسَبِّحُ مِحْمَدِهِ وَلَدِّكِن لاَ تَفْقَهُونَ لاَ تَسْبِحَهُمْ ... (الإسراء : 33).

فالكون خاضع لله تعالى مطيع لأمره ، وهو يغضب حين يتطاول الإنسان على ربه ؛ ويدَّعى : أن له ولذًا ؛ والله سبحانه غير مشابه للحوادث ، فالولد يقتضى الجسمية ومشابهة الحوادث ، والله منزه عن ذلك .

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ وَهُوَ آلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ . (الشوري: ١١) .

وفى المحيحين : عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ولا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، أن يشرك به ، ويجعل له ولد ، وهو يحافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم» (١٠٠)

وفي رواية أخرى : «إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم» .

ونقل ابن كثير عن ابن جرير: أن رسول الله ﷺ قال: «لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله همن قالها عند موته : وجبت له الجنة» قالوا: يا رسول الله ، فمن قالها في صحته ؟ قال: «تلك أوجب وأوجب» ، ثم قال: «والذي نفسي بيده لو جيء بالسماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضيفن في كلة الميزان، ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن» 80،

٩١- أَنْ دَعَوا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا .

أي : من أجل أنهم نسبوا إلى الله : اتخاذ الولد .

٩٢ - وَمَا يَنْهُ فِي لِلرَّحْمَلُن أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا .

أى: لا يصلح له ، ولا يليق به ؛ لجلاله وعظمته ؛ لأنه لا كفء له من خلقه ؛ لأن جميع الخلائق عبيد له.

٩٣ - إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلَّا عَالِي ٱلرُّحْمَانِ عَبْدًا.

أى: ما من أحد من الملائكة والإنس والجن إلا وهو مملوك له سبحانه ، ينقاد لجكمه ، ويلتجئ إليه حين الحاجة ويخضم له خضوم العبد لسيده .

ع ٩- لَقَدْ أَحْصَالُهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا.

أى: قد علم عددهم ، منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، ذكرهم وأنثاهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، فهم جميعا تحت أمره وتدبيره ، يعلم ما خفى من أحوالهم وما ظهر ولا يفوته شيء منها .

٩٥ - وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْدًا.

وجميع الشلائق قد حشرت في ذلك اليوم ، وكل فرد يقول: نفسي نفسي ! وقد أحاط الجبار بهم علما فما يستطيع أحد الفكاك من قبضته ، أو الهروب من الحساب : بل يحشر كل إنسان وحيدا بلا مال ولا أتباع: ولا حشم دلا خدم ، ولا ناصر ولا مجير : إلا الله وحده لا شريك له ، فيحكم في خلقه بما شاء ، وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم ويك أحداً .

\* \* \*

﴿ إِنَّ الَّذِينَ مَا مَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَتِ سَيَجْعَلُ أَمُّمُ ٱلرَّحْنَنُ وُدًا ﴿ فَالْمَا يَسَّرْنُهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَبِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِمِقْوَمُا أَذَا ۞ وَكُمْ أَهْلَكُنَا قَبَلُهُ مِينَ قَرْنِ هَلْ قِيشُ مِنْهُم مِنْ أَحْدِ أُونَسَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۞ ﴾

المظردات :

السسود؛ المودة والمحية .

باساتك بلغتك .

الطبق وإحدهم : ألدُ ء وهو الشديد الخصومة .

ركسترا: صوتا خفيا.

### تمهيد،

تختم السورة ببيان : منزلة المؤمنين ، ومودة الرحمان لهم ، وييان : أن الرسول 義 مبلغ عن الله ، يبشر المنقين ، وينذر الكافرين ، وأن الله قد أهلك العديد من القرون المكنبة ؛ فهلكت ويادت ، لا تسمع لها صوتا ولا ترى لها أثراً .

### التفسير،

٩٦- إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَلْتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَانُ وُدًّا .

تبشر هذه الآية المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة : أن الله تعالى ينشر محبتهم في قلوب

العباد ، وينزل الله رحمته على عبده المسالح ، ويزرج الحب والمودة والألفة في قلوب الناس له ، فترى العبد محبوبا عند الناس ، مرضيا عنه في الملإ الأعلى .

روى الشيخان والإمام أحمد: عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إن الله إذا أحب عبدًا: دعا جبريل فقال : يا جبريل ، إنى أحب فلانا فأحبه – قال :- فهميه جبريل ، ثم ينادى فى أمل السماء ، إن الله يحب فلانا فأحبره ~ قال :- فيحبه أمل السماء : ثم يوضع له القبول فى الأرض ، وإن الله إذا أبغض عبدًا: دعا جبريل فقال : يا جبريل إنى أبغض فلانا فأبغضه – قال :- فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أمل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه – قال :- فيبغضه أمل السماء : ثم يوضع له البغضاء فى الأرضى» ("").

قَالُ مَجَاهَدُ : وُدًّا : مَحَيَّةٌ فَي النَّاسُ فَي النَّبَيَّا .

وقال سعيد بن جير: يحبهم الله ويحببهم إلى خلقه المؤمنين.

وعن ابن عباس : الودُّ من المسلمين في الدنيا ، والرزق الحسن واللسان المسادق .

وقال هرم بن حيات : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم .

وكان عثمان رضى الله عنه يقول : ما من عبد يعمل هيرًا أن شرًّا : إلا كساء الله عز وجل رداء عمله (١٠٠). ٩٧- فَإِنَّمَا يُسَرِّئُنَهُ بِلِسَائِكَ فَيْنِكُرْ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ رَقُولِ بِهِ فَوْمًا لُذًا .

لقد يسرنا نزول القرآن بلسان عربى مبين ، ويسرنا حفظه وتلاوته وفهمه ، وقريناه إلى المؤمنين: لتبشّر به المتقين بالجنة ، فتسدد خطاهم ، وتشد أزرهم ، وتطمهم بمكانتهم عند الله في الدنيا ، ويمنزلتهم في الجنة في الأخرة .

وُتُعلَو بِهِ قَوْمًا لَّذًا . عناة طالعين، أشداء في الخصوصة، يجادلون بالباطل ويصدُّون آذاتهم عن سماع الحق. قال تعالى : وَمِنْ آثَامُ مِنْ تَعْمِلُكَ فَوَكُمْ فِي آلْحَوْقِ ٱللَّذِي وَيُعْهِدُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا في قَلْهِ وَقَوْ ٱللَّهُ آلْجِعَلَا ، (البقرة : ٤٠٤) أي : أشد الناس خصومة وجدالا بالباطل . وقد أنزل افلة القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، وقد جمع الله به شتات العرب ، وآميا ذكرهم ، ورفع شأنهم .

قال تعالى : وَإِنَّهُۥ لَلِكُرُّ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوَّفَ تُسْتَلُونَ . (الزعرف: ٤٤) .

وقال عز شأنه : وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ . (القمر: ١٧) .

وقال تعالى : فَإِنَّمَا يَسْرَّلْكُ بِلِسَائِكَ لَعَلَّهُمْ يَعَذَكُّرُونَ . (الدخان : ٥٨) .

فالقرآن وحى السماء ، والرسول مبلغ يقرأ القرآن بلساته العربى المبين ، ويبلغه لقومه ويؤديهم ياً دايه فيضرجهم من الظلمات إلى الذور : فما أعظم أن ييسر الله وحيه ، ويختار له الرسول والأمّة والمؤمنين، ويذلك وحق القول على الكافرين .

فَإِنَّمَا يَسُّرُنَنَهُ مِلِسَائِكَ لِتُبَسِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُعَلِر بِهِ قَوْمًا أَلْنًا.

وقد مدح الله الوحى ، ومدح الرسول ، ومدح الأمة ، التى استجابت لهذا الوحى ، وسيظل هذا الوحى روح الأمة ، وباب سعادتها ، وسبيل عزتها ، وباعث نهضتها قال تمالى : وَكُلَّ اللِّهُ أُوْضَيَّنَا إِلْكُ رُوحًا مِّنُ أُمْرِنَا... (الشورى: ٢٧).

٩٨ - وَكُمْ أَهْلَكُنّا قَبْلُهُم مِّن قَرْنِ هَلْ تُعِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ دِكْرًا .

للد أهلكنا كثيرا من الأمم السابقة ، التي كذبت رسلى ؛ فأغرقنا قوم نوح وقوم فرعون ، وأهلكنا عادًا وثعود وقوم لوط و هذه الأمم التي بادت وهلكت بغضب لها ؛ كانت ملء السمع والبصر ، لها تحرك وقوة وقدرة فوق الأرض ، والآن بادت وأصبحت رميما تحت التراب ؛ لا ترى العين أحدًا من أهلها ، ولا تسمع لأحدهم صوتا خافثًا . إنهم في صعت القبور .

ويهذا الختام يشخص القرآن الكريم أمام العين أمما أقوى من كفار مكة كانوا يتحركون وينبضون بالحياة والأمانى والمشاعر ، ثم إذا الصمت يُخيَم ، والموت يجثم ، وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدمار ، لا حسّ ، لا حركة ، لا صوت .

هَلُ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ . انظر وتلفت .

أَوْ تُسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا . تسمع وأنصت.

ألا إنه السكون العميق ، والصمت الرهيب ، وما من أحد إلا الواحد الحي الذي لا يموت (°°).

### خلاصة ثما اشتملت عليه سورة مريم

- ١ دعاء زكريا لله : أن يرزقه ولدًا.
- ٢ استجابة الله لدعائه ، ويشارته لزكريا بولد اسمه : يحيى .
- ٣ صفات يحيى وهي القوة في الدين ، والحكمة في الصبا ، والحنان والتقى ، وبر الوالدين والبعد عن
   التجهر والمعصية .
  - أ قصة مريم رحملها بعيسى ، ونطق عيسى في المهد ، والرد على من اتخذ عيسى إلها .
    - ٥ معجزات عيسى ، واختلاف النصاري بشأنه .
  - ٦ قصص إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر ، واعتزائه لقومه ، ثم هبة الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب .
    - ٧ جانب من قصة موسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام.
      - ٨ جبريل لا ينزل إلى الأنبياء إلا بإذن ربه.
- ٩ الإخبار: بأن جميح الخلائق ترد على النار يوم القيامة ، ثم ينجى الله المؤمنين إلى الجنة ، ويترك الكافرين في جهنم .
- ١- النَّعي على المشركين باتخاذ الشركاء ، وفي يوم القيامة سيكون الشركاء أعداء لمن عبدوهم من دون الله .
  - ١١- التفرقة بين حشر المتقين إلى دار الكرامة ، وسوق المجرمين إلى دار الخزى والهوان .
    - ١٢- النعى الشديد على من ادعى : أن الله ولدًا .
    - ١٧ أنزل الله القرآن بلسان عربي مبين ؛ ليبشر المتقين ، وينذر العتاة الظالمين .



## أهداف سهرة ظه

نزات سورة مله بعد سورة مريم ، وقد نزلت سورة مريم فيما بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسرام ، فيكون نزول سورة مله في ذلك التاريخ أيضًا . أي : بعد السنة السابعة من البعثة وقبل السنة المادية عشرة من البعثة .

وفى المصاحف المطبوعة بالقاهرة : سورة طه مكية إلا آيتي ١٣٠ ، ١٣١ فمدنيتان ، وآياتها ١٣٥ آية ، نزلت بعد مريم .

. وقال الفيروزبادى : السورة مكهة لجماعًا ، وكلماتها ١٣٤١ كلمة ولها اسمان : طه ؛ لافتتاح السورة بها ، وسورة موسى : لاشتمالها على قصته مفصلة .٣٠ .

### معنى طه :

قيل: معناها: يها رجل ، وقيل: معناها: يها إنسان ، وقال آخرون: هي اسم من أسماء الله وقد أقسم
الله به ، وقال آخرون: هي حروف مقطعة مكونة من الطاء والهاء يدل كل حرف منها على معنى واختلفوا
في ذلك المعنى اختلافهم في المصرى وقد ذكرنا ذلك في التعريف بسورة الأعراف ، قال ابن جرير الطبرى:
والذي هو أولى بالصواب عندى من الأقوال فيه قول من قال: معناها: يها رجل ؛ لأنها كلمة معروفة في عك
فيما بلغني وأن معناها: يها رجل .(14).

وقيل : أصله طأمًا على أنه أمر لرسول الله بأن يطأ الأرض بقدميه فإنه كان يقوم الليل حتى ورمت قدماه من طول القيام . وقد أبدلت الألف من الهمزة، والهام كناية عن الأرض . (١٠٠) .

والمعنى : طإ الأرض بقدميك يا محمد ، وهون على نفسك في القيام وارأف بنفسك ؛ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى به تعبا ، بل لتسعد به وتذكر به الناس .

## أهداف السورة

### من أهداف سورة طه :

تيسير الأمر على رسول الله ﷺ وبيان: فضل الله الواسع على رسله وأصفياته وبيان وظيفة الرسول وحصرها في الدعوة والتذكرة والتبشير والإندار، تم ترك أمر الخلق بعد ذلك إلى الله الواحد الذي لا إلى غيره، المهيمن على ظاهر الكون وياطنه ، الخبير بظواهر القلوب وخوافيها ، الذي تعنو له الجباه ، ويرجع إليه الناس : طائمهم وعاصيهم .. فلا على الرسول ممن يكتب ويكفر ، ولا يشقى لأنهم يكنبون ويكفرون . ثم تعرض السورة قصة موسى من حلقة الرسالة إلى حلقة اتخاذ بنى إسرائيل للعجل بعد خروجهم من مصدر مفصلة مطولة ، ويخاصة موقف المناجاة بين الله وكليمه موسى ، وموقف الجدل بين موسى وفرعون وموقف المباراة بين موسى والسحرة .. وتتجلى فى غضون القصة رعاية الله لموسى الذى صنعه على عينه وإصطنعه لنفسه ، وقال له ولأخيه ؛ لا تَصَعَلْنا إلَيْ مَسَكُما أَسْمَعُ وَأَرَى الله ، 13) .

ثم تعرض السورة قصة أدم سريعة قصيرة ، تبرز فيها رحمة الله لآدم بعد خطيئته ، وهدايته له ، وترك البشر من أبدائه لما يختارون من هدى أو ضلال بعد التذكيز والإنذار.

وتحيط بقصة آدم مشاهد القيامة ، وكأنما هي تكملة لما كان أول الأمر في الملا الأعلى من خلق آدم ؟ حيث يعود الطائعون من ذريته إلى الجنة ، ويذهب العصاة من ذريته إلى النار : تصديقا لما قبل لأبههم آدم وهو يهبط إلى الأرض بعد خروجه من الجنة .

وتلحظ أن السياق يمضى في هذه السورة في شوطين اثنين :

الشوط الأول : يتضمن مطلع السورة بالخطاب إلى الرسول ﷺ : مَا أَنْوَلُنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِسَلْغَيْ \* إِلّا تَذْكَرُهُ لَّمْنِ يُخْشَىل . (طه: ٢٠ / ٢).

ثم تتبعه تصنة موسى نموذجا كاملا لرعاية الله سيحانه لمن يختارهم لإبلاغ دعوته فلا يطقون بها وهم في رعايته .

والشوط الثاني : يتضمن مشاهد القيامة وقصة آدم وهما يسيران في النجاه مطلع السورة وقصة موسى. ثم ختام السورة بما يشبه مطلعها ويتناسق معه ومع جو السورة .

وللسورة ظل خناص يغمر جوما كله .. ظل علوى جليان تخشع له القلوب ، وتسكن له النفوس ، وتعنو له الجباه .. إنه الظل الذي يظعه تجلى الرحمان على عبده موسى بالوادى المقدس . في تلك المناجاة الطويلة ، والليل ساكن وموسى وحيد ، والوجود كله يتجاوب بذلك النجاء الطويل .. وهو الظل الذي يظعه تجلى القيوم في موقف الحضر العظيم : وَحُشَعَتْ الْأَصْرَاتُ لِلرَّحَمْنِ وَلَا تَسْبَعُ إِلَّا مُعْسًا . (طه ١٠٨٠).

وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَى ٱلْقَيْوِمِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا . (طه: ١١١).

والإيقاع الموسيقي للسورة كلها يستطرد في مثل هذا الجو من مطلعها إلى ختامها رخيا شجيا نديا بذلك المد الذاهب مع الألف المقصورة في القافية كلها تقريبًا . (٢٠)

### قصة موسى في القرآن

بدأت سورة طه بمقدمة مؤثرة عن القرآن وعن صفات الله وأسمائه الحسنى ، ثم قص الله على رسوله حديث موسى . نموذجا لرعايته للمختارين ؛ لحمل دعوته وقصة موسى هى أكثر القصص ورودا فى القرآن . وهى تعرض فى حلقات تناسب السورة التى تعرض فيها وجوها وظلها . وقد وردت حلقات منها حتى الآن فى سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الأعراف وسورة يونس وسورة الإسراء . وسورة الكهف وذلك غير الإشارات إليها فى سور أهرى .

وما جاه منها فى المائدة كان حلقة واحدة: حلقة وقوف بنى إسرائيل أمام الأرضى المقدسة لا يدخلون فيها: لأن فيها قوما جيارين .

وفي سورة الكهف كانت كذلك حلقة ولحدة ، طقة لقاء موسى للعبد المسالح ومحجيثه فترة وقد سبق الحديث عنها في دروس من سورة الكهف بعنوان : قصة موسى والغضر .

نأما في البقرة والأعراف ويونس وفي هذه السورة – طه – فقد وردت منها حلقات كثيرة ولكن هذه الحلقات تختلف في سورة عنها في الأخرى . تختلف الحلقات المعروضة . كما يختلف الجانب الذي تعرض منه تنسيقا له مع اتجاه السورة التي يعرض فيها .

فى البقرة سبقتها قصة آدم وتكريمه فى العالا الأعلى ... فجاءت قصة موسى وينى إسرائيل : تذكيرا لبنى إسرائيل بنعمة الله عليهم وعهده إليهم وإنجائهم من فرعون وملكه ، واستسقائهم وتفجير الينابيع لهم، وإطعامهم المن والسلوى . وذكرت عدوائهم فى السبت وقصة البقرة ، وفى الأعراف سبقها الإنذار وعواقب المكتبين بالآيات قبل موسى عليه السلام فجاءت قصة موسى تعرض ابتداء من حلقة الرسالة . وتعرض فها آيات العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضغادع وتعرض حلقة السحرة بالتفصيل ، وشائمة فرعين وملئه المكذبين ، وفى يونس سبقها عرض مصارع المكتبين ، ثم عرض منها حلقات ثلاث : حلقة الرسالة ، وحلقة السحرة ، وحلقة غرق فرعون .

أما هنا في سورة طه فقد كان مطلع السورة يشف عن رحمة الله ورعايته لمن يصطفيهم لحمل رسالته وتبليغ دعوته ، فجاءت القصة مظللة بهذا الظل تبدأ بمشهد المناجاة ، وتتضمن نماذج من رعاية الله لموسى في طفولته وشبابه ورجرلته ، وتلبيته وتأييده وحراسته وتعهده .

### قصة موسى في سورة طه

ولد موسى فى مصر ونما وترعرع فى بيت فرعون ثم قتل قتيلا خطأ ففرج هاريا إلى أرض مدين وهناك تزوج بنت نبى الله شعيب ومكث فى أرض مدين عشر سنين . ثم عاد بأهله إلى مصر .

وهى الطريق أدركته عناية الله ومن الله عليه بالرسالة والعناية .. وناداه . إِنِّيَ أَنَّا رُبُّكَ لَاخْلُغَ نَعَلَيْكَ إِللَّكَ بِالْوَادِ الْمُفَدِّسِ طُوْى » وَأَنا آخَتُرَكُ قَالَمَعِيثُ لِمَهَا يُوحَيِّ . ( ٢٠، ٢٧ ) .

وهذا الوحى يتعلق بثلاثة أمور مترابطة : الاعتقاد بالواحدانية ، والتوجه بالعبادة ، والإيمان بالساعة وهي أسس رسالة الله الواحدة . ومن نداء الله لموسى . إِلَيْنَ أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَنَهُ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُلْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوْةَ لِلِكُونَ \* إِنَّ السَّاعَةَ عَالِيَةً أَكَادُ أُطْهِيهَا لِمُجَزِّى كُلُّ لُعْنِي فِمَا تَسْعَىٰ . (هـ : ١٤ ، ١٥) .

وخص الله موسى بمعجزات ظاهرة ، وآيات باهرة ؛ أمره الله أن يلقى عصاه فألقاها فإذا هي حية تسعى ، نمت وعظمت حتى غدأت في جلادة الثعبان ، وضخامة الجان (١٠٠٠). لمحها موسى فاشتد خوفه فناداه الله . \* خُذُهًا وَلا تَكُونُ اللهِ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهُ اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلِيْهِ عَلَيْهِ عَل عَلَيْهِ عَل

ثم أدخل موسى يده تحت إيطه فخرجت بيضاه بهاضا يغلب نور الشمس ليس فيها بهاق أو برص أو مرض وتمت لموسى معجزتان هما اليد والعصاء فرأي آيات الله الكبري ، واطمأن للفهوض بالقبعة العظمى.

أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون رسولا وداعيا إلى الهدى ومبشرا بالجنة لمن أطاع الله وبالثار لمن عصاه.

فطلب موسى من ربه أن يشرح له مسره وأن ييس له أمره وأن يحل حبسة لسانه ؛ ليفقه الناس قوله وأن يمن الله عليه بمعين من أمله هر أهويه هارون .

واستجاب الله دعاء موسى وحباه بفضل زائد وذكره بأفضاله عليه صغيرا وناشئا حيث نجاه عندما قتل قتيلا خطأ وألقى عليه المحية ورياه برعايته وصنعه بعين عنايته .. قال سبحانه : وَٱلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحْبَةً شَى وَلِعُمْنَعَ عَلَىٰ عَنِيْنَ . (4مه : ٢٩).

وكانت عناية الله معه في شبابه حين نجاه من كيد أتباع فرعون ، وكانت عناية الله معه في رحلته للى أرض مدين ثم في عودته إلى أرض مصرعلى موعد وتدبير إلهي .. قال تعالى : وَقَتْلُتَ نَفْسًا فَتَجَنَّاكَ مِنَ أ ٱلْفَمِّ وَقَتْلُكَ كُونًا فَلَبْفَ سِينَ فِي آهُلِ مُثَنِّ ثُمُّ جُنَّ عَلَىٰ قَدْرٍ يُلْمُونَى وَوَّسَعَتَنْكُ لِعُسِي . (طه : ١٠ / ١٤). وكلف الله موسى أن يذهب مع أخيه هارون إلى فرعون بعد أن طفى فرعون وتجبر ؛ ليقولا له قولاً لبنا لا يهيج الكبرياء الزائف ولا يثير العرة بالإثم ، لمل قلبه أن يتحظ أن يتذكر .

### أدلة موسى على وجود الله

توجه موسى وهارون إلى فرعون ؛ ليبلغاه رسالة الله رب العالمين .

فقال فرعون : فَمَن رَبُّكُمَا يَلْمُوسَىٰ . (طه : ٤٩) .

فأجاب موسى : رَأْنَنَا ٱلَّذِي ٓ أَعْطَىٰ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ رُكُمٌ هَدَىٰ . (طه: ٥٠) .

وهي إجابة تلخص أكمل آثار الألوهية الخالقة المديرة لهذا الوجود : هبة الوجود لكل موجود ، وهبة خلقه على الصورة التي خلق بها ، وهبة هدايته للوظيفة التي خلق لها .

وثنى فرعون بسوَّال آخر: قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ . (طه: ١٥).

ما شأن القرين التي مضت من الناس ؟ أين ذهبت؟ ومن كان ربها؟ وما يكون شأنها وقد هلكت لا تعرف إلهها هذا؟

وأجاب موسى: إن علمها عند الله الذى لا تخفى عليه خافية وقد سجل عملها فى كتاب لا يغادر 
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وقد تفضل الله على الناس بالنعم المتعددة : فمهد لهم الأرض وذلل سبلها، 
وأنزل الماء من السماء؛ فأجرى به نهر النيل وغيره من الأنهار؛ ليخرج بالماء أزواجا متعددة من النباتات 
يستقيد منها الإنسان والحيوان ، وقد خلق الإنسان من الأرض ، ثم رزق من نباتها ومائها ، ثم يعود إليها ، 
ثم يبحث منها يوم القيامة .

عرض موسى هذه الآيات الكونية أمام فرعون وأراه المعجزات الظاهرة الملموسة من اليد والعصا.

ولكن فرعون قابل هذه المعجزات الواضحة ، والحجج البالغة ، بالجحود والكنود وأخذ فرعون يكيل التهم أموسى ، ويسفه دعوته ويصفه بالطمع في الملك ، ويصف معجزاته بأنها سحر ظاهر مبين .

### أموسي والسحرة

توعد فرعون موسى بأن يجمع له السحرة من كل مكان ؛ ليبطلوا سحره ويظهروا عجزه . وقبل موسى التحدى، وحدد يوم العيد ولجتماع الناس في زينتها الجديدة موعدا للمبارزة ؛ حتى يشيع الحق ويظهر ظهور الشمس . وجمعت السحرة في يوم العيد، ولم يتخلف واحد منهم ، فإذا بهم آلاف مع كل واحد منهم حبل وعصاً وهيروا موسى تنائلين: إنّا أن تُلْقِي وَإِمّا أَن تُكُونُ أَوْلَ مُنْ أَلْقَىٰ ، (بلد : ٢٥) .

فترك لهم موسى فرصة البده واستبقى لنفسه الكلمة الأخيرة.

فتقدم السحرة وألقوا ما في أيديهم من حبال فتحركت الحبال وماجت بها الساحة وسحرت عيون المشاهدين وملأتهم بالرهبة والإجلال لهذا العمل العظيم .

وخشى موسى أن يخدع الناس عن الحق وأدركه خوف الداعية على دعوته : فذكره الله بأن معه قوة كبرى، وبأنه على الحق وعدوه على الباطل ، وبأنه رسول مؤيد بالمعجزة ، وعدوه ساحر مضلل مخادع .

لْلَنَا لَا تَحْصَدُ إِلَّكَ أَلَتَ ٱلأَغْطَىٰ هِ وَأَلْقِرِمَا لِي يَهِينِكَ تَلَقَفْ مَا صَنَقُواْ إِلَمَّا صَنَقُواْ كَيْدُ سَدْجِرٍ وَلَا يُقْلِعُ ٱلسَّاجِرُ خَتْ أَنَى . ( له : ٢٨ - ٦٨).

وألقى موسى عصاه فابتلعت أعمال السحرة في سرعة مذهلة وأدرك السحرة أن عمل موسى ليس سحرا ولكنه معجزة ويرهان من الله على صدق رسالته ، فإذا بهم يخرون لله ساجدين ؛ ترية عما صنعوا ، وخشوعا لهيبة الحق ، وإكهارا لذلك الأمر الفطير ، وإيمانا بالله رب العالمين .

وعندئذ غلت مراجل الحقد والحفيظة في صدر فرعين ، ولام السحرة على إيمانهم بموسى ، قبل أن يأذن لهم ، وقال : إنه أستاذكم وكبيركم الذي علمكم السحر ، فاتفقتم معه على فطكم ومؤامرتكم : فَالْأَقْفُقُنَّ إِنْبِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ جَلَفَعْ وَلَأَصَلْيُتُكُمْ فِي جَلُوع آلشَحْلَ وَلَسُفَلُونَ آيُنا أَشَدُ طَذَابًا وَأَبْغَى . (ه. ١٧) .

ولكن ذلك جاء بعد فوات الأوان ، كان نور الإيمان قد تخلل صدورهم فوصلهم بخالقهم فزهدوا في عرض الدنيا وسلطانها ، وتطلعت قلويهم إلى مرضاة الله ، وفضلوا ثواب الأخرة على كل ما عداه وقالوا : إِلَّا وَامَّا بِرَبِّهَا لِيُفْهِرَ لَنَّا خَطَائِهُمْ مَا أَكُرُهُمْ مَا لَمُنْهِمْ وَاللَّهُ عُرِّهُ وَأَلْهُمْ . (ه. ٧٢) .

## غرق فرعون ونجاة موسى

استمر موسى فى أداء رسالته وقيامه وبراجب دعوته ، وقد اشتد إيذاء فرعون وأتباعه للمؤمنين فاستغاثوا بموسى ، فخرج موسى بهم ليلا إلى الأرض المقدسة وقد سهل الله إليها طريقهم ، واعترض البحر سبيلهم فاستغاثوا بموسى قائلين : البحر أمامنا وفرعون وراءنا ! فأوهى الله إلى موسى : أن اضرب بعمىك البحر فضريه بعصاء فتوات قذرة الله أن تيسر لهم فى البحر اثنى عشر طريقا يابسا ممهدا للسير فسار كل فريق في طريق وحفظتهم عناية الله من فرعون ، وحين حاول فرعون اللحاق بهم أطبقت عليه وعلى جنوره مياه البحر وأدركهم الغرق والهلاك . ونجى الله المؤمنين ، وأذل الكافرين . وجعل من ذلك عظة وعبرة لمن اعتبر ، فمن آمن بالله وجاهد في سبيله ؛ كان في كنف الله ورعايته ، ومن كفر بآيات الله وخرج عن طريق هدايته ؛ أعد الله له العذاب والنكال . ونظر بنو إسرائيل في دهشة إلى مصرع الجبابرة العتاة ، ثم نجى الله فرعون ببدنه ؛ ليكون آية لمن خلفه ، ودليلا على أن الله يعلى للظالم حتى إذا أخذه لم يظته .

### موسى والسامري

ترك موسى قومه وذهب لميعاد ربه عاجلا مشتاقا لمناجاة ربه وانتهز السامرى الفرصة فصنع لبنى إسرائيل عجلا من الذهب بطريقة فنية تجعل الربح تمر فيه فتحدث صوتا وخواراً .

وقال لهم : إن موسى لن يعود إليكم ؛ لقد ذهب لمقابلة ريه قضل الطريق إليه ، وهذا هو إلهكم وإله موسى ؛ وفتن بنو إسرائيل بعبادة العجل ، فقد ألغوا الذل وطاعة فرعون .

وعاد موسى غضبان أسفا يلوم هارون على تباطئه عن إخماد هذه الفتنة فاعتذر هارون بأنه صبر حتى يعود موسى فيلتئم الشمل وتعود الوحدة إلى الجماعة .

وتوعد موسى السامرى بالعناب والنكال وأمر بطرده من مطة بنى إسرائيل، فخرج طريدا هو وأهله إلى البرارى ثم أتى موسى بالعجل فحرقه بالنار، ونسف رماده فى اليم ؛ ليبين لقومه أن مثل هذا لا يصح أن يتخذ إلها : إِنَّمَّ إِلَيْهُكُمُ اللَّهُ اللَّهِ كُمْ إِلَيْهَ إِلاَّ هُو وَسِمَ كُلُ شَيْءٍ عِلْمًا . (ط. ١٨).

### مشاهد القيامة وختام السورة

بدأت سورة طه بمقدمة في بيان : جلال الله وقدرته وعلمه الواسع في الآيات من ١ -- ٨ .

ثم تحدثت عن رسالة موسى وجهاده في مصر ، وجهوده مع بني إسرائيل في الآيات من ٩ - ٩٨ .

وبعد قصة موسى تجىء الآيات ٩٩ - ١٩٤ تعقيب على هذه القصة ببيان: فضل القرآن ، وعاقبة من يعرض عنه ، وترسم الآيات هذه العاقبة في مشهد من مشاهد القيامة ، تتضاءل فيه أيام الحياة الدنيا ، وتتكشف الأرض من جبالها وتعرى ، وتخشع الأصوات للرحمان ، وتعنو الوجوه للحى القيوم ، لعل هذا المشهد وما في القرآن من وعيد يثير مشاعر التقوى في النفوس ، ويذكرها بالله ويصلها به . وينتهى هذا المقطع بإراحة بال الرسول ﷺ من القلق من ناحية القرآن الذي ينزل عليه ، فلا يعجل في ترديده ؛ خوف أن ينساه ، ولا يشغى بذلك فالله ميسره وحافظه إنما يطلب من ربه أن يزيده علما . ويمناسبة حرص الرسول صلى على ان يردد ما يوحي إليه قبل انتهاء الوحي خشية النسيان، تعرض الأيات ١٥ ا - ١٧٣ نسيان آدم لعهد الله وتنتهي بإعلان العدارة بينه وبين إبليس وعاقبة من يتذكرون عهد الأيات ١٥ من المدارة بينه وبين إبليس وعاقبة من يتذكرون عهد الله ومن يعرضون عنه من ولد آدم. وترسم الآيات هذه العاقبة في مشهد من مشاهد اللهيامة كأنما هو نهاية الرحلة التي بدأت في الملإ الأعلى، ثم تنتهي إلى هناك مرة أخرى ... وفي ختام السورة تسلية للرسول اللهيام المحرضين وتكذيب المكتبين فلا يشقى بهم فلهم أجل معلوم . ولا يحقل بما أوتوه من مقاع في عن إعراض المعرضين وتكذيب المكتبين فلا يشقى بهم فلهم أجل معلوم . ولا يحقل بما أوتوه من مقاع في المحرف الدينا واليهم المورف المورف القرون من قبله الله أن يعذر إليهم بالرسول الأخير، في المنافض يده من أمرهم ، وليعان إليهم أنه متريص بهم للله المسورة فليتربصوا هم كيف يشاءون : وَلَوْ أَلّا أَهْلُكُنْ لَهُمْ بِكُنَّاسٍ مَن قَبْلِه لِنَالُوا رُبّا لُولًا وَلَا مُسْرَبًا اللهمُ وَلَا المصورة فليتربطان مِن قَبْلِه لِنَالُوا رُبّا لُولًا وَاللهم عَلَيْ اللهم أَلْ المُولِكُمُ اللهم اللهم عن من أمرهم من أمرهم أللهم ومنافرات واللهم المساورة ومن المنافرة ا

ويذلك تختم السورة التي حددت وظيفة القرآن في بدايتها : إِلاَّ تَذْكِرَةٌ لِّمَن يَحْشَىٰ .

وأكدت هذه الوظيفة في نهايتها فهي التذكرة الأخيرة لمن تنفعه التذكرة وليس بعد البلاغ إلا انتظار العاقبة والعاقبة بيد الله.

وقد كانت قصة موسى ونهاية فرعون في خلال السورة تصقيقا لهنا المعنى وتأكيدا لفوز المؤمنين ومصرع المكذيين ، وبذلك يتناسق المطلع والشتام وتكون السررة أشبه بموضوع له مقدمة ، ثم قصة تؤيد المقدمة ، ثم شاتمة تزكد الموضوع ، وظهر أن بين أجزاء السورة وحدة فكرية خلاصتها : شمول فضل الله ورحمته وعطفه لأحيابه المؤمنين ، وإيقاع نقمته وعذابه بالكافزين والمكذبين .

### سورة طه

سورة طه سورة مكية إلا آيتي ١٣٠ ، ١٣١ فعدينتان وآياتها ١٣٥ آية نزلت بعد سورة مريم .

وغرض السورة: تركيز العقيدة ، والدعوة إلى التوحيد ، والإيمان بالنبوة وبالبعث ، وفي بدايتها بيان: فضل الله على محمد ﷺ ، ثم قصة موسى من حلقة الرسالة ، وحلقة إيمان السحرة ، ومناقشة فرعون ، وحيل السامرى وضلاله ، ثم حلقة من قصة آدم عليه السلام ، ثم عرض مشاهد القيامة .

وأسلوب السورة سهل رضمى رخى ، وتنتهى الآيات بالألف اللينة فى انسياب وفضل من الله على أنبيائه ورسله .



﴿ طَهِ ٥ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْدَانَ لِتَشْقَىٰ ۞ إِلَّا نَذْكِرَةً لِمَن يَخْفَىٰ ۞ تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَالشَّمَوْتِ ٱلْقُلُ۞ الرَّحْنُ عَلَى ٱلْمَـرْشِ ٱسْتَوَىٰ۞ اللَّمَافِ السَّمَوْتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَنْهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۞ وَإِن بَعْهَرْ بِٱلْقُولِ فَإِنَّهُ. يَعْلَمُ الشِرَ وَأَخْفَى ۞ التَّهُ لَا إِلَهُ إِلَا هُوَّ لَهُ ٱلْأَشْمَاةُ ٱلْمُسْنَىٰ۞ ﴾

### المفردات ،

استشهد قدى، لتتعب وتنصب.

ي خاف الله .

السيط الدين وإحدها: العليا مؤنثة الأعلى، مثل: الكبرى مؤنثة الأكبر.

المستحصيم ش: سرير الملك ، ويراد به في لسان الشرع: مركز تدبير العالم.

اسسستسموی: استولی علیه.

قال الشاعر:

استوى بشرعلى العراق مهراق

و بيدي، التراب النديّ ، والمرادية هنا : مطلق التراب .

الم الما الله ما هو أخفى من السر، وهو ما أخطرته ببالك دون أن تتفوه به بحال.

الأسيميناء المغات

الحسينين مؤنثة الأحسن.

التفسيره

۱ - طبه .

هذه الحروف المقطعة في قواتح السور للعلماء فيها رأيان رئيسان:

الأول: أنها مما استأثر الله تعالى يعلمه.

الثاني: أن لها معان وتعددت أراء العلماء في معانيها:

 (1) قيل: هي أدوات للتنبيه كالجرس الذي يترع فيتنبه التلاميذ إلى دخول المدرسة فهي مثل ألا الاستفتاحية.

 (ب) قبل: حروف للتحدّى والإعجاز، وبيان: أن القرآن مركب من حروف عربية تنطقون بها، وقد عجزتم عن الإنهان بعثله.

(جـ) وقيل: هي إشارة إلى أسماء الله تعالى أو صفاته.

(د) وقيل : هي علامة على انتهاء سورة وابتداء أهرى .

وقال ابن عباس: طه . معتاها: يا رجل .

وقال آخرون : هي اسم للرسول محمد ﷺ .

وقيل: معناها: طإ الأرض بقدميك.

٧ - مَا أَنوَ لَنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِعَشْفَى .

القرآن رحمة ونعمة ، وتذكرة وروح وحياة ، وحملة بالملإ الأعلى .

وكان الرسول ﷺ حريصا على هداية قومه ، ودعوتهم إلى الإيمان ، وكلما أهرضوا عن الإسلام حزن وتألم ؛ فناداه الله ، ويين أنه أنزل القرآن للنبليغ والتذكير . أمّّا الهدى فبيد الله تعالى ؛ فلا تحزن عليهم ، ولا تفرط في الأسى على كفرهم وعنادهم ؛ قال تعالى : فَلْمَلَّكُ يُضْحِمُ لَفَسَكُ عَلَى اللَّهِ عِلَيْ لَمُ مُؤْمِّوا مِهَلَا البَّحْيِيثِ أَسَفًا . (الكهد : ٢) . وروى: أن رسول ﷺ، لما نزل عليه القرآن صلَّى هو وأصحابه فأطال القيام ، فقالت قريش : ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى ؛ فنزلت هذه الآية .

والشقاء يأتي في اللغة بمعنى: التعب، والعناء، ومنه المثل العربي (أشقى من رائض مهر) أي: أتعب من مروض المهر ومعلمه حتى يذلل للركوب.

ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

## وقصاري معنى الآية :

إِنا أَنْزَلْنَا عَلِيكَ القَرْلُ لِتَذَكُّرِ بِهِ ، فَمِنَ آمِن وأَصلح فَلَفُسه ، ومِن كَفَر فَلا يحزَنْكُ كَفَرِه ، إِنْ عَلِيكَ إِلاَّ اللِّبلاَّغ،
ولست عليهم بمسيطر . وفي الآية إِيناس وتسليه وحنان للرسول ﷺ مما كان يعانيه ، من جحود قومه وعنادهم ؛
وقريب من معناما قوله تعالى : لَّرِّسُ عَلَيْكُ هُمَنْظُمْ . . (البقرة : ٢٧٧) . إِنْ عَلَيْكُ إِلَّا ٱلْهَلَيْعُ . . (الشورى : ٤٨).
فَذَكُرُ إِلَّمَا أَلْتُ مُذُكِّرٌ هُ لُسُتُ عَلَيْهِم بِمُعْمِطْرٍ .. (القاشِية : ٢٠ / ٢٧) .

## ٣ - إِلَّا تَلْكِرَةُ لَّمَن يَخْشَىٰ.

أي: ما أنزلنا القرآن إلا عظة لمن رق قلبه ، وأضاءت بصيرته بنور القرآن فاستجاب له .

قال رسول الله ﷺ : «إن الغور إذا دخل القلب اتسع له الصدر وانشرح» قيل : يها رسول الله ، هل لذلك من علامة ؟ قال : «نعم التجافى عن دار الغورر ، والإنابة إلى دار الطود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت قبل نزول الموت عمل : أنه أن شُرَّع اللهُ صَدْرُهُ (الإسْلَمُ فَهُمْ عَلَىٰ لُور مِنْ رُبَّةً . (١٠٠ (الزمر: ٢٧).

\$ - تُنزيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلأَرْضَ وَٱلسَّمَاوَاتِ ٱلْعَلَىٰ.

نُزُّل القرآن تنزيلا من إله عظيم خلق الأرض وما عليها ، والسماوات العلى ، المرتفعة العلياء . وما يستطيع خلق هذه السماوات العلى ، وحفظها ملايين السنين سوى الإله الواحد الأحد سبحانه وتعالى .

والطُّلَى جمع العُّليا ؛ مثل : كبرى وكُبَّر ، وصُغرى وصُغرَ، وعُلَّيا وعُلَّى .

## ٥ - ٱلرُّحْمَانُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ .

الله سبحانه هو المهيمن على الكون كله ، والمبدع لنظامه ، والاستواء على العرش كفاية عن عاية السيطرة والاستعلاء ، والإمساك ينظام الكون . وقد ذكر العرش في القرآن الكريم في إحدى وعشرين آية ، وقد نهب سلف الأمة ، ومنهم الأئمة الأربعة ، إلى أن هذه الآية صفة لله تمالى بلا كيف ولا انحصار ولا تشبيه ولا تمثيل : لاستحالة اتصافه تعالى بصفات المحدثين ، ولوچوب تنزيهه تعالى عما لا يليق به لَرْسَ كَمِشْهِ شَيِّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ آلْبَصِيرُ . (الشرين ١١٠) . وأنه يجب الإيمان بهذه الآيات كما وردت وتقويض العلم بحقيقتها إليه تعالى .

أما الخلف فقد أوّلوا هذه الآيات بمعان تليق بذات الله تعالى . فقالوا : ٱلرَّحْمَانُ عَلَى ٱلْعَوْسِ ٱسْتَوَى . أي: استولى وسيطر وهيمن وأبدع ونظّم مُلك هذا الكون بلا خلل ولا اضطراب .

٣ - لَهُ, مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ وَمَا يَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلَّفَّرَىٰ.

الله تمانى له ما فى الوجود كله ، والمشاهد الكرنية فى القرآن تستخدم لإبراز معنى الملك والإماطة والتدبير : فى صورة يدركها التصور البشرى والأمر أكبر من ذلك جدًّا ، فلكًّ ما فى الوجود كله ، وهو الملكُ والمالك لكل شىء .

فجميع ما في الكون ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه ومشيئته ، وإرادته وحكمه ، وهو خالق ذلك و مالكه ، وإلهه لا إله سراه (۳۰).

وهذا الكون أكبر مما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى .

### وقال المفسرون :

له سيحانه ما في الوجود كله ، السمارات السيع ، والأرضون وما بينهما من المشلوقات ، وما تعت التراب من معادن ومكنوتات ، الكل ملكه وتحت تصرفه وقهره وسلطانه .

٧ - وَإِنْ تَجْهَرُ بِٱلْقَوْلِ فِإِنَّهُ, يَعْلَمُ ٱلسَّرُّ وَأَخْفَى .

فملكه لجميع ما في الكون ، وعلمه شامل للجهر والسرّ ، وما هو أخفى من السرّ كخطرات النفس ، وأسرار الغد وما بعده الذي لا يعلمها العبد في يومه . سبحان من أحاط بكل شيء عاما !

أللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ.

ريكم من الله المتقرد بالوحدانية ، لا معبود بحق سواه ؛ فيجب أن يخلص الغلق له العبادة والطاعة ، ولا أحد غيره يستحق ذلك ، وهو صاحب الأسماء الحسنة ، الفضلى والعظمى ؛ لدلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم ، والنهاية في السمو والكمال ، والحكمة والسداد . وفي صحيح البخاري ومسلم : أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تسعة وتسعين اسمًا ، من أحصاها ؛ دخل الجنة» (٣٠) ﴿ وَهَلَ أَتَىكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ رَءَانَازُ فَقَالَ لِأَهَادِ ٱمْكُنُواْ إِنِّ اَسَتُ نَازَا لَكَمْ الْتَحْدُونَ الْتَعَالَىٰ اللَّهَا الْوَدِى يَنْمُوسَىٰ ۞ إِنِّ الْتَحْدُونَ اللَّهَا اللَّهَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ الللْمُواللِمُ اللَّالِ الللْمُواللَّهُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللِلْمُاللَّالِمُ

### المفردات

المسكنيست، كل كلام يبلغ الإنسان، من جهة السمع أو الوحى، في يقظته أو في منامه.

السكست، الإقامة.

السعست، أيصرت.

السيسكسم، أجيئكم.

المستقدين ويشعلة مقتبسة على رأس عود ونحوه .

هـــــننى: هاديًا يدُلني على الطريق.

طؤى (بالشم) متوناء اسم لذلك الوادي.

الحصبترتسبك، اصطفيتك.

السندكسرى، لتكون ذاكرًا لي.

أكساد أخسف يها: أبالغ في إخفائها ولا أظهرها.

هـــــواه: ما تهواه نفسُه.

د تردی، فتهلك.

### تمهيد،

تأتى قصة موسى ، بعد مطلع سورة طه ، وفي هذا المطلع بيان : لعظمة الحق سيحانه ، وعظيم ملكه وسلطانه ، وفي قصة موسى جانب من هذا الفضل والحنان ، والاصطفاء لموسى ، وتسجيل لجهاده وصبره أمام عناد فرعون ، وفي هذا القصص تثبيت لقلب الرسول ﷺ ، وإيناس له ، ونحوة له إلى الصبر كما صبر

المرسلون قبله ، قال تعالى : فَآصْبِرْ حَمَا صَبَرَ أَوْلُواْ ٱلْغَوْمِ مِنْ ٱلرُّسُلِ ... (الأحقاف: ٣٥) ، وقال عز شأنه : وَكُلاً تَقَدِّمُ عَلَيْكَ مِنْ أَلْبَاعِ ٱلرُّسُلِ مَا نَبْتِتُ بِهِ فُؤَانَكُ . (هور: ٢٠٠) .

### التفسيره

٩ - وَهَلُ أَلَمْنَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ .

وهل بلغك كيف كان ابتداء الوحي إلى موسى ، وتكليم الله إياه؟

ومن سنن المروبية أنه إذا أريد تثبيت الخبر ، وتقرير الجواب في نفس المخاطب ، أن يلقى إليه بطريق الاستفهام : فيقول المرء لصاحبه : هل بلك كذا وكذا ، فيتطلع السامع إلى معوفة الخبر ، ويصغى إليه أتم الإصغاء.

ذكر المُفسرون: أن موسى أتمّ اللدة التي تعاقد عليها مع صهره شعيب ، فإذا بالحنين والشوق يتجدد في قلبه للعودة إلى مصر .

وهنا يتساءل الإنسان، رجل مستقر في موضع فيه الزوجة والأهل والأمن والأمان.

وله في مصر عداوة وتهديد ، فقد قتل قبطيا كان يتشاجر مع إسرائيلي ، ثم استغفر الله ، وقد خرج من مصر شائفا يترقب ، قال : رب نجنى من القوم الظالمين ، لكن المنين يتجدد فى العودة إلى مصر . فما سبب ذلك ٢١

إنه المذين الذي يودعه الله في القلوب؛ لتتحرك في ستر هفي ، بيد القدرة الغالبة المحركة لهذا الكون؛ والمهيمنة عليه .

قَالَ الْعَلْمَاءِ: إذا كانت منيَّة الإنسان بأرض ؛ حرَّك الله همة العبد للذهاب إليها .

قدم موسى من أرض مدين إلى مصر، ومر بطور سيناء، فى ليلة باردة شاتية مظلمة وضل الطريق، ونزل منزلا بإلى شعاب وجبال، وجعل يَقْرُح برُنْد كان معه ليُورى نازًا، فلم تور المقدحة شيئًا، ويهنما هو بزاول ذلك ويعالجه، إذ رأى نازًا من بُعد عن يسار الطريق. (٣٠٠).

• ١ - إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ آمْكُلُواْ إِنَّى ءَالَمْسَةُ نَارًا لَّعَلَّى ءَالِيكُم مَّنْهَا بِقَسَرٍ أَوْ أَحِدُ عَلَى آلثارِ هَدَّى.

أيصر موسى نازًا ؛ فقال لامرأته ووادها وخادمها مبشرا لهم : أقيموا مكانكم ؛ إنى أيصرت نازًا ، وسأذهب إليها ؛ لعلنى أجيتكم بشطة مقتبسة ، على رأس عود أو نحوه ، أو أجد هاديا يرشدنى إلى الطريق. وكانت الليلة شاتية ذات ثلج ويرد وسحاب وضباب وظلام ، قال تعالى : قَلْمًا قَمْعُ مُوسَى آلاً جَلْ وَسَارَ بِأَهْلِ عَالَسَ مِن جَالِبِ ٱلطَّدِرِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ آمْكُنُواْ إِنِّى ءَانَسْتُ نَارًا لَعْلَى عَالِيكُم مُنّهَا بِخَبَرٍ أَوْجَذُوْقٍ مِنَ آلثارِ لَعْلَكُمْ كَصْطُلُونَ. (القصص: ۲۹). ومعنى تصَطَلُونَ. تستدفذون بها من البرد.

١ ٢٠١ - فَلَمَّا أَلَـٰهَا لُودِي يَنهُو سَيْ ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوى.

لما وصل موسى إلى النار وجدها نارًا بيضاء تتقد كأضوا ما يكون ، في شجرة خضراء ، فلا ضوم النار يغيرُ خضرتها ، ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار ؛ وهناك سمع موسى النداء : يَــُمُوسَىّ إِلَى أَنَا رَبُك ،

إنسان في هذا الكون ، مخلوق من البشر ، يصطفيه الله من خلقه ؛ ليحمّله رسالة ربّه ، ويذاديه ويكلّمه كلّمه التكليم على المنظف المنظف الإلهي : موسى فريد في تلك الفلاة ، والليل دامس ، والظلام شامل ، والصحت مخيم ، وهو ذاهب يلتمس الذان التي آنسها في جانب الطور ، ثم إذا به يسمع صوتا يتردد من السماء والأرض وكل ما في الكون : يُشفُوسي م إلي آن أَن رُبُّكُ فَاضَلْحَ تَعْلَيْكَ إِلنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ مُولَى . أي : إنى أنا ويك الذي أكلمك ، فاخلع النعلين من قدميك ؛ رعاية للأدب وأقبل : إلنَّ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ مُولَى . أي : لأنك بالوادي المحمل القدمين بركته ، ولا يا المحمل : طوى ؛ فاخلع نعليك ؛ ليحصل للقدمين بركته ، ولا المحمل المقدمين بركته .

لقد أراد الله لموسى أن يستجمع نفسه ، وطهارة قدمه ، وتركيز عقله وحواسه فقال سيحانه .

١٣ - وَأَلَا ٱلْحَرْثُكَ فَٱسْتَمِعٌ لِمَا يُوحَى .

أى: اصطفيتك للرسالة والنبوة وتبليغ الدعوة : فقاهب لهذا الأمر العظيم ، واستمع لما أوحيه إليك ، ونحو الآية قوله تعالى : قَالَ يُسْفُوسَكَ إِنِّى الصَّفَاقِينُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسُسُلْتِي وَبِكَلْسِي ... (الأعراف : ١٤٤) .

### قال العلماء :

إن من أدب الاستماع ، سكون الجوارج والأعضاء ، وغض البصر ، والإصغاء بالسمع ، وحضور القلب، والعزم على العمل .

## ١٤ - إِنْبِيَّ أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَامَ إِلَّا أَنَا فَآعَيْدُينِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِلِرَحْرِيّ

إنه نداء علوى إلهى من رب كريم تفضل على أحد خلقه فكلمه تكليما ، وعلمه تعليماً ؛ فالكبرياء له وحده ، والعظمة له وحده ، فالعبد يحسن به التواضع ، وإذا فعل كلَّ شيء كان كأنه لم يفعل شيدًا ، أما الربّ فهو وحده الذي يحق له الحمد والشكر ، والعظمة والكبرياء ؛ فهو وحده الواحد الأحد ، المخالق الرازق المهيمن المبدئ المعيد ، الواجد الماجد . إِنْتِي أَنَّ لَلَّهُ لَا إِلَكَ إِلَّا أَنَّ . أَنا المستحق للعبادة لا إِله غيرى ، أنا الله خالق الكون والحياة والإنسان وسائر الموجودات ، لا إله سواى ، لا يقدر على الخلق غيرى .

إِنَّتِى آَنَا ٱللَّهُ. لاِثبات الألوهية لله وحده ، لاَ إِلنَّا إِلاَّ أَنَّا. ننغى الألوهية عن كل ما سواه ، والمقصود : إثبات عقيدة التوحيد ، واليقين الجازم بأن التصرف في هذا الكرن كلَّه بيد الله وحده .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على بغلته فقال لى: «يا غلام ، هل أعلم مه الم كلمات ينفك الله بهنّ فى الدنيا والآخرة ٣٠ قلت : بلى يا رسول الله علمنى ، فقال : ويا غلام ، لحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإعلم أن الأمّة لو الجتمعت على أن الجتمعت على أن يضروك بشىء ؛ ما نفعوك إلا يشيء قد كتبه الله لك ، وإعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء ؛ لم يضروك إلى بشىء ؛ لم يضروك بشىء ؛ لم يضروك بشىء ؛ لم يضروك بشىء ؛ لم يضروك إلى بشىء قد كتبه الله عليك ، جفّت الأقلام وطورت الصحف» ٣٠٠.

## فَآعَبُدُنِي .

أى : وإذّ كنت أنا الإله وحدى ولا معبود سواى ؛ فخصنى بالعبادة والتذلل والانقياد فى جميع ما كلفتك به .

## وُ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِلدِّكْرِيِّ .

ادخل في الصالاة بالغشوع والخضوع ، وحضور القلب وذكر الله ودعائه ، والتوجه إليه دون سواه .

وخصُ القرآن الصلاة هنا : لأنها صلةٌ بين العبد وربه ، ووسلة للطهارة الحسية والمعنوية ، وياب من أبواب الرفعة : حين يتطهر الإنسان الفانى ، ويكبّر ويدخل فى الصلاة فيناجى الإله الباقى ، ويكبّر ويسبّح ويحمد خالقه ، ومن له الحمد فى الأولى والأغرة : ولذا فإن الصلاة أفضل أركان الدين بعد الترحيد.

## قال تعالى: وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِلرِّكْرِيِّ .

وقــال سبحـانه : أَثَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتُـبِ وَأَقِيمِ ٱلصَّلَوْةَ إِنَّ ٱلصَّلَوْةَ تَنَهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَلِوكُمْ ٱللهِ أَكْبُرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ . (المدتديدي: ٤٥) .

## • ١ - إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَّةً أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ لَفْسِ بِمَا تَسْعَىٰ.

إن الساعة قادمة لا محالة ، والموت قادم ما في ذلك شك ؛ كُلُّ نَفْسِ ذَا يُقَةُ ٱلْمَوْتِ ... (آل عمران : ١٨٥).

وقد أخفى الله الساعة ومعرفة الأجل: حتى يجتهد الإنسان ، ويعمل الأعمال الصالحة : وهو مطلق السراح في هذه الدنيا فيكن الجزاء عادلا ، ولو علم الناس وقت موتهم ، فريما أسرفوا في الشهوات في حياتهم ، ثم تابوا واستقاموا قبل موتهم ؛ لذلك أخفى الله علم الساعة ، وميعاد الموت : وإن كانت هناك النذر مثل الشيب ، وكير السنّ ، والمرض ، وموت الأقوان ، وقد يأتى الموت فجأة ، قال تعالى : وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذًا تَكُسِبُ غَمَّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ اللَّهَ عَبِيرٌ ، (المنان ٤٣) .

### وقال بعض المفسرين :

إن الساعة قادمة وحاصلة لا محالة أكاد أخفيها عن نفسي ، فكيف أطلعكم غليها .

### قال الْبِرَّد :

وهذا على عادة العرب ، فإنهم يقولون إذا بالفوأ في كتمان الشيء : كتمته حتى من نفسى ، أي : لم أطلع عليه أحدا .

### قال الطبري في تفسير الآية :

والذي هو أولى بتأويل الآية من القول ، قول من قال : معناه : أكاد أعفيها من نفسى ؛ لأن المعروف من معنى الإغفاء في كلام العرب الستر ، يقال : أخفيت الشيء : إذا سترته ، وإنما اخترتا هذا القول على غيره: لموافقته أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين .

## وجماء في تفسير ابن كثير ما يأتي :

### قال ابن عياس :

أَكُاذُ أُشْفِيهَا . أى : لا أطلع عليها أحدًا غيرى ، وقال السدى : ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا قد أهفى الله عنه علم الساعة ، وهى فى قراءة ابن مسعود (إنى أكاد أخفيها من نفسى) يقول : كتمتها من الخلائق ، حتى لر استطعت أن أكتمها من نفسى فعلت .

قَالَ قَعَادَةَ : لقد أَحِمَاهَا اللهُ مِن الملائكة المقربين ، ومن الأنبياء والمرسلين ، قلت : وهذا كقوله تعالى: قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَلُوْ اسْوِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْفَيْبَ إِلاّ ٱللّهُ ... (النمل : ٥٠) . وقال تعالى : ثَقْلَتْ فِي ٱلسَّمَلُوْ اسْوَ وَٱلْأَرْضِ لا تَأْتِكُمْ إِلاَّ يَعْثَةُ ... (الأعراف : ١٨٧) . أي : ثقل علمها على أهل السماوات والأرض .

لِشَجْزَىٰ كُلُّ تَفْسِ بِمَا تَسْعَىٰ ؛ لتنال كل نفس جزاء ما عملت من خير أن شر ، قال تعالى : فَمَن يَعْمَلْ مِقْالَ ذُرَّةِ خَيْرًا يُرَدُه ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذُرَّةِ شَرًا يُرَدُّه . ((الزلزلة : ٧ ، ٨) . ٩ ٩ - فَالاَ يَصُدُنُكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبِعَ مَوَلَـٰكُ فَتَرْدَىٰ .

### قال ابن كثير:

الخطاب لموسى والمراد به : آحاد المكلِّفين ، أي : لا تتبعوا من كتَّب بالساعة ، وأقبل على ملاده في دنياه ، وعصى مولاه واثبع هواه ؛ فمن وافقهم في ذلك ؛ فقد خاب وخسر . فُتُرْدُكَا . أي : تهلك وتعطب ، تال إلله تمالى : وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُمُ وَلَا تُرَدُّكِ (الليل : ١٩) .

والآيات السابقة من منن الله على عبده ، وهي دعوة إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله ، وإقامة المسلاة كاملة الأركان ، عامرة بالخشوع وحضور القلب ، فالساعة قادمة ، والموت حق ، وسيجزى كل إنسان جزاء عمله، ولا ريب أن موسى قد نسى نفسه ، واستغرق في سماع النداء الإلهي ، ثم أفاق على سؤال لا يحتاج إلى جواب .

4 4 4

﴿ وَمَاتِلْكَ بِيَمِينِكَ يَنْمُومَىٰ ۞ قَالَ هِى عَصَاى أَتَوَكَّوُا مَلَيَهَا وَأَهُشُّ جَاعَلَى عَنَى وَلِيَ فِيهَا مَثَارِبُ أَخْرَىٰ۞ قَالَ اَلْفِهَا يَمُومَىٰ۞ فَالْقَسْهَا فَإِذَا هِى حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَغَفَّ سَنُعِيدُ هَا سِيرَتَهَ الْأُولَىٰ۞ ﴾

#### المفردات :

اتوكا عبابيها: أعتمد عليها في المشي، والوقوف على رأس القطيع ونحو ذلك.

وأهش بسمهماء أخيط بها ورق الشجر اليابس؛ ليسقط، فترعاه أغنامي.

مارية (مثلثة الراء).

### التفسيرء

١٧ - وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى .

إنه سؤال تمهيدي من الحق سيحانه وتعالى ؛ يسأله عما يحمله في يمينه أليست عصا عادية ، أبعد ما

تكون عن الحياة . إن قدرة الله تعالى قادرة على أن تدبّ فيها الحياة ، وأن يضرب بها البحر عند الحاجة إلى الطرق اليابسة للمش فيه ، وأن يضرب بها الحجر عند الحاجة إلى نبع المياه منه .

وَمَا تِلْكَ بِيَعِينِكَ يَـٰلَمُوسَىٰ .

### قال بعض المسرين:

إنما قال له ذلك على سبيل الإيناس له ، في هذا الموقف الرهيب ، وقيل : إنما قال له ذلك على وجه التقرين أي : أمّا هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها ؛ فسترى ما نصنع بها الآن . وَمَا قِلْكَ يَمِينِكَ يُنْمُوسُلْ. استفهام تقرير .

# ١٨ - قَالَ هِي حَصَاى أَتَوكُوا عَلَيْهَا وَأَهُشُ بِهَا عَلَىٰ غَنَبِي وَلِي فِيهَا مَشَادِبُ أَخْوَىٰ .

أى : الذى بيمناى هو عصاى أَتَوَكَّوُا عَلَيْهَا . أى : أعتمد عليها ؛ لتساعدنى في حال السير ، وَأَهْشُ بِهَا عَلَىٰ غَنَهِى . وأَهْدرِ، بها الشجر اليابس ؛ ليسقط فترعاه أغنامى .

قال الإمام مالك: الهش: أن يضع الرجل المحجن في الغصن ، ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ، ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخبط.

وَلَيْ فِهَا مَثَارِبُ أُخْرَى أَنَى: مصالح ومنافع أخرى غير ذلك . وقد أجمل عليه السلام في المآرب ، رجاء أن يسأله ربه عنها ؛ فيسمع كلامه مرة أخرى ، ويطول الحديث ، والنجاء والمناجاة ، فما أجمل في أن يناجي عيد ربه ، وأن يتفضل الرب باستماع عيده .

## ٩ ، ، ، ٧ – قَالَ أَثْقِهَا يَنْمُوسَىٰ ﴿ فَأَلْقَنْهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ .

أى: قال الله اموسى: ألقها وارم بها على الأرض؛ لترى من شأنها ما ترى، فلما ألقاها! صارت فى الحال حية عظيمة تسعى وتضطرب، تبتلع الصخرة، وتأكل الشجرة، وتلتهم ما يقابلها فى سرعة وقوة.

## قال المفسرون :

لما رأى موسى هذا الأمر العجيب الهائل ، لحقه ما يلحق البشر ؛ عند رؤية الأهوال والمعاوف ؛ لاسيما هذا الأمر الذي يذهب بالعقول ، وإنما أظهر الله له هذه الآية وقت المناجاة ؛ حتى يأنس بهذه المعجزة ، وحتى لا يفزع إذا شاهدها أمام فرعون ؛ لأنه يكون قد تدرّب وتعود عليها . ٢ ٧ - قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَنْفَى سَنْعِيدُهَا سِرَتَهَا ٱلأُولَىٰ.

والسياق هنا لا يذكر ما ذكر في سررة أخرى من أن موسى عندما رأى الحية هائلة كبيرة وأي مديرا قال تعالى: وَأَنْ أَلْقَ عَمَاكُ قَلَهُ رَءَاهَا يَهَتُو كُأَلْهَا جَانُّ وَقُلْ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَفِّينُ يَنْمُوسَى أَقُولُ وَلاَ تَعَفَى إِلَّكُ مِنَ الآبِينَ. (القمس: ٢١) ؛ لأن سياق السورة سياق أمن ورحمة وطمأنينه فقال الحق منا : قُالَ خُلْفَا وَلاَ تَعَفَى سَنْهِلَهَا سِيرَلْهَا الْأُولَىٰ . وفي سورة أخرى: إلَّى لاَ يَمَافَتُ لَنَّيُ ٱلْمُرْسَلُونَ . (الندل: ١٠) . أي: أنت رسول كريم ، ستحمل رسالة كلها أمن وأمان وتحمل تبعات .

ومعنى خُلْهَا وَلاَ تَحَفَّ . أي: هذ عصاك ولا تفف منها : فهى معجزة لك ، تغيف غيرك ، ولا تفف منها : سُنُعِلُهَا سَرِّنَهَا ٱلْأُولَى . سنرجعها إلى الحالة التي كانت عليها من قبل ؛ عصا تمسكها : فأقدم على ذلك برياحة جأش دون تردد ولا ذعر.

#### فاكدة

ذكر الله هذا عن العصا: أنها تدولت إلى حَبُّهُ تَسْعَىٰ. وذكر في سورة الشعراء: أنها تدولت إلى لُعْبَانُ لُمِينَ (الشراء: ٢٢)

وقال في سورة أخرى - لَهُمُّو كَالُهَا جَالَّ . (القصم: ٢٦) والجان هو الحية الصغيرة الجسم ، وهي الدر على سرعة الحركة ولا تنافى بين هذه الصفات : لأن الحية اسم جنس يطلق على الصغير والكبير ، والذكر والأثنى ، والثعبان : هو العظيم منها ، والجان : هو الحية الصغيرة الجسم ، السريعة الحركة : فالحية كبيرة الجسم ، لكنها في سرعة الحركة شبّهت بالجان في هذه الخاصية وهي سرعة التحرك ، فاجتمع لها شبغامة الجسم مع سرعة الحركة التي يُعتَّم بها الصغير . ﴿ وَاَصْمُهُمْ يَلُكُ إِلَى جَنَامِكَ مَعْنُجُ بَيْمَنَا آهِ مِنْ عَبْرِسُونَ اللهُ أَخْوَىٰ ﴿ لِلْإِلَكُ مِنْ اَلِيْنَا اللهُ مَنْ اللهُ اللهُ مَنْ اللهُ اللهُولِي اللهُ ال

### المطردات

الضـــــم؛ الجمع .

يدك إلى جناحك، كتَّك تحت عضدك ، وأصل الجناح للطائر ، ثم أطلق على اليد والعضد والجنب ، وهو المراد هنا .

الســــوء: المرش أو البرص.

آيسة أخسرى، معجزة ثانية غير العصا.

م عتره وتجبره.

اشرح في صديري: وسُّعه لتحمُّل أعياء الرسالة.

ويسسرني أمسرى، سهل لى ما أمرتنى به من تبليغ الرسالة .

واحلان مقدة من السائره : أزل ذلك التعقد والحبسة التي في لسائي ؛ لثلا يستخف بي الناس ، ولايستمعوا لكلامي. بعشقه واقدولي ، يفهمه ه .

وزيـــــرا، معينا.

الأثر و القوة ، يقال : أزروه ، أي : قوَّاه وأعانه .

أشركه في أمرىء أجعله شريكا لي في النبوة والرسالة.

المستعمد الماء عليما بأحوالنا ، لا نريد بالطاعة إلا رضاك .

#### تەھىك :

تقحدث الآيات عن معجزة موسى الثانية ، وهى اليد إذا وضعها في جيبه وأخرجها ؛ خرجت كأنها ضوء القمر : ثم دعاء موسى ربه أن يشرح صدره ، وأن ييسر أمره .

لتفسيره

٧ ٧ - وَٱطْهُمْ يَدَكُ إِلَىٰ جَنَاحِكَ لَخَرُجُ بَيْعِبَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوَّءِ وَايَةُ أَخْرَىٰ .

أي : أدخل يدك تحت إبطك ثم أخرجها تخرج بيضاء بياضا مضينًا كضوء الشمس والقمر ، من غير عيب ولا برص .

ءَايَةً أُخْرَى . معجزة ثانية بعد معجزة العصا .

٣ ٣ - لِتُويَكَ مِنْ ءَايَا عِنَا ٱلْكُبُرَى.

كي تشاهد عظيم سلطاننا ، وكامل قدرتنا ، ويديع تصرفنا في ملكوت السماوات والأرض.

٤ ٧ - ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ، طَغَىٰ .

أى : النهب إلى فرعون رسولا ، وادعه إلى عبادتى ، وحذره نقدتى ؛ فإنه قد تجاوز قدره ، وتمرّد على ربّه حتى تجاسر على دعوى الربوبية ؛ وقال : أَنْ رَبُّكُمُ ٱلْأَغُكُىٰ . (النازمات : ٢٤) .

أخرج ابن أبى حاتم : عن وهب بن منبه : أن الله قال لموسى : «انطاق برسالتى ، فإنك بسمعى وعينى، وقد أليستك جُنُّة من سلطانى : لتستكمل بها القوة فى أمرى ، فأنت جند عظيم من جندى ، بعثتك إلى طلق ضعيف من خُنُّقى ، بَشَر نعمتى ، وأمن مكرى ، وغرته الدنها عنى ، فبلغه رسالتى ، وادعه إلى عبادتى ، وتوحيدى وإخلاصى ، وذكره أيامى . وحذَّره من نقمتى وبأسى ، وقال له فيما بين ذلك قولا لينا ! لعله يتذكر أو يخشى» "".

٥٧ ، ٢٩ - قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْدِي ، وَيُسَّرْ لِي أَمْدِي .

أى: دعا موسى ربّه ، حين علم بالمهيّة العظيمة التى سيترجُّ إليها ؛ فإنه كان في مصر وقد شاهد بجبروت فرعون وظلمه ويطشه ؛ فطلب من الله العون فقال: ربّه آشرَح في صَنْرِى . اجعلنى وابط الجأش ؛ حتى لا أخاف سواك ، ولا أرهب غيرك ، فأعطنى الهمّة والعزيمة ، وألهمنى التوفيق والقبول ، واجعلنى محبًّا لتبلغم الرسالة ، وهون على الصُّعب ، ويُسَّر في أُفرى ، اجعل بركتك معى ، وعونك لى ، وسهل على القيام بما تكلفنى به من تبليغ الرسالة : فإن لم تكن أنت عونى ونصيرى ، وعضدى وظهيرى وإلا فلا طاقة لى بذلك .

٧٧ ، ٧٧ - وَٱخْلُلْ عُقْدَةُ مِّن لِّسَانِي هَ يَفْقَهُواْ فَوْلِي .

يسر لى القول والبيان ، واجعل لسائى فصيحا ، وقولى واضحا ؛ حتى يفهمه الأخرون ويستوضحوا معناه وبيناه. روى : أنه كانت بلسانه حبسة تمنعه من الاسترسال في الكلام ؛ وكان هارون عليه السلام هادئ الطبح ، فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، هادئ الأعمىاب ، وكان موسى عليه السلام انفعاليا ، حاد الطبع سريع الانفغال .

٢٩ ، ٢٠ - وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي . هَـُرُونَ أَخِي .

أى : واجعل لى معينا من أهل بيتى ، هارون أخى ؛ ليحمل معى أعباء الرسالة ، ويكون ظهيرا لى عند الشدائد ، وحاول المكاره .

٣١ ، ٣٧ - آشدُد بهِ أَزْرى ، وَأَشْرِكُهُ فِي آَمْرى .

أى : أحكم به قوتى ، واجعله شريكى فى أمر الرسالة ، حتى نتعاون على أدائها ، على الوجه الذي يؤدى إلى أحسن الغايات ، ويرصل إلى للغرض على أجمل السُّبُل .

٣٣ ، ٣٤ - كَيْ لُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَلَذْكُولَكَ كَثِيرًا .

أى: إنى طلبت أن يكون أخى هارون رسولا مدى؛ ليعاوننى فى أداء الرسالة ، وليكون عونا لى فى تسبيحك تسبيحا كثيرا، وذكرك ذكرا كثيرا؛ فالتسبيح والذكر لله اتصال بالملا الأعلى ، واستعانة بمن بيده الخلق والأمر . وذكر الله دواء وشفاء ، وهو سبحانه جليس من ذكره ، ومعين من استعان به ؛ قال تعالى: وآللهُ كَيْرًا وَآللُهُ كَيْرًا وَآللُهُ لَهُم مُنْفِرةً وَأَجْرًا صَفْيهًا . (الأحزاب: ٣٥) .

٣٥ - إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَمِيرًا .

إنك مطلع وشاهد ، عليم بأحوالنا ، وشدة حاجتنا إلى ما طلبناه منك .

﴿ قَالَ قَدْ أُونِيت سُوَّلِكَ يَدُمُوسَىٰ ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّ عَلَيْكَ مَرَّ أُخْرَى ۞ إِذَا وَحَنَا إِلَى الْم أُمِكَ مَا يُوحَى ۞ أَنِ آفَذِ فِيهِ فِي التَّاوُتِ فَآفَذِ فِيهِ فِي ٱلْمِيّرَ فَالْمَاقِمَ السّمَ السّلِ يأُخُدُهُ عَدُولِكَ وَعَدُولَّ أَنَّهُ وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ مَحَمَّنَكَ إِلَى أَمِكَ كَنْ فَقَرْ عَيْنُهُ وَلاَ تَعْرَقُ وَقَنْلَ فَشَافَنَجَيْنَكَ أَدْلُكُرُ عَلَى مَن يَكُفُلُكُمْ فَقُولًا فَلَيْمُ عَنْكَ إِلَى أَمِكَ كَنْقَرُ عَيْنُهُ وَلاَ تَعْرَقُ وَقَنْلَتَ فَفَسَافَنَجَيْنَكَ مِن الفَيِّرَ وَقَنْتَكَ فَلُونًا فَلَيْفَت سِنِينَ فِي آهْلِ مَلْيَنَ ثُمَّ حِثْتَ عَلَى قَدَرٍ يَعُوسَىٰ ۞ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۞ ﴾

#### المطردات

السيسييسوال: بمعنى المسئول ، كالخبر بمعنى المخبور.

مسلسلياء أنسنا.

مــــرة اخـــــرى؛ في وقت آخر غير هذا الوقت.

أوحسيست إلى أمك، ألهمناها ما يكهم مثل: وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلِّي ٱلنَّحْلِ. (النسل: ٦٨).

اقسىده سيسه، ألقيه واطرحيه.

المسيم منا: نهر النيل .

السياحييل، الشاطئ.

ولتصنع على عيني : تربّى وتغذّى بحفظى ورعايتي .

يحكم الساء، يضمه إلى نفسه.

تحصرمينها، تسرُّ.

المستقميم، الكدر الناشئ من خوف شيء أو فوات مقصود.

السفستسون، الابتلاء والاختبار بالوقوع في المحن، ثم تخليصه منها.

مسليسن: بلد بالشام.

جئت صلى قيدر، موعد وقت مقدر الرسالة.

تمهيده

أجاب الله دعاء موسى ، وذكره بنعم الله السابقة عليه في : نجاته من الذبح ، وإلقاء المحبة عليه صغيرا فكل من رآه أحبّه ، والتقاط آل فرعون له ، ورجوعه إلى أمّه ، وتربيته في بيت فرعون ، وقتله للقيطيً خطأ ، وذهابه إلى أرض مدين عشر سنين ثم عوبته ؛ على تقدير من الله لتلقى الرسالة .

#### التفسيره

٣٦ - قَالَ قَدْ أُولِيتَ شُؤْلَكَ يَلْمُوسَىٰ .

في جملة واحدة أجاب الله دعاءه في جميع ما طلب متفضلا ، متحننا ، كريما ، مجيبا . أي : قال الله لموسى : قد أعطيتك جميع ما سألتني عنه من : شرح صدرك ، وتيسير أمرك ، وحل عقدة لسانك ، وجعل أخيك هارون وزيرا لك ، وبند أزرك به ، وإشراكه في الرسالة معك .

٣٧ - وَلَقَدْ مُنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أَخْرَى .

تغضلنا عليك بالنعم والمنن والرعاية والعناية : بدون سؤال ، ومن يُعطى بدون سؤال ، ويكلمك كفاحًا بدون حجاب ، ويرعاك صغيرا ، وينجيك من المهالك ، وييسر لك الرعاية والزواج والدفء : أيضن عليك بإجابة ما تطلبه من أجل نجاح الرسالة والدعوة ؟!

٣٨ - إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمُّكَ مَا يُوحَىٰٓ .

ألهمنا أمك إلهامًا ، وأوقعنا في قلبها عزيمة صادقة ، أن أمثل طريقة لنجاتك من فرعون وجنويه ؛ أن تضعك في صندوق .

٣٩ - أن الليهِ فِي الثابُوتِ فَالْفِيهِ فِي النَّهُ فَلَيْقِهِ النَّهُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌ لِّي وَعَدُوْ لَدُ وَٱلْفَيْتُ عَلَيْكَ مَمَيَّةً مَّنَى وَلِمُعَنَّهُ عَلَى عَنِي ٓ.

إن عناية الله ومعونته إذا شملت إنسانًا ؛ تهيأ له كل خير.

عناية الله إن تولت ضعيفا تعبت في مراسه الأقهياء

ومن هذه العناية إلهام الأم في وقت الشدّة والمحنة ، والغوف العظيم ، أن تلقيه في صندوق ، وتلقى الصندوق في نهر النيل ، ويحمله النيل إلى شاطئ البحر ؛ حيث يجلس فرعون وزوجته ، ويطلب فرعون إحضار الصندوق وفتحه ، فإذا طفل رضيع عليه المحبّة من الله ؛ فكل من رآه أحبه ، حتى هذا الطاغية الجبار صاحب الجند والطفيان ؛ يقهره الله بحب الصبى والواوع به ، والبحث له عن مرضعه ؛ وهكذا تجمع يد القدرة خيرط الرعاية لهذا الصبى ، وتجمع بينه وبين أنَّه .

وإذا العناية لاحظنك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مُّنَّى .

ألقى الله محبته على موسى فكل من رآه أحبه ، حتى أحبّه فرعون ، وأحبته امرأة فرعون ، وَقَالَتِ آمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرِّتُ عَيْنَ فَي رَلُكُ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى آنَ يَفَعَنَا أَوْ تُعَجِّلُهُ، وَلَنَا وَهُمُ لاَ يَشْهُونَ نَ. (العسمان: ٩) .

وَ لِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي .

أى: التربى برعايتى وحفظى وحنانى في قصر فرعون وأمام بصره ، وأنت عدوه ، ولكن ألقيت عليك المحبة ؛ فسلبت من فرعون كل عداوة ، ووفر لك كل رعاية .

 ٤ - إذْ تَعْشِينَ أَخْشَكَ فَتُمُولُ هَلُ أَذَلُكُمْ عَلَىٰ مَن يَكَشَلُهُ وَرَجَعَنَكَ إِلَيْ أَشَكَ كُنْ فَقَرْ عَيْهَمَ وَلا تَحْزَنَ وَقَتْلَتَ لَمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَلا تَحْزَنَ وَقَتْلَتَ لَمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَلَهُ لَمَا عَلَيْنَ أَمْ إِلَيْتَ عَلَيْهِ عَلَى اللّهِ وَمَنْ عَلَىٰ قَلْمَ وَقَتْلَكَ كُمْ وَقَلْمَ عَلَيْنَ وَلَهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى إِلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى إِلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْكُ عَنْ وَقَلْ عَلَيْهِ عَلْمَ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلْمُ عَل عَلَيْهِ عَلْ

امتن الله على موسى بالعديد من المنن من بينها ما يأتي :

١ - إلهام أمَّه أن تضعه في مسدوق وأن تضم المسدوق في اليص.

٢ -- إلقاء المعية عليه فكل من رآء أحبُّه .

٣ - توفيق أخته حين تتبعت الصندوق وأرشدت آل فرعون إلى من يرضعه ويرعاه.

عودته إلى أمّه ؛ ليكون قرة عين لها ، وليذهب عنها الحزن .

قتل قبطيا خطأ ثم تاب إلى الله فتاب الله عليه ، ونجاه الله من القتل .

 " حتويض موسى للمحن والشدائد ، وبعد أن كان في قصر الطلك وتعمته يخرج من مصر خائفا يترقب : ويؤجِّر نفسه عشر سنين ، ويميش غريبا .

٧ - عودته وحنينه إلى مصر؛ ليكون على موعد مع القدر الإلهي؛ حيث يتحمل الرسالة والنبوة.

١ ﴾ - وَٱصْطَنْعُتُكَ لِنَفْسِي .

اخترتك لرسالتي وبنوتي وتبليغ دعوتي ، وجعلتك خالصا مظمما لهذه الرسالة ، وجعلتك واسطة بيني وبين خلقي في تبليغ الدين ، وهدايتهم إلى التوحيد والشرع القويم ، وجعلتك من خواصلي ، واصطفيتك برسالاتي ويكلامي ، وصرفت عنك الدنيا ، فلم بعد لك فيها شيء ، وإنما صارت همتك في هذه الرسالة ، وتحمل تبعاتها ، والصبر على الكفاح من أجلها . حتى صرت من أولى العزم من الرسل ، قال تعالى : فاصر كُمّا صَبِرُ أُولُوا أَأْمُومْ مِنْ الرَّسُل ... (الأحقاف : ٢٠) .

\* \* \*

﴿ أَذَهَبَ أَنْ وَأَخُوكَ بِتَانِقِ وَلاَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ أَذْهَبَا إِلَى فِرَعُوْنَ اِلْتُمْطَغَيٰ۞ فَقُولا لَهُ فَوَّلاً لَيْنَا لَمَلَهُ رِتَذَكَّرُ أَوْيَغَشَىٰ ۞ قَالارَبَّنَا إِنَّنَا خَافُ أَن يَقُرُكُمْ عَلَيْنَا أَوَأَن يَطْغَىٰ ۞ قَالَ لاَ تَعَنَافًا إِنَّا إِنَّهُ مَعَكُمُا أَسْمَعُ وَأَرْعَ ۞ فَأْنِياهُ فَقُولًا إِنَّارِسُولارَيِكَ فَأْرْسِلْ مَعَنَا بَنِ اللهِ فَعَلَى وَلَا تُعَلِيْهُمُ قَدْ حِثْنَكَ مِنَا يَقِي وَلَيْكُ وَالسَّلَمُ عَلَى مِنْ أَنَّكَ أَلْمُكَ اللهِ اللهُ المَّالِمُ عَلَى مِنْ أَنْسَعُ أَلْمُكَةً ۞ إِنَّا لَا اللهُ الْمُعَلَى مِنْ أَنْسَعُ أَلْمُكَةً ۞ ﴾

#### المضردات،

الأي ... الله البيضاء . والمراد بها : العصاء واليد البيضاء .

ولاتستسيسا، لا تفترا ولا تقصرا.

طــــهــــى، تجاوز الحدّ.

قسولا لسيستساء لا عنف فيه ولا غلظة.

يستسلاكسر : يتأمل فيذعن للحق ويؤمن .

يسم وعدايه .

يست في سرط، يعجل في العقوبة، من قولهم: فرس فارط؛ إذا كان سباقنا للخيل.

يصطفين، يزداد طفيانا.

سمع وارى: أسمع وأرى ما يجرى بينكما من قول أو فعل .

هـــاتـــيــــاه ، قابلاه وجها لوجه .

فأرسل معنا بني إسرائيل: فأطُّلقهم من الأسر.

ولاتسعساب سهسم، لا تبقهم على ما هم عليه من العذاب والتسخير.

والسلام على من النج الهدى: السلامة من العذاب لمن صدق بأيات الله ، الهادية إلى الحق .

ت وا ي اعرض . ت وا ي اعرض .

التفسيره

٢ ٤ - ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِقَايَلْتِي وَلا تَبِيّا فِي ذِكْرِي .

يفيد السياق السابق: أن المناجاة قد انتهت ، وأن الله قد استجاب لموسى دعامه ، وأنزل الرسالة على هارون ، وأمره أن ينضم إلى موسى في رسالتهما إلى فرعون ، وهذا من بلاغة القرآن ، أن يترك مساحة في القصة يفهمها السامع .

وخلاصة هذه المساحة: تمت المناجاة ، واتجه موسى إلى مصر ، وأوحى الله إلى هارون أن يلتقي به ، ثم أرحى اليهما ما يأتى : آذْهَبُ أَلتَ وَأَشُوكُ بِقَائِعِي وَلاَ تَيَا فِي ذِكْرِى ، اذهب يا موسى أنت وأخوك هارون بالرسالة والمعجزة ، واستعينا بذكرى وطاعتى : فإن ذكر الله عون للعيد ، في قضاء مهمته والانتصار على خصمه ، ويمكن أن يطلق الذكر على تبليغ الرسالة ؛ لأنها من أعظم الذكر ، أي : لا تقصرا في تبليغ دعوتي إلى فرعون وقومه .

٣ ٤ - ٱذْهَبَآ إِلَىٰ لِرْعَوْنَ إِنَّهُ، طَلْمَىٰ .

أى: اتَّجها بالرسالة إلى فرعون هإنه قد طغى ويغى وتجاوز الحدُّ وقال: أَنَّا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ. (النازعات: ٢٤).

\$ 2 - فَقُولًا لَهُ، قَوْلًا كُنَّا لَعَلَّهُ, يَعَلَكُرُ أَوْ يَخْشَىٰ .

استعملا معه أسلوب الأدب والملاينة : فإن ذلك أدعى أن يهدهد من كبريائه ، ويحمله على النظر في الدعوة الموجهة إليه تُعَلَّهُ, يَتَذَكَّرُ . ربَّه و شالقه فيكفَّ عن الكفر والتكذيب ، أَوْ يَخْشَىٰ . من وقوع عذاب الله له فيؤمن بالرسالة .

وقد شرح القرأن الكريم أسلوب الدعوة إلى الله ، وحت على أن تكون بالحكمة والهدوء واللين ، والموعظة العسنة التي ترقق القلب وتقوده إلى الحق، قال تعالى: أَدْعُ إِلَىٰ سَبِهارٍ رُبُّكَ بِٱلْمَوْحِفْدَةِ ٱلْمُحَسَدَةِ وَجَندَلُهُم بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ ... (النحل: ١٣٥) . وقال سبحانه هي آيات أخرى : آذَهَبُ إَلَىٰ فِرْعُونَ إِنَّهُ طَغَيْ هَ فَقُلُ هَلَ لَكَ إِنَّيْ أَنْ تَوَكَّىٰ و وَأَهْلِيَكَ إِلَىٰ رَبُّكَ تُعَخَّسُ . (النازعات: ١٧ – ١٩) . أي : هل لك يا فرعون إلى طريق يزكّيك . ويطهرك ويعلى شأنك ؟ وأننا أقدم لك الهداية إلى الله : رجاء أن تخشى عقابه وتطمع في رحمته .

# ه £ - قَالَا رَبُّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقُرُطُ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفَىٰ .

أي : قال موسى وهارون : ربنا وخالقنا ، إننا نخاف من فرعون ، أن يعجل بعقوبتنا قبل أن يشاهد الآيات . يقال فرط فلان يفرط : إنا عاجل الآخر بالعقوبة ، وأذاه بدون تمهل . ومنه قولهم : فرس فارط ، أي: سابق لغيره من الخيل .

أَوْ أَنْ يُطْفَىٰ. يعتدى ويتجاوز الحد، فيقول في حقك يا ربنا مالا نريد أن نسمعه ويقول في حقنا ما نحن براء منه، ويفعل معنا ما يؤذينا.

# \* \$ - قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّنِي مَعَكُمًا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ .

أى: لا تخافا من فرعون ، فإن ناصيته بيدى ، وأنا معكما بمعونتى وعونى ، أسمع كلامكما ، وأرى حواركما ، وسأمنحكما معونتى وحفظى ، ونصرى ومهابتى وتأييدى .

و الخلاصة : نست بفاقل عنكما ، وإنى سأنعل ما يؤدى إلى حفظكما ونصركما عليه ، فلا تأبها به ، ولا تهتما بأمره .

٧٤ – فَأَثِيَاهُ فَقُولًا إِنَّا رَسُولًا رَبَّكَ فَأَرْسِلْ مَثَنَا يَنِيَ إِسْرَ أَمِيلَ وَلَا تَعَدَّبُهُمْ فَذَ خِنَنْكَ بِعَايَةٍ مِّن رُبُّكَ وَٱلسَّلَلَمُ عَلَىٰ مَن آتَمَعَ ٱلْهُدَعَ .

أى: انهبا إلى فرعون وقابلاه وجها لوجه ، وقولا له: إِنَّا رُسُولًا رَبُّكَ . أرسلنا الله إليك بالرسالة وهو رينا ورّيك ، ولا رب سواه ، فدعوك الربوبية دعوى باطلة .

فَّأَرْسِلْ مَثَمَا بَيْنِ إِسْ "وَبِلُ وَلَا تُعَدِّبُهُمْ" . أَى : أطلق سراح بنى إسرائيل ، وأرقف عذابهم ؛ حيث كان يقتل الذكور منهم ويستحيى الإناث ، ويسخرهم الأقباط في الأعمال الشاقة كالحفر والبناء .

قَدْ جِنْنَكَ بِعَايَةٍ مِّن رَّبِّكَ . والمراد بالآية : الجنس فيشمل اليد والعصا وغير ذلك من الآيات .

وَ ٱلسَّلَمُ عَلَىٰ مَنِ أَتَّمَ ٱلْهُدَىٰٓ . والسلامة والأمن من العذاب في الدنيا والآخرة : على من اتبع رسل ربه وآمن بآياته ، واهتدى بها إلى الحق . قال الرجاح : أي : من التبع الهدى ؛ سلم من سخط الله وعذابه ، وليس بتحية ، والدليل على ذلك أنه ليس بارتداء لقاء ولا خطاب . 1 هـ .

ويمثل هذا كتب رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم ، قال: «بسم الله الرحمان الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم ، تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين: ٢٠٠١.

وفي هذا ترغيب في التصديق على أتم رجوهه ؛ بأسلوب حكيم ليُن فيه الموعظة العسنة ، والتبشير والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن ، وما أجمل طريقة القرآن ، في دعوة الطفاة بالقول اللين ؛ تأليفا للقلوب ، وتيسيرا للاستجابة .

# ٨٤ - إِنَّا لَلْدُ أُوحِى إِلَيْنَا أَنَّ الْقلابَ عَلَىٰ مَن كَدَّبَ وَتُولَّىٰ .

تأتى هذه الآية تصديرا وإندارًا لفرعون رمعناها : أن الله قد أوحى إلينا في الرسالة التي أرسلنا بها: أن الله قد أوحى إلينا في الرسالة التي أرسلنا بها: أن المعذاب الدنيوى والأخروى لمن كذب بالرسل وأعرض عن هدايات السماء . وفي معنى هذه الآية يقول الله تمالى : فَأَمَّا مَنْ ظَعَلَى هُ وَكَاتُلُ الْمُوَعِمُ مَنْ اللَّهُوعِمُ مَنْ اللَّهُوعُ مِنْ اللَّهُوعُ مَنْ اللَّهُوعُ مَنْ اللَّهُوعُ مِنْ مِنْ اللَّهُوعُ مِنْ اللَّهُوعُ مِنْ اللَّهُوعُ مِنْ أَلَامُوعُ مِنْ أَلْمُوعُ مِنْ مُعْمَالِكُوعُ مِنْ اللَّهُوعُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُوعُ مِنْ أَلَّهُمُ مِنْ أَلَّامُ مُنْ أَلَّهُ مِنْ أَلَّهُمُ مِنْ أَلِيْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ أَلَامُ مُنْ أَلَّهُمُ مِنْ أَلِمُوعُ مُنْ أَلِّهُمُ مِنْ أَلَامُ مُنْ أَلَّهُمُ مِنْ أَلَامُ مُنْ مُنْ أَلَّهُمُ مِنْ أَلَامُ مُنْ أَلَّهُمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ مِنْ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُوعُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مِنْ اللَّهُمُ مُنْ أَلَامُ مُنْ مُنْ أَلَامُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلَّهُمُ مُنْ أَلَّهُمُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلَّهُمُ مُنْ أَلِمُ مُنْ أَلَّهُمُ مُنْ أَلِمُ مُنْ

# قال ابن كثير:

ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . أي : كذب بقلبه ، وتولَّى بفعله .

﴿ قَالَ فَمَن زَيْكُمُ اينمُومَى ۞ قَالَ رَبُّا ٱلَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءِ خَلَقَهُ مُمَّ هَدَىٰ ۞ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْفُرُونِ ٱلْأُولِيَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى الْ

#### المطردات :

أعطى كل شيء خلقه، أى : وجوده والصورة التي تناسبه ، والشكل الذي يشاكل ما نيط به من الخواص والمنافع ، مثل العين والأذن والليد والرجل للإنسان .

شسم هسسدى، ثم عرفه كيف يرتفق ويستفيد بما أعطى له.

السمسايسان: فما حال؟

فسسى كستساب؛ في دفتر مقيد فيه ، والمراد بذلك : كمال علمه ، الذي لا يضيم منه شيء .

فسسل الشسسيء؛ أخطأه ولم يهتد إليه.

وتسبب يستسه، ذهب عنه ولم يخطر بهاله.

الهسسسسد؛ ما يمهد للصبي ويقرش له ، أي : جعل الأرض كالمهد .

السير أي: طريق.

أزواجسسساء أصنافا.

شــــــــــــــــــــــــــــــــــ واحدها: شتيت ، كمريض ومرضى ، أي : مختلفة النفع والطعم واللون والشكل .

لأيــــات: لدلالات.

السنسهسى: واحدها: تُهية (بالضم) وهى العقل ، سمَّى بها ؛ لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح. تُفهيك :

تحكى الآيات القادمة: الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام هو وهارون من جهة ، وفرعون من جهة أخرى .

التفسيره

4 \$ - قَالَ فَمَن رَاكُمَا يَنْمُوسَى .

أى: قال فرعون لموسى وهارون: من ريكما يا موسى؟

ولم تذكر السورة كيف وصلا إليه ؛ لأن القرآن لا يهتم بجزئيات الأحداث التي لا تتوقف عليها العبر والعظات : إنما يهتم بذكر الجوهر واللباب من الأحداث .

فَمَن رَبُّكُمُ اَيْسُوسَىٰ . أي: فعن هذا الرب الذي أرسلكما يا موسى ، وقد جعل الخطاب هذا لموسى ؛ لظنه أن موسى هو الأميل ، وأن هارون هر وزيره ومعاونه .

٥ - قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَغْطَىٰ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَةً، ثُمُّ هَدَىٰ .

أى: أعطى كل شىء فى الكون خَلَقَهُ . أى: شكله وصورته التى تناسب الانتفاع به ؛ فالسماء والأرض والبحار والجبال ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسحاب والرمال ، والنجوم والشجر ، والإنسان والدواب ، والنبات وسائر المطوقات: خلقها الله على صورة تناسب الانتفاع بها .

ثُمَّ هَلَىٰى . ثم ألهم الله المحلوقات للانتفاع بما أعطاها الله ؛ فالإنسان مثلا هداه الله إلى الانتفاع بالعين والأذن والعقل ...

و خلاصة هذا : ربنا الذي خلق كل شيء على الوجه الذي يليق ؛ بما قدر له من المنافع والخواص ، وأرشده كيف ينتفع بما خلق له ، وجعل ذلك دليلا على وجوده ، وعظيم جوده ، وكأنه يقول : إن ذلك المالق والهادي هو الله .

١ ٥ - قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلأُولَىٰ .

أى: فما حال القرون الماضية كعاد وثمود، والذين لم يعبدوا الله بل عبدوا غيره؟

فأجاب موسى:

٢ ه - قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَلْبِ إِلَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى .

أى : إن هذه الأمم أفضت إلى ربها ، وهو سبحانه علاَم الغيوب سجَّل كل شيء وكتبه ، كما قال سبحانه : هَلَهُا كِتَلْبًا يَعلِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَق إِنَّا كُنَّا لَسَتَسِخُ مَا كُتُمُ تَقْمُلُونَ . (الجانية : ٢٩) .

لا يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى .

لا يخطئ ربى في علمه ولا تخفى عليه خافيه فإنه سيحانه أحاط بكل شيء علما .

وَلاَ يَنسَى.

أى : لا ينسى شيئا ولا يقوته ولا يزول علمه عن أي شيء.

لقد حاول فرعون أن يصرف موسى ، إلى الحديث عن القرون الماضية ، التي هلكت ولم تعبد ربها ، وهل لله معرفة بهذا الماضى السحيق ، الضارب فى القدم ، وكان جواب موسى مختصرا وواضحا : إن علم ذلك إلى الله .

لا يَضِلُ رَبِّي وَلاَ يَسَى .

أى: لا يخطئ ربى ، ولا ينيب عن علمه شيء منها .

٣٥ - ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَلزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءَ مَاءُ فَاخْرَجْنَا بِهِ أَزُوا جُا مِّن ثُبَاتٍ شَقَّىٰ.

تشتمل هذه الآية على أربع نعم يشاهدها الناس في كل مكان ، خصوصا في أرض مصر حيث يمتد النبل ، وحوله الأرض الزراعية ، وكان الأولى بقرعون أن يشكر ربه ، ويعرف قضله ، بدلا من الجمود والكفران .

ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ مَهْدًا.

جعل الأرض كالمهد للطفل يحوطه ويحافظ عليه ، وكذلك الكبار يمتهدون الأرض ويستقرون عليها ، وينامون ويسافرون على ظهرها .

وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً.

أى : جعل لكم في الأرض طرقا بين الجبال والأودية ؛ تسلكونها من قطر إلى قطر ، لقضاء مآريكم ، ونحر الآية قوله تعالى : وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً تُعَلَّهُم مُهَنَّدُونَ . (الأنبياء : ٢٦) .

وَأَلزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْواجًا مِّن ثَبَاتٍ شَعَّىٰ .

في هذه الآية تحوُّل من الغيبة إلى النكلم ، تنويعا للكلام وتفخيما لفضل الرحمان ؛ فقد أنزل الله سبحانه المطرحيث ساق السحاب وأنزل المطر.

فَاحْرَجْنَا بِهِ أَزُو اجًا مِّن نَّبَاتٍ شَعَّىٰ .

أى : أخرج الله بالمحلر ألواننا وأنواعا من النبات ؛ متعددة الألوان والأشكال والطعوم ، فهذا حلو وهذا حامض وهذا مُثرُّ . وهذا النبات أزواج ؛ منه الذكر والأنثى . قال تعالى : سُبْحَنْنَ ٱلَّذِي حَلَقَ ٱلأَزُّوَّ اجَ كُلُهَا مِهًا تُبِيّتُ آلاَرْضُ وَمِنْ أَلْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يُقَلَّمُونَ . (يس : ٣٠) .

وهذا التكامل في الخلق آية تدل على كمال القدرة ، فالإنسان والنبات والحيوان ، والكون كله أزواج ؛

فالسماء والأرض ، والسحاب سالب وموجب ، والشمس والقمر ، والأرض والجبال ، والكواكب والأقلاك

والأبراج ، حتى نجم الشعرى الكبير الهائل العظيم السرعة ؛ يسير بجواره نجم قزم يلازمه في مداره ، قال

تمال : وَالْكُومُ مُنْ النَّمُ مُنْ النَّجِيدَ ؛ ٤٤) .

وكان العرب يعبدونها من دون الله ؛ فبين القرآن أن الله هو المستحق للعبادة ؛ دون سواه .

وقد ورد مثل هذه المعانى هى أوائل سورة الرعد ، قال تعالى : وُهُوَ ٱلَّذِي مَدُّ ٱلْأَوْضُ وَجَعَلُ فِيهَا رَوْاسِيَ وَأَنْهَذُوا وَمِن كُلُّ ٱلْفُمَرَ اسْ جَعَلَ لِيهَا وَوْجَسُ آلَيْنَ يُفْقِى ٱلْيُلَ ٱللّهَارَ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَاتُ ٱلْقَرْمِ يَتَعَكُّرُونَ • وَفِي ٱلأَرْضِ قَلَعٌ تُسْتَطْبِوَرَاتٌ وَجَنَّتَ مِّنْ أَخَدَابٍ وَزَعٌ وَمَعِلَ مِنْوَانَ وَهُنُو مِنْوَانِ يُسْتَعَىٰ بِعَامِ فِي آلِكُنُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَنْتِ أَقْفَلَ مِنْفِلُونَ • (الدعد : ٢٠ ٤) .

# • كُلُواْ وَآزَعَوْاْ أَتَعَلَمُمُ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَلَتِ الْأُولِي ٱلنَّهَىٰ .

أى : كلوا من هذه النباتات ، ومن خيرات الأرض المختلفة ، واتركوا أنعامكم ترعى أيضًا لتستغيد ؛ وتستغيدون بها ، إن في ذلك – أى : النَّم المذكورة السابقة – تمهيد الأرض ، ووجود الطرق ، ونزول المطر، وإنبات النبات أزواجا ؛ يستغيد منها الإنسان والحيران .

في هذه النعم آيات ودلائل على عظيم قدرة الإله الخالق ، لأصحاب العقول .

وقريب من هذه الآيات قوله تعالى : فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ إِلْىٰ طَعَامِهِ وَأَنْ صَبَيْنَا ٱلْمَاءَ صَبَّا ، فَمُ شَقَفَا ٱلأَرْضُ شَقًا ، فَالْبُنْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِيْنًا وَمُشَاءً وَزَيْعُونًا وَنَخَلًا مِ وَخَلَاقِيَّ غَلَمًا » وَلَلْكَهَةً وَأَنْهَا فَيَعْلَمُ الْكُمْ وَلَأَنْفَدِكُمْ . (مبس ٢٤ - ٢٣)

٥٥ - مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةٌ أُخْرَىٰ .

من هذه الأرض خلقنا أباكم آدم، وأنتم تبع له وفرع عنه، وإلى الأرض تعودون عند موتكم ! فتدفنون

فيها ، وتستقر فيها أجسامكم ، ومن الأرض نخرجكم مرة أخرى للحساب والجزاء . وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : قَالَ فِيهَا كَحَيُّونُ وَفِيهَا تَعُرُّونُ وَمِثَهَا لَتُوَرِّحُونَ . (الأعراف : ٢٥) .

أخرج أحمد والحاكم عن أبى أمامة قال: لما وضعت أمّ كثلوم بنت رسول الله ﷺ فى القبر قال رسول الله ﷺ: «منها خلقتاكم ، وفيها تعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ، بسم الله ، وفى سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله» .

\* \* \*

# ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَهُ ۚ اَيَنِنَا كُلُّهَا فَكُذَّبَ وَأَيْ ۞ قَالَ أَجِمْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا مِسِحْرِكَ يَنْمُوسَىٰ ۞ فَلَنَـأْنِيَنَكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ قَلْجَعَلْ يَنْنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَانْغْلِفُهُ ، غَنُ وَكَآنَتُ مَكَانَا شُوكِي ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ بَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَنْ يُشْمَرُ لَانَاسُ شَحَى ۞ ﴾

#### المطردات و

أيــــاء امتنع.

مـــوصـــنا، ميعادًا معينا.

سُـــوى؛ مستويا لا جبال فيه ولا وهاد بحيث يستر النظارة.

يسوم السريستسة ، يوم عيد لهم .

يحشرالناس: يجتمعون.

، الفسيحين وقت ارتفاع النهار.

## التطسير،

٥ ٩ - وَلَقَدْ أَرَيْكُ ءَايَاهِا كُلُّهَا فَكَدُّبَ وَأَيْلَ.

أرينا فرعون سائر الآيات والدلالات : على قدرة الله تعالى ، منها الآيات الكونية في علق هذا الكون : بما فيه من سماء وأرض ، وشمس وقمر ، وإنسان وحيوان ونبات ، رأتنا ألّموت أطفى كُلُّ شَيْع عَلَقَهُ ثُمُّ هَدَى (ط: ٥٠).
أي : أعطى كل كائن في الكون خلقه ووجوده ثم هداه إلى أداء وظيفته ، وأراه موسى الهد والعصا : لكن فرعون كنب بهذه الآيات ، ولم يصدق بها ، وأبى وأعرض عن الإيمان ؛ عتوا وعتادًا. قال تعالى : وَجَعَدُواْ بِهَا وَآسَتُهُتُنَهُا أَضُسُهُمْ ظُلُمًا وَخُلُواً ، (النمل : ١٤).

٧٥ - قَالَ أَجِئْتُنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِخْرِكَ يَلْمُوسَىٰ.

أى: قال فرعون ساخرا من موسى ، مستنكرا عليه دعوته: أجنتنا بعد ما غيت عنا عشر سنين ، ثم ظهرت بيننا مدعيا : أتك رسول ليتبعك الناس ، فتكافرنا يهم ، وتستولى على الأرض والملك : بسبب أنك قدّمت لنا أعمالا من أعمال السحر هما : اليد والعما !

٨٥ - فَلَنَأْتِيَنُكَ بِسِحْرٍ مَّفْلِهِ فَآجَعَلْ يَنَنَا وَيَنَكَ مَوْعِدًا لا نُخِلْفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا شُوى .

سنقابل سحرك بسحر مماثل ، فحدد يومًا محددًا : لا نتخلف عنه نحن ولا أنت ، وحدد مكانا مستويا لا ارتفاع فيه ولا انخفاض ؛ حتى لا يحرم أحد الجالسين من المشاهدة . وهنا نلاحظ أن فرعون يظهر رياطة المأهر ، والاطمئنان إلى أن نتيجة المبارزة ستكون لصالصه .

٩٥ – قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحَّى .

قال موسى : هذا الميماد هو يوم العيد حيث كان الناس يتزينون ويلبسون أحسن الثياب ، وأن يجتمع الناس لمشاهدة المهارزة شُخَى . وقت ارتفاع النهار ، وقبل الظهر واشتداد الحرارة .

قيل : يرم الزينة هو عيد النيروز، وقيل : هو يوم عاشورام.

\* \* \*

﴿ فَتَوَلَىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ مُّمَا أَنَ ۞ فَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفَارُواْ عَلَ الله مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفَارُواْ عَلَ اللهِ كَذِهُ فَيُسْرَعُواْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَلَلْمُ اللهِ كَانِ اللهِ عَلَىٰ اللهِ فَيُسْرَعُواْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَلَانِ لَسَحِرَنِ بُرِيدَانِ أَن يُحْرِعَاكُم مِنْ أَرْضِكُم فِي اللهِ عَلَىٰ اللهُ الله

المفردات ،

فتولي فسرعون والنصرف عن المجلس.

المسمود أتى الموعد ومعه ما جمعه من الأعوان والسحرة.

ويسطسكسم، ملاك اكم.

الافيتان، الاختلاق والكذب.

يسحتكم بمذاب، يستأصلكم ويهلككم بعذاب شديد.

فكنبازعبواء فتفارضوا وتشاوروا

وأسروا الستنجوي، بالغوافي إخفاء كلامهم.

بطريقتكم الثلي، بمذهبكم الذي أنتم عليه وهو أفضل المذاهب وأمثلها .

فأجمعوا كيدكم ؛ أجعلوا كيدكم مجمعا عليه .

مستقاد مصطفين ؛ لأنه أهيب للصدور .

المسلسع، فاز بالمطلوب.

استنسلني، غلب.

#### تقهيده

تفيد الآيات: جهد فرعون في جمع السحرة مع آلاتها ؛ وأن موسى وجَّه نصيحته للسحرة داعيًا لهم إلى الإيمان بالله ؛ وحدرهم عقاب الله الشديد للمفترين ، بيد أن السحرة قاوموا هذه النصيحة ، واتفقوا سرًا بهنهم قائلين : إن لنا منزلة ونظامًا ينبغي أن نحافظ عليه ، وأن نقف في وجه موسى وهارون ؛ صفًا واحدًا.

## التطسب

١٠ - فَتُوَلِّيٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ. ثُمَّ أَنِّيٰ .

أى انصرف فرعون من المجلس ليعد خطة منظمة ؛ يجمع بها السحرة من سائر المملكة ؛ ومعهم آلاتهم ومعه العُثَّة المعنوية ؛ والحماس ليوم اللقاء .

وهى سودة الشعواء : قَالَوْا أَزْحِهُ وَأَحَاهُ وَآبَعَتْ فِي آلْهَمَا إِن حَاشِوِينَ ، يَأْتُوكَ بِكُلُّ سَحَّادٍ عَلِيهِم ، فَجُعِمَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاسَةِ يَوْمِ مُثْلُومٍ ، وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلَ أَشَمْ مُجْعِمُونَ ، فَلَمَّنَا تَشِعُ ٱلسَّحَرَةُ فَال لِفِرْعَوْنَ أَنِنْ لَنَا فُجْرًا إِن كُنَّا مَحْنُ ٱلْفَلِينَ ، فَالْنَ نَمْمُ وَالْنَكُمْ إِذَا لَعِنَ ٱلْفُقِينَ . (الشدرة : ٣٠ – ٤٢)

٦١ – قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتُرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَائِبًا فَيُسْجِتكُم بَعَلَىابٍ وَقَدْ خَابَ مَن ٱلْتَرَىٰ .

قال موسى للسحرة: إنى رسول من عند الله ، وما أيدنى الله به معجزة ، وليس سحرًا ؛ فلا تكذبوا

و تنتلقوا الكتب ؛ وتزعموا أن ما أفعله سحرًا ؛ فيستأصلكم الله بعناب شديد ؛ في الدنيا والآخرة ، وقد خاب وخسر دينه و دنياه من افترى ؛ وبدّل المقيّقة وام يجهر بالصدق .

# ٣٢ - فَتَتَلزَعُواْ أَمْرَهُم يَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ .

بعد أن سمع السحرة نصيحة موسى لهم ، تركت أثرها في بعضهم . روى عن قتادة : أن بعض السحرة قال : إن كان ما جاءنا به موسى سحرًا ؛ فسنظيه ، وإن كان من عند الله ؛ فسيكون له أمر . ويعض السحرة ، سمع كلام موسى ثم قال : ما هذا بقول ساحر . ويعض السحرة أغذ يحثُّ زملامه المترددين ، على منازلةً موسى ، ومغالبته ؛ لاكتساب الجاه والسلطان . ويبدن أن هذا الغريق الأخير كانت له الظهة .

و اختلاصة : أن تصيحة موسى كانت لها أثرها في نقوس بعض السحرة ، ولم يظهر هذا الأثر عمليا ، وإنما ميّد للإيمان فيما بعد .

ونجمل معنى الآية : اختلف السحرة في أمر موسى ، فقال بعضهم : ما هذا بقول ساحر، وأخفوا ذلك عن الناس ، وأخذوا يتناجون سرًّا .

٣٣ - قَالُواْ إِنْ هَلَا ان لَسَلْحِرَ ان يُربِهَ ان أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِخْرِهِمَا وَيَلْحَبَا بِطْرِيقَتِكُمُ ٱلْمُلْلَىٰ.

أي: قال السحرة بعضهم لبعض: إن موسى وهارون ساحران ، يريدان أن يحتلا منزلة عالية ، ومكانًا معتازًا في أرض مصر ، وينشران دينهما بدعوى الرسالة ، ويضيع دين المصريين الحالى ، وهو أمثل الأديان وأفضلها .

## قال الزعشرى :

فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره ؛ خوفًا من غلبة موسى وهارون لهما ، وتلبيطا للناس من اتباعهما .

وقرأ المدنيون والكوفيون: إِنَّ هَنْهُ أَنْ لُسَلِّحُو أَنْ . بِتَشْدِيد حَرَفَ النَّونْ .

## قال القرطبي :

والعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة سقة أقوال منها: الأول: أنها لغة بنى الحارث بن كعب وزبيد وخثعم ، يجعلون رفع المثنى ونصبه وخفضه الألف (أو يلزمون المثنى الألف) وهذا القول من أحسن ما حسلت عليه الآية . أ هـ . ومن أراد المزيد قليرجع إلى تفسير القرطبي . ع ٣ - فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ آثُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلَّيْوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ .

فأحكنرا سحركم وترابطوا وتعاونوا ، ثم انتوا مصطفين مجتمعين ، وألقوا ما في أيديكم دفعة واحدة: لتبهروا الأبصار ، وتعظم هيبتكم لدى النظارة في هذا المشهد الحافل .

وَقَدْ أَقْلَحَ ٱلْيُوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ .

وقد فاز في هذا اليوم من غلب ؛ فالسحرة يتناجون لتأكيد عزمهم على النصر ؛ خصوصا أن فرعون قد وعدهم بالأجر والهدايا ؛ والمنن والعطايا .

+ + -

﴿ قَالُواْ يَعْمُومَنَ إِمَّا أَن تُلْقِى وَإِمَّا أَن تَكُونَ أَوَلَ مَنْ أَلْقَى ۞ قَالَ بَلْ اَلْقُواْ فَإِذَا حِمَا لَمُمُمُ وَعِصِيْهُمْ مِنْكُلْ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَهَا تَسَعَى ۞ فَأَوْحَس فِي نَفْسِهِ وَخِفةَ مُوسَى ۞ فَلْمَا لاَ تَخْفَ إِنَّكَ أَلْتَ الْأَعْلَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ مَا مَنْكُمْ اللَّيْ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا أَلْقِي السَّحْرَةُ شُجَّدًا قَالُواْ اَمْنَا بِرَبِ هَرُونَ وَمُوسَى ۞ فَلْمَا وَاللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مَا أَلْقِي السَّحْرَةُ شُجَّدًا قَالُواْ امْنَا بِرَبِ هَرُونَ وَمُوسَى ۞ قَالُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْكُولُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ الْعُلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

المفردات :

إيسجاس الخوف: الإحساس بشيء منه .

ما في يميئك، هي العصاء وأبهمها؛ تفخيما لشأنها.

تا قد، تبتلع بقوة وسرعة.

مستسعسواء زوروا وافتعلوا.

كيد ساحر: كيد سحرى لا حقيقة له ولا ثبات.

مسحث أتساكان.

عسبيركسم، زعيمكم ومعلمكم.

مــــن هـــــلاف، من حال مختلفة ، فتقطع الأيدي اليمني ، والأرجل اليسري .

أشهد عبدايساء أدوم.

د\_\_\_\_\_ د ختارك ، نفضلك ونختارك .

ف ما رئا: ابتدعنا وأوجدنا من العدم.

المساقض: فاحكم.

مسنسات مسدن، جنات أعدت للإقامة.

مسن تعتبها، من تحت غرفها.

#### تقصده

تبين الآيات: موقف السحرة ، حين خيرًوا موسى بين أن يلقى بسحره ، وبين أن يبدءوا هم ، فطلب منهم البدء فألقوا حيالا وعصيا ، صارت تتحرك وتثير الرهبة والإكبار في عين من رآها ، حتى موسى عليه السلام ترجس خيفة من هول ما رأى ، لكن الله جلّت قدرته سدد خطاه وثبته ، وأمره أن يلْقى عصاه ، فألقى موسى للعصا فابتعلت حبال السحرة ، وهنأ أيتن السحرة أن عمل موسى ليس سحرًا ، بل هر معجزة من عند الله ، فخروا ساجدين ، قاتلين : وَاثنًا برُبُّ فَارُونَ وَمُوسَى رتهدهم قرعون بالعذاب الشديد ، فلم يعترددرا في إيمانهم ؛ بل أصروا عليه مختارين الإيمان والنجاة في الأخرة على كل متع الدنيا .

#### التفسير،

# ٩٥ - فَالُواْ يَلْمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِي وَإِمَّا أَن نُكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ .

قال السحرة لموسى: لك أن تحقار: إما أن تلقى أعمالك أولاً ، أو أن نلقى نحن أعمالنا أولا ، وهذا من بالإنصاف معه ، أو من باب الثقة فى أنفسهم ، لكن موسى طلب منهم أن يبدءوا هم بإلقاء ما معهم ؛ من يسمح لهم بإظهار سحرهم وكيدهم وفنهم ، وكل ما يملكون من عمل ، ثم يأتى بعد ذلك دور المعجزة ، بأز تُقْلِفُ وَلَمِنَ مَنْ ذَكُ وَلَرَا مَنْ ذَرَاهِنَّ ... (الأنبياء: ١٨).

٢٦ - قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيتُهُمْ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْوِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ.

سمح لهم موسى أن يبدءوا هم بإلقاء عملهم : فألقى كل ساحر عصاً وحبلاً ، وكانوا جمعاً غفيرا ، وكانوا قد أودعوا الزئبق داخل الحبال والعصى ، فكانت تتحرك ويركب بعضها بعضًا : وأثر هذا المنظر في عيون الناس بالرهبة والإكبار : وخاف موسى عليه السلام من هول ما رأى ؛ لكنه حبس خوفه داخل نفسه؛ ولم يظهره أمام الناس ، وفي موضع آخر يقول القرآن الكريم : فَلَكَا أَلْقُواْ سَحُرُواْ أَقْيَنُ آلْنَاسِ وَٱسْتَر هَبُوهُمْ وَجَآمُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ . (الأعراف : ١٦١) .

وتفيد : أن السحرة قدموا عملا هائلا ، وسحرا ممتازا ، يمقياس أهل السحر ، لكن شتان ما بين السحر والممجزة .

٩٧ - فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ عِيفَةٌ مُوسَىٰ .

أى : أوجس بشيء من الخوف داخل نفسه ؛ حين فوجيء بذلك على مقتضى الطبيعة البشرية .

٨٨ - قُلْنَا لَا تَحَفَ إِلَّكَ أَلِتَ ٱلأَعْلَىٰ .

قلنا له : هدئ روعك ؛ فإن النصر سيكون لك في النهاية .

٢٩ - وَأَلْقِ مِنا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنْعُواْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَنجِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى .

أى : ألق عصاك تبتلع حبال السحرة ، فهذه أفعال سحرة ؛ تدريوا طويلا ، ومارسوا أعمال السحرة كثيرا ؛ حتى صاروا مهرة في السحر ، والساحر لا يقلح ولا يفوز ، أينما كان وهيثما أقبل وأنى اتجه .

## قال ابن كثير:

لما ألقى موسى العصا صارت ثعبانًا عظيمًا هائلاً ، ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس ، فجعلت تتّبع تلك المبال والعصى ، حتى لم تبق شيئا إلا ابتلعته ، والناس ينظرون إلى ذلك عيانًا نهارًا ، فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه : علموا علم اليقين أن هذا ليس من قبيل السحر والحيل ، وأنه حق لا مرية فيه ، فعند ذلك وقعوا سجدًا لله ، فقامت المعجزة ، واتضع البرهان ، ووقع الحق ويطل السحر.

قال ابن عباس : كانوا أول النهار سعرة ، وآخر النهار شهداء بررة .

٧ -- فَأَلْقِي ٱلسَّحَرَةُ سُجِّدًا فَالُواْ عَامَنَا بِرَبَّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ.

أى: ألقى موسى عصاه فابتلعت أعمال السحرة : فقر السحرة حينكذ سجدًا الله رب العالمين ، لما رأوا من الآية الباهرة.

قال الز مخشري في تفسير الكشاف:

سبحان الله ، ما أعجب أمرهم ، قد ألقوا حبالهم وعصيّهم للكفر والجحود ، ثم ألقوا رم سهم بعد ساعة للشكر والسجود ، ا هـ.

روى: أنّ رئيسهم قبال: كنا نظب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا ، فلو كان هذا سحرا ؛ فأين الذي القيناء ، فاستدلوا بتغير أحوال الأجسام : على وجود الصانح القادر ، ويظهورها على يد موسى على كهنه و سرلا صادقا من عند الله .

إنهم أعرف الناس بالسحر ، وقد أدركرا أن ما فعله موسى ليس سحرًا ، ولكنّه معجزة ، لا يقدر عليها إلا الله ، ولا يزيّّد بها إلا رسول مرسل من عند الله ، من أجل ذلك خروا ساجدين لله ، وقالوا : مَالنّا برُبّ مَنْرُونَهُ رَفُوسَيْ

٧٧ - قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ, قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسَّحْرَ ...

كان فرعون قد ادعى الربوبية فقال: أَلَّا رَبُّكُم الْأَعْلَىٰ (النازعات: ٢٤). وادعى الألومية وقال: مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَيْهِ غَيْرِى. (القسس: ٢٨). وفوجئ فرعون بإيمان السحرة، وسجودهم لله رب العالمين: وخشى أن يمتد الإيمان إلى سائر الشعب: فادعى: أنها مؤامرة، وادعى: أن موسى هو العمام الذي تعلموا على يدبه السحر، وأنهم بيتوا هذا الأمر: ليتظاهروا أمام الناس بأنهم عُلُبوا، وهدد السحرة بالغضب والانتقام، والعذاب الأليم.

فَلَأُقَطَّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَنْفٍ .

أى: قال آمنتم بموسى قبل أن أعطيكم الإنن بذلك : فلأنطحن أيديكم اليمنى وأرجلكم البسرى مُنْ عِنْنَفو. أى : لا يكرين القطع لليد والرجل عن رفاق : فيقطع اليد اليمنى والرجل اليمنى : فيكرن للإنسان نصف كامل، بل يريد أن ينتشر القص في الجسم كله .

وَلَاصُلَّبَنَّكُمْ فِي جُلُوعِ ٱلنَّحْلِ.

أى: لأصلبنكم على جذوع النفل من باب التشهير والتنكيل.

قَالَ ابن عباس: فكان أول من عدب بهذا العداب.

وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَدَابًا وأَبْقَىٰ .

أي: لتعلمن أيها السحرة أيُّنا أشد تعنيبا لكم ، وأبقى في إنزال الهلاك بكم ؛ أنا أم موسى وريُّه ؟

وكأنه بهذا التهديد يريد أن يهون من كل عذاب ؛ سوى عذابه لهم .

وهي سورة الأعراف يقول الله تعالى : قَالَ فِرْعَوْنُ عَاسَتُم بِهِ قَبَلَ أَنْ عَادَنَ لَكُمْ إِنَّ هَلَذَا لَمَكُوّ مُكُرِّضُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِيُعْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَطْمُونَ هَ لِأَفْطَنَّنَ آيَابِيكُم وَأَرْجُلْكُم مِنْ عِلَىْفٍ فُمْ لَأَصْلَبْتُكُمُ أَجْمَعِينَ . (الأعراف: ۲۷۲ ، ۲۷۶)

لكن الإيمان كان قد خالط قلوب السحرة ، فاستهانوا بكل تهديد ووعيد ، واستعدوا لكل تضمية في سبيل الإيمان الحديد .

٧٧ - قَالُواْ لَن نُوْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْبَيْنَاتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَا أَلتَ قَاضِ إِنَّمَا تَقْضِي هَسَادِهِ ٱلْمَعْيَوْةَ ٱلدُّنْيَا .

كان السحرة قد آمنوا بالله تعالى ريا ، ويموسى رسولا ، واستقر الإيمان في قلويهم ، وصار يقينا لا يتزائل؛ فهددهم فرعون ، وطلب منهم العدول عن هذا الإيمان ؛ وإلا أوقع بهم التعذيب والصلب ؛ فاستهانوا بوعيد فرعون ، وقالوا :

لَن تُؤْثِرُكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلَّذِي فَطَرَاا .

لن نفضك على ما وصل إلينا وشاهدناه من المعجزات ، ومن الذى خلقنا وأوجدنا ، أو نقسم بالذى فطرنا وخلقنا .

فَآقُض مَآ أَلتَ قَاضٍ .

أى: احكم بما تشاء، ونفُّذ ما تريد من وعيد ؛ فإن ذلك لن يصيب إلا أجسامنا هذه الفانية .

إِنَّمَا تَقْضِي هَـلِهِ ٱلْحَيْوَةُ ٱلدُّنْيَّا .

أي: إنك تتسلط في هذه الدنيا وحدها ، أما الآخرة فلا سلطان لك عليها ؛ لأن الملك فيها لله وحده .

٧٣ – إِنَّا ءَامَنًا بِرَبَّنَا لِيَعْفِرَ لَنَا حَطَائيْنَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسَّحْر وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ.

جمع فرعون السحرة بالقوة والإكراه ، ويالترغيب والترهيب.

روى الحسن: أن السجرة الذين حشدوا من العدائن ليعارضوا موسى؛ أحضروا مكرهين ، وأكرهوا على إظهار السجر ، وروى : أن رؤساء السجرة كانوا (٧٧) اثنان منهم من القبط ، والهاقون من بنى إسرائيل ، وردت هذه الرواية في تفسير المراغى ، لكنها لا تثابت أمام النقد العلمي . والأرجح منها ما ورد في مختصر تفسير ابن كثير، وهو ما رواه ابن أبي حاتم: عن ابن عباس في قوله تعالى: وَمَا أَكُرُ فَقَنَا عَلَيْهِ مِنْ ٱلسَّحْرِ. قال: أخذ فرعون أربعين غلاما من بني إسرائيل، فأمر أن يعلموا السحر بالغرماء ، ( الله قال علموهم تعليما لا يعلمه أحد في الأرض ، قال ابن عباس فهم الذين آمنوا بموسى وهم الذين قالوا: وَامَثُنا يُرْبَعُنُ لِنَّهُمِ لَنَا خَطَائِينًا وَمَا أَكُرُهُمَا عَلَيْهِ مِنْ ٱلسِّحْرِ.

ولعل الإيمان الحقيقى بدأ فى قلوب مجموعة من السحرة : ثم انضم إليهم الباقون : خصوصا بعد مشاهدة المعجزات الباهرة لموسى وهارون .

وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَيْقَىٰ .

أي : إن الله خير لنا منك وأفضل ، وعذابه ونعيمه أبقى وأدوم .

وقد اختلف المفسرون: هل فعل فرعون بهم ما توعدهم به أو لم يقعله بهم.

رجح ابن كثير أن فرعون فعل ذلك ، ونقَّده بالسحرة ؛ ليكونوا نماذج في التضحية ؛ كما قال ابن عباس وغيره من السلف : أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء بررة .

وقال الشيخ الشنقيطي في تفسير أضواء البيان ما يأتي :

قال قوم : قتلهم وصليهم ، وقوم أتكووا ذلك ، وأظهرهما عندى أنه لم يقتلهم ، وأن الله عصمهم منه لأجل إيمانهم الراسخ بالله تعالى ؛ لأن الله قال لموسى وهارون : أشَّمَا وَمَنْ آتُهَكُمُ ٱلْفَلْيُونَ . (القمس: ٢٥)

٤ ٧ - إِنَّهُ، مَن يَأْتِ رَبَّهُ، مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ، جَهَتْمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ.

استرسل السحرة في موعظة فرعون ، وتقدير المقادق أمام عينيه ، فذكروا له : أن الناس في القيامة فريقان :

فريق المجرمين: ولهم عذاب في جهنم طويل ، شأق يتعنون فيه الموت ، فلا يجابون إلى طلبهم ، فهم في حياة بائسة يائسة .

قال تعالى : وَاللَّذِينَ كَفُرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهُتُمْ لَا يُقْعَنَىٰ عَلَيْهِمْ لَيُمُونُواْ وَلَا يُخْفُفُ عَنْهُم مِّنَ عَلَمَاهِمَا كَذَالِكَ نَجْزِى كُلُّ كُفُودِ . (فاطر : ٢٦) .

وقىال سېدھانە وتىدالى : وَلَادُواْ يُسْمَلِكُ لِقُصْرِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِلَّكُم شَاكِلُونَ ﴿ لَقَدْ خِتَنَاكُم بِالْحَقُّ وَلَلَكِنْ أَكُثَّرَكُمْ لِلْمَحَقُّ كَلُومُونَ ﴿ (١٧٠ / ١٨). وقريب من ذلك ، ما قالته زوجة صخر ، حين سئلت عنه وهو مريض ، فقالت : لا هو حي فيرجي ، ولا مبت فيضي .

أما الفريق الثاني: فهو فريق المؤمنين، وهؤلاء لهم منازل سامقة في عليا الجنان.

٧٥ - وَمَن يَأْتِه مُوْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّلِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ .

ومن لقى ربّه مرّمنًا بالله ورسله ، وبالبعث والحساب ، وعمل الأعمال الصالحة في دنياه ، فهوّلاء لهم الدرجات العالمية في الجنة ، والجنة منازل ودرجات ، ما بين كل درجة وأهرى كما بين السماء والأرض .

أخرج الإمام أحمد والترمذي: أن رسول الله ﷺ قال: «الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى، ٢٠٩ .

وفي المحيحين: وإن أهل عليين ليرون مَنْ فوقهم كما ترون الكوكب الفابر في أفق السماء؛ لتفامل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء ؟ قال: «بلى والذي نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدُقوا المرسلين» ٢٨.

وفي السنن : أن أبا بكر وعمر لمنهم ونعمًّا .

٧٦ - جَنْلَتُ عَدْنِ تَجْرى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَلِلِدِينَ فِيهَا وَذَالِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ .

هذه الآية تفسير للدرجات العلى ، بأنها جنات إقامة تجرى من تحت غرقها الأنهار ، ماكلين فيها وخالدين في نعيمها خلودًا أبديًّا . وذلك العطاء الجزيل جزاء من تطهر من الشرك وتخلص من دنس الكفر والمعاصى ، وأمن بالله ورسله ، وهكذا انتهت تلك المحاورة بين فرعون والسحرة بصمود السحرة ، وانتقالهم من التلقى إلى المبادرة ؛ بالموعظة العسنة ويبان : عقوبة المكذبين وجزاء المؤمنين . ﴿ وَلَقَدَا أَوْحَيْتَ ۚ إِلَى مُوسَىٰ أَنَ أَسَرِيعِبَادِى فَأَضْرِتِ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبْسَا لَاتَعَنَفُ
دَرُكَا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿ فَأَنْمَعُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيهُمْ مِن ٱلْذِي مَا غَشِيهُمْ ﴿ وَأَضَلَ فَرْعَوْنُ
قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿ فَ يَجَنِي إِسْرَةِ بِلَ قَدْ أَغِينَكُمْ مِنْ عَدُوكُمْ وَوَعَدَنُكُمُ وَلَا تَطْعُو أَفِيهِ فَيَحِلَ عَلَيْكُمْ
وَيَزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَ وَٱلسَّلُوىٰ ﴿ فَكُوا مِن طَيِّبَتِمَا وَنَقْتُكُمُ وَلَا تَطْعُو أَفِيهِ فَيَحِلَ عَلَيْكُمْ
عَضَي وَمَن يَقِيلِ لَ عَلَيْهِ فَقَدِى فَقَدَّهُوىٰ ﴿ وَإِلَى لَفَقَا لِّلِمِنَا لَهُ وَمَا مَن وَعَلَ مَلِيكًا
عَضَي وَمَن يَقِيلِ لَ عَلَيْهِ فَعَنْهِى فَقَدَّهُوىٰ ﴿ وَإِلَى لَفَقَا لِأَيْمِنَا لَهُ وَمَا مَن وَعَلَ مَلِيكًا
عُمْمَ وَمِن عَلَى مَلْلِكُما اللّهُ وَمِن اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ وَمَا اللّهُ عَلَيْهِ فَلَوْلِهِ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّه

المفرداتء

السيرى والإسبراء، السير ليلاً.

اشسربالسهاء اجعل لهم.

يسسيساه طريقًا بابسًا لا ماء فيه .

السبسسفوك، الإدراك واللحوق.

تـــخشـــي، تخاف غرقا.

أتسيسعسهم، تبعهم.

فقشيهم من اليما فشيهم: فغمرهم وعلاهم من البحر ما علاهم ، من الأمر الهائل الذي لا يعلم كنهه إلا الله .

أضل قرعون قومه: سلك يهم مسلكا من الضلال والخسران.

ومسيعة هسيندي: ما أرشدهم إلى طريق السعادة والهدي.

الأيم .....ن الذي عن يمين من ينطلق من مصر إلى الشام .

المسسسين، نوع من الحلوي يسمى: الترنجبين.

الا تسطفوا فيه الا تأخذوه من غير حاجة إليه .

اليحل عليكم غضبي، ينزل بكم.

فيسمون، مقطوهك.

\_\_\_\_ في الدنوب.

الهاب المالية واستقام المداية واستقام ا

#### تقهيده

فى الآيات السابقة تحدث القرآن الكريم عن منازلة السحرة أمام موسى ، وانتهت هذه المنازلة بإيمان السحرة ، وقد استمر موسى بعد ذلك قرابة عشرين سنة ، يعرض دعوته ورسالته ، ويشتد فرعون فى التكذيب ؛ فأرسل الله عليه ألوانا من العذاب ؛ فصّلها فى سورة الأعراف ، وطرى ذكرها هنا ؛ لينتقل إلى تعديد نعم الله على بنى إسرائيل ، حيث نجى الله موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ، وعدد نعمه على بنى إسرائيل ؛ حيث نجاهم من عذاب فرعون ، وأنزل عليهم التوراة ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، ودعاهم إلى التوية والإنابة .

#### التفسيره

٧٧ - وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَآصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبْسًا لا تَحَلفُ دَرَكًا وَلا تَحْشَيٰ.

عندما ضاق الأهر على يني إسرائيل ، واشتد العذاب من فرعين ، وقالوا : أُوفِينَا مِن لَبُلُواْن تُأْتِيَّنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا حِثْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهِلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَعْفِلُهُكُمْ فِي ٱلأَرْصِ فَيَنْظَرَ كَيْفَ تَعْمُلُونَ . (الأعراف : ١٣٩) . عندند أمر الله موسى أن يسير مع بني إسرائيل لهلا .

## ومعنى الآية ما يأتي :

أوحينا إلى نبينا موسى : أن اخرج مع عبادى المؤمنين ليلا ، واتجه إلى البحر الأحمر ؛ وسيحاول فرعون أن يجمع جيشا كبيرًا ليدركك : فلا تخف من فرعون : فلن يدركك ، ولا تخشى البحر فسوف يكون به النا عشر طريقا يابسًا ، في قلب البحر ، بقدرة الله : حتى تسير كل قبيلة في طريق .

وفى الآية جميل عناية الله بالمؤمنين، بعد أن آمن السحرة ، وأعلنوا إيمانهم، واستعدادهم للاستشهاد؛ وبعد أن صبر المؤمنون طويلا ، تدخلت عناية الله ، فالقوة غير متكافقة ؛ فرعون يملك المال والجند ووسائل التعذيب ، وموسى والمؤمنون يتعرضون للبلاء ؛ عندئذ تدخلت عناية الله فقال : أُسْرِ بِعِبَادِى . وسماهم : عباد الله ؛ تعطفا وتحننا عليهم ؛ لما أصابهم من ظلم فرعون وعدوانه ، ويشرت الآية موسى بالنصر ، وولوج المام على طرق يابسة .

فَآصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَيْسًا .

مع اطمئنان موسى أن فرعون لن يدركه .

لَّا تُخَلفُ ذُرِّكًا . وهي جملة حالية أي لا تخف من إدراك فرعون لك من الخلف .

وَلاَ تُخْشَىٰ . مِنْ أَن تَغْرِق أَنت ومِنْ معك في البحر مِنْ الأمام .

٧٨ - فَأَتَّبَعَهُمْ لِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلَّيْمَّ مَا غَشِيهُمْ .

عندما علم فرعون أن موسى جمع بنى إسرائيل ، وسار ليلاً ، جمع فرعون جيشا كبيرا وسار خلفهم فأدركهم : عند شروق الشمس ، وأحس قوم موسى بالخطر ، فالعنى خلفهم ، والبحر أمامهم ، اكن موسى كان على ثقة من وعد الله له ، فأمره الله أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق البحر وكان به فُريقًا . أى : جنس الطريق ؛ لأنه كان به الثنا عشر طريقًا بابسًا ، سار فهها موسى وقومه ، وأمره الله أن يترك البحر مفتوحًا ، وأما وصل فرعون وجنوده ، اشتد الحتق والغيظ بفرعون ، وسار وراء بنى إسرائيل ؛ بغيا وعدوانا ، فنجى الهم وسلى وقومه إلى الشاطئ الأخر ، ثم أطبق البحر على فرعون وقومه ، وغشيتهم الأهوال والموت وسكرات الخرق والاختذاق قال تمالى :

فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ .

أى: أهوال لا يعلمها إلا الله ، وفي قراءة فغشيهم من اليم ما غشَّاهم . أي : أمواج وهلاك وموت .

٧٧ – وَأَصَلُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ. وَمَا هَدَىٰ .

وقد سلك فرعون بقومه سبيل الهلاك والدمار: فكانت عاقبتهم جميعا الاستئممال والهلاك ، وكان فرعون يدّعى: أنه على الرشاد ، كما ورد في سورة غافر: قَالَ فِرْعُونُ مَا أَرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْنِيكُمْ إِلَّا سَبِلَ آلرَّشَادِ . (هافر: ۲۹) .

وقد أجمل القرآن همنا في هاندين الأبدين ما فصله في آيات كثيرة في القرآن الكريم ، ففي سورة الشعراء قال تحالى : وأرخبتا إلى مُوسَى أنْ أَسْرِ بِجَادِي إِنَّكُم مُنْتُمُونَ وَ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَاكِنِ خَلَيْرِينَ وَإِنْ مَسَالِحَ الْمُعَلِّمِ وَمُؤْدِينَ وَإِنْ مَنْكُورِ وَمُقَامِ مَنْ الْمَدَاكِنِ خَلْدِينَ وَ إِنْ مَنْكُورِ وَمُقَامِ مَنْ الْمَاكِنِ خَلْدِينَ وَ وَإِنَّا لَكُورُونَ وَ فَأَخْرِ بَشَنَهُم مِّنَ جَنَّاتٍ وَمُورِونَ وَ وَيُعْلَقُونَ وَمُقَامِ كَالْمُورِينَ وَمُورِ وَمُقَامِ كَاللَّهُ وَأَوْرَثُمْنَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَالْمُورِينَ وَاللَّهُ وَلَمُ اللَّهِ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهِ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهِ وَلَمُعَامِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَا أَصُورِينَ وَلِنَا اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَا أَسُومِينَ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَا أَصُومُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَلَيْنَالَمُ اللَّهُ وَلَا مُعْمَلُولِينَ وَلَمُ اللَّهُ وَلَا عُلَى اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا كُلُورُ وَلَا اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَوْمُ اللَّهُ وَلَوْمُ اللَّهُ وَلَا مُؤْمِلُونِ وَلَا اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ وَلَمُونَا اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَا مُعْمَلُونِ اللَّهُ وَلَا مُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونِ اللْمُوادِ اللْمُؤْلِقُونَ الْمُعْلِمُ وَلَالِمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَمُ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُ اللَّهُ وَلَمُونَا اللَّهُ وَلَوْمُ الْمُؤْمِلُونَ اللْمُولِ وَلَا اللَّهُ الْمُؤْمِلُ اللْمُولُونِ اللْمُؤْمِلُونَ اللْمُولُونِ اللْمُؤْمِلُونَ اللْمُولُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَا اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُولُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُولُونَا الْمُؤْمِلُونَ اللْمُؤْمِلُونَ اللْمُؤْمِلُونَ الْمُؤْمِلُونُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونُ اللَّهُ الْمُؤْمِلُونَ اللْمُؤْمِلُون

وفى سورة الدهان يقول الله تعالى: وَلَقَدْ قَتَنَا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فُورْفِوْنَ وَجَآءَهُمْ وَسُولٌ كَوِيمٌ و أَنْ أَقُواْ إِلَى عِبَادَ اللهِ إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

وقال تعالى : وَجَنُوزُنَا يَبِيَىٓ إِسْرَآعِيلَ آلْيَحَرُ فَأَلْبَعُهُمْ فِرْعُونُ وَجُنُودُهُ، بَغُيَّا وَعَدُوا حَتَى إِذَا أَهْرَكُهُ آلْفَرَقُ قَالَ عَامَنتَ ٱلَّهُۥ لَاَ إِلَكَ إِلاَّ ٱللّذِي عَامَنتَ إِنِهِ بَوْأَ إِسْرَآعِيلَ وَأَنَا مِن آلْمُسْلِعِينَ = «آلتَكَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِن آلْمُفْسِلِينَ، فَالْهُوهُ لَنَجِلُكُ بَلَدُلِكَ التَّكُونُ لِمِثْنَ خَلَفْكَ عَالِيَةً وَإِنَّ كَلِيزًا مِنْ آلْفَاسِ عَنْ وَا

٨٠ - يَنْهَنِي إِسْرَ ۚ عِبِلَ قَلْدُ أَجَيْنَكُم مِّنْ عَدُوَّكُمْ وَوَ عَدَنَكُمْ جَاسِ ٱلشُّورِ ٱلأَيْمَنَ وَلَوْلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنْ وَٱلسَّلُوَى .

شرع الله سبحانه وتعالى يعدد نعمه على بني إسرائيل ومن هذه النعم ما يأتي :

 ١ - أنجاهم الله من العذاب على يد فرعون ، حيث كان يقتل الذكور ويستحيى الإناث ، فيسر الله لهم الغررج مع موسى ، ويسِّر الله لهم طريقا بابسًا في البحر ، وأغرق فرعون وهم ينظرون إليه .

٢ -- بعد النجاة من فرعون واعد الله موسى بعد أربعين ليلة تضاها صائما قائما ، وطلب منه أن يأتى المسلم المورد : حيث يكون الطور عن يمينه وهو في طريقه من مصر إلى الشام (١٠) ؛ فأنزل الله عليه التوراة وفيها الهداية والنور لكم .

٣ - وَنَرَّتُنَا عَلَيْكُمْ أَلْمَنَّ. وهو مادة حلوة تشبه العسل ، كانت تنزل لهم على الشجر من طلوع الفجر إلى
 طلوع الشمس ، وَٱلسَّلُوعُ . طائر يشبه السماني حلو لذيذ تحمله ربح الجذوب. فيأخذ كل فرد ما يكفيه من هذا الطين

٨١ – كُلُواْ مِن طَيْبَلْتِ مَازَزْتَشْلَكُمْ وَلاَ تَطْعَوْاْ فِيهِ لَيَحِلْ عَلَيْكُمْ غَصَبِي وَمَن يَخْلِلْ عَلَيْهِ غَصَبِي لَقَدْ هَوَىٰ .

أى: قلنا لهم: كلوا يا بنى إسرائيل من للطيبات، التى رزقناكم إياها مثل المن والسلوى وغيرهما. ولا تتجاوزوا الحدود بالإسراف، أو استخدام النعم فى المعاصى، أو الخروج عن الحدود التى رسمها الله لكم، فإنكم إذا خالفتم أمر الله، وتجاوزتم حدود الله، أنزل بكم غضبه ونقمته، ومن نزل به غضب الله وانتقامه؛ فقد ملك وغُرُّب. ٧ ٨ - وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لَّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَلْلِحًا ثُمُّ آهْتَدَىٰ .

إن الله سبحانه كثير المفقوة لمن تاب إلى الله ، ورجع إليه ، وداوم عمل الأعمال الصنالحة ، واستمر على الهداية إلى الموت : فما أسعد الإنسان الذي يتوب إلى الرحمان ، ويداوم على الأعمال المسالمة والعبادة ، الصلاة و الزكاة ، وغيرها من الطاعات ، حال كونه على هداية وطاعة ومحبة لله تعالى .

\* \* \*

﴿ وَمَا آَعْجَلَكَ عَن فَوْمِكَ يَنْمُوسَى ﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَاءَ عَلَّا أَثْرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِ الرَّضَى ﴿ وَمَا آَعْجَلَكَ مَن فَوْمِكَ يَنْهُ وَلَا السَّامِي ﴾ فَرَحَم مُوسَى إِلَى الرَّحْف ﴾ وَالسَّامِي ﴾ فَرَحَم مُوسَى إِلَى المَّهِدُ مُورَ السَّامِي فَ فَرَحَم مُوسَى إِلَى الْمَهَدُ أَمْ أَرَد تُمْ أَنْ عَلَى الْمَعْمُ عَضَتُ مِّن رَبِكُمْ فَأَخْلَقُمُ مَوْمِدِي ﴾ قالمَ الْمَالْخَلْفَنا مُوسَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَضَتُ مِن رَبِكُمْ فَأَخْلَقْمُ مَوْمِدِي ﴾ قالمَ المَالْخَلْفَنا مَوْمِي فَلَي اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاللَّهُ اللَّهُ مُوسَى فَلَي فَاللَّهُ اللَّهُ مُوسَى فَلَي فَاللَّهُ اللَّهُ ال

المفردات :

جاء عطي اشره؛ إذا جاء لاحقا بلا تأخير.

فستسئسا قسومك؛ اختبرناهم.

أضبط والتسران.

الســـامـــرى؛ من شعب إسرائيل ، من بطن يقال له : السامرة ، واسمه موسى .

الأسيسية، المزين.

السوعه الحسين، إعطاء التوراة التي فيها هدى ونور.

الصممهد، زمان الإنجاز.

مسموهممسدى، وعدكم إياى بالثبات على الإيمان، وقيامكم بأداء ما أمرتم به من التكاليف.

بالكنارنا.

الأوزار ؛ الأثقال والأحمال.

المحمق وم: القبط.

<u>ق ثف ماها</u>؛ طرحناها في النار.

مسمعة المثار والمناه المثار والمناء

القى ....واز ؛ مدوت العجل .

ق عند الطور.

لا يرجع اليهم قولا ، لا يرد عليهم جوابا .

لاببلك لهم شراولانفعاء لا يملك أن يجلب لهم نفعا ، أن يدفع عنهم ضرا.

#### تمهيده

هذه الآيات تذكر موقفًا مؤامًا من مواقف بنى إسرائيل : حيث نهب موسى لميعاد ربّه ، ومكث أربعين يومًا صائمًا قائمًا ، واستخلف أخاه هارون على قومه ؛ بيد أن الله أخبره بأن السامرى ارتكب ضلالا وفتنة لقومه ، حين صاغ من الحلى بعد أن وضعت فى النار ؛ عجلاً من الذهب ، مجوفًا إذا دخل الهواه فيه ، صار له صوت وخوار كصوت العجل ، وكان المصريون قد عبدوا عجل أبيس ، فعن اليهود إلى مثل تلك الوثنية ، ولامهم القرآن وويخهم ؛ وذكر أن هذا العجل لا يسمم ولا يجيب ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا .

#### التفسيره

٨٣ - وَمَا أَعْجَلُكَ عَن قَوْمِكَ يَكْمُوسَىٰ.

أى شيء عجل بقدومك بدون قومك يا موسى ؟

كان موسى قد استخلف هارون على قومه ، ووصاهم أن يلتزموا بهدى السماء ، ولا ينحرفوا عن الصبراط المستقيم ، وظن موسى أنهم ساروا على نفس الطريق ، فقال لِلّه تعالى : هم يسيرون على طريقى ، وقد آسرعت فى التقدم : شوقا إلى مناجاة ربّى .

وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتُرْضَىٰ.

أسرعت إليك ؛ لتزداد عنى رضا .

## وقال الزمخشرى :

كان موسى قد مضى مع النقباء الذين اختارهم من قومه إلى الطور على الموعد المضروب ، ثم تقدمهم: شوقا إلى كلام ريّه. ٨٤ - قَالَ هُمُ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَلُوى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ ثِيْرُضَىٰ.

#### قال المراغي :

هم أولاء بالقرب منى آتون على أثرىء ، وما تقدمتهم إلا بخطا يسيرة لا يعتدّ بها ، وليس بينى ويينهم إلا مسافة قريبة ، يتقدم بها بعض الرفقة على بعض ، ... والموعودُ بما يسُّ ، يودُ لو ركب أجنحة الطير : ليحظى بما يبتغى ويريد .

ه ٨ - قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ يَعْدِكَ ...

أي : ابتليناهم واختبرناهم ، بعد فراقك إياهم .

## قال ابن الأنبارى:

صيرناهم مفترنين ، أشقياء بعبادة العجل ؛ من بعد انطلاقك من بينهم .

وَأَضَلُّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ .

أوقعهم السامري في الضلالة ، بسبب تزيينه لهم عبادة العجل .

#### قال المقسرون :

كان مرسى حين جاء لمناجاة ربه : قد استخلف على بنى إسرائيل أخاه هارون ، وأمره أن يتعهدهم بالإقامة على طاعة الله ، وفي أثناء غيبة مرسى ، جمع السامرى الحليُّ ثم صنع منها عجلا ودعاهم إلى عبادته ، فعكفوا عليه ، وكانت تلك الفتنة قد وقعت لهم بعد خروج موسى من عندهم بعشرين يوما ، اعتبروا النهار يومًا ، والليلة بمقدار يوم فكأنها أربعين يومًا .

٨٦ - فَرَجَعَ مُوسَنَّ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَطَهُنِنَ أَلِيفًا قَالَ يَنْقُومَ أَلَمْ يَعِدَكُمْ رَبُّكُمْ وَعَمَا حَسَنَا أَلَمَانَ عَلَيْكُمْ أَنْصَهُدُ أَمْ أَوَدُتُمْ أَن يَسِلُّ عَلَيْكُمْ غَمَسًا مِّن رَبِّكُمْ فَأَعْلَقُهُم مُوْعِدِي .

أى: رجع موسى من الطور، بعد ما استوفى الأربعين، وأمنذ الترراة، واصطحب معه سبعين رجلاً من النقباء ؛ كانوا أسفل الجبل، وعادوا جميعا إلى قومه ، وكان موسى شديد الفضب والأسف والحزن ؛ بسبب عبادة قومه للعجل، وأخذ يلومهم ويقول لهم: أَمْ يُعِدُّكُمْ رُكُمُّ وَخَمَّا خَصَنًا ؛ بإنزال التوراة فيها الهدى والثور؟! والاستفهام هذا للتوبيخ ، ثم قال لهم : هل طال عليكم الزمن حتى نسيتم العهد ؟! أم أردتم بصنيعكم هذا: أن ينزل عليكم سخط الله وغضبه فأخلفتم موعدى ؟! وكانوا قد واعدوا موسى ، أن يتمسكوا بالدين ولا يحيدوا عنف ، ثم خالفوا.

# فقال موسى لهم : أَفَطَالُ عَلَيْكُمُ ٱلْمَهْدُ . فنسيتم ؟! أم تعمدتم المعصية فَأَخْلَفُتُم ؟!

٨٧ - قَالُواْ مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بَمَلْكِنَا وَلَنكِنّا خُمْلُنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقُوْمِ فَقَلْفَتْنَهَا فَكَذَا لِكَ ٱلشَّاعِرِيُّ .

أى: قال قوم موسى له: ما أخلفنا المهد والوعد ، الذي أعطيناه لله بالثبات على طاعة الله ، بإرادتنا والمتيارنا ، ولكن غلبنا على أمرنا ، وريَّن لنا السامري عملنا ، وكانوا قد حملوا أكناسًا من حلى المصريات ، استعاريها من المصريات ؛ بحجة أن لهم عيدًا يتزينون فيه بها ، ثم حملوها معهم ، وأحسُّوا بالإثم والذنب ؛ لوجردها معهم ، فتظامدوا منها ، والقوا بها في حقرة واستفل السامري الفرصة ، وأخذ هذه العلى فصاغ منها عجلا ، وجعل له منافذ ، إذا دارت فيها الربح ؛ أخرجت صوتا ، كموت الغوار ، ولا حياة فيه ولا روح فهو جسد – ولفظ الجسد يطلق على الجسم الذي لا حياة فيه – فما كادوا يرون عجلاً من ذهب يخور ؛ حتى نسوا ربهم الذي أنقذهم من أرض الذل ، وعكفوا على عجل الذهب يعبدونه .

# ٨٨ - فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ، خُوَازٌ فَقَالُواْ هَلْلَا إِلَنْهُكُمْ وَإِلَنْهُ مُوسَىٰ فَسِيى .

أي : مناغ السامري من هذه الحلى ، صورة عجل تدخل فيه الربح بطريقة فنّية : فيصبح له خوار كصوت المجل الحقيقى ، فقال القوم في بلادة وبلاهة : هذا العجل هو إلهكم ، ومحبودكم الذي تعبدونه ، وهو إله موسى أيضًا ؛ ولكنه غفل عنه وذهب إلى الطور ؛ لمناجاة ربّه ، ونسى أن هذا هو الإله .

# ٨٩ - أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا .

أفلا يفكرون بمقولهم ، في أن هذا العجل لا يملك لهم خطابا : فهو لا يتكلم ولا يردّ جوابا ، ولا يملك لهم جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، فكيف يكون إلها ؟ وهنا احتكام إلى العقل واللب والفكر ، في أن المعبود جسد أصم ، لا يملك للكلام ولا الحركة : فهو لا يرفث ولايتحرك ، ولا يسمع ولا يجيب ، ولا ينفع ولا يضرُّ ، فكيف يعبد من دون الله الحق؟! ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَمُمْ هَرُونُ مِن قَبْلُ يَعَوْمِ إِنَّمَا فَيَنتُم بِهِ وَإِنّ رَبَّكُمُ الرَّمْنُ فَالْيَعُونِ
وَالْمِيعُواْ آمْرِي ۞ قَالُواْ لَن نَبْرَعَ عَلَيْهِ عَدَيْفِين حَقّ بَرْجَ إِلَيْنَامُوسَى ۞ قَالْ يَعْمُرُونُ
مَامَعَكُ إِذَائِنَهُمْ صَلُواْ ۞ اللّا تَشْبِعَ فِي أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَبْمَوُمُ الاَشْخُرُ لِيَحْمُ وَالْمِيهُ وَالْمَالَمُ مِنْمُمُ وَالِهِ فَقَبَضَتُ قَبْعَت قَلْمُ فَلَا اللّهُ مَلْ اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهِ فَقَبَضَتُ قَبْعَت قَلْمَ اللّهُ مَنْ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا مَنْ مَنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ الل

## المطردات ،

فالسيسم وليي: في الثبات على الحق.

السن السيسرح، لا نزال.

عساكسف بيست ، مقيمين .

بلحيتى والا برأسيء بشعر لحيتي والا بشعر رأسي .

ولم ترقب قولى ، ولم تراع .

فمساخه طيك، ما شأنك؟ وما الأمر العظيم الذي صدر منك؟

بسرت بما له يبصروايه، (بضم الصاد فيهما) أي : علمت ما لم يعلمه القوم وقطنت لما لم يقطنوا له .

من أشر السرسول؛ قبضت شيئا من أثر فرس جبريل ؛ فطرحتها على العجل فكان له خرار،

سولت لى نـفسى: زينت وحسنت.

ومسكون ؛ لا مخالطة ، فلا بذائط أحدًا ، ولا يذالطه أحدًا ، فعاش وحيدًا فريدًا .

الن تحصاصه الن يتخلف.

المتحرقينية؛ التحرقلة بالثار أو للبردنَّة بالمبرد.

استنسطينيه : لنذرينُه رمادًا .

في البيم تسطاء في البحر نذريه فلا يبقى منه عين ولا أثر.

وسع كل شيء علما : وسع علمه كل شيء وأحاط به .

#### تمهید :

تحكى هذه الآيات جهود هارون وموسى عليهما السلام؛ فقد نصح هارون قومه بالثبات على الحق، فلم ينتصحوا؛ فهم قوم جاوروا الوثنية وعبادة عجل أبيس؛ فما إن رأوا عجلا جسدًا له خوار؛ حتى عادوا إلى الوثنية ، وتحكى لوم موسى لهارون ، وتلطف هارون في الاعتذار له ، ومناقشة موسى للسامري ، وشرح السامري الموقفه ؛ قم دعاء موسى على السامري أن يعيش وحيدًا طريدًا ، ثم تحريق العجل وإلقاء الرماد في اللهم؟ للهقتاع عبادته وحبّه من قلوب بني إسرائيل ، الذين ألفوا الوثنية ، حتى إنهم بعد أن فرق الله بهم المحرى ونجاهم من النهدر، ومن فرعون وإذلاله لهم ، وجدوا قومًا يعبدون أصناما ، فاقترحوا على موسى أن يجعل لهم صنما عللهم ليعبدوه ، فاستذكر موسى قولهم ، وذكرهم بالله ، الذي فضلهم على عائمي زمانهم ، وذلك الإيمانهم بالله واتباعهم التوراة ، فلمًا ضأوا وأضلوا ؛ فقدوا هذا التفضيل .

## التفسير،

٩ - وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ حَسْرُونُ مِن قَبْلُ يَسْقَوْم إِنَّمَا أَسِتُم بِهِ ...

إن هارون رسول الله لم يقصر في نصيحتهم ، حيث بين لهم : أن هذا العجل الذي صنعه السامري من الذهب ، وأودع فيه الأنابيب لتحدث هذا الخوار ؛ اشتبار وامتحان لكم ؛ ليظهر مدى ثبات إيمانكم ، ومدى طاعتكم لوبكم .

وَإِنَّ رَبُّكُمُ ٱلرَّحْمَانُ فَٱلَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمَّرِي .

وإن ربكم المستحق للعبادة ، هو الرحمان الخالق الرازق ، الذي نجاكم من الذُل ، وأسبغ عليكم نعمه فاتبعوني في طاعتي للله ، وأطيعوا أمرى في الثبات على عبادة الله ، وترك عبادة المجل . ٩ ٩- قَالُواْ لَن نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَلَكِفِينَ خَتْلَ يُرْجِعُ إِلَيْنَا مُوسَىٰ.

قالها: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى ، فينظر فى الأمر ، وليس غرضهم إلا التعلل والتسويف ، والبلادة الحسية والمعنوية ، فهدلاً من شكر الله وعبادته ، والتقرب إليه واتباع هارون فى نصيحته ، نُسُوا كُلُ النعم التى أنعم الله بها عليهم ، وعادوا إلى الوثنية ، وعبادة الحجل .

٩ ٣،٩ ٢ - قَالَ يَنْهَـٰرُونُ مَا مَتَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ مَنَلُوٓاْ وَأَلَّا تَتَبِعَرِ أَفْمَمَيْتَ أَمْرِي.

يفيد السياق: أن موسى عاد من مناجاته للله ، غاضبا أسفًا حزينا وكان قد استخلف هارون على قومه، فاتجه موسى إلى هارون رلامه وأنبه ، حيث إنه لم يتخذ موقفا حاسمًا من الذين عبدوا العجل ، فلم يقاتلهم مثلاً ، ولم يعتزلهم : بل استمر مقيمًا معهم ، وأمسك موسى بشعر لحية هارون ، ويشعر رأسه ، في حدة وصرامة وانفعال ، يريد أن يلومه ويؤنيه وينكر عليه ، ويقول له : ما منعك حين رأيت كفرهم وضلالهم ، أن لا تتبعني في الغضب لله ، والإنكار عليهم ، والزجر لهم عن الضلال .

أَفَعَمَيْتَ أَمْرِي .

أخالفتني وتركت أمرى ووصيتي ؟! يشير إلى نصيحته السابقة له التي حكاها القرآن الكريم:

وَقَالَ مُوسَىٰ لأَحِيهِ هَدْرُونَ آخَلُفي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَعْبِعٌ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِلِينَ . (الأعراف: ١٤٢).

\$ ٩- قَالَ يَشَوُّمُ لَا تَأْخَذُ بِلِحْتِينِ وَلَا بِرَأْسِيٓ إِلَى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَاعِيلَ وَلَمْ تُرْقُبُ فُولِي .

قال هارون مستعطفاً أخاه موسى : يَسَوُّعُ أَى : يا أخى: لا تأخذ بشعر رأسى ، ولا بشعر لحيتى ، غاضبا منى محتدًا على ، فإنى رأيت من الحكمة الصبر والانتظار والتريث ؛ حتى تحضر أنت ، فتثدراك الموقف ، وقد خشيت أن أقاتل الكافرين ، عبناً اللعجل ؛ فيتقرق الناس إلى فريقين ، ويترك ذلك من الإحن والبغضام فى النقوس ما يترك ، وربما صعب تدارك الموقف ، إذ يترسخ النفور والبغض بين الفريقين .

و خلاصة ذلك : إنى رأيت من صواب الأمر أن أحفظ العامة ، وأداريهم على وجه لا يختل به نظامهم : ولا يكون سببا للومك ، حتى ترجع فتتدارك الأمر بحسب ما ترى ؛ لاسيما أن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى .

## قال الزمخشري في تفسير الكشاف:

كان موسى عليه السلام رجلا حديدًا مجبولاً على الحدة والخشونة ، والتصلب فى كل شىء ، شديد الغضاء ؛ الغضاء ؛ الغضاء الغضاء ؛ الغضاء ؛ أن القيات العظام ؛ أن القي أنواح التوراة ؛ لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة ؛ غضباً نش واستنكافا وحميةً ، وعنف بأخيه وخليفته على قومه ، فأقبل عليه إقبال العدق المكاشف قابضا على شعر رأسه – وكان أفرعًا – وعلى شعر وجهه يجره إليه ، ا هـ .

وقد تحدث القرآن عن هذه المعانى في سورة الأعراف ، وأضاف هناك إحساس بعض عبّاد العجل بالندم والخجل ، وأن من أصر على عبادة العجل واتخاذه إلها : فله غضب وذلة في الدنيا وعقوية في الأخرة، وأن من تاب : تاب الله عليه .

## ٩٥ - قَالَ فَمَا خَطَّبُكَ يُلسَلمِرِيُّ .

أى: ما شأنك وما قصتك ، وما هو الخطب الجليل الذي اقترفته يا سامري ، وما الذي حملك عليه ؟

٩٦ – قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُواْ بِهِ فَقَمَصْتُ قَبْصَةً مَّنْ أَثَر ٱلرُّسُولِ فَتَبَلَّتُهَا وَكَذَا لِكَ سَرَّلَتْ لِي نَفْسِي .

تفيد كتب التفسير: أن السامري شاهد أثر فرس جبريل عليه السلام ، وببَّ في نفسه أن أثر الفرس لا يخالط شيئا إلا دبت فيه الحياة ؛ فأخذ قبضة من أثر فرس جبريل ، وألقاها على العجل الذي صوّره من زينة القوم ؛ فدبت فيه الحياة ، وكان له خوار كصوت العجل . وأنكر أبو مسلم الأصفهاني مثل هذه الروايات: لأنها لا سند لها ؛ بل هي من الإسرائيليات التي أمرنا بالترقف نحوها ، فلا نصدقها ولا نكنبها ، وأيده في ذلك الإمام فخر الدين الرازي وقال : إنه أقرب إلى التحقيق ، وقد ردّ الإمام الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي ، وذكر : أن رؤية السامري دون غيره لجبريل كان ابتلاء من الله تعالى ؛ ليقضي للله أمرًا كان مفع لاً .

والأستاذ سيد قطب يورد كلام المفسرين ، الذي يفيد : أن السامري رأي جبريل فأخذ قبضة من تحت قدميه ؛ أو من تحت حافر فرسه ... إلخ ثم يقول : والقرآن لا يقرر هنا حقيقة ما حدث ، إنما هو يحكي قول السامري مجرد حكاية .. ونحن نميل إلى اعتبار هذا عذراً من السامري وتعلصا من تبعة ما حدث ، وأنه هو الذي صنم العجل بطريقة فنية أدت إلى هذه الفتنة .

أما تفسير المراغي فقد رجع أن المراد بالآية ما يأتي:

قَالَ بَصُرُاتُ بِمَا لَمْ يَيْصُرُواْ بهِ .

أى: قال السامري: إنى عرفت ما لم يعرفه القوم، ولم تعرفه أنت، وعرفت أن ما أنتم عليه ليس بالحق.

فَقَبَعْتُ قَبْعَنَةً مِّنْ أَلَوِ ٱلرَّسُولِ فَتَهَلَّمُهَا .

أى: كنت قد قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول ، أى : شيئا من أثرك ودينك ؛ فطرحته ورائى ظهريا، وسرت على النهج الذى اخترته وَكُذَالِكُ سَوَلَتْ لِي نُفْسِى . أى : حسنت وزينت لى نفسى أن أعمل هذا العمل .

# وجاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم ما يأتي :

قال السامرى لموسى: عرفت من هذق الصناعة وحيلها ما لم يعلمه بنو إسرائيل ، وصنعت لهم صورة عجل له هذا الصوت ، وقبضت قبضة من التوراة فألقيتها في جوف العجل تمويها على الناس .

٩٧ - قَالَ فَآذَهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَرَاةِ أَنْ تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِكَ أَنْ تُخْلَفَهُ وَٱلطَّرْ إِنِّى إِلَيْهِكَ ٱلَّذِي ظَلَتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا تُصْرَقِكُهُ فِي آلِيمَ نَسْفًا .
 عليه عَاكِفًا تُصْرَقِكُهُ فَي تَصْبِقَتُهُ فِي آلِيمُ نَسْفًا .

اذهب مطرودًا معزولا لا يمسك أحدً لا بسوء ولا بخير ولا تمنُّ أحدًا، وكانت هذه إحدى العقوبات في ديانة موسى، عقوبة العزل وإعلان دنس المدنّس، فلا يقوبه أحدّ، ولا يقرب أحدًا.

وقال: هام السامري على وجهه في البادية ، لا يضالط الناس ، ولا يشالطونه ، منبوذا مطروداً .

قالوا: وهذه الآية الكريمة أصل في نفى أهل البدح والمعاصى وهجرانهم وعدم مخالطتهم.

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ.

وإن لك موعدًا للحساب والعقاب لن يتخلف ، وهذه تراءة الجمهور ، بضم التاء وقتح اللام ، وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو أن تُخلِفه, بضم التاء وكسر اللام ، بمعنى : لن تستطيع التخلف عنه أو الإفلات منه بل ستأتيه وأنت صاغر.

وَٱنظُرْ إِلَيْ إِلَيْهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لُّتَحَرِّقَتُهُ, ثُمَّ لَتَسِفَنَهُ, فِي ٱلْيَمّ لَسْفًا .

وانظر إلى هذا العجل الذى اتخذته إلها ؛ لنحرقنه بالنار ، ونبرده برداً ؛ ليكون رماداً ، ثم نذروه فى آَلُمَّ وهو البحر لسَّفًا تذْرِيةً حتى لا يبقى منه عين ولا أثر ؛ ليتعظ الأغبياء ؛ أن مثل ذلك العاجز لا يمكن أن يكون إلها ، فلو كان إلها ؛ لدافع عن نفسه ، ومنع نفسه من الإحراق والتذرية .

٩٨ - إِنَّمَا إِلَنْهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَنْهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا .

أى: هذا العجل ليس إلها إنما إلهم حقا ، هو الله سيحانه وتعالى ، لاَ زَائَدُ زِلاَ هُوَ ليس هذاك إله سواه.
وقد اشتملت الآية على جملة إيجابية تثبت الألوهية لله سيحانه وتعالى ، وعلى جملة منفية تنفى
الألوهية عن غيره وهى تذكرنا بما ورد من قوله تعالى فى بدايات سورة طه : إِلْنِيَّ آنَا اللَّهُ لاَ إِلَّا أَنَّا الْمُمْهِلِيّ
وَأَلِي الْمُسْلِقَ لِلْجُرِيِّ . (طه : 18).

وقد اتجه موسى بهذا الكلام إلى بني إسرائيل توبيضا لعبدة العجل ، وتوجيها لهم إلى الدين الحق.

وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا.

وسع علمه السماوات والأرض ، وكل شيء في الكون : فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مهين .

وتنتهى مع هذه الآيات ، قصة موسى مع بنى إسرائيل فى سورة طه ؛ لأن ما تبع نلك ، هو صور من العدوان والرذائل للتى ارتكبوها ، والعقوبات التى عاقبهم الله بها ، وسورة طه لمسة حنان ، ومنن من الله تعالى على رسوله محمد ﷺ ، وعلى أخيه سيدنا موسى عليه السلام . ﴿ كَنَذَلِكَ نَفُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءَ مَا قَدْسَنَقَّ وَقَدْ ءَانَيْنَكَ مِنْ أَذَنَا ذِكْرًا ۞ مَنْ أَعَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ بِيَحْمِلُ يَوْمَ الْقِينَمَةِ وِزَلًا ۞ خَلِدِينَ فِي يُّوصَاءَ فُكُمْ يَوْمَ الْقِينَمَةِ فِلا ۞ يَوْمَ يُفَحَّ فِي الصُّورُ وَغَشُرُ اللَّهُ عِرِينَ يَوْمَ لِذِنْرَقَا ۞ يَتَخَفَقُونَ يَنْتُمُم إِن لَيَنْتُم إِلَّا عَشَرًا ۞ فَحَنُ أَعْلَمُ مِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ آمَنَكُهُمْ طَرِيقَةً إِن لِّبَثْتُمْ إِلَا يَوْمَا ۞ ﴾

## المطردات :

المسمورُون الحمل الثقيل ، والمراد به : العقوبة التي تثقل علي حاملها .

رُرِق ....ا: زرق الأبدان ، سود الليجوه ؛ لما هم فيه من الشدائد والأهوال .

يتخاطتون بينهم ، يخفضون أصواتهم ويخفونها ؛ لشدة ما يرون من الهول .

إلا عشرة أيام.

أمثنهم طريقة: أعدلهم رأيا: وأرجحهم عقلا.

## التفسيره

٩ ٩ - كُذُ الكَ نَقُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءَ مَا قَدْ سَبَقَ ...

لنتهت قصة موسى ، وقد بدأها الله تعالى مضاطبا رسوله بقوله : وقُلُ أَتَلُكُ حَدِيثُ مُوسَى ... وعندما انتهت القصة : أخبر الله رسوله : أنه يخبره بقصة موسى وغيرها من قصص الأمم السابقة : كقصة عاد وقمود ، وقارون وأصحاب الكهف ، وأصحاب الجنة وقوم نوح وقصة زكريا : ويحيى وعيسى وغيرها ، أي: نقص عليك قصص الأمم السابقة : تثبيتا لفؤادك ، وتذكيرا لك وللآخرين بما أصاب المكذبين من الهلاك ، وما أصاب المكذبين من الهلاك ،

قال تعالى : لَفَذْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لأَرْلِي ٱلْأَلِمِينَ مَا كَانَ حَلِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَلَكِن تَصَدِيقَ ٱلَّذِي بَشَنَ يَمَتَهِ وَتَقَصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَقَوْمَ يُؤْمِنُونَ . (يرسف: ١١١) .

وَ قَدْ عَاتَيْنَكَ مِن لُّدُنَّا ذِكْرًا .

أعطيناك ذكرًا هو القرآن الكريم ؛ تفضلاً ورحمة من عندنا ، والقرآن الكريم ذكر ؛ لأنه يذكر الناس بما ينفعهم في شئون دينهم وبنياهم ، وهو شرف للرسول ولأمته ، ولكل من آمن به .

قال تعالى: وَإِنَّهُۥ لَذِكُرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْتَلُونَ . (الزحوف: ٤٤) .

والقرآن يذكر الناس: بآلاء الله ونعمائه ، ويلفتهم إلى ما خلق الله فى السماوات وفى الأرض ، وفى أنفسهم: ففيه القذكير والوعظ.

. ١ - مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِلَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيْلَمَةِ وِزْرًا .

من أعرض عن القرآن الكريم وصدّ عنه ؛ فإنه آلام مذنب ، مرتكب للوزر والذنب ، وسيحمل يوم القيامة أحمالا تقيلة ينوء بها كامله ؛ عقوبة على الأوزار والآثام التى ارتكبها فى الدنها .

## قال الزمخشرى :

والمراد بالورزر: العقوبة الثقيلة الباهظة ، سمَّاها : وزرًا ؛ تشبيهًا في فتلها على المعاقب ، وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل ، وينقض ظهره ، أن لأنها جزاء الوزر وهو الإثم .

وقد ذكر القرآن الكريم: أن الكافرين يحملون يوم القيامة أوزارهم وذنويهم على ظهورهم، ويحملون أيضا ذنوب الذين أشلُوهم.

قال تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُم مُاذَا أَوْلَ زُلُكُمْ قَالَواْ أَسْطِيرُ آلاَّرْلِينَ . لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةٌ يَوْمَ الْهَيْسَدَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلْلِينَ يُصِلُّولَهُم بِغَيْرِ جِلْمِ آلَا سَاءً مَا يَرْرُونَ . (الدمل : ۲۵ ، ۲۵ ) .

١ • ١ - خَلْلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حِمْلاً.

أى: مقيمين فى ذلك الوزر ، أى: فى عقوبته التى لا يجدون عنها محيصا ولا انفكاكا . ويئس الحمل الذى حملوه فى الأوزار والآثام جزاء إعراضهم وتكنيبهم وكفرهم !

١ . ٧ - يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجرِمِينَ يَوْمَلِدِ زُرْقًا .

أى: هذا اليوم هو يوم ينفخ في الصور النفخة الثانية ؛ إيذانا بالقيام للحشر والحساب.

وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَتِلْدٍ زُرْقًا.

وفى هذا اليوم يساق المجرمون إلى المحشر، شاحبى الألوان ، زرق الوجوه : دلالة على انحباس الدم وتجمده فى كيان الإنسان ؛ مما يعانى من ضيق ويلاء ، وقد عبر القرآن عن الكآبة والحزن الذى يظهر على وجوه الكافرين ، وفى مقابل ذلك نرى السرور والبشر على وجوه المؤمنين، فالوجه هو المرآة التى تظهر عليها الصالة النفسية والمعنوية للإنسان .

قال تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِلٍ نَّاضَرةٌ و إِلَىٰ رَبُّهَا فَاطْرَةٌ و وُجُوهٌ يَوْمَلِدِ بَاسِرةٌ و تَطُنُّ أَن يُفَعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . (القيامة: ٢٠-٥٠).

وقال عن شأنه : وُجُوهٌ يَوْعَلِ مُسْفِرَةٌ هِ صَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةٌ ، وَوُجُوهٌ يَوْعَلِهُ عَلَيْهَا هَبَرَةٌ ، تَرْهَفُهَا قَبْرَةً ، أَوْلَئِيكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ أَلْفَجَرَةُ ، (عبس: ۲۸ – ٤٤) .

٣ - ١ - يَعْخَلْفُتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثُتُمْ إِلَّا عَشْرًا .

يخفضون أصواتهم ، ويهمس بعضهم في أذن بعض ؛ لِمَا امتلاَّت به قلوبهم من الرعب والذعر ؛ ويمعنى الآية قوله تعالى : فَلاَ تَسْمُعُ إِلاَّ مُشَّدًا , (طه: ١٠٨٨) .

إِن لَبِئْتُمْ إِلَّا عَشْرًا .

يقول بعضهم لبعض : ما ليثتم في قبوركم إلا عشرة أيام ، استقصارًا للعدة ، وتعبيرًا عن سرعة انقضائها ، وعن للندم على ما كانوا يزعمونه : من أنه لا بعث ولا حساب .

## وقال بعض المقسرين :

المعنى : ما لبثتم في الدنيا إلا عشرة أيام ؛ وذلك أنهم حين شاهدوا أموال الأخرة ، وشدة العذاب ؛ استقصروا أعمارهم في الدنيا ، ورأوا أنها قليلة قصيرة في جانب أيام الأخرة .

قال تعالى : بَلُ تُوثِرُونَ ٱلْحَيَارَةَ ٱللَّهُ إِنَّا ٥ وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَتَى . (الأعلى: ١٧، ١٠).

٤ • ١ - نَّعْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَشْلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَبُسُمْ إِلَّا يَوْمًا .

إن عِلمَنا شامل لكل شيء ، وليس تهامسهم خافها علينا ؛ فنحن أعلم بالذي يقولونه في مدة لبثهم ؛ حين يقول أعدلهم رأيا ، وأكملهم عقلا : ما ايثتم إلا يوما واحدًا . ذلك أن الدنيا مهما تكررت أيامها : فهي قصيرة الأجل ، بالنسبة إلى الحياة الحقيقية ، والخلود الأبدي في الأخرة .

وقريب من ذلك قوله تعالى:

وَيُوْمَ لَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِعُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ... (الروم : ٥٠) .

وقال سبحانه : كَأَنُّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُتُواْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحَلْهَا . (النازعات : ٤٦) .

وقال تعالى : كُمْ لَيِثُمُ فِي ٱلأَرْضِ عَنَدُ سِبِينَ هَ قَالُواْ لَيُتَنَا يَوْمًا أَوْ يَعْمَنَ يُؤم فَسُتَلَ ٱلْمَآفَيْنَ . (المؤمنون: ١١٢، ١١٣) .

\* \* \*

﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ لَغِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَقِي نَسْفًا ۞ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَآتَى فِيهَ فَيَعَالَ اللّهَ عَلَى اللّهَ وَخَشَعَتِ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتَنَا ۞ يَوْمَ لِلْ يَتَلِعُونَ اللّهَ عَلَى لاَعِنَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرِّحْنِ فَلَا اللّهَ عَلَى اللّهُ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلّا مَنْ أَذِن لَهُ الرِّحْنُ وَوَعَى لَهُ وَقَالاً هَا مَنْ أَذِن لَهُ الرِّحْنُ وَوَعَى لَهُ وَقَالاً ۞ يَعَلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمَا ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الصَّلِحَاتِ وَعَنَى الْوَجُوهُ لِلْحَيِّ الْفَيُورُ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلُ ظُلْمًا ۞ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الصَّلِحَاتِ وَهُمُ مُؤْمِنُ مِنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمَالِكُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَمُومُ وَمُؤْمِنُ اللّهُ اللّهُ وَلَا يَعَالَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

## المطردات :

يستسطها و يجعلها ذرات صغيرة ثم يصيرها هباء منثورا.

يستسترهنا، يتركها.

المستقسساع؛ الأرض التي لا بناء فيها ولا نبات.

المسقصيف، الأرض الملساء.

السمسوع، الانخفاض.

الأمــــت: النتوء اليسير.

السنداعسي: هو داعي الله إلى المحشر.

لا عسوج السه ، لا عوج لدعائه فلا يميل إلى ناس دون ناس ، بل ليسمم الجميم .

عمــــعت، ذلُت.

السنهسمس، المنوت الخلي .

المائم بتدبير أمور عباده.

گـــاب، خسر.

منحملظلماء شركا.

هلا يخاف ظلما: منع الثواب عن المستحق.

المسهمسم، النقص.

#### تمهید ه

تتحدث الآیات عن مشاهد القیامة ؛ فالجبال تنسف نسفًا وتصبح رمادًا ، والأرض كلها تصبح ملساء مستویة لیس فیها منخفضات أو مرتفعات ، وینادی المنادی حین ینفخ فی الصور ، فیقوم الناس من قبورهم لا یتكلمون إلا همسا .

والشفاعة عندئذ لله وحده ولمن أذن له بذلك ، والله عليم بالخلق أجمعين ، ولا يحيطون بما علمه ، وقد ذلّت الوجوه واستجابت لأمر الله ، وخاب الظالمون والمشركون ، أما المؤمنون فلهم جزاءً كامل : لا نقم فهه ولا حيف .

## التفسير،

ه . ١- وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ لَقُلْلُ يُنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا .

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد، كيف يفعل ريك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت الآية: وَ يَسْتُمُونَكُ عَن أَلْجِالُو...

و لا شك أن سؤالهم هذا سؤال تهكم ، واستهزاء ، وطعن في الحشر والنشر ، لا سؤال معرفة للحق ، وقيل: كان السؤال من بعض المؤمنين ؛ للتعلم .

وَهَسْتُلُولَكَ عَنِ ٱلْحِبَالِ... أى : يسألك الناس يا محمد عن الجبال : كيف تكون يوم القيامة ؟ وقع الهم : يُسفُهُا رُبِّي مُسَمَّا . أي : قل لهم : ستدك دكا وتصدح هباء تذروه الرياح .

١٠١- فَيُذَرُّهَا قَاعًا صَفْصَفًا.

إن الأرض كلها تصبيح مستوية : لا ارتفاع فيها ولا انخفاض ، والله يترك مكان الجبال قَاضًا صَفْصَهًا. والقاع : هو المنكشف من الأرض ، دون أن يكون عليه نبات أو بناء ، والصفصف : الأرض المستوية الملساء حتى لكان أجزاءها صف واحد من كل جهة .

٧ ، ٧ – لا تَرَىٰ فِيهَا عِوْجًا وَلاَ أَمْتًا .

أى: لا ترى فى الأرض بعد اقتلاع الجبال عنها ؛ هِرَجًا مكانا منخفضا ؛ وَلاَّ أَشَّا مكانا مرتفعا ؛ فالأرض كلها فى ذلك اليوم مستوية ملساء ؛ لا انخفاض فيها ولا ارتفاع ، ينكشف الناس جميعا عليها ؛ فلا يحجبهم منخفض أو مرتفع .

٨ • ١ - يَوْمَعِلْم يُتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لاَ عِوجَ لَهُ, ...

في ذلك اليوم يتبع الناس جميعا داع*ى الله ، إلى أرض ا*لمحشر ، لا ينحرفون عنه ولا يميلون عن دعوته ، وقد كانوا في الدنيا ينصرفون عن دعوة الحق ، وينصرفون عن الإسلام ، لكنهم اليوم يحشرون خاشعين خاضعين ، وقد ظهرت على وجوه الكافرين المذلة والانكسار ؛ من هول العشر وويلات الحساب .

قال تعالى : مُّهُ عَلِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَاغِرُونَ هَلْذَا يَوْمٌ عَسِرٌ . (القدر: ٨) .

أي: مسرعين إلى إجابة الداعى ، الذي يدعو الجميع إلى الحشر والنشر والحساب.

قيل: بناديهم بقوله: «أيتها العظام البالية» والجلود المنخرقة ، واللحوم المتفرقة .. قومى إلى ريك للحساب والجزاء» ، فيسمعون الصوت ، ويقولون : لبيك ، ونحن بين يديك ، والأمر منك وإليك .

والخلاصة : أظهروا الاستجابة والخشوع والطاعة .

وَحَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا .

ذلت الأصوات فى ذلك الهوم من هيبة الجبار ، فلا تسمع فى ذلك الهوم إلا صوتا خافتا لا يكاد أن يسمع. قال ابن عباس : هو همس الأقدام فى مشيها نحر المحشر ، كما ورد فى تفسير الطبرى .

٩ • ١- يَوْمَتِدِ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ وَقُرلاً .

فى ذلك البوم ، لا تنفع الشفاعة أحدًا من الناس ، إلا لمن أذن له الرحمان فى الشفاعة ، ورضى سبحانه قول الشافع فيمن يشفع له . إن الشفاعة في ذلك اليوم لا تتم إلا على أساس مقبول : إذ يجب أن يكون المشفوع له من أهل لا إله إلا الله ، كما قال ابن عباس .

أى: يجب أن يكون من أهل التوحيد ، وأن تكون الشفاعة بالعدل والقسطاس المستقيم ، وهذا كقوله تعالى : مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ حِمَائَةً، وِإِلَّا بِإِنْفِدِ ... (البقرة : ٢٥٥) .

وكقوله سيحانه : وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ... (الأنبياء : ٢٨) .

وكقوله عن وجل : وَكُم مِّن مُلَكِ فِي ٱلسَّمَلُوْ اسْ لَا تَغْيى شَفَاعَتُهُمْ شَيَّا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِهَن يَشَاءُ وَيُوضَى . (الدجه : ٢٦) .

وخلاصة القول: إنما تنفع الشفاعة لمن أنن له الرحمان في أن يشفع ، وكان له قول يُرضي.

قال عز شأنه : يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَكِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاْ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرُّحْمَلُ وَقَالَ صَوَابًا . (النبا : ٣٨).

إنه يوم الدُّين أي : الجزاء العادل ، فلا ظلم فى ذلك اليوم ، ولا مخالفة ، ولا حيف ؛ لأن الأمور كلها بيد الله سريح الحساب .

قىال تىعالى : وَنَعَتُعُ ٱلْغَوْزِينَ ٱلْفِسْطُ يَوْمِ ٱلْقِيْسَةَ فَلا تُطْلَمُ نَفْسٌ شَيْثَا وَإِن كَانَ مِظْالَ حَبَّةٍ مِّنْ عُودُل آلَيّنا بِهَا وَ كَانُى إِنَا حَسْسِيسِ . (الأنبهاء : ٤٧) .

وقد ورد في الصحيحين: أن الموقف إذا اشتد ، واشتد الزحام ، ألهم الناس أن الشفاعة للأنبياء ، فيذهبون إلى آدم ، ثم إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيقول كل واحد منهم : نفسى ، نفسى ؛ إن الجبار غضب اليوم غضيا شديدا لم يغضب مثله ، ثم يذهبون إلى النبى محمد ﷺ ، فيقول : «أذا لها ، أنا لها» ثم يذهب تحت العرش فيخر ساجدًا لله تعالى ، ثم يلهمه الله من الثناء على الله والحمد لله بما هو له أهل ، ثم يقول سبحانه : «يا محمد ، ارفع رأسك وقل يُسمع قولك ، واشفع تشفع، قذلك قوله تعالى : عَسَى أَن يُتَعَلَىٰ وَرَبُّل مَقَامًا مُحْمُورًا . (الاسراء ، ١٩٧).

# ١١٠ - يَعْلَمُ مَا يُبْنَ أَيْلِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا .

يعلم الله تعالى ما بين أيدى عباده من شئون الآخرة وَمَّا خُلَقَهُمْ من شئون الدنيا ، ولا تحيط علومهم بمطوماته عز وجل ، فالخلائق جميعا لا يحيط علمهم لا بذاته تعالى ولا بصفاته ولا بمعلوماته . قال تعالى : يَعْلَمُ مَا يَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مَّنْ عِلْمِةٍ إِلَّا بِمَا شَآءَ ... (البقرة : ٢٥٥) .

وقيل: المراد: لا يحيطون بمعرفة ذاته؛ إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ، واختاره في التسهيل.

١١١- وَعَنَتِ ٱلْوَجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا.

إنه المجلال والهيبة والخضوع ، والفضوع لأمر الله هى ذلك الموم ، وقد جاء الجميع فى خضوع وخضوع ، شه الواحد الأحد ، الهرد الصمعد ، المقائم على كل نفس يما كسبت .

وَعَسْرَ آثْرُ جُوهُ . ذلَّت وانقادت واستسلمت لأمر الله ، وخصص الوجوه ؛ لأنها أشرف شىء فى الإنسان ، ولأن آثار المذلة أو السرور تظهر كأوفى ما تكون فى الوجه .

## قال الزمخشرى في تفسير الكشاف:

المراد بالوجوه : وجوه العصاة ، وأنهم إذا عاينوا يوم القيامة : الخيبة ، والشقوة ، وسوء الحساب ؛ صارت وجوههم عانية ، أى : ذليلة خاضعة ، مثل وجوه العناة وهم الأسارى ؛ كقوله تعالى : فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْقَةً سِبَّتَ وُجُوهُ ٱللِينَ كَفُرُواْ ... (الملك : ۷۷) .

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلُّمًا . خسر من أشرك بالله ولم ينجح ولا ظفر بمطلوبه .

١ ١ ٧ - وَمَن يَعْمَلُ مِنَ ٱلصَّلْلِحَلْتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا .

ومن يعمل صنالح الأعمال على قدر طاقته ، وهو مؤمن بريه وملائكته وكتبه ورسله ؛ فَلا يُحَافُ ظُلُمًا بزيادة سيئاته ، وَلاَ هَشِمًا ولا بحُسًا ونقصًا لحسناته ؛ فالإنسان يوفى جزاء عمله ، ولا يُطلم مثقال ذرة ، وإن فعل حسنة ضاعف الله ثوابها .

قال تعالى : إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَطْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن لَكُ حَسَنَةً يُصَلِعِهُهَا وَيُؤْتِ مِن لَذُلهُ أَجْرًا عَظِيمًا . (النساء : ١٠) .

والمخلاصة : أن العبد لا يؤاخذ بذنب لم يعمله ، ولا تبطل له حسنة قد عملها .

قال تعالى : وَلا تَزِرُ وَالِرَةٌ وِزْرُ أُخْرَىٰ ... (الأنعام : ١٦٤) . أي : لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلَنكُ قُرَّءَانًا عَرَبِيَّنَا وَصَرَّفَنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ بِثَقُونَ ٱوْبَعْدِثُ أَكُمْ ذِكْرًا ﴿ فَنَعَلَى اللّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعَجَلْ بِٱلْشَّرْهَ انِ مِن قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُكُ، وَقُلْ زَيْنِ زِذْنِي عِلْمَا ﴿ ﴾

### المفردات،

مسرهساء كررنا وقصلنا

ذك \_\_\_\_\_\_\_ إ عظة وعبرة.

فتعالى الله ، تنزم وتقدُّس .

السبحسيق: الثابت في ذاته وصفاته.

يقضى إليك وحيه ، يُتم جبريل تبليغه لك .

#### تمهيد :

نزل القرآن بأسلوب عربي مبين ، واشتمل على صنوف البلاغة والبيان ولرَّن الله فيه ألوان الوعيد لعل ذلك يهدهد كبرياء العمداة ، أن يذكرُهم بعظمة الله . والله سبحانه وتعالى متعلف بصفات الكمال ، وأنه يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي .

#### التفسيره

# ١١٣ - وَكَدَا لِكَ أَلزَ ثُنَّهُ قُرْءَانًا عَرَبًا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَصِدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا .

أى: مثل إنزال الآيات المشتملة على القصص العجيبة ، وعلى هذا النسق أنزلنا عليك يا محمد هذا الكتاب بلغة العرب ؛ ليعرفوا أنه آية في القصاحة والبلاغة ، ونوعنا في هذا القرآن من صور الرعيد ومواقفه ومشاهده ؛ لعند يستجيش في نفوس المكذبين شعور التقوى أن يذكرهم بما سيلقون في الآخرة ؛ لينزجروا، ومشاهده ؛ لعنر مرابع ، ويتركوا ما نهوا عنه .

# ١١٤ - فَتَعَلَلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ...

تنزه الله وجلٌ في علاه ، وتقدَّس الملك الحق ، الذي قهر سلطانه كل جبار ؛ عما يصغه به المشركون من خلقه . وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحَيْهُ, ...

ولا تعجل بقراءة القرآن في نفسك ، من قبل أن يتم جبريل تبليغه لك ؛ بل استمع وانصت وتفرغ تماما لتلقى الوحى . فإذا انتهى جبريل من تبليغه لك ، فاقرأه أنت .

## قال ابن عباس:

كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحى : حرصا على حفظ القرآن ومخانة النسيان : فنهاه الله عن ذلك .

## قال القرطبي:

وهذا كفوله تعالى : لاَ تُحَرِّكُ بِهِ لِسَائِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ وِانْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ، وَقُوْمَانَهُ، ه فَإِذَا قَرَائَهُ فَأَثَبِعُ قُرْءَانَهُ، ه ثُمُّ إِنْ عَلَيْنَا كِمَانُهُ، (العباسة: ١٩ - ١٩) . ا هـ.

أي: إن علينا جمعه هي صدره ، وقراءته على لسانه : فإذا قرأه جبريل وانتهى من قراءته : فاقرأ أنت. ثم إِنَّا تَكَلَفنا بِبِيانَ معانيه لك ، وإلهامك المعنى .

قال تعالى : وَأَنوَ ثُنَآ إِلَيْكَ ٱللَّكُورَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلُّهُمْ يَتَفكُّرُونَ . (النحل: ٤٤) .

وَقُل رُبِّ زِدْنِي عِلْمًا .

أى: سل الله: زيادة في العلم ، دون استعجال الوحى ، وأنت مطمئن إلى ما يعطيك ، ولا تخشى عليه الذهاب : فإن ما أوحى إليك يبقى لا محالة .

روى الترمذى عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : «اللهم ، انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وزدنى علما ، والحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار، ٣٠٠.

وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم ، زدني إيمانا وفقها ، ويقينا وعلما .

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْ فَا إِلَى ادَمَهِن فَبَلُ فَنَسِى وَلَمْ جَعْدُ لُهُ عَزْمًا ۞ وَإِذْ قُلْنَ الْلَمَلَةِ كَيَ اسْجُدُوا لِاَدْمَ فُسَجَدُوْا لِإِنْ إِلِيسَ أَنِ ۞ فَقُلْنا يَعَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوًّ لَكُ وَلَرْوَ حِك فَلَا يُعْرِجُنُكُمُ عِنَ الْجَنَةِ فَتَشْفَى ۞ إِنَّ لَكَ أَلَا جَعُعَ فِهَا وَلاَ تَعْرَى ۞ وَأَنَكَ لا تَظْمَوُا فَهَ اللَّهِ وَمُلْكِ لاَ يَبْلُ ۞ فَوسُوسَ إِلَيْهُ الشَّيْطِانُ قَالَ يَتَادُمُ هُلَ أَذَلُكَ عَلَى شَجَرَة عَلَيْهِ عَلَى وَرَقِ الْجُنَةَ وَعَمَى الْمَهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُعْمَا اللَّهُ الْمُعْمَلِكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْمَا اللَّهُ الْمُعْمَلِكُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَا وَلَا اللَّهُ الْمُعْمَالُولُ اللَّهُ الْمُعْمَا اللَّهُ الْمُعْلَى اللَّهُ الْمُلُولُكُ الْمُؤْمِنَ اللَّهُ الْمُعْمَا اللَّهُ الْمُعْمَا اللَّهُ الْمُعْمَالُولُ الْمُعْمَالُولُ اللَّهُ الْمُعْمَالُولُولُ اللَّهُ الْمُعْمَالُولُولُ اللَّهُ الْمُعْمَالُولُ اللَّهُ الْمُعْمَالُولُ اللَّهُ الْمُعْمَالُولُولُ الللَّعُولُ اللَّهُ الْمُعَلِّلُولُ اللَّهُ الْمُعْمَالُولُ اللَّهُ الْمُعْمَا

## المفردات :

السعسها: الوصية يقال: عهد إليه الملك بكذا، وتقدم إليه بكذا: إذا أمره وأوصاه به.

مسن قسيسل، من قبل وجود هؤلاء المخالفين.

تســــی، ترك.

والماليجيدالية والم نظم له .

العزم على الشيء، تصميم الرأى والثبات عليه .

أبــــــان امتنع.

تشميمة من تتعب بمتاعب الدنيا وهي لا تكاد تحصى.

تضيدي، تصيبك الشبس ، يقال : ضما ؛ إذا أصابته الشبس بحرها اللاقع .

شجرة الخلد؛ الشجرة التي إذا أكل منها الإنسان خلد ولم يمت.

لايسباسي: لا يفني .

طفقا يخصفان ، شرعا بلزقان ورق التين على سوءاتهما لسترها .

في عدوًه .

اجستسيساه: اصطفاه وقريه إليه.

وهسسسسدي: إلى الثبات على التوبة.

عبس السماوية .

الضيد.

أعسمسى: عن النظر في الحجج والبراهين الإلهية.

أيساتستساء أدلتنا.

<del>شاسسیان ترکتها</del>،

تستسمى، تترك.

أسسسسره، انهمك في الشهوات واسترسل فيها.

#### تمهيده

تتناول الآية قصة آدم ، وقصة إبليس وامتناعه عن السجود لآدم ، ووسوسة إبليس لآدم وحواء بالأكل من الشجرة ، ثم خروج آدم وحواء من الجنة إلى الدنيا .

## التفسيره

٩١٥ - وَلَقَدْ عَهِدُنآ إِلَىٰٓ عَادَمَ مِن قَبْلُ فَنسِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ, عَزْمًا .

أى: أمرنا آدم بالأكل من ثمار الجنة ، وعدم الأكل من شجرة معينة : تدريبا له على الإرادة والمنيمة، واتباع المأمورات ، واجتناب المنهيات . والإنسان مخلوق من طين ، وقد نفخ الله فيه من روحه ، ويقدر تساميه وعنايته بروحه وطهارته ؛ تعلق منزلته وتشرُف آدميته ، ويقدر اتباع شهوات النفس وحظوظها ؛ تهبط منزلته .

# وَلَمْ لَجِدْ لُهُ, عَزْمًا .

أى: نسى آدم عهدنا ، ولم نجد له ثبات قدم فى الأمور : يجعله يصبر على عدم الأكل من الشجرة ؛ بل. لانت عريكته ، وفترت همته بسبب خديمة الشيطان له .

## من كلام المضسرين

## قال في المنتخب في تفسير القرآن الكريم:

المحمى: ولقد وصينا آدم ، من أول أمره ، ألا يخالف لنا أمرًا ، فنسى العهد وخالف ، ولم نجد له أول أمره عزما وثيقا ، وتصميما قويا ، يمنع من أن يتسال الشيطان إلى نفسه بوسوسته .

وجاء في : أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ما يأتي :

وَلَقَدْ عَهِدُنَا إِلَىٰ عَادَمَ مِن قَبْلُ فَنسِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ, عَزْمًا .

كم قال في تنزيه الأنبياء عن الذي لايليق بمنزلتهم ، مما ينسبّ الجهله إليهم ، من وقوعهم في الذنوب عمدًا منهم إليها ، واقتحاما لها مع العلم بها ، وحاشى لله ، فإن الأوساط من المسلمين يتورعون عن ذلك ، فكيف بالنبيين ، ولكن الهاري سبحانه وتعالى بحكمه النافذ ، وقضائه السابق ، أسلم آدم إلى المخالفة ؛ فوقم فيها متعمدًا ناسيا ، فقيل في تعمده : وَعَصْيَ عَاثُمُ رَبُّهُ فَعُوْكَ . (طه ، ۱۲۸) .

وقيل في بيان عدره : وَلَقَدْ عَهِدْنَاۤ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن فَبْلُ فَنَسِيَ .

ونظيره من التشيارات أن يحلف الرجل: لا يدخل داراً أبدًا، فيدخلها متعمدا، ناسيًا لهمينه ، أو مخطئاً في تأويله ، فهو عامد ناس ، ومتعلق العمد ، غير متعلق النسيان ، وجاز للمولى أن يقول في عبده : وَحُمَّىٰ، تحقيرًا وتعذيبا ، ويعود عليه بفضله فيقول : فَنَبِي ، تنزيها . ولا يجوز لأحر مثّا أن يخبر بذلك عن آدم إلا ما ذكرناه في أثناء قول الله عنه ، أو قول نبيه ، وأمّا أن نبتدئ في ذلك من قبل أنفسنا : فليس بجائز لنا في آبائنا الأَذَنَين إلينا ، المماثلين لنا ، فكيف بأبينا الأقدم الأعظم ، النبي المقدم، الذي عدره الله، وتاب عليه ، وغفر له (\*\*).

١١٦- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَاتِكَةِ ٱسْجُلُواْ لِآدَمَ فَسَجَلُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَيَىٰ.

تقدم الكلام على قصة سجود الملائكة لأدم فى سورة البقرة ، وفى الأعراف وفى الحجر والكهف وسيأتى فى آخر سورة صَ .

وقد ذكر الموضوع مجملا ، فالسورة لبيان ألطاف الله وفضله .

ومعنى الآية :

واذكر أيها المخاطب , وقت أن قلنا للملائكة : اسجنوا لأمم : سجود تكريم لا سجود عبادة : فامتثلوا لأمرنا : الا إطيس فانه أبي السجود لأدم ، تكبرا وغريرًا وحسدًا على هذا التكريم لآدم . وكان إبليس مقيما مع الملائكة فَحُسِبَ منهم ، مع أنه غير داخل فيهم بل هو جنى بدليل قوله تعالى: إِلّا إِلْيِسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنَّ قَفَسَقَ عَنْ أَمْر رَبّهِ ... (الكهف: ٥٠) .

### قال الزمخشرى :

فإن قلتَّ : كيف صح استثنارُه وهو جنى من الملائكة ؛ قلتُ : عمل على حكم التغليب ، في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه ، فأخرج الاستثناء على ذلك ، كقولك : خرجوا إلا فُلانة لامرأة بين الرجال (٣٠).

ومعنى : إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ . أي : امتنع واستكبر.

١١٧ - فَقُلْنَا يَكَادَمُ إِنَّ هَلْدًا عَدُوًّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَى ٓ.

أخبر الله آدم تنبيها له ، وتحذيرا له من عدوّه ، الذي امتنع عن السجود له .

والمعنى: قلنا: يا آمم ، إن إبليس عدو لك ولزوجك حواء ؛ يحاول أن يوسوس لك بالإغراء والتزيين، ومحاولة زحزحتك عن طريق الجادة : فاحذر من طاعته : لأنك إن أطعته : أغضبيت ربك : فأخرجك من الجنة، التي تضمن فيها حياة هانئة : لا جوع فيها ولا عرى ، ولا تعانى من شدة الحرارة أو شدة البرودة .

فإذا خرجت إلى الدنيا ؛ وجب عليك أن تشقى وتتعب فى زراعة الأرض والحصناد وإنضناج الطعام ، وسائر النفقات على نفسك وعلى زرجتك .

## قال القرطبي :

وفي ذلك نعلم لتنا أن نفقة الزوجة على الزرج ، فمن يومثذ جرت نفقة النساء على الأزواج ، فلما كانت نفقة حواء على آدم ، كانت كذلك نفقات بناتها على بنى آدم بحق الزوجية .

١٩،١١٨ - إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ ﴿ وَأَنْكَ لَا تَطْمَوُّا فِيهَا وَلا تَصْحَىٰ .

إن الجنة نعيم دائم، وسعادة، وعز بلا نل؛ فالجوع يثل الإنسان فى الباطن، والعرى يذله فى الظاهر، والظمأ حرارة الباطن ، وشدة الشمس وقوتها حرارة الظاهر .

فالجنة اجتمعت لها أسباب الأمن والسكن ، وراحة البال تمتعا بأنواع المعاش ، وأصداف النعم : من المأكل الشهية ، والملابس اليهية .

## ومعنى الآية :

احذر يا آدم أن تطبع إبليس : فيحل بك الشقاء ؛ بحثا عن الطعام والريّ والكسوة والمسكن . وهذه الأمور الأربعة ، هي الأسس التي يدور عليها كفاف الإنسان في الحياة الدنيا . أما أهل الجنة فهم آمنون مطمئنون ؛ يصل إليهم الطعام والماء والمليس والمسكن ، مع النعيم الدائم، والتمتع بكل مطالب الحياة الهنيئة الناعمة الدائمة .

• ١٢ - فَوَسْوَ سَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادَهُ هَلْ أَذُلُكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكِ لا يَبْلَىٰ .

الوسوسة: الخطرة الرديئة ، وأصلها من الوسواس وهو صوت العلى، والهمس الخفى ، والوسواس من أسماء الشيطان كما قال تعالى فى سورة الناس : قُلُ أَكُودُ بِرَبُ ٱثّنَاسٍ ، مَلِكِ آثَاسٍ ، وإِلَّكِ ٱثّناسٍ ، مِن شَرُّ آلْوَسُواس آلْخَتَّاسِ ، ٱللّذِي يُوسُوسُ فِي صُدُور آثناس ، مِنْ الْحِيَّةِ وَٱلْكَاسِ . (الناس: ١ - 1) .

## ومعنى الآية :

حدّث الشيطان آنم خفية بطريقة الرسوسة ، قال : يا آنم ، هل أدلك على شجرة من أكل منها : خلّد ولم يمت أصلا ، ونال الملك الدائم الذي لا يزيل أبدا ؟!

وهى مكيدة لمس فيها الشيطان الموضع الحساس فى نفسه ؛ فالعمر البشرى محدود ، والقوة البشرية محدودة ، من هنا يتطلع الإنسان إلى الحياة الطويلة ، وإلى الملك الطويل ، ومن هاتين النافذتين يدخل عليه الشيطان ، وآدم مخلوق بغطرة اللبشر ، وضعف البشر ، ولأمر مقدور ، وحكمة مخبومة ، ومن ثم نسى العهد وأقدم على المحظور .

١ ٢ ١ - فَأَكَلاَ مِنْهَا فَيَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ لُهُمَا وَطَفِقَا يَحْمِفُانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَق ٱلْجَنَّة وَعَصَى ٓعَادَهُ رَبُّهُ فَعَوَىٰ.

أى: أكل آدم وحواء من الشجرة ، فانحسر عنهما نور الله الذي ألبسهما إياه ؛ كما قال ابن عباس <sup>٢٠١</sup>. وظهرت لهما عوراتهما ، وسميت سوءة ؛ لأنها تسوء من تنكشف عنه .

وَطَلِقَا يُخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ.

جمهور المفسرين : أنَّهما أهذا ورق التين : ذلك أنه أكثر عَرْضًا من غيره ، وأخذا يلزقان عليهما ورق الجنة ، ويشبكانه حتى يستر العورة .

وَعَصَيَّ ءَادَمُ رَبُّهُ فَعُوَىٰ.

أى: خالف أمر ربه بالأكل من الشجرة : فأخطأ طريق الصواب ، وضلٌ عن المطلوب ؛ الذي هو الخلود في الجنة : حيث اغتر يقول العدنّ. قالوا: وقد سماه الله عصيانا وغواية مع صغير زلته ؛ تعظيما لها ، وتحذيرا ، وزجرًا بليغًا لأولاده عن أمثالها (<sup>(())</sup>.

فإذا كان آدم قد خرج من الجنة بسبب ذنب واحد ؛ فكيف نطمع فيها مع كلير من الذنوب نرتكبها ، ولا نتوب منها .

قالوا: ولكن آدم في عصيانه كان متأولا: لأنه اعتقد أن النهي عن شجرة معينة : إلا عن الدوع كله ، وقالوا: وتسمية ذلك عصياتا لعلو منصبه ، وقد قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، كما قالوا: إن من الأسباب التي حملت آدم على الأكل من الشجرة : أن إبليس أقسم له يالله إنه له ناصح ، فصدقه آدم عليه السلام : لاعتقاده أنه لا يمكن لأحد أن يقسم بالله كاذبا ، والمؤمن غر كريم ، والفاجر خبُّ لئيم ، كما جاء في الحديث الشريف .

واختار بعض المفسرين أن الأكل من الشجرة كان قبل النبوة ، ثم تاب الله عليه وهدى بالنبوة والرسالة. ٧ ٧ - ثُدُّ آجَتِنُكُ رُبُّهُ قَتَابَ طَلَّهُ وَ مَنْدَىٰ

أى: ندم آدم هو وزوجته ، واعترفا لله بخطئهما ، وألهمهما النوية ، وكلمات ودعوات كانت السبب في قبول تويتهما قال تعالى : فَتَلْقَى َانَهُ مِن رَّبُهِ كَلِمَنْتُ ثَعَابَ عَلَيْهِ إِلَّهُ, هُوَ ٱلثَّوِّابُ ٱلرَّحِيمُ . (البقرة : ٣٧) .

١٢٣ - قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِتَعْسَ عَدُو ۚ فَإِمَّا يَأْتِيتُكُم مِّنَّى هُدًى فَمَن ٱتَّبَعَ هُذَاى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ.

ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالآية : اهبطا يا آدم وجواء ، من الجنة إلى الأرض ؛ حال **كر**ن بعض ذريتكم عدو للبعض الآخر ؛ بسبب التنافس في المعايش والتجارة والحياة الدنيا .

## وقال ابن كثير :

قال الله تعالى لأدم وحواء وإبليس: اهبطوا منها جميعا، أي من الجنة كلكم.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُوٌ .

أى: ألدم وذريته وإبليس وذريته ، وهذا الرأى أقرب إلى ما ذكر في القرآن كثيرا مثل قوله تعالى : إِنَّ ٱلنَّيْظَانَ لَكُمْ مَكْرٌ فَٱتَخِدُّرهُ مُنذُوًا ... (فاطر: ٦) .

فقد أعلن الله في الملإ الأعلى للإنس والجن: أن الشيطان عدرً للإنسان: فليس لأحد أن يقول: إنما أغذت على غرة من حيث لا أدرى: فقد درى وعلم بما أعلنه الله في الوجود كلّه.

يَعْضُكُمْ لِبَعْضِ عَدُوٍّ .

ومع هذا الإعلان الذي درّن به السماوات والأرضون ، وشهده الملائكة أجمعون ؛ شاءت إرادة الله ، ورحمته بعباده ، أن يرسل إليهم الرسل ، وأن ينزل إليهم الكتب ؛ دعوة إلى الهداية وإرشادًا إلى الاستقامة .

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنَّى هُدَّى .

فإن جاءكم من جهتى الكتب والرسل لهدايتكم.

فَمَن ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ.

من اتبع الهدى وأمن بالله ، وعمل بكتابه وأوامر رسوله ﷺ ؛ فلا يضلّ فى الدنيا ، ولا يخرج عن الهدى إلى الضلالة ، ولا يشقى فى الآخرة .

## جاء في تفسير القرطبي:

قال ابن عباس: ضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه: ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الأخرة ، وتلا هذه الآية .

أخرج ابن أبى شيبة والحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال: أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ، أو يشقل في الدنيا ، أو يشقل في الدنيا ، أو يشقل في الأحديث و الأحديث ؛ ثم قرآ الآية : ... فَن أَتُبُعُ هُدَاكً فَلاَ يَعْدِلُ وَلاَ يُشْقُلُ.

وروى عن ابن عباس مرفوعا إلى النبي ﷺ: «من اتبع كتاب الله؛ هداه الله تعالى من الضلالة في الدنيا ووقاه سوه الحساب يوم القيامة».

# ١٢٤ – وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ, مَعِيشَةً صَعْكًا ...

من اتبع هدى الله ودينه وكتابه وشرعه: فلا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الأخرة ، ومن أعرض عن شرع الله ودينه وكتابه ، وآثر العاجلة ، فإن له معيشة ضنكا ، ضيقة مؤلمة ، وقد يوجد المال أو الجاه أو السلطان أو مظاهر الدنيا ، وهذا الإنسان الغنى أو الوجيه فى ضنك الداخل ؛ ضنك بعده عن الله ، ضنك الخوف على المال أو الوجاهة ، ضنك الإحباط والحيرة والشقوة ؛ حيث لم ينشرح صدره لوحى الله ودينه ، فصار قاسيا بعيدا عن الأنس بالله ، والرضى بالقضاء والقدر ، والسرور بمحبة الله ، قال تعالى : أفَّمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرةً، لِلإِسْلَام فَهُوَمَلْيَ فُور مُن رَبِّهُ فَرَيْلٌ للْقَسْرِية قُلُويُهُم مِنْ دِكُمْ اللهِ أَوْلَئِكِكُ فِي صَلَال مَّين . (ازمر: ٢٧).

# وَنَحْشُرُهُ, يَوْمَ ٱلْقِيَسْمَةِ أَعْمَىٰ .

قال بعض المفسرين ، نحشره أعمى عمّى حسيا ، وهو عمى البصر ؛ عقوية حسية على إعراضهم عن أدلة الحق ، وعن عدم النظر إليها ، واعترض آخرون عليهم بقوله تعالى : أُسْمِحْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يُومَ يَأْلُونَكَ ... (مريم : ٣٨). وأجادوا : بأن هذاك مذازل ومواقف متعددة يوم القيامة .

فالكافر في أول أمره يحشر أعمى لا يرى شيئا إلا جهنم ، وهي المصير الذي ينتظره ، وبعد فترة يهمس ليري سوء منزلته ، وألوان العذاب الذي ينتظره ،

## وقال بعض المفسرين:

العمى هذا عمى البصيرة لا عمى البصر، فهو أعمى عن كل حجة يدافع بها عن نفسه ؛ ذلك أن الله أما المحمد والمنافع الم أعطاهم البصر والأذن والعقل فى الدنيا ، فلمًا لم ينظروا إلى الحق ، ولم يسمعوا إلى القرآن سماح تأمل وإنصات، ولم يتفكروا فى هذا الدين ويتأملوا فيما اشتمل عليه ؛ صاروا كأنهم محرومين من هذه النعم فى الدنيا ، وكذلك فى الأخرة .

قال تحالى : وَلَقَدْ فَزَأَنَا لِجَهَنْمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنْ وَآلاِسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفَشُ لَّا يُنْصِرونَ بِهَا وَلَهُمْ عَاذَانُ لَا يَشْمَعُونَ بَهَا أَوْلَئِلِكَ كَالْأَنْفُسُمَ بَلْ هُمْ أَصَلُّ أُولَّئِكِكَ هُمْ آلْمُذَافِّدُونَ . (الأعراف ١٩٧١).

## قال ابن كثير في التفسير:

ويحتمل أن يكون العراد : أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى الهمس والبصيرة أيضًا كما قال تعالى : وَلَحُشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكُمًا وَصَمًّا مَّأُوسُهُمْ جَهَنَّمُ كُلُمًا خَبَتُ زِذَنَهُمْ سَعِيرًا . (الإسراء : ٩٧). ويؤيد ذلك الآية التي تليها .

١٧٠٠١ ٧ - قَالَ رَبُّ لِمُ حَشْرَتَتِى ٓ أَعْمَىٰ وَقَلْدُ كُمتُ بَعِيرًا - قَالَ كَنَا لِكَ أَتَلَكَ وَإِنْكُ قَسِيتَهَا وَكُنَا لِكَ ٱلنَّوْمَ تُسَنَى :

أى: قال الكافر: يا رب ، لم حشرتنى أعمى عن حجتى ، وأعمى البصر وقد كنت فى الدنيا بصيرا : قال الله تعالى له : «كما أتتك آياتى ورسلى وشريعتى فى الدنيا ؛ فتناسيتها وأعرضت عنها ، وعاملتها معاملة الأعمى الذى لا بصر له ، كذلك ننساك فى الأخرة كما نسيتنا فى الدنيا» ، وقريب من هذا المعنى قوله تعالى: فَالْيُومُ نَسْاهُمُ كُمَا نُسُواْ لِقَاءَ يُوْمِهِمْ فَذَا ... (الأعراف: ٥١) . قال النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٦٨/١٦ :

كَذَالِكَ . أي : مثل ذلك فعلت أنت ، ثم فسَّ ذلك بقوله : أَتُكُ وَالنَّظَّ . أي : دلائلنا واضحة مستنيرة فَسِيَّهَا . أي : تركت العمل بها : والقيام بموجبها ، وكَذَالِكَ ٱلْيُرْمُ لُسُنِّ . تترك بلا فاتدة النظر والاعتبار .

١ ٢٧ - وَكُذَ اللَّهُ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِشَايَلتِ رَبِّهِ ...

أي: يمثل هذا الجزاء نجزي من أسرف على نفسه ، ودفع بها في متاهات الضلال .

وَلُمُ يُؤُمنُ إِثَّالِيَّاتِ رَبُّهِ. التي عرضت عليه : إنه يحشر يوم القيامة أعمى ، ثم إن وراء هذا عذايا هو أشد من هذا العمى ، وأيقى أثراً .

وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰۤ.

أى: ولعذاب الآخرة في النار ، أشد مما نعذبهم به في الدنيا وأكثر بقاء : لأنه لا أمد له ولا شهاية. \* \* \*

﴿ أَفَلَمْ يَهْ لِهُمْ كُمْ أَهْلَكُنَا فَلَهُم مِنَ الْفُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَدِيهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ كَذَبْ لِأَوْ لِي اَلنَّهُ فِي فَنَ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِن رَبِكَ لَكَانَ لِزَامَا وَأَجْلُ مُسْمَى ﴿ قَ فَاصْبِرَ عَكَ مَا يَفُولُونَ وَسَيِّح بِحَمَّد رَبِكَ قَبَلَ طُلُوع الشَّمْسِ وَقَبْلَ عُرُوجاً وَمِنْ مَانَاتِهِ اللَّهِ فَسَيِّع وَأَمْرَافَ النَّهَ النَّهَ إِلَيْمَاكَ مَرْضَى ﴿ وَلِكَ قَبَلُ طُلُوع الشَّمْسِ وَقَبْل عُرُوجاً وَمِنْ مَانَاتِهِ اللَّهِ السَّيْعَ وَأَمْرَافَ النَّهَ النَّهُ وَلِمُعَلَّى مَرْضَى ﴿ وَلَا تَمُدَّدُ عَلَيْتِكَ إِلَى مَا مَتَعَالِهِ الْوَالمَ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ اللَّهُ وَالْمَالُونَ وَاصْطَعِرْ عَلَيْما لَا لَاسْتَلْكَ الذَّنَا النَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمُسَالِّونَ وَاصْطَعِرْ عَلَيْما لَا لَاسْتَلْكَ رَوْنَا أَنْ مُنْ رُزُولُونَ وَالْسَطِيرِ عَلَيْهِ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ اللَّهُ الْمُسَالِقُ الْمُسَالِقُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُسَالِقُ الْمُ اللَّهُ الْمُسَالَةُ وَالْمُؤْولُولُ السَّوْلُ اللَّهُ الْمُسَالِقُ الْمُنْ الْمُنَالِقُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنَالُونَ وَالْمُؤْلُولُ السَّمَالَ فَيَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُسَالِقُ وَالْمُ اللَّهُ الْمُسَالِقُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي اللَّهُ الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي اللّهُ الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُلْمُ الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي الْمُنْفِي اللّهُ الْمُنْفِي ا

#### المفردات :

أهلم يسهد لهم ، أقلم يتبين لهم العبر؟!

الأولى السنسهسى؛ لذوى العقول الراجعة .

المسارانساء لازمالهم لايتأخر عنهم.

فسبح بحمد ريك، اشتغل بتنزيه الله وتعظيمه.

أنصاء السلسيسل و ساعاته .

والانقدان عيشيك، لا تطيلن النظر ؛ رغبة واستحسانا.

المستسب المساد علناهم يتلذذون بما يدركون به المناظر الحسنة ، ويشمُّون من الروائح الطيبة .

أزواج الشكالا وأشباها.

زهرة الحياة الفنياء زينتها وبهجتها.

المنط تنهم الباليهم ونختبرهم.

وزرق ريسك، ما ادَّخره لك.

واصطبر عليها: دم عليها.

#### تمهيد :

تشتمل الآيات ١٣٠ - ١٣٢ على منهج إلهي يأمر بالآتي :

 ١ - تسبيح الله وتنزيهه والمداومة على ذكره ، أو الصلاة المفروضة والنافلة ؛ فهذه وسيلة الرضا والرضوان .

- عدم الالتفات إلى ما متع الله به الكافرين أن العصاة ؛ من زهرة الدنها ؛ لتكون ابتلاء والهتهارًا ،
 وما عند الله خير وأبقى .

آن يأمر أهله وعشيرته وأمته بالصلاة ، ويصطير عليها ، وهو لايكلفه رزفًا لنفسه ولا لغيره ،
 فالله يرزقه من واسع فضله ، وعظيم عطائه ، والعاقبة للتقوى .

## التفسير ،

١ ٢٨ - أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُمْ أَهْلَكُمَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَلَكِيهِمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لآيَلت لأَوْلِي ٱلثَّهَيٰ .

أرسل الله رسلا كثيرين إلى كثير من الأمم ، ولما كذّبت هذه الأمم رسلها واستكبرت وأصمت آذاتها عن سماع الحق ، ولم يبق فيها أمل للإيمان : أهلك الله هذه الأمم ، فقرق قوم نوح بالطوفان ، وهلكت ثمود في شمال الجزيرة ، وأغرق فرعون في ماء النيل ؛ هؤلاء المكذبون كثيرون ، كانوا للجزيرة ، وأغرق فرعون في ماء النيل ؛ هؤلاء المكذبون كثيرون ، كانوا ينممون ويتمتمون ، ثم يكفرون بالله ، فأملكم الله ، وليس هذا الهلاك بعيدًا عن أي كافر ، فكيف لا يهتدون ولا يفكرون ؛ في مصير هذه الأمم السابقة ، وأن الله سبحانه يمكن أن ينزل بأهل مكة ، ما أنزله بالأمة ميدورة بالاستفهام الإنكاري .

والمحمى: أجهلوا فلم يهتدو ويعرفوا حال الأمم السابقة المكنية : كيف أهلك الله هزلاء حال كونهم مطمئنين يمشون في مساكنهم ، فباغتهم العذاب .

ويمكن أن يكون المحنى: أن هؤلاء المشركين من أهل مكة يمرون على قرى ثمود وعاد وأصحاب الأيكة. وغيرهم من الأمم البائدة ، ويشاهدون آثارهم ودورهم كيف هلكت ويادت ولم يبق بها أثر : أفلا يهتدون بحال هذه الأمم الهالكة ، وهم يمشون في مساكنهم : ويدرون عليهم في أسفارهم إلى الشمال وإلى الجنوب.

إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَنْتِ لِأُولِي ٱلنَّهَيٰ .

في هذه الأمور عظة وعبرة لأصحاب العقول حتى ينتهوا عن غيهم ، ويهتدوا إلى رشدهم .

١ ٢٩ - وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلُ مُّسَمًّى.

لقد قضى الله أن يؤخر جزاء المشركين إلى الأخرة ، ومن سنة الله أن يمهل العصاة ولا يعاجلهم في الدنيا ؛ رجاء تويتهم قال تعالى : وَقُوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ آثَاسُ بِهَا كَسُبُواْ مَا تَرَكُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن ذَاتَةٍ وَلَلكِن يُؤخِرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَل مُسمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهُ كَانَ بِجَادِهِ يَعِيرِمُّ . (فاطر: 20)

كما أن الحق سبحانه أرجأ العذاب عن أهل مكة ؛ إكرامًا لوجود محمد ﷺ بينهم .

قال تعالى : وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَلتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَلَّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . (الأنفال: ٣٣).

قال ابن كثير في تفسير الآية :

أى: لولا الكلمة السابقة من الله، وهو أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والأجل المسمى الذي ضريه الله تعالى لهزلاء المكذبين ، إلى مدة معينة ؛ لجامهم العذاب يفتة . ا هـ.

وجاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم ما يأتي :

ولولا حكم سبق من ربك بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى هو يوم القيامة : لكان العذاب لازما لهم في الدنيا ، كما لزم كفار القرون الماضية .

وقال الأستاذ عبد الكريم الحطيب في التفسير القرآني للقرآن ٢٩٩/١٦ :

وقوله تعالى: وَأَجَلُ مُسمَّى . معطوف على قوله تعالى : كُلِّهَ أُسَيَّقُتْ .

أى: لولا كلمة سبقت من ريك، وأجل مسمى: اكان لزامًا، وقدّم جواب لولا على بقية الشرط للاهتمام به والإلفات إليه . وأن كلمة الله هي الرحمة التي رحمهم بها : بفضل مقام النبي الكريم فيهم .. فلعل هؤلاء المشركين يعرفون نعمة الله فيهم ، ومقام النبيّ بينهم .

والأجل المسمِّي هو ما قدر لهم من آجال في هذه الدنيا . ا ه. .

و ذهب الكشاف في تفسير الآية إلى أن المعنى:

لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم ، كما كانا لازمين لعاد وثمود ، ولم ينفرد الأجل المسمى ، دون الأخذ العاجل .

١٣٠ – فَآصْيِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبُكَ قَبَلَ ظُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبَلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَامِى النَّلُمِ فَسَبِّحْ وَأَطْوَاكُ آلْتَهُارِ لَعَلَكُ تَرْضَىٰ .

أى : إذا كان إمهال الله للمشركين ليس إهمالاً : بل يؤجلهم إلى أجل مسمى ، فاصبر أيها الرسول الكريم على ما يقولون ، من كفر وتشكيك في رسالتك ، وانشغل بذكر الله وتسبيحه وتحميده في أوقات متعددة ، خصوصًا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، وفي أوقات وآناء من الليل ، وفي أطراف النهار ، لعل الذكر والتسبيح يعمق الإيمان ، ويمنحك الرضا واليقين والسعادة ، وهذه أعلى وأغلى من كلً ما في الدنيا .

وتلاحظ أن يعض المفسرين فسَّر كلمة رُسَّحٌ بِحُمَّارِرُبُكَ . على ظاهرها وهي التسبيح والتحميد وذكر الله تعالى ، ويعضهم فسُرها بأن المراد بها : الصلاة .

قالمراد يذكر الله قبل طلوع الشمس: صلاة الصبح ، وقبل غرويها: صلاة العصر ، وآناء الليل هي: صلاة المغرب والمشاء ، وأطراف النهار: صلاة الظهر: لأنه يجب عند نهاية الطرف الأول من النهار، وابتداء الطرف الثاني عند الزوال .

وهى صحيح البخارى ومسلم ، عن جرير بن عبدالله البجلى قال : كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : «إنكم سترون ريكم كما ترون منا القمر لا تضامون فى رويته : فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع النشص وقبل غروبها فافعلوا» (٣٠ . ثم قرأ هذه الآية : فَآصُبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبّح ، بحمُد رَّبُك قُلُ طُلُوع ٱلشّم وَقَبْل غُروبها قافعلوا» ﴿ . ثَالَم اللّهَ وَاللّهُ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبّح ، بحمُد رَّبُك قُلُ طُلُوع ٱلشّم وَ قَلْل مَرْصَىٰ .

وروى مسلم وأحمد : أن رسول الله ﷺ قال : «لن يلج النار أحدٌ صلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غرويها». (\*\*)

١٣١ - وَلَا تَمُدُّنَّ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعَنا بِهِ أَزْوَاجًا مَّنهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيْلِةِ ٱلدُّنّيا لِنَفْسَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبّك خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ.

أعطاك الله الرسالة والنبوة ونجاح الدعوة ، وأعطاك فى الآخرة الشفاعة ، وقال سبحانه : وَلَسُوْفَ . يُعْطِيكُ رَبُّكَ فَتَرْضَيّ . (الضمى: ٥) . وقال عز شأنه : عَسَىٰ أَن يُبْخَلُكُ رَبُّكَ مَقَامًا مُحْمُودًا . (الإسراء: ٧٨) . وهو تفسير لقوله تمالى : لَعَلْكُ تَرْضَىٰ . (طه: ٣٦٠) .

وهذه الآية تنهى الرسول والدراد: أمُّته ، عن النظر إلى ما أعطى الكفار من زهرة الدنيا ومُتعها : نظر إعجاب وإكبار . أمَّا النظرة العاجلة غير الممدودة التى تستكشف الطريق ، وتنظر نظرًا غير ممدود ولا مستعظم فلا جأس يهها .

#### وقال ابن كثير:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ؛ لا تنظر إلى ما فيه هؤلاء المترقون ، وأشباههم ونظراؤهم من النعيم ؛ فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة ؛ لنمتيرهم بذلك ، وقليل من عبادى الشكور .

وقال مجاهد : أَزُوا جَامَّتُهُمْ . يعنى : الأغنياء فقد آتنك الله خيرًا مما آتاهم ، كما قال في الآية الأخرى : وَلَقَدْ عَانِيْدَاكَ سَبُّهَا مَنْ آلْمُعَانِي وَآقَدُوانَ ٱلْعَظِيمَ وَلاَ تَمُدُنَّ عَيْنِكَ إِلَىٰ مَا تَشْتَا بِهِ أَزُوا جَا مِنْهُمُ وَلاَ تَحْرَنُ عَلَيْهِمُ وَآخَفِيشُ جَنَاحَكُ لَلْمُؤْمِينَ . (المجر: ١٨ ، ٨٨).

## وقال في ظلال القرآن:

وَلا تُمُدُنَّ عَيْبَكَ إِلَىٰ مَا مُعْتَا بِهِ أَزْوُ اجَا مُنْهُمْ . من عرض الحياة الدنيا ، من زينة ومتاح ، ومال وأولاد ، وجاه وسلطان .

زَهْرَةُ ٱلْخَيْرَةِ ٱللَّذُيّا . التي تطلعها كما يطلع النبات زهرته لامعة جذابة ، والزهرة سريعة الذبول ؛ على ما بها من رواء وزواق ، فإنما نمتعهم بها ابتلاءً ؛ لِنَفْتِهُمْ لِهِ ، فنكشف عن معادنهم ، بسلوكهم مع هذه النعمة ، وذلك المتاع ، وهو متاع زائل كالزهرة سرعان ما تذبل .

وُرِدْق رَبِّكَ عُبِرُ وَأَتَّنَى . وهر رزق النعمة لا الفننة ، رزق طيب خبيَّر باق ، لا يذبل ولا يخدع ولا يفتن ،
وما هي دعوة للزهد في طيبات الحياة ، ولكنها دعوة إلى الاعتزاز بالقيم الأصبلة الباقية ، وبالصلة بالله
والرضى به ، فلا تتهاوى النفوس أمام زينة الثراء ، ولا تفقد اعتزازها بالقيم العليا ، وتبقى دائما تحسُ
حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار (٢٠٠).

وخلاصة هذا: التنفير من الانهماك في التمتع بزهرة الدنية لسوء عاقبتها .

١٣٢ – وَأَمْرُ أَهْلَكَ بَالصَّلَوْةِ وَآصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْتَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْطَقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ .

والغطاب للرسول صلى الله و لكل من يتأتى منه الخطاب من أمته ، أى : وأمر عائلتك وأسرتك وأمثك ، وليأمر كل مسلم أمله بالصلاة ، إلى قبلة واحدة ورب وليأمر كل مسلم أمله بالصلاة ، إلى قبلة واحدة ورب واحد ؛ فهذا يمالاً القلب بالتقوى والطهارة ، و أصَّفَرْ عَلَيْهَا ، واصبر على أداء الصلاة والمداومة عليها في خشوع وخضوع ؛ فإن ذلك سبيل العزة والكرامة ، والسعادة في الذنيا والنجاة في الأخرة .

لَا نَسْتَلُكَ رِزْقًا نُحْنُ لَرْزُقُكَ وَٱلْعَلَقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ .

لا تظدن أن الصلاة تشغك عن أرزاق الدنيا : فإن الرزق قد تكثّل به الله تعالى . وطاعة الله وتقواه سبيل من سُبل الرزق ؛ فإن الله هو الرزاق دو القوة المتين .

## قال ابن كثير:

وَٱلْعَلْقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ . أي : وحسن العاقبة في الدنيا ، وفي الآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله .

وهي الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : «رأيت الليلة كأمًا هي دار (عقبة بن راهم) وأنا أتينا برطب من رطب لبن طاب ، فأوّلت ذلك أن العاقبة لنا هي الدنيا والرفعة ، وأن ديننا قد طاب، ٣٠٠ .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ثابت قال : كان النبى ﷺ إذا أصابته خصاصة نادى أهله : «يا أهلاه ، صلُوا صلُوا» ، قال ثابت : وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ٢٠٠٠ .

وأهرج الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : «يقول الله تحالي : يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي : أملاً صدرك غني وأسدُ فقرك ، وإن لم تفمل : ملأت صدرك شفلا ، ولم أسدً فقرك» (™ .

أخرج مالك والبيهقي عن أسلم قال: كان عمر بن الفطاب يصلّى من الليل ما شاء الله تعالى أن يصلى، حِتى إذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ، ويقول لهم : الصلاة الصلاة ، ويتلق هذه الآية : وَأَمْرُ أَهْلُكَ بِالسَّمُلْقِ وَآصَهُمْرُ عَلَيْهَا لاَ نَسْتُلُكُ رَزْقًا نُسُومُ مُزْفُوكَ وَالْعَلْمَةُ لِلتَّهُونِي . ﴿ وَقَالُواْ لُوَلَا يَأْتِنَا إِعَايَةٍ مِن َّرِيّهِ عَاْوَلُمْ تَأْتِهِم بِيّنَهُ مَافِي الصُّحُفِ ٱلأَّوْلِي ۞ وَلُوَأَنَّا أَهۡلَكُنَكُهُم بِعَذَابِمِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْرِيّنَا لَوْلَاۤ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَارَسُولُا فَنَيْعَ اَلْيَكِ قَبْلِ أَن نَذِلَ وَفَضْرَكِ ۞ قُلْكُلُّ مُّتَرَبِّمٌ فَتَرَصُّواً فَسَتَعَلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَطِ السَّوِيِّ وَمَنِ أَهْتَنَىٰ ۞ ﴾

#### المفردات

ا ....ولا: هلا، وهي كلمة تفيد الحث على حدوث ما بعدها.

اسمال على صدقه .

السبيب القرآن .

الصحف الأولى: التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية .

ا خ زی، نفتضح .

مستريسيس، منتظر.

السويء المستقيم.

#### تمهيده

تمكى الآيات الأخيرة من سورة طه: بعض الأقاويل الباطلة للمشركين ، ومنها: إدعاؤهم: أن القرآن ليس بحجَّة ولا معجزة تدل على نبوة محمد ﷺ : ثم بين المحكمة من إنزال الكتب وإرسال الرسل ، وهى أن تكون حجة على العباد ، وإعذارًا من الله لعباده : حتى تنقطع معذرتهم ، ثم ختم السورة بضرب من الوعيد خلاصته : كل منا ومنكم منتظر لما يئول إليه أمرنا وأمركم ، وحينئذ يتبيَّن المحق من المبطل .

## التفسير،

١٣٣ - وَقَالُواْ لَوْلاَ يَأْتِينَا مِعَايَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ فَأَيْهِم بَيَّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ .

أي: قال المشركون: هلا جاء محمد بمعجزة مادية ملموسة ، مثل ناقة صالح ، وعصا موسى ، وشفاء المرضى لعيسى ؛ فهم يقترجون على النبي ﷺ أن يائي بمعجزة ملموسة ، مثل تحويل الصفا ذهبا ، أن رحزحة جبال مكة ، وتفجير الينابيع والأنهار في أرضها ؛ حتى تنبت الزررع والثمار في مكة مثل زررع الشام . وقد رد علههم الحق سبحانه : بأن فى القرآن ما يكفى ويشفى : فهذا الكتاب بين ما أنزله الله فى التوراد التورود والصحف التى أنزلت على إبراهيم وموسى. ويكفى نزول هذا القرآن المعجزة على التوراة والإنجيل والزيور ، والصحف اللما القرآن صفتملا على أخبار القرون الأولى ، والصحف السماوية السابقة: نبى أمى : لم يقرأ كتابا ، فنزول القرآن صفتملا على أخبار القرون الأولى ، والصحف السماوية السابقة: دليل على صدق محمد ﷺ ، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى : وَقَالُواْ أَنْوَلاَ أَنْوَلاَ أَنْوَلُ عَلَيْهِمْ أَلَّ أَنْوَلُهُ عَلَيْهُ مَا أَنْ أَنْهُمْ أَلَّ أَنْوَلَا عَلَيْكَ آلْكِتَلَّ عَلَيْهُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَرَحْمُهُ وَدِّكْرَىٰ القُومُ اللهُ عَلَيْهُمْ أَلَّ أَنْوَلَا عَلَيْكَ آلْكِتَلَّ عَلَيْهُمْ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَرَحْمُهُ وَدِّكْرَىٰ لِلْفَرِهِ الْمَنْوَانِ . (المنكبوت: ٢٠ / ٢٥ / ١٥).

وقد أخرج البخارى ومسلم: أن رسول الله ﷺ قال : «ما من نبى إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيقه وحيًا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة» ( °° .

وإنما ذكر مهنا أعظم الآيات التي أعطيها عليه السلام وهو القرآن ، وإلا فله من المعجزات ما لا يحدّ ولا يحصر (١٠٠).

١٣٤ – وَلَوْ أَلَا أَهْلَكُمْنَهُم بِمَدَابِ مِّن قَلِيهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَاَ أَرْسَلْتَ إِلَىَّا رَسُولًا فَتَشِيعَ ءَايَمْنِكَ مِن قَبْلِ أَن لَدِلَّ وَمَخْرَىٰ

شاء الله أن يرسل الرسل ، وأن ينزل عليهم الكتب: قطعا لأعذار البشر يوم القيامة : حتى لا يقولوا إذا أهلكهم الله بعذاب الاستتصال جزاء كفرهم وشركهم : يا ربنا ، هلا أرسلت إلينا رسولا فنتهمه وننجوا باتباعه من ذارً الدنيا ، وخزى الأخرة !

وقريب من هذه الآية قوله تعالى : رُسُلاً مُّبَسُّرِينَ وَمُنلِزِينَ لِثِلاً يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجِدٌّ يَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ آللُّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . (النساء ، ١٦٥) .

وخلاصة المعنى: إنا لو أهلكنا هؤلاء المكنبين قبل أن نُرسل إليهم هذا الرسول الكريم ، وننزل عليهم الكتاب العظيم ؛ لقالوا : ربنا ، هلا أرسلت إلينا رسولا قبل أن تهلكنا ؛ حتى نؤمن به ونتبعه ؛ لكنّ لم نهلكهم قبله ؛ فانقطعت مطرقهم (٥٠٠) .

١٣٥ - قُلْ كُلِّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَلْبُ ٱلصَّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ .

تأتى هذه الآية فى ختام سورة طه المكية ، تتوجه إلى المشركين الكافرين ؛ بهذا الإنذار الذي يقرع الآذان ، وهذا التهديد والرعيد . ومعنى الآية: قل يا محمد لمن كذبك ، وخالفك ، واستمر على الكفر والعناد: أنتم تتربصين بنا ، ونحن نتربص بكم ، كلانا ينتظر ما ينزل بالآخر ، ولمن يكون الفلاح ، وإلام يئول أمرى وأمركم ، فتربصوا وارتقبوا ، فستعلمون غدا ، إذا قامت القيامة ؛ من هو صاحب الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ، أنحن أم أنتم ؟

وستعلمون من هم الذين تجنبوا الضلالة ، واهتدوا إلى ما يسعدهم فى دينهم وفى دنياهم وفى المناهم وفى أخرتهم ، ومن أخرتهم ، وكأن الآية تقول لهم: القيامة موعدنا ، وسنرى نحن وأنتم : من هو المستقيم منا والمعوج ، ومن هو المهندى والضال ، كما قال سبحانه : وإنّا أوْ إِيّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدُى أَوْ فِي صَلَّلُ مُعِيْرٍ . (سباء ٢٤).

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى : سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّن ٱلْكُذَّابُ ٱلأَشِرُ . (القمر: ٢٦) .

وقوله سبحانه : وَسَوفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ ٱلْعَلَابَ مَنْ أَصَلُ سَبِيلاً . (الفرقان : ٤٢) .

قال في ظلال القرآن:

وعندما يصل السياق إلى تصوير المصير المحترم الذي ينتظرهم : بوبرر الرسول ﷺ أن ينغض يده منهم ، فلا يشقى بهم ، ولا يكريه عدم إيمانهم ، وأن يعلن إليهم : أنه متريص بهم ذلك المصير ، فليتريصوا هم كيف يشاءون .

قُلُ كُلُّ مُتَرَبَّصُ قَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَلْبُ ٱلصَّرَاطِ ٱلسُّويَّ وَمَنِ آهْتَدَىٰ .

وفى ختام تفسير سورة مله ندعو الله تعالى: أن يجعل القرآن العظيم ربيع تلوينا ، وذهاب همنا وحزننا . اللهم ، أكرمنا بالقرآن العظيم ، واجعله لنا هاديًا ومرشدًا وإمامًا ، وأكرمنا بالقرآن فى الدنيا والأخرة . اللهم ، إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم المسالحات ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

## خلاصة 11 اشتملت عليه سورة طه

- ٧ إن القرآن أنزله الله على نبيه محمد ﷺ تذكرة لمن يخشى ، أنزله من خلق الأرض والسماوات العلى .
- ٢ قصص موسى عليه السلام فى موقف المناجاة ، والإنعام باالرسالة ، وإعطاء موسى معجزتين ، ودعاء موسى معجزتين ، ودعاء موسى شه ، واستجابة الله دعاءه ، والتفضل عليه بنعم سابقة وتذكيره بها : فقد حفظه صغيرا من القتل ، ورده إلى أنه ، وجاء من أرض مدين على قدر وميعاد .
- مناقشة موسى وهارون مع فرعون ، وتقديم موسى أدلة الألوهية الله تعالى ؛ فهو سبحانه خالق الأكوان،
   والذكر والأنفى ، وهو العليم بأحوال القرون الأولى .
  - ٤ قصة إيمان السحرة ، وتهديد فرعون لهم بالعذاب البشديد ، لكنهم صمدوا وأغلصوا لله في إيمانهم .
  - ٥ قصة السامري ، وصياغة عجل من الذهب له خوار ، وقوله : إن هذا العجل إلهكم وإله موسى فنسى .
    - ٦ حياة السامري منفيا منبوذًا في البراري والقفار.
- > صور من مشاهد القيامة حيث تنسف الجبال ، وتصبح الأرض مستوية تمامًا : لا ارتفاع فيها ولا انخفاض ، وتخشع الأصوات ، وتعنق الجباء الله وحده ، فهو العالك لهذا اليوم .
- ٨ قصة آدم عليه السلام ، وإسكانه الجنة ، ونهيه عن الأكل من الشجرة ، ثم وسوسة الشيطان له .
   واستدراجه حتى أكل آدم وحواء من الشجرة ثم خروجهما من الجنة ، ثم توية آدم وقبولها .
  - ٩ بعض مشاهد القيامة .
- ١٠ دعوة الرسول محمد ﷺ إلى المحافظة على المصلاة ، وعدم الاغترار بما أوتى الكفار والأغنياء من الأموال : امتحانًا لهم واختبارًا ، والدعوة إلى المحافظة على المسلاة ، وأمر الأسرة بالصلاة .
  - ١١ -- ختام السورة ، وفيه تهديد ووعيد لأهل مكة .

\* \* \*

تمُّ بحمد اللّه تفسير الجزء السادس عشر ويليه تفسير الجزء السابع عشر إن شاء اللّه



#### (١) رحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا:

رواه البخاري في العلم (۱۲۷) وأحاديث الأنبياء (۲۰۱۹) والتفسير (۲۷۲۱) وسلم في الفضائل (۱۲۷۰) من حديث أبي ابن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال موسى عليه السلام ببني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم ٢٠ الحديث، ويؤد: قال رسول الله ﷺ: «يرجم الله موسى لوينت أنه كان صبير حتى يقمى علينا من أعمارهماء قال: «قال رسول الله ﷺ: «كانت الأولى من موسى نسياناه قال: «وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر البحرة قال له الله ﷺ: «كانت علمي وعلك من عام لله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحرة قال سعيد بن جبير: وكان يقرآ: وأما العلام تكان كاذرا.

#### (٢) إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا:

رواه مسلم فى القدر (۲۲۱۹) وأبو داود فى السنة (۲۰۷۰ ، ۲۰۷۵) والترمذى فى التفسير (۲۱۰۰) وأحمد فى مسنده (۲۰۱۸) من حديث أبى بن كعب قال : قال رسول ش 義 : إن الغلام الذى قتله الفضر طبع كافرا ولو عاش: لأرهق أبويه طفهاناً وكذراه .

#### (٣) لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له:

رواه أحمد فى مسنده (١٣٤٩) من حديث أنس قال: قال رسول لله 響: عجبت للمؤمن إن الله لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خبرا ك» . قال الهيئس فى المجمع : رواه أحمد وأبو يطلى بنحره إلا أنه قال : تبسم رسول الله 難 ثم قال ، فذكره ورجال أحمد ثقات وأحد أسانيد أبي يطلى رجاله رجال المحديج غير أبى بحر ثطبة وهو ثقة .

## (٤) الإيمان أن توامن بالله وملائكته :

رواه البخارى فى الإيمان ح ٥٠٠ ، وتفسير القرآن ح ٧٧٧ ء ، وسطم فى الإيمان ح ٨٠ ٩ والترمذى فى الإيمان ح ٢٠٠٠ ، وأحد ح والسمائى فى الإيمان ع ٢٠٠٠ ، وأحد ح والسمائى فى الإيمان ع ١٩٠٠ ، وأحد ح والسمائى فى المراتب الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وروش بالبحث الأمرة الماري المراتب الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، ورؤن بالبحث الأمرة المراتبة، وتصوم بارسول الله ما الإسلام أن الدولية المراتبة، وتصوم بارسول الله ما الإسلام قال: «الإسمائ والدولية المراتبة، وتصوم بالسمائة الله المراتبة الله والله الله كانك تراه فإنه الله ما الإسلام قال: يارسول الله، ما الاستان الله الله كانك تراه فإن الماء إلى المراتبة ولاله الله، وإذا والدت المرأة ويتها فذاك من أشراطها، وإذا المفاة العراة رميس القاس، فذاك من أشراطها، وإذا المفاة العراة رميس القاس، فذاك من أشراطها، وإذا المفاة العراة رميس القاس، فذاك من أشراطها خصص الا يطعمن إلا الله فإذا أله عنده علم الساعة ويترل الهذا ويطم على الأرسام، ... في أسموله الرجل فقال: دوره على «أعدوا لهريري المينا فقال: وهذا جبريل جاء: ليملم الذات وينهم وقال الترديري حديد حسن مديع .

## (٥) اللهم ، أجرني في مصيتي :

رواه مسلم في الجنائز (۱۸۷) ومالك في الموطؤ كتاب الجنائز (۱۵۸) وأحد في مسنده (۱۸۹۰) من حديث أم سلمة أنها قالت سمعت رسول الش ﷺ يقول: «ما من مسلم تصبيبه مصبية فيقول ما أمره الله ﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَّهِ وَإَجْوَنَّهُ اللّهِم، أجرض في مصبيتي واخلف لي خيرا منها: إلا أخلف الله له خيرا منهاه قالت: قلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أمي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ قلتها فأخلف الله في رسول الله ﷺ قالت: أرسل إلى رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتمة يخطبنى له فقاع: إن لى بنتا وأنا غيور فقال: أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة .

## (٦) إذا مات ولد العبدقال الله الألكته:

رواه الترمذى فى الجنائز (۱۰۲۱) وأحد فى مسنده (۱۰۲۲۲) من حديث أبى سنان قال: دفنت ابنى سنانا، وأبو طلحة الفولانى جائس على شفير القبر فلما أردت الخروج آخذ بيدى نقال، ألا أبشرك يا أبا سنان قلت: بلى فقال حدثنى الضماك بن عبدالرحمن بن عرزب عن أبى موسى الأشعرى: أن رسيل الله ﷺ قال: وإذا مات ولد العبد، قال الله الملائكة: قيضتم ولد عبدى! فيقولون: نمم فيقول: قبضتم ثمرة فرّاده؛ فيقولون: نمم فيقول: ماذا قال عبدى؛ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله . ابنوا لعبدى، بينا في الجنة وسموه: بيت الحمد» قال أبر عيسى: هذا حديث حسن غريب.

#### (٧) ما يصبيب المسلم ، من نصب ولا وصب :

رواه البخارى في المرضى باب: ما جاء في كفارة المرضى (٣١٨) عن أبي سعيد الفدرى، وعن أبى هريرة عن الغير، على الغير، عدا من مصيد، تصبير السلم، إلا كثير الغير، بها عنه، حتى الطرية، يضاع، الغير، على الغير، عدا من مصيد، تصبير السلم، إلا كثير الغير، بها عنه، حتى الطرية، على الغير، عدا من مصيد، تصبير العبر، عدا من مصيد، تصبر العبر، عدا من مصيد، عدا من مصيد، تصبر العبر، عدا من مصيد، عد

## (٨) أشد الناس بلاء الأنبياء :

يرُب به البشاري في كتاب العرضى ، ويزاه الثرمذي في الزهد ح ۲۷۹۸ ، وابن ماجة في الفتن ح ۴۰۲۹ ، وأحد ح ۱۸۶۸ ، ۱۵۹۸ ، ۱۵۹۸ ، ۱۹۱۹ ، والدارمي في الرقاق ح ۲۷۸۳ ، من حديث سعد بن أبي وقاص ، وقال الترمذي : مسن مسجح .

#### (٩) اذا ابتلیت عبدی بحبیبتیه قصیر:

رواه البخارى فى المرضى (٥٠٤٣) وأحمد فى مستبه (٧٠٥٩) من حديث أنس بن مالك رضى للله عنه قال : سمعت النبي ﷺ بقول : «إن الله قال إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصير: عرضته منها الجنة» يريد عينيه .

- (٩ ٩) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي .
  - (١٩) تفسير الراغي ١٦ / ١٣ .
- (١٢) زيدة التأسير من فتح القدير ١ / ٣٩٣.
- (١٣) عنتصر تفسير ابن كثير للصابوني ٢ / ٤٣٥ .
  - (٤ ١) التقسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي .

(١٥) انظر في ظلال القرآن.

(١٦) تفسير الراغي ١٦ / ١٩.

(١٧) في ظلال القرآن ١٦/ ١٥ طبعة عيسي البابي الحلبي وشركاه .

(٩٨) فإن بما ورد في تفسير أضواء البيان للشنقيطي ، حيث رجح أن خروجهم سبكون قرب قيام الساعة وذكر عدة أدلة .

(٩٩) ويل للعرب من شر قد اقترب ؟ فتح اليوم من ردم يأجوج :

رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣٤٦ ، ٣٣٤٧) ومسلم في الفتن (٣٨٨٠) وابن ماجة في الفتن (٣٩٥٣).

## (٢٠) يوتني بالرجل العظيم لا يزن عند الله :

رياه البخارى في تفسير القرآن (٢٧٩ ) ومسلم في منفة القيامة (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة وضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنه نيأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعرضة» وقال: اقرءوا ﴿فَلا لَقُم لُهم يوم القيامة وزنا﴾» .

(٢١) عنتصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ٢ / ٣٩ ؟ .

#### (٢٢) إن الجنة مائة درجة :

جزء من حديث ، رياه البخاري في الجهاد والسيرح ٢٧٠ ، والقرحيد ٢٣٤٠ ، وأحمد ٣٨٦٠ ، ١٨٦٨ ، ١٥٦٨ ، من حديث أبي هرية موفيكا : من أمن بالله ويرسوله .... الحديث . ريواه القردذي في صغة الجنة ح ٢٥٢٠ ، وأحمد ٢٨٥٠ ، من حديث معاذ ين جيل مرفوعًا : من صعام رمضان وصلى الصلوات .... الحديث . ورواه القردذي أيضًا في صفة الجنة عرب عديث على المنافذ من معاذ بن المعادث مرفوعًا : الجنة مائة سرجة ... العديث . وأشار القردذي إلى أن حديث معاذ أصع من حديث عبلة بن الصاحت رفضي الله عنهما .

## (٣٣) إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين:

رياه البخاري في المناقب ح ٢٧٤ ، ومسلم في فضائل الصحابة ح ٢٤٤٧ ، وأبو داود في النكاح ح ٢٠٦٩ ، ٢٠٧١ ، وابن ماجة في النكاح ح ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ ، وأحمد ح ١٨٤٢٨ ، ١٨٤٤٧ ، ١٨٤٤٧ ، ١٨٤٨ .

(٢٤) في ظلال القرآن ١٦ / ٢٤ ط ١ .

(20) تفسير الطبري ١٦ - ١٠١ ط ١ بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق سنة ١٣٧٨ .

#### (٢٦) لا نورث ما تركنا صدقة:

رواه البخاري في فرض الخمس ح ۲۰۳۹، ۲۰۶۹، والمغازى ح ۲۰۲۳، ۲۰۲۰، ۲۰۲۰؛ والنفقات ح ۴۷۸، والفزائض ح ۲۰۷۰، ۲۷۲۸، ۲۰۲۰، والاعتصام ح ۲۰۳۰، ۱۷۷۸، رمسلم في البهاد ۱۸۷۹، ۱۸۷۱، والترمذي في السير ۱۹۹۰، والنسائي في قسم الغيء ح ۴۵۱۵، وأبو داود في الغزاج ح ۲۹۹۳، ۲۹۹۳، وأحدد ۲۰ ، ۲۲، ۹۰، ۱۷۲، و

## (٢٧) تَجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح:

رواه البخنارى في الأنذان ح ٦٤٥، وتفسير القرآن ح ٧٤٧، ومسلم في العساجد ح ٢٥٥، والترمذي في التفسير ح ٢٩٢٥، والسام المؤاسسة مريدة أيضًا المؤسسة مريدة أيضًا المؤسسة (١٩٧٥ من حديث أبي موريدة أيضًا المؤسسة في المؤسسة على مرادكة الليل وملاكة الفياء في مسلاة الواحد عنس به مشرون درجة وتجتمع ملاكة الليل وملاكة الشهاء في مسلاة المؤسسة في المؤسسة من المسلحد ع ٢٧٦، والنسائي في المسلاة ح ٨٥٥، وأحدد ١٩٣٦، ١٣٣٠، مالك في الشادة المسلمة في العسلجة ع ٢٧٠، والنسائي في المسلحة من العسلجة من المؤسسة من المسلحة من المؤسسة مؤسسة من المؤسسة من المؤسسة من المؤسسة من المؤسسة من المؤسسة مؤسسة مؤس

### (٢٨) لا يعمنين أحدكم الموت من ضر أصابه :

رواه البخارى فى المرضى (٩٦٧١) والدعوات (١٣٥١) ومسلم فى الذكر (٢٨١٠) وأبر داود فى الجنائز (٣٦٧٠) وأحمد فى مسنده (١٩٦٨) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال النبي ﷺ ولا يتمنين أهدكم الموت من ضر أصبابه فإن كان لابد فاعلا : ظليقل - اللهم ، أحينى ما كانت الحياة خيرا لن ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى» .

## ( ٩ ٢ ) إنهم كانوا يسمون بأنبياتهم والصالحين قبلهم :

رواه مسلم فی الآداب (۲۹۳۰) والترمذی فی التفسیر (۲۰۵۰) وأحمد فی مسنده (۲۷۷۳) من حدیث المغیرة بن شعبة قال : لما قدمت نجران سألونی فقالوا : إنكم تقربون ﴿یا اُعْت هارون﴾ وموسی قبل عیسی بكذا وكذا فلما قدمت علی رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال : وانهم كانوا یسمون بأنبیاتهم والمسالحین قبلهم».

## (۳۰) پشتمنی ابن آدم :

رواه البشاري في بدء الفلق ح ٣١٩٣ ، والنسائي في الجنائز ح ٢٠٧٨ ، وأحمد ح ٨٨٧٠ .

## (٣١) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ٢ / ٤٥١ .

(٣٢) محاضرات في التاريخ الإسلامي لطلبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة . أ . د حلمي ... سنة ١٩٥٤ م (منطوط) .

## (٣٣) يوتى بالموت على صورة كبش:

رواه البخارى في تفسير القرآن ( ۲۷۰ ) والترمذي في تفسير القرآن ( ۲۱۵ ) من حديث أبي سعيد الخدرى رخمي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مورثني بالموت كهيئة كيش أماح فينادى مناد : با أهل الجبة ، فيشرئبون وينظون فيقول: هذا تعرقون : تعم هذا الموت وكليم قد رأو ما ينادى: يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا مما منا ويقول: يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت من المواقول موت منا المواقول وينظرون أن قد جاء المفرق فيقال: يا أهل الجنة، فيشرئهون وينظرون أن قد جاء الفرح فينادع ويقال: خلود لا موته .

(٣٤) انظر تفسير الآلوسي والمراغي .

(٣٥) في ظلال القرآن ١٦ / ٤٤ ، ٤٥ طبعة عبس البابي الحملي و شركاه ، وانظر تفسير المراضي ٢٦ / ١٦ ، حيث أفاه : أن الباحثين في الآثار المسرية ، يحقدون أن أوزوريس سعد إلى السعاء ، وإله فيها عرش عظيم .

(٣٦) اثنائب من الذنب كمن لا ذنب له :

رواه ابن ماجة في الزهد (٤٢٥٠) من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

(٣٧) ما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه :

رواه البخارى فى الرقاق (٢٠٥٧) من جديث أبى هرورة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله قال: من عادى لى وليا ققد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى معا افترضت عليه وما يزلل عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أهيه مأذياً أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، ويصره الذى يعمس به ، ويعه الذى يبطش بها ، ورجله اللى يعشى بها ، وإن مسأدى الأعطية ولئن استمادنى لأعيزته وما تريدت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس الدؤمن بكرة الموت وأنا أكره مسأدى ، قلت : قفرد به البخارى وهو من رواية خالد بن مخله ، وقد قال بعضهم : لولا هيئة الصحيح؛ لحديد من منكرات خاله بن مخلد.

(٣٨) وعزتي وجلائي لو أتاني عبدي ليلا ثقبلته :

لم أقف عليه .

(٣٩) ألا تزورنا أكثر نما تزورنا :

رواء البخارى فى بدء الخلق (۲۲۱۸) والتفسير (۲۷۲۱) والتوحيد (۷۲۵۵) والترمذى فى التفسير (۲۵۵۸) وأحمد فى مسنده (۲۰۶٤) من حديث ابن عباس رضس الله عنهما قال: قال رسول اله 難 لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورناه قال: فنزات: ﴿وَمَا تَعَزِّلَ إِلاّ بأمر ربك لهما بين أينينا وما عللنا...﴾ إلاّ ية .

(٠٤) عليك بسبحان الله والحمد الله :

رياه ابن ماجة في الأدب (٣٨١٣) من هديث أبي الدرداء قال: قال في رسول الله 籌: عليك بسيحان الله، والعمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: فإنه يمنى يمططن الفطايا كما تمط الشجرة ورقهها .

( 4 \$) انظر غنصر تفسير أبن كثير تحقيق الصبابوني ، وفي بعش الروابات : أن خباب بن الأرت صنع سيفا ، للعاص بن وائل ، فلما تقاضاه لمنه ، تهكم به .

(٤٢) تفسير ابن كثير، والآلوسي.

(٣٤) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ٢ / ٤٩٥ .

(\$ \$ ) رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وأن جرير ، وانظر مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ٢ / ٣٦٦ .

(٥٥) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ٢ / ٢٦٤.

( ٤ ٦ ) من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة :

قال السيرطى فى الدر المنثور : وأخرج الطبرانى فى الأرسط ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من جاه بالصادات الخمس يوم القيامة ، قد حافظ على وضرتها ومواقيتها وركوعها وسجودها ثم ينقص منها شرئا : جاء له عند الله عهد أن لا يعذبه ، ومن جاء قد انتقص منهن شيئا : فليس له عند الله عهد ، أن شاه رحمه وإن شاه عنده ».

(٧٤) يشتمني ابن آدم:

تقدم تخريجه من (٣٠٩٤).

(٤٨) لا أحد أصبر على أذى:

رواه البخارى فى الأنب ح ٢٠٩٩ ، والقوحيد ح ٧٣٧ ، ومسلم فى سفة القيامة ح ٢٨٠٤ ، وأحمد ح ١٩٠٩٢ ، ١٩٠٩٠. من حديث أبى مرسى مرفوعاً : وليس أحد أن ليس شء أمبير على أذى سمعه من الله ..... الحديث» .

(9 \$) انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني حيث قال في العبليق عليه ، ويشهد له حديث البطاقة ، والله أعلم . ا هـ . وقد ورد في السنة النبوية ما يفيد : أن التار لا يبقي فيها من قال : (لا إله إلا الله ) .

( • ٥) إن الله إذا أحب عبدًا دعا جريل:

رواء البخارى في بدء الفلق (٢٠٠٩) ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٧).

(١ ٥) عنصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد الصابوني ٢ / ٤٦٨ .

(٢٥) في ظلال القرآن ١٩ / ٧٥ مطبعة عيسى البابي الحلي .

(٣٣) بصائر : ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي ص ٣٠.

(£ a) تفسير الطيري ٦ / ٢٠ . بولاق .

(٥٥) الصحف القسر : محمد قريد وجدى ص ٢٠٤ .

(٥٦) في ظلال القرآن ١٦ - ٢٢ ، ٢٣ ط ١ .

(٥٧) نوع من الحيات.

( A ه ) إن النور إذا قلف يه القلب السع له الصعر والشرح :

قال السيوسلي في الدر المنظور: وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: تلا رسول الله هله هذه الآية ﴿ الفن ضرح الله صدود الإصلام فهو على فرو من ربه ﴾ فقلنا: با رسول الله ، كيف لنشراح صدره ؟ قال : وإذا دخل النور الظلب: انشرح واظلمح» ، قلنا: يا رسول الله ، فما علامة ذلك ؟ قال : والإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الفرود، والتأهيد للموت قبل نزول الموت» ، قال العراقي في تخريج الإحياء : رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود.

## (٩٩) مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق الصابوني ٢ / ٢ ٤٧ .

### (٩٠) إن أله تسعة وتسعين اسما من أحصاها :

رواه البخارى في الشروط (٣٧٢) والتوحيد (٧٣٩٢) ويسلم في الذكر (٣٦٧٧) والتربذي في الدعوات (٣٠٠٦) ومسلم في الذكر (٣٦٧٠) والترمذي في الدعوات (٣٠٠١) وأحمد في مسنده (٣٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال:
إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا ولحدا من أحصاما : عقل الجذاء ، ودواه التربذي في الدعوات (٣٠٠٧) وابن ماجة
في الدعاء (٣٨٦١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : وإن لله تحالي تسمة وتسعين اسما مائة غير واحد من
أحصاما : دهل الجذاة : هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، المائك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزين،
الجباس المتكون الخالق البارئ، المصور، الغفال القهار، الحديث، وقال أبر عيسى : هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد
عن صفوان بن صالح ولا تعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أمل الحديث وقد روى هذا الحديث من غير
وجه عن أبي هريرة عن الذي ﷺ ولا نظم كبير شيء من الروايات له إسناد صميح ذكر الأسعاء إلا هذا الحديث وقد روى

#### (٩ ٩) انظر مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني .

#### (٢٢) احقظ الله يحفظك :

رياه الترمذي في صفة القيامة (٢٩١٧) وأحدد في مسنده (٢٦٦٤) من حديث ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله ﷺ 
وبما ققال: بين غلام، إنن أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجامك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استحنت 
فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله، لك ولو اجتمعوا على أن 
يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وفعت الأقلام وجفت الصحف، وقال القريضي على عمل عين عن منا حييث حين 
مصحيح . قال العجلوني في كشف الغفاء : وواه أبو لقنام بن بشران في أماله ، وكذا القضاعي عن أبي مويرة رخس 
مصحيح . قال العجلوني في كشف الغفاء : وواه أبو لقنام بن بشران في أماله ، وكذا لقضاعي عن أبي مويرة رخس 
الله عنه عن الله المجاون في الكبير عن ابن عباس بالفظة : كند رييف رسول الله ﷺ قالتف إلى ، ققال : يها غلام ، احفظ 
الله يصفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله ... الصحيث وفيه : وقد جف القلم بام و كانان قلق أن الفاق غلام ، احفظ 
عليه ، وينام أن ما أمابك لم يكن ليخطئك ، وما أهطأك لم يكن ليصبيك ، وعالم أن النصر مع الصحيد عن ابن عباس 
مع الكرب ، وإن مع المصر يسراء ، وأوريه الضياء وهم المعتارة وهم حسن ، وله شاهد رواه عبد بن حميد عن ابن عباس 
رضي الله عنهما وفعه بلفظ ديا بابن عباس ، احفظ الله يحقك ، واحفظ الله تجده أمامك ، تحرف إلى الله في المقامد 
في الشذة ، وذكره مطولا بسند ضميف ، وروله أحمد والطبراني وغيرهما بسند أصح رجالا وأقوى ، قال في المقامد 
وقد بسكت الكلام عليه تضريح الأريمين .

## (٦٣) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ٢ / ٤٧٣ .

#### (٦٤) من محمد رسول الله إلى هوقل عظيم الروم :

رواه البندارى في بدء الوحى (٧) والجهاد (١٩٤١) والتفسير (١٥٥٣) والاستثنان (١٣٦١) ومسلم في الجهاد (١٧٧٣) وأبو داود في الأمبر (١٣٦٦) والترمذي في الاستثنان (٢٧١٧) وأحمد (٢٣٦٦) من حديث ابن عباس . (٩٥) الفرما : هي العريش الآن ، وقد تم الفتح الإسلامي عن طريق الفرما ، ثم وصلوا إلى مصر . أي : طريق سيناء والعريش .

(٣٦) تقلم تخريجه ص (٣٦، ٣) ، وخروج الأنهار من الجنة كناية عن طيب مياهها كأنها من الجنة ؛ لأن هذه الأنهار منابعها معروقة في الدنها ، لكن ماءها طيب كماء الجند والله أعلى .

(٦٧) إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف :

رواه البخارى فى بدء الخلق (٣٥٦٦) ومسلم فى الجنة (٢٨٢٦) من حديث أبى سعيد الغدرى رضى الله عنه عن النبي هن الله عنه المنافق الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو 
المغرب؛ لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؛ قال: «بلى والذى نفسى بيده؛ 
رجال آمنوا بالله وصدقها الفرسلين».

(٩٨) ﴿جَانَبُ﴾ مفعول ثان تقوله : ﴿وَاعْدَنا﴾ و﴿الطُّورِ﴾ مضاف إليه ، ﴿الْأَيْمَنِ﴾ منصوب؛ لأنه صقة لجانب .

(٩٩) اللهم انقعي بما علمتني :

رواه الترمذي طى الدعوات (٣٥٩٩) من حديث أبى هرورة رضى الله عنه قال قال رسول الف 養: «اللهم، انفعنى بما علمتنى، وعلمنى ما يفغعنى، وزدنى علما، الحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار» . قال أبر عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الرجه .

(٧٠) أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف : بابن العربي - تحقيق على محمد البجاوي ٣ / ٢٣١١ .

(٧١) تفسير الكشاف للزعشري ٢ / ٥٥٥ مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٧٢ م .

(٧٢) تفسير أبي السعود ٣ / ٣٢٧ .

(٧٣) تفسير أبي السعود .

(٧٤) إنكم سترون ربكم:

رواه البخاري في التفسير ح ٤٥٨١ ، والتوحيد ح ٧٤٤٠ ، ومسلم في الإيمان ح ١٨٣ من حديث أبي سعيد الخدري .

(٧٥) أن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس:

رواه مسلم في المساجد (٣٣٤) وأبر داود في المسلاة (٤٢٧) والنسائي في الصلاة (٤٧١) من حديث عمارة بن رويية قال: سمحت رسول الله ﷺ يقول: «لن ياج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غرويها» يعنى: الفجر والعصر، فقال له رجل من أهل البصرة : أنت سمحت هذا من رسول الله ﷺ ٣قال : نعم قال الرجل : وأنا أشهد أني سمعته من رسول الله ﷺ سمعته أنذاي ورعاء قلبي !.

(٧٦) في ظلال القرآن ١٦ / ٢٣٥٧ دار الشروق .

رواه مسلم في الرويا ( (۲۲۷ ) وأبو داود في الأدب (۲۰ ه) وأحمد في مسنده (۱۳۲۸۸) من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت: الرفعة لنا في العاقبة في الأخرة وأن ديننا قد طابء .

#### (٧٨) إذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة :

قال السيوطى في الدر المنثور: وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان ، عن ثابت قال: «كان الذبي ﷺ إذا أصابت أهله خصاصة : نادى أهله بالمبالاة : صلوا .. عطوا ..» قال ثابت . وكانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر؛ فزعوا إلى الصلاة .

#### (٧٩) تقرغ لعبادتي ؛ أماذً قلبك غني :

رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٦) وابن ماجة في الزهد (٧٠ ٤) وأحمد في مسنده (٨٤٨١) من حديث أبي هريرة 
عن النبي ﷺ قال: وإن الله تعالى يقول: يا ابن أنم ، تقرع لعبادتي: أملاً صحرك غفي ، وأسد فقرك وإلا تقعل؛ ملأت يديك 
شفلا، ولم أسد فقرك» . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب وأبع حاك الوالبي اسمه : هرمز . قال السيوطي في الدر: 
فأخرج الحاكم وسمحه عن معقل بن يسار قال : فقال رسول الله ﷺ يقول ريكم : يا ابن أنم ، تدخر لمبادئي : أملاً 
قلبك غنى ، وأملاً بديك رزقاً . يا ابن أنم ، لا تباعد منى : فأملاً قلبك فقرا ، وأملاً يديك شفلا» . قال الهجيثمي غلى المجمع: 
قلبك غنى ، وأملاً بديك رزقاً . عالم بن أنم ، لا تباعد منى : فأملاً قلبك فقرا ، وأملاً يديك شفلا» . قال الهجيثمي غلى المحمد: 
مكتوب التوباة : أبن أنم ، تخرغ لمبادئي ؛ أملاً قلبك غنى ، واسد فقرك ، وإن لا تضر؛ أحمد وأبر نسخط ، وبلا أسد فقركه 
وقال غن موضع أهر: وأخرج العاكم وصححه والبيهيثمي غن شعب الإيمان ، عن أبي هريرة — وضمي الله عنه — قال : ثلا 
رسول الش ﷺ ومن كان برياء حرث الأخرة أنو له في حرك ... الآية إنه قال : يقول للله : عابن أنم ، قدرغ لعبادتي ؛ أملاً 
صمدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلا تقمل : مثلات صدرك شغلا ، وأم أسد قترك ».

قال المناوى فى الفيض : قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبى فى التلميس لكنه كتاب الزهد نقله عن التوراة بهذا اللفظ ثم قال: وروى مرفوعًا ولا يصم . انتهى وفيه عند الترمذى أبو خاك الوالبى عن أبيه ، وأبوء لا يعرف كما فى المنار وزاك بن نظيط لا يعرف أيضًا .

#### ( ٨٠) ما من الأنبياء ني إلا أعطى ما مفله آمن عليه البشر :

يراه البخارى فى فضائل القرآن (٤٩٨١) والاعتصام (٧٧٧٤) ومسلم فى الإيمان (١٥٧) وأحمد فى مسئره (٨٢٨٨) من حديث أبى مريرة قال - قال النبى ﷺ: دما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلى فأرجر أن أكون أكثره تابعا يوم القيامة» .

#### ( ٨١) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابويني ٢ / ٥٠٥ .

(۸۲) تفسیر الراغی ۱۹ / ۱۷۰ .

\* \* \*

ثمت الهوامش وتخريج الأحاديث بحمد الله ويها تم الجزء (السادس عشر)

# محتويات الكتاب

رقم الصفحة	أول الآيبات	رقم الآية
٧٠٤٧	﴿قــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٧٥
4.54	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	٧٦
4.54	﴿فَانْطِلْقَا حَتَى إِذَا أَتَيَا أَهِلَ قَرِيعَ﴾	٧٧
٣٠٤٧	﴿قَــال هــنا قــراق بــيــنــى وبــيــنك ﴾	٧٨
7.57	﴿أما السف يسف فيكانت لحساكين﴾	٧٩
4.50	﴿ وأمسا السفسلام فسكسان أبسواه مسرَّمسنسيسن ﴾	۸۰
4+84	﴿ فسسأردنسا أن يسبدولسه مسا ربسه جسا﴾	۸۱
7-27	﴿وأمـــا الــجــدار فــكـــان لـغــلامــيــن يــــتــيـ مــيــن﴾	AY
4.04	<b>﴿ر</b> يســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۸۳
7007	﴿إِنْا مَمِكَ مِنَاكِهِ فَمِنَى الأَرْضُ وَءَاتِينَاهُ﴾	٨٤
4-04	€ L	٨٥
7-07	﴿حــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۸٦
7007	﴿ قَسَالَ أَمِسَا مِسِنَ طُسِلِمِ فَسَسُوفَ نَسِمَسَ ذَبِهِ ﴾	AY
7007	﴿وأمسا مسن ءامسن وعسمسل مسسالسمسا﴾	۸۸
4.04	﴿د آد اد اد اد اد اد	۸٩
7.07	🍫 ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩٠
4.04	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩١
7.07	<b>﴿</b> . └── ;	9.7
7.07	﴿ حـــ تـــــى إذا بـــا ـــغ بــــبـــــن الســــديــــن ﴾	٩٣
7.07	﴿ قَـــالـــوا يـــا ذا الـــقــرنــيــن ﴾	9.6
4.04	﴿قَـال مـا مـكـنــي قــيــه ريــي خــيــر﴾	90
7.07	﴿ واتونى زير المديد حتى إذا ساوى بين المدفين ﴾	47
4.04	﴿ فَ حَمَا اسْتُطَاءَ مِنَا أَنْ يَسَطَّعِهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِن	4٧
7007	﴿قـــال هـــذا رحــمــة مــن ريـــى﴾	٩٨
4.04	﴿ وتركنا بعضهم يدومنا يدموج في بعض﴾	99
77.77	﴿وعــرغــنــا جــهـنــم يــومــئــذ اــلــکــافــريــن﴾	١
77.77	﴿الـذيــن كــانت أعــيـنسهـم فــى غــطــاء عــن ذكـرى﴾	1.1
L		<u> </u>

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
77.77	﴿أَفْ حَسِ الدَّيْنِ كَمْ فُرُوا أَنْ يَسْتَحُدُوا عَبِ مَادى	1.4
4.14	﴿قَالَ هَالُ نَسْبَاتُ كُمْ بِالأَحْسَارِيانُ أَعَامَالًا ﴾	1.4
77.77	﴿النَّهِ عَمِل سعيهم في الصياة البنتيا﴾	١٠٤
4.14	﴿أُولِدِنُكُ الدِّيدِنَ كَسَفُرُوا بِأَيْدَاتُ رَيْسَهُمْ وَلِشَاتُمَهُ﴾	1.0
77.77	﴿ذَك جــزارُهــم جــهــنــم بــمــا كــفــروا﴾	1.7
4.10	﴿إِنْ السَّذِيسَنِ ءَامَسِنْسُوا وعَسَمِّلُوا الصَّالِسَاتِ﴾	1.4
4.10	«فـــا ـــديـــن فــــــــا <b>»</b>	١٠٨
4.10	﴿قَدِل لِسوكِسَانَ السِيسِسِ مِسَادًا لِسَكِيلِ حَسَاتَ رَبِسَي﴾	1.9
4.40	﴿قَدَلُ إِنْدَمَا أَنَا يَشُو مِنْدُكَمَم يَدُوحَى إِلَى﴾	11.
W+7.A	ا (خانفة سورة الكهف) ا	-
4.14	(تفسیر سورة مریم)	-
۳۰۷۰	(دروس من سورة مريم)	-
4.44	(کــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١.
۳۰۷۷	﴿ن عد سمت ريك﴾	۲
۳۰۷۷	﴿إِذْ نَــــادى ريــــــه﴾	٣
4.44	﴿قسال رب إنسى وهسن السعسط مسنسى﴾	٤
٣٠٧٧	﴿ وَإِنْــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٥
<b>***</b>	﴿يــرائـــنـــى ويـــراث مـــن مال يـــعـــقـــوب﴾	٦.
W+VV	﴿يسا زكسريسا إنسا نسبشسرك بسفسلام﴾	٧
7.44	﴿قَــــال رب أنــــى يـــكـــون لى غـــالم﴾	٨
7.44	﴿قـال كـذك قـال ربك هـو عـابى هين﴾	٩
W.VV	﴿قــــال رب اجــــعــــل لى ءايــــة﴾	1.
8.44	﴿فَــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	11
W-12	﴿يا يصديسى خسذ الكتاب بسقوة﴾	17
4.48	﴿وحسنسانسامسن لسدنسا﴾	15
4.48	﴿ويـــرا بـــوالــديـــه ولم يـــكــن﴾	1 1 2
34.7	﴿ وسالام عسلسيسة يسوم واسد ويسوم يمون	10
74.7	﴿ وانك ر ف م ال ك ت اب م ريم ﴾	17

	ر عهران الوسوحات)	وچرو استان
رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7.Y.J	﴿ فَاتَدَ مُنْ مُن دُونَ مِهِ مُ حَدِيدًا بُهَا ﴾	17
7.4.7	﴿قَــالت إنسى أعسوذ بسالسرحــمــان مــنك﴾	1.4
77.77	🏟 الما أنـــال إنما أنـــال رســـول ريك	19
7.4.7	﴿ قَــــالت أقــــى يــــكـــون لي غـــــلام﴾	٧٠
74.7	﴿قــال كــذلك قــال ريك هـــوعــــــى هين﴾	71
P4+7	﴿فَسِمِعِمِمِمِمِمِعِينَ مِنْ مِنْ مِنْ مِنْ مِنْ مِنْ مِنْ مِنْ	77
PA+7	﴿ فَــاَّجِــامِهِــا المخاصُ إلى جِــدْعِ الــنــــــــــــــــــــــــــــــــــ	74
4.44	﴿ فَــِـنَــاداهِــا مــن تحتــهــا ألا تحزنـــى﴾	7 £
7.19	﴿ وه زى إليك بجدع التكالية ﴾	۲0
7.14	﴿ ف ك ل ي واشربى وقري عينا ﴾	77
4.41	﴿ فَاتَتْ بِسِهُ قَسِيمِهِا تَمَسِلُهِ ﴾	77
4.41	﴿ يَكَ الْفِنَ هَارُونَ مِنْ كَانَ أَيْسُوكَ أَمْسِراً سَنُومَ ﴾	44
7.41	﴿ وَمِنْ الْمُنْ الْرِينِ إِلَى يَنِينَ الْمِنْ الْمِنْ الْمِينِينَ وَمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ	44
7.91	﴿ نَـــال إنـــى عـــبـــد الـــــــــ ﴾	٣٠
4.41	﴿ وجب عسلسنسي مباركا أيسنسما كسنت	۳۱
4.41	ويـــرا پــوالـــدتـــى وام يــ <u>ـجـــه ـــــــــــى</u>	**
4.41	﴿والسلام على يسوم واحدت ويسوم أمسوت	44
4.40	﴿ذَكُ عـــيســـــــــ ابـــــــــن مـــــــريم قــــــــول الحق﴾	4.8
4.40	﴿ مساكسان لسلسه أن يستسفد مسن ولسد	٣٥
4.40	﴿وإن السلسه ريسى وريسكسم فساعب بسوره﴾	7"7
4.40	وفساخت الأحزاب مسن بسيد مهم	۳۷
8.40	﴿استمسع بسهدم وأبصس يسوم يسأتسونسنسا﴾	٣٨
4.40	﴿وَأَنْسِدُرِهِهِم يَسُومَ الصِيرَةِ إِذْ قَضْسَى الأَمْسِرِ﴾	44
4.40	﴿إنسا نسمن تسرث الأرض ومسن عسلسيسها	٤٠
4.44	﴿ وَاذْكُــر فَـــي الْــكـــــّــاب إبـــراهـــيـــم﴾	٤١
4.44	﴿إِذ قَـــال لأبِـــيه إِنْ البِيالِ الأبِـــيةِ	٤٢
4.44	﴿ يِ أَبِنَ إِنْسَى قَدِ جِاءِنِي مِنْ الْسِعِلْمِ ﴾	٤٣
4.44	وُيا أبت لا تصحب الشير علامان ﴾	٤٤

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7.99	﴿ يَصَا أَبُتُ إِنْ سَانَ الْكَافِ الْهُ عَلَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ	٤٥
4.44	﴿قسال أراغب أنت عسن ءالسهسمي يسا إبسراهسيسم	27
4.44	﴿قَالُ سَالُامُ عَلَيْكُ سَأَسَـتَـغَـفَـرَ لِكُ رَبِـي﴾	٤٧
4.44	﴿وأعبتسزاكه وما تدعسون مسن دون السله	٤A
4.44	﴿ فَعَلِمَا اعْدَرُكُهُم ومَا يَعْبِدُونَ مِنْ دُونَ اللَّهُ ﴾	٤٩
4.44	﴿روهـــيـــنـــا لـــهـــم مـــن رهــمـــتــنـــا﴾	٥٠
3.17	﴿وانكـــر نــــى الــــكــــــــاب مـــوســــى﴾	٥١
3 - 17	﴿وناديد ناه من جانب السطور الأيمن ﴾	٥٢
3 • 17	﴿ روه سيسنسا لسه مسن رحسم شسنسا أخساه﴾	٥٣
41.7	﴿واذكر فَــى المُـكِــــــــاب إســمـــاعــــيـــل﴾	٥٤
71.7	﴿وكان يامس أهاسه بالصالة والركاة	00
<b>*1.</b> V	﴿واذكــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	ro
*1·V	﴿وروفع الماء مكانا عالميا﴾	٥٧
41.4	﴿أُوالِـــئك السَّدِيسِنُ أَسْمِعِهِمِ السِّلسِهِ عَسْسِيسِهِمِ﴾	٥٨
711.	﴿ فَحَدُ مِنْ يَسْدِهُمْ هُلُفَ أَصْنَاعُ وَالْصَالَةُ﴾	٥٩
711.	﴿إِلا مسن تسباب ومامسن وعسمسل مسسالها﴾	۱ ۲۰
7117	﴿جِنْنَاتَ عَدَنُ النِّي رَعَدُ الرحِمَانُ عَيْنَادُهُ بِالنَّقِيبِ﴾	11
7117	﴿لايســمــعــون فــيــهــا لــغــوا إلا ســـلامـــا﴾	77
7117	﴿تسلك الجنسة الستسى نسورث مسن عسبسادنسا﴾	75"
7117	﴿ وه انستسندن إلا بسأمسر ريك	٦٤
7117	﴿ربِ الســمـــاوات والأرض ومــا يــهــــــا﴾	10
7110	وي قرق الإنسان أونا ما من »	77
7110	﴿أُولا يَسذُكر الإنسان أنا خاسق نساه من قبل	177
4110	﴿ فَــوريك الـــــ حشر نـــهــم والشــيـــاطين ﴾	٦٨
7110	والسم استسندهان مسن کسل شیسعه»	14
7110	﴿ السندسين أعطيم بسالسنيسين﴾	\ v•
7110	﴿وإن ﴿ الله على الله الله الله الله الله الله الله ال	٧١
7110	♦ثـــم نـــنـــجـــى الــــنيـــن اتـــقــــوا)	VY

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
717.	﴿وإذا تـــتــلــى عــلــيــهــم دايــاتــنــا بــيــنــات﴾	٧٣
414.	﴿وكم أهـ لـ كـنـا قــيـ لـ هــم مــن قــرن﴾	٧٤
717.	وقل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مدا﴾	Vo
414.	وريسزيسد السلسه السذيسن اهستسروا هسدى ﴾	٧٦
7177	﴿أَفْسِرِ وَيِتَ السَّذِي كَسِفُسِ رِبْسَانِسِاتَ سَبَّا وَقَسَالَ	VV
7177	﴿أَطْ الْصَادِينَ أَمِ النَّادُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ	VA
7177	<b>﴿</b> کــــــلا ســــــــــــــــــــــــــــــ	V4
4174	﴿ورنـــــراثــــه مـــايـــقــــول﴾	۸٠
3717	﴿والسخدوا مدن دون الساهدة السهدة﴾	۸۱
3717	﴿كلا سيهكفرين بعبادتهم﴾	AY
2717	﴿ أَلُم تَسِرُ أَسًا أَرْسَلُنَا الْشَيْسَاطِينَ عَبْلَى الْكَافْسِيسَ﴾	] A#
3717	﴿فــــلا تــــعـــجــل عـــا ـــــــهـــم﴾	A£.
3717	﴿ ب م ن <u>حش</u> ر المت <u>قين</u> ﴾	٨٥
3717	ورنسيوق المجرمين	۸٦.
3717	﴿لا يمل > ون الشــفــاءـــة﴾	AY
W1YA	﴿وقسالسوا اتسفد السرحسمان واسدا ﴾	٨٨
7177	﴿لـقـد جـ تــم شــيـ تــا إدا .﴾	۸۹
4114	<b>وت</b> کاد السمسارات به تنفطس ن مسنسه♦	4.
W17A	وأن دميسوا لياسي مسميان واسيدا .	91
7174	﴿رما يسنب قسى لــا رمسمــان﴾	9.4
4114	﴿إِن كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	44
4147	﴿الله المساهيم وعددهم عددا﴾	9.8
7174	ورک لهم واتیه یسوم القیامة فسردا	90
7171	(إن الـــــــــــــن ءامــــــــوا وعـــمــــــــــوا الصـــــالحات)	97
7171	﴿فَإِنْمَا يُسْرِنَا بِلَسَانَكُ لِتُبِشُرِينَهُ الْمُتَّقِينَ﴾	44
7171	وركم أها كنا قبيلهم من قبرن)	4.4
3717	(خلاصة ۱۱ اشتملت عليه سورة مريم)	_
7170	(تفسیر سورة طه)	-

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
7777	(أهداف سورة ط4)	-
3317	<b>♦.</b> ←	,
3317	﴿مِا أَنْ زَارِ نِا عَالِمِيكَ الْمُقْسِرِ وَأَنْ لَا تَشْمَقْنَى .﴾	۲
3317	€ 5 5 5	٣
3317	﴿تِ نِي لا ممن خِي الصق﴾	٤
3317	﴿الــــر حــــمـــان عــــا ــــى الــــعـــرش﴾	۰
4155	﴿لَــه مــسا فــنى السندمنساوات ومنسا فنسى الأرض﴾	۱ ، ا
3317	﴿ رَانَ تَجِهِ ـــــر يـــر يـــر الــــة ــــر ول ﴾	٧
7122	﴿اــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	^
4154	﴿وهــــل أتـــاك حــديث مــوســي .﴾	4
4154	﴿إِذْ رَءَا نَـــارا فَـــقــال لأهـــابــه	1 1.
4154	﴿فَصَالَ مُصَا أَتُصَاهِ صَا يُصَادِي يَصَا مُصَوَّعَتِينَ ﴾	11
K317	﴿إنْـــى أنـــا ربك فـــاخــلـــع نـــمــلــيك﴾	14
4154	﴿وأنـــا اخترتك فــابــــــــــــــــــــــــــــــــــ	14
4157	﴿إِنْ صَفْدَتِي أَنْ صَا السَّلِيَّةِ لَا إِلْسَهُ إِلَّا أَنْ مِنَا﴾	1 8
4154	﴿إِن الساعسة ماتسيسة أكساد أخسفيسها﴾	١٥
4154	﴿ فَالْ يَصَادِنْكُ عَالَهِا مِنْ لَا يَسَوْمَانَ بِهِا ﴾	17
7107	﴿وما تسك بسيمسيسنك يسا مسوسسى.﴾	17
7107	﴿قَالَ هِ مِن عَمِنَايُ أَتَنُوكُوا عَمِلَ بِينَهِا﴾	1.4
7107	﴿قَــال ألــقــهـا يــا مـــيسي.﴾	14
7107	﴿فَالْفَامُا فَإِذَا مَنْ حَيْثَ تَسْعَى ﴾	۲٠
7107	﴿قَــال حُـــنه الهــا ولا تــــخــف﴾	1 11
7107	﴿واضمهم يدك إلى جسساحك تسفسرج بسيفساء﴾	77
T017	﴿لاريك مسن ءايمساتمسنسا المكبري ﴾	74
4107	﴿اذهب إلى فــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	3.7
F017	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	40
1017	ويســــراي أمـــــري. ﴾	77
5017	﴿واحب المعسقسدة مسن اسسانسسى،﴾	YY
	<u></u>	

رقم الصفحة	أول الآيــات	رقم الآية
1017	«اف قى بالى.)»	44
1017	﴿واجــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	Y4
7107	﴿؞۔۔۔۔ین اخ۔۔۔۔ی	*
7107	﴿اشــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۳۱ [
7107	﴿ واشـــــرکـــــه فــــــی امـــــری .﴾	77
7107	﴿کــــــى نســــــــــــــــــــــــــــــ	77
7107	﴿ون ذك رك ك شيرا .﴾	4.6
7107	﴿إنك كــــنت بــــنت بصيرا .♦	٣٥
7109	﴿قـــال قـــد أوتـــيت ســـؤلك يــا مـــوســـى .﴾	77
7109	﴿وا_قد منتاعايه مرة أغرى .﴾	77
7109	﴿إِذَ أَن مِ لَا اللهِ أَمَاكَ﴾	WA
7109	﴿أَنْ اقَدِدُهُ عِيدَ السِّيدَ السِّوت﴾	79
7109	﴿إِذْ تَمَشَّى أَخَـَتُكَ فَـَ تَلَى﴾	٤٠
4104	﴿واصبط ناعات السناخسي، ﴾	٤١
77.77	﴿انْهُ اِنْتُ وَأَهْ وَاهْ وَكُ إِنْ مِنْ اللَّهِ الْمُنْ وَأَهْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ	73
77.77	﴿انهــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٤٣
7777	﴿ فِـقـولا لــه قبـولا لــيـنــا﴾	٤٤
7777	﴿فا خـن النـنـال ٢٠١٤ و	٤٥
7777	﴿قــال لا تـــــــافـــا إنـــنـــى مــــمــــــــــــــــــ﴾	٤٦
7777	﴿ الله الله الله الله الله الله الله الل	٤٧
7777	﴿إنَـــا تَـــد أن حـــي إلـــيــــــــا﴾	٤٨
7777	﴿ تَــال فــمـــن ريســكــمـــا يـــا مـــــى .﴾	٤٩
7777	وقسال ربسنسا السذى أعسطسى كسال شسىء خسلسقيه﴾	٥٠
7177	﴿ قـــال فـــمــا بــال السقــرون الأولى . ﴾	٥١
7177	﴿قَــال عــلــمــهــا عــنـــد ريـــى فـــى كـــتـــاب﴾	٥٢
7177	والدي جمل لمكم الأرض مهدا	٥٣
7777	﴿كــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	۵٤
7777	﴿منها خلقناكم وفيها تعبيدكم﴾	٥٥

رقم الصفحة	أول الآيــات	رقم الآية
414.	﴿ وا ق أرياده ءايات تا	70
717.	﴿قيال أَجِينُهُ مَن أَرضَهُ مَا لِسَنْدُ مِنْ مَا مَن أَرضَهُ مَا﴾	٥٧
414.	<b>﴿فَالْمُنْ الْمُنْ الْمُن</b>	٥٨
717.	﴿قَالَ مَسْوعَدِكُمْ يُسُومُ الْسَرْيَدِمُنَّةُ﴾	09
7171	﴿ فستسولی فسرعسون فسبع حسیع کسیسده ﴾	۱ ٦٠
7171	﴿قسال لسهم مسوسسي ويسلسكهم لا تهفتروا﴾	11
7171	﴿ فَـــتَــندازعـــوا أمــرهـــم بـــيــنــهـــم﴾	77
7171	﴿ قسمالسوا إن هسذان لسساحسران يسريسدان ﴾	74
7171	﴿ فَاجْمُعُمُ وَا كُمْ يُعْدُمُ مُنَّامُ الْمُتَّمُوا صَفَّا ﴾	78
4175	﴿قسالسوايسا مسوسسي إمسا أن تسلسقسي﴾	٦٥
4175	﴿قسال بسل ألسقسوا فسإذا حسيسالسهسم وعصسيسهسم﴾	77
4148	﴿فَــاْنِچِس فَـــي تَــقســه عَــسيــقـــة﴾	٦٧
4175	<b>(€</b>	٦٨
W172	﴿وَأَلَـقَ مِنَا فَنِي يَمِينُكُ تُنْلِبَقِ فَ مِنَا صَيْنِعِيوا﴾	79
4175	﴿فَالَاتِ عَيْنَ السِيدِيرَةُ سِنْهِدَا قَالِسُوا﴾	٧٠
3717	﴿قَالَ ءَامُ نَصِيدَ عَمَ لَــ هُ قَصِيلَ أَنْ ءَاذِنْ لَكِيمٍ﴾	٧١
3717	﴿قَالُوا لِينَ نَـوُثُـرِكَ عِلَى مِنا جِنَاءِنَنَا مِنْ الْجِينَاتِ﴾	٧٢
3717	﴿إنْسَاءَامَسِنْسَا بِسَرِيسِنْسَا لَسِينَةَ فَسِرَ لَسَنَّسَا﴾	٧٣
3717	﴿إنـــــه مـــــن يــــــأت ريـــــه مجرمـــــا﴾	٧٤ }
3717	﴿وهــــن يـــــأتــــه مـــــؤم ـــنــــا﴾	٧٥
3717	﴿جِـنَسَات عبدن تَجرى من تَمتَـها الأنبهار﴾	٧٦
*111	﴿ واسقد أوحيدنا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾	VV
71.61	﴿فَاتَتِ بِعِنْ فِي مِنْ إِنْ مِنْ الْمِنْ اللهِ﴾	٧٨
4171	﴿وأضـــل فــــرعـــون قــــومـــه﴾	٧٩
71.41	﴿يـــا بـــنـــى إســراءيـــل قــد أنجيـــنـــاكـــم﴾	۸٠
4171	♦ كسلسوا مسن طسيسيسات مسا رزقسنساكسم ♦	۸۱
71.17	المن المن المن المن المن المن المن المن	٨٢
4170	﴿وماأع <u>جاله ع</u> ن قصومك﴾	۸۳

رقم الصفحة	أول الآيـات	رقم الآية
7110	﴿قال هم أولاء عملي أثري وعميدت إليك	٨٤
4140	﴿ قَسَالَ فَسَانِسًا قَسَدُ فَسَنَّا قَسُومُكُ مَسَ بِسَعِدُكُ ﴾	٨٥
4140	﴿ فَسِر جِع مِسُوسِي إلى قسومِه غضبِان أسفًا﴾	7.4
7140	﴿قالدوا ما أخطفنا موعدك بعلكنا﴾	۸۷
7140	﴿ فَمَا خُدِج لِيهِم عَدِ لِلْجَسِدَا لِيهُ خُدُوار ﴾	۸۸
4140	﴿أَنْسَالَا يَسْرُونَ أَلَا يَسْرَجُهُ إِلْسِيْسَهُ مَسْرِلًا﴾	A4
4144	﴿ واسقد قسال اسهم هارون من قسيل ﴾	۹٠
4144	﴿ قـــالــوا لـــن نبرح عــلــيــه عــاكسفين﴾	41
PAIT	﴿ قِسِال بِسِا هِسِارِونَ مِسِا مِسْسِعِك﴾	9.7
4144	﴿الا تـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	44
PA179	﴿قسال ہدشتہ لا تسأخسذ بسلسصيستى ولا بسرأسسى﴾	9.6
PA179	﴿ قَــال فــمــا خـطــبك يــا ســامـــرى . ﴾	90
4144	﴿نَـــال بِصَـــرت بِما لَم يَـــبصــروا بِـــه﴾	97
71.49	﴿ قـــال فــانهب فــان لك فـــى الميــاة﴾	9.7
71.17	﴿إِنَمَا أِلْسِهِ كَمِ السَّاسِةِ السَّدَى لا إِلَسِهِ إِلا هُسِق﴾	4.4
4190	﴿کناك نبقص عبليك مين أنبياء ميا قيد سبيق﴾	99
7190	﴿مِسْنَ أَعْسُرَهُنَ عُسِنْسَهُ فَسَائِسَهُ يَسْمُ حَسِلُ﴾	1
7190	﴿خـالــديــــن فـــيـــه وســـاء لــهــم﴾	1.1
7190	ريسوم <u>يا فيخ د</u> ى المسور ﴾	1.4
7190	ري <u>ت خانست</u> ين بسيسنهم)	1.4
7190	﴿ ن_ ح_ن أعسلهم بما يسمة سواسون ﴾	1 . 8
4194	﴿ويســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	1.0
4144	﴿ نِي حِيدُرِهِ السِّاعِيا صِيفَصِيفًا . ﴾	1.7
4194	﴿ لا تـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	١٠٧
4194	وي <u>ومثة يستسه</u> ون الداعس لا عبوج له)	١٠٨
4194	ري <u>وم ثد</u> لا ت <u>ند</u> م الشفاعـــة)	1-9
4144	في عدارم مسايين أيديهم وما خلفهم	11.
4194	﴿وعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	111

رقم الصفحة	أول الآيات	رقم الآية
4144	ومن يسعمل من الصالحات وهسو مؤمن	117
77.7	﴿وكـــذلك أنـــزلـــنـــاه قـــرءانـــا عـــريـــيــا﴾	117
44.4	ونــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	118
44.0	ول قسد عسهدنسا إلى ءادم مسن قسبل	110
44.0	﴿ وَإِذْ قَسَاسَتُ السَّاسِ اللَّهُ عَلَيْهُ اسْتَجَسَدُوا لَا دُمْ ﴾	111
44.0	وفق المناها والم إن هدا عدو لك واسروجك	111
77.0	﴿إِن لِـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	114
44.0	﴿ وَإِنَّكَ لا تَصْفَعُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ	111
44.0	﴿ ف و سوس إلى به الشيد الشان ﴾	17.
44.0	﴿ فَمَا كُمُ لِلْ مَسِنْهِمًا فَسِيدَت لِمَهِ مِمَا سِيوِءَ الْتِهِ مِمَا ﴾	171
44.0	<b>(</b> ژـــــم اجــــــ بــــاه ريــــه♦	177
44.0	﴿ قـــال المـــبــطــا مـــنــهـــا جـــمـــيـــعـــا﴾	177
44.0	﴿ وم ن أع رض ع ن ذك ري ﴾	178
44.0	﴿قـــال رب لم حشــرتــننــى أعــمـــى﴾	170
44.0	﴿قَالَ كَنْ لِكُ أَتَّتُكَ وَاسِاتَ نَا فَنُسْسِينَهُا﴾	177
44.0	﴿ وكذلك نجزى من أسدوف ولم يدؤمن بسآيسات ريسه	177
4414	﴿أَفْلُم يَهِدُ لَهُم كُمُ أَهُلَكُنَا قَيْلُهُمْ مِنْ الْقَرِينُ﴾	177
4414	﴿ والسولا كالمسمسة سلمات مسن ريك	179
4414	﴿ فساحس عسلس مسايدة واسون وسيسع بسعد دريك ﴾	14.
4414	﴿ ولا تعدن عيمنيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾	141
4414	﴿وأمسر أهسك بسالمسالة واحسطير عباسيسهسا﴾	188
4414	﴿ وقسالسوا لسولا يسأتسيسنسا بسآيسة مسن ربسه ﴾	188
4414	﴿ واسو أنسا أهسلسكست اعسم بسعدذاب مسن قسيسك ﴾	١٣٤
4719	﴿ قَــــــل كـــــال متريص فتريصـــوا ﴾	140
7777	خلاصة تا اشتملت عليه سورة طه	-
4774	تخريج أحاديث وهوامش	-
4444	محتويات الكتاب	-

تم بحمد الله تفسير الجزء (السادس عشر) ويليه تفسير الجزء (السابع عشر) إن شاء الله

